

دار الكتب المصرية

القسم الأدبي

نهاية البلاغ

في

فنون الأدب

تأليف

شهاب الدين محمد بن عبد الله بن يوسف

السفر العاشر

[الطبعة الأولى]

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٣٥١ هـ - ١٩٣٣ م

جزء
معين التاريخ
لأهل التاريخ

فهرس

السفر العاشر

من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب للنويرى

ذكر ما وصفت به العرب الخيل

من ترتيبها فى السن، وتسمية أعضائها، وأبعضها، وألوانها،

وشياتها، وغررها، وحجولها الخ

صفحة

١	أما ترتيبها فى السن
١	وأما ما قيل فى تسميتها، وتسمية أعضائها وأبعضها
٢	وأما الوجه وما فيه مما لم يذكر فى خلق الانسان
٣	وأما العنق وما فيه
٤	وأما الظهر وما اتصل به من الوركين
٥	وأما الصدر وما اتصل به من البطن
٥	وأما الذراعان وما دونهما
٥	وأما ألوانها وشياتها وغررها وحجولها وعصمها وما فيها من الدوائر
١٢	وأما الشية
١٦	وأما ما فى الفرس من الدوائر
	وأما ما قيل فى طبائعها، وعاداتها، والمحمود من صفاتها ومحاسنها والعلامات
١٩	الدالة على جودة الفرس ونجابهته

صفحة

٢٢	ومما يستحب من أوصافها في الخلق
٢٧	وأما عيوبها التي تكون في خلقها وفي جريها والتي تطرأ عليها وتحدث فيها ...
٢٧	فأما التي في خلقها
٣٠	وأما العيوب التي في جريها
٣١	وأما العيوب التي تطرأ عليها وتحدث فيها
٣٣	ذكر أسماء خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم
٣٩	ذكر أسماء كرام الخيل المشهورة عند العرب
٤٨	ذكر ما قيل في أوصاف الخيل وتشبيهها بنظم ونثر
٦٥	طريف في ذم الخيل بالهزال والعجز عن الحركة
٦٧	ذكر ما وصفت به في الرسائل المثورة

الباب الثاني

من القسم الثالث من الفن الثالث في البغال والحمير

٧٩	ذكر ما قيل في البغال
٨٠	ذكر بغلات رسول الله صلى الله عليه وسلم
٨٥	ذكر شيء مما وصفت به البغال
٩٣	ذكر ما قيل في الحمير الأهلية
٩٥	ذكر ما يمثّل به مما فيه ذكر الحمير
٩٧	ذكر شيء مما وصفت به الحمير على طريق المدح والذم

الباب الثالث

من القسم الثالث من الفن الثالث في الإبل والبقر والغنم

١٠٣	ذكر ما قيل في الإبل
١٠٤	أما تسميتها من حين تولد إلى أن تنتهي سنّها
١٠٥	وأما أسماء ما يركب منها ويحمل عليه

١٠٦ وأما ما اختصت به النوق من الأسماء والصفات
١٠٧ ومن أوصافها في السير
١٠٨ وأما ألوان الإبل
١٠٨ وأما ترتيب سيرها
١٠٩ وأما ما قيل في المسير عليها والتزول للراحة والإراحة
١٠٩ ذكر أصناف الإبل وعاداتها وما قيل في طبائعها
١١١ ذكر ما ملكه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الإبل
١١٥ ذكر شيء مما وصفت به الإبل نظماً ونثراً
١٢٠ ذكر ما قيل في البقر الأهلية
١٢٤ ذكر ما قيل في الجاموس
١٢٥ ذكر ما قيل في الغنم الضأن والمعز
١٢٧ ذكر ترتيب سنّ الغنم

القسم الرابع

من الفن الثالث في ذوات السموم، وفيه بابان

الباب الأول

ويشتمل على ما قيل في الحيات والعقارب

١٣٣ ذكر ما قيل في الحيات
١٤٠ ذكر ما في لحوم الحيات من المنافع والأدوية
١٤٣ ذكر شيء مما وصفت به الأفاعى
١٤٧ ذكر ما قيل في العقارب

الباب الثاني

من القسم الرابع من الفن الثالث فيما هو ليس قاتلا بفعله من ذوات السموم
ويشتمل على ما قيل في الخنافس والوزغ والضب وآبن عرس
والحرباء والقنافذ والفئران والقراد والنمل والذر والقمل والصوآب

صفحة

فأما الخنافس وما قيل فيها ١٥٢
وأما الوزغ وما قيل فيه ١٥٤
وأما الضب وما قيل فيه ١٥٥
وأما الحرباء وما قيل فيها ١٥٩
وأما آبن عرس وما قيل فيه ١٦١
وأما القنافذ وما قيل فيها ١٦٢
وأما الفئران وما قيل فيها وأنواعها ١٦٦
فأما الجرذ والفأر ١٦٦
وأما الزباب ١٧٠
وأما الخلد ١٧٠
وأما اليربوع ١٧٠
وأما فأرة المسك ١٧١
وأما فأرة الإبل ١٧٢
وأما القراد وما قيل فيه ١٧٢
وأما النمل والذر وما قيل فيهما ١٧٣
وأما القمل والصوآب وما قيل فيهما ١٧٧

القسم الخامس

في أجناس الطير وأنواع السمك

وفيه سبعة أبواب : ستة منها في الطير وباب في السمك وذيل لذكر شيء
مما قيل في آلات صيد البر والبحر وهو باب ثامن

الباب الأول

من القسم الخامس من الفن الثالث في سباع الطير، ويشتمل على ما قيل
في العقاب والبزاة والصقور والشواهين وأصناف ذلك

صفحة

١٨١ ذكر ما قيل في العقاب
١٨٤ وأما الزمج وهو الصنف الثاني من العقاب...
١٨٦ ذكر ما قيل في البازي وأصنافه
١٨٦ فأما البازي
١٩١ وأما الزرق...
١٩١ وأما الباشق...
١٩٣ وأما العفص...
١٩٤ وأما البيدق...
١٩٥ ذكر ما قيل في الصقر وأصنافه
١٩٥ فأما الصقر...
١٩٨ وأما الكونج وهو الصنف الثاني من الصقر
١٩٩ وأما اليؤيؤ وهو الصنف الثالث من الصقر
٢٠٠ ذكر ما قيل في الشاهين وأصنافه
٢٠٠ فأما الشاهين
٢٠٣ وأما الأنبيق وهو الصنف الثاني من الشاهين
٢٠٤ وأما القطامي وهو الصنف الثالث من الشاهين
٢٠٤ فصل في ذكر ما ناسب الجوارح في الاقتراس وأكل اللحم الحى

من القسم الخامس من الفن الثالث في كلاب الطير، ويشتمل على ما قيل في النسر والرخم والحدأة والغراب

الباب الثالث

من القسم الخامس من الفن الثالث في بهائم الطير ، ويشتمل على ما قيل
في الدراج والحبارى والطاوس والديك والدجاج والحجل والكركي
والإوز والبط والنحام والأنيس والقائند والخطاف والقيق
والزرزور والسمانى والهدهد والعقعق والعصافير

٢١٤ فأما الدراج وما قيل فيه
٢١٥ وأما الحبارى وما قيل فيه...
٢١٦ وأما الطاوس وما قيل فيه
٢١٧ وأما الديك والدجاج وما قيل فيهما
٢١٩	ذكر ما جاء فى الديكة من الأحاديث وما عدّ من فضائلها وعاداتها ومنافعها
٢٢٦ ذكر شئ مما وصفت به الشعراء البيضة والدجاجة والديك
٢٢٧ ومما قيل فى الدجاجة والديك
٢٣٣ وأما الجمل وما قيل فيه
٢٣٤ وأما الكركى وما قيل فيه
٢٣٥ وأما الإوز وما قيل فيه وأصنافه
٢٣٦ وأما البط وما قيل فيه وأصنافه

٢٣٧ وأما النحام وما قيل فيه
٢٣٨ وأما الأنيس وما قيل فيه
٢٣٨ وأما القاوند وما قيل فيه
٢٣٨ وأما الخطاف وما قيل فيه
٢٤١ وأما القيق والزرزور وما قيل فيهما
٢٤١ ما قيل في القيق
٢٤٢ وأما الزرزور
٢٤٥ وأما السمانى وما قيل فيه
٢٤٦ وأما الهدد وما قيل فيه
٢٤٨ وأما العقق وما قيل فيه
٢٤٩ وأما العصافير وما قيل فيها وأنواعها
٢٤٩ فأما العصافير البيوتى
٢٥٠ وأما عصفور الشوك
٢٥٠ وأما عصفور النيلوفر
٢٥١ وأما القبرة
٢٥١ وأما حسون
٢٥٢ وأما البلبل

الباب الرابع

من القسم الخامس من الفن الثالث فى بغاث الطير
ويشتمل على ما قيل فى القمرى والدبسى والورشان والفواخت
والشفنين واليعتبط والنواح والقطا واليمام وأصنافه والبيغاء

٢٥٨ أما القمرى وما قيل فيه
٢٥٨ وأما الدبسى وما قيل فيه
٢٥٩ وأما الورشان وما قيل فيه

صفحة	
٢٥٩	وأما الفواخت وما قيل فيها
٢٦٠	وأما الشفنين وما قيل فيه
٢٦١	وأما اليعتبط وما قيل فيه
٢٦١	وأما النواح وما قيل فيه
٢٦١	وأما القطا وما قيل فيه
٢٦٥	ذكر شىء من الأوصاف والتشبيهات الشعرية الجامعة لمجموع هذا النوع
٢٦٨	وأما اليمام وأصنافه وما وصف به وما قيل فيه
٢٦٨	فأما الرواعب
٢٦٨	وأما المرايش
٢٦٩	وأما العداد
٢٦٩	وأما الميساق
٢٦٩	وأما الشداد
٢٦٩	وأما القلاب
٢٦٩	وأما المنسوب
٢٧٧	ذكر ما قيل فى طوق الحمامة
٢٧٩	ذكر شىء مما وصفت به هذا النوع نظماً ونثراً
٢٨٠	وأما البغاء وما قيل فيها

الباب الخامس

من القسم الخامس من الفن الثالث فى الطير الليلي ويشتمل على ما قيل
فى الخفاش والكروان والبوم والصدى

٢٨٣	فأما الخفاش وما قيل فيه
٢٨٥	وأما الكروان وما قيل فيه

٢٨٥	وأما البوم وما قيل فيه
٢٨٦	وأما الصدى وما قيل فيه

الباب السادس

من القسم الخامس من الفن الثالث في الهمج وهو مما يطير كالنحل
والزنبور والعنكبوت والجراد ودود القز والذباب
والبعوض والبراغيث والخرقوص

٢٨٧	فأما النحل وما قيل فيه
٢٨٩	وأما الزنبور وما قيل فيه
٢٩٠	وأما العنكبوت وما قيل فيه
٢٩٢	وأما الجراد وما قيل فيه
٢٩٧	وأما دود القز وما قيل فيه
٢٩٨	وأما الذباب وما قيل فيه
٣٠١	وأما البعوض وما قيل فيه
٣٠٣	وأما البراغيث وما قيل فيها
٣٠٥	وأما الخرقوص وما قيل فيه

الباب السابع

من القسم الخامس من الفن الثالث في أنواع الأسماك

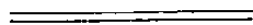
٣١٢	ذكر شيء من أنواع الأسماك
٣١٣	فأما الدلفين
٣١٣	وأما الرعاد
٣١٤	وأما التمساح
٣١٥	وأما السقنقور

الباب الثامن

مما وصفت به آلات الصيد في البر والبحر ووصف

رماة البندق وما يجري هذا المجرى

٣٢٤	ذكر شيء مما قيل في رماة البندق
٣٤٨	ومما ورد في وصف الجلاهدق نظماً
٣٥٠	ذكر شيء مما قيل في سبطانة
٣٥١	ذكر شيء مما قيل في عيدان الدبق



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ذكر ما وصفت به العرب الخيل :

من ترتيبها في السن، وتسمية أعضائها، وأبعاضها، وألوانها،
وشياتها، وغررها، وججوها، وعصمها، ودوائرها، وما قيل
في طبائعها وعاداتها، والمحمود من صفاتها ومحاسنها، والعلامات
الدالة على جودتها ونجابتها، وعد عيوبها التي تكون في خلقها
وجريها، والعيوب التي تطرأ عليها وتحدث فيها

أما ترتيبها في السن — فالعرب تقول : سنّ الفرس إذا وضعت أمه
فهو "مهر" . ثم هو "فلو" ^(١) . فإذا استكمل سنة فهو "حولى" . ثم هو في الثانية
"جدع" . ثم في الثالثة "نبي" . ثم في الرابعة "رباع" . ثم في الخامسة "قارح" .
ثم هو الى نهاية عمره "مذك" .

وأما ما قيل في تسميتها، وتسمية أعضائها وأبعاضها — فقد قالوا :
الخيل مؤنثة، ولا واحد لها من جنسها، وجمعها خيول . ويقال في صفاتها : "أذن مؤللة"
و"مرهفة" ، أى محددة الطرف . قال عدي بن الرقاع :

ملاحظة — يتدئ هذا الجزء في صفحة ٨ ٤ من الجزء التاسع الفتوغرافى من هذا الكتاب وهو أحد
أجزاء النسخة التى اصطلحنا على تسميتها بالحرف « أ » التى سيرد ذكرها كثيرا فى التعليقات .

(١) ويقال فيه أيضا "فلو" (وزان حمل) .

(١) تَخُوضُ فِي فُرْجَاتِ النَّقْعِ دَامِيَةً * كَأَنَّ آذَانَهَا أَطْرَافُ أَقْلَامٍ

و"حَشْرَةٌ" : صغيرة مُسْتَدِيرَةٌ . و"مَقْدُودَةٌ" : مَدَوْرَةٌ . وَأُذُنٌ "غَضَنْفَرَةٌ" ،
أى غَلِيظَةٌ . و"زَبْعَرَاءٌ" أى غَلِيظَةٌ شَعْرَاءٌ . و"خُذَاوِيَّةٌ" : أى خَفِيفَةُ السَّمْعِ .
قال عَدِيّ بن زيد :

٥ لَهُ أُذُنَانِ خُذَاوِيَّتَانِ * نِ وَالْعَيْنُ تُبْصِرُ مَا فِي الظُّلَمِ

ثم "الناصية" وهى الشعرُ السَّائِلُ على الجبهة ، يقال : "وَارِدَةٌ" وهى الطويلة .
و"جَثْلَةٌ" وهى الكثيرةُ المَلْتَفَّةُ . و"الفاشِغَةُ" و"الغَمَاءُ" (٣) وهى الكثيرةُ المنتَشِرَةُ .
و"السَّفَوَاءُ" (٤) وهى القليلة . و"عُصْفُورُهَا" : أصلٌ مَنِيَتِ شَعْرُهَا . و"قَوْنِسُهَا" (٥) :
العَظْمُ النَّاتِي بَيْنَ الْأُذُنَيْنِ (٦) .

١٠ وَأَمَّا الْوَجْهُ وَمَا فِيهِ مِمَّا لَمْ يُذَكَّرْ فِي خَلْقِ الْإِنْسَانِ — "النَّوَاهِقُ" (٧)
وهما عَظْمَانِ شَاخِصَانِ فِي وَجْهِهِ مِنَ الْجَبْهَةِ إِلَى الْمَنْخَرَيْنِ . و"الْأَهْزِمَتَانِ" : مَا أَجْتَمَعَ
مِنَ اللَّحْمِ فِي مُعْظَمِ الْحَيَيْنِ . و"عَيْنٌ مُغْرَبَةٌ" : أى بَيضَاءُ الْحَمَالِيقِ وَمَا حَوْلَهَا .
و"خَيْفَاءُ" : إِذَا كَانَتْ إِحْدَاهُمَا سُودَاءَ وَالْأُخْرَى زُرْقَاءَ . و"الْمُحْمَاقَةُ" : التى
حَوَّلَ مُقْلَتَيْهَا بَيَاضٌ لَمْ يُخَالِفِ السَّوَادَ .

- ١٥ (١) ورد هذا الشطر في كتاب رشحات المداد فيما يتعلق بالصافنات الجياد للبخشي (ص ٢٤ طبع حلب)
هكذا : « يخرجن من مستطير النقع... الخ » . (٢) فى التكملة للصاغاني : « وبالعين يبصر... الخ » .
(٣) فى الأصلين : « الغم » ، وهو تحريف . (٤) فى الأصلين : « الشغواء » بالشين والغين
المعجمتين ، وهو تصحيف . (٥) فى الأصلين : « قويسها » بالياء المثناة بدل النون ، وهو تصحيف .
(٦) فى الأصلين : « من » وهو تحريف . (٧) عبارة القاموس : « والناهقان : عظامان
شاخصان من ذى الحافر فى مجرى الدمع ويقال لهما : النواهي أيضا » .
- ٢٠

و"أَنْفٌ مُصَفَّحٌ" أى مُعْتَدِلُ الْقَصَبَةِ . و"السَّمُّ" : ثَقْبُهُ ، قَالَ : ^(٢)

* وَمَنْخَرًا وَاسِعَةً سُمُومُهُ *

وقال مُزَارِحِمُ بْنُ طُفَيْلٍ الْغَنَوِيُّ ، وَقِيلَ : الْعَبَّاسُ بْنُ مُرْدَاسٍ السُّلَمِيُّ ، :

مِلءُ الْحِزَامَيْنِ وَمِلءُ الْعَيْنِ * يَنْفُشُ عِنْدَ الرَّبْوِ مَنْخَرَيْنِ ^(٤)

* كَنْفَشَ كَيْرَيْنِ بِكَفَى قَيْنِ ^(٥) *

و"الْحَخْفَلَةُ" : الشَّفَّةُ . و"الْفَيْدُ" : الشَّعْرُ النَّابِتُ عَلَيْهَا . و"الشَّدْقَانُ" :

مَشَقُّ الْفَمِ إِلَى حَدِّ اللَّجَامِ .

وَأَمَّا الْعُنُقُ وَمَا فِيهِ — "فَالْمَعْرِفَةُ" : مَوْضِعُ الْعُرْفِ . و"الْعُرْفُ" :

شَعْرُ أَعْلَى الْعُنُقِ . و"الْعُدْرَةُ" : مَا عَلَى الْمِنْسَجِ يَقْبِضُ عَلَيْهِ الْفَارَسُ إِذَا رَكَبَ .

و"الْعُرْشَانِ" : اللَّحْمَانِ مِنْ جَانِبَيْ الْعُرْفِ . و"الْحِرَارَانِ" ^(٦) : جِلْدُ أَسْفَلِ الْعُنُقِ .

و"الدَّسِيعُ" : مُرَكَّبُ الْعُنُقِ فِي الْكَاهِلِ . قَالَ سَلَامَةُ [بْنُ جَنْدَلٍ] :

يَرْقَى الدَّسِيعُ إِلَى هَادٍ لَهُ بَتِيعِ ^(٨) * فِي جُؤْجُؤٍ كَمَدَاكِ الطَّيِّبِ مَحْضُوبِ ^(٩)

(١) فِي الْأَصْلَيْنِ : « ثَقْبًا » بِالنُّونِ وَهُوَ تَحْرِيفٌ . قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : « سُمُومُهُ مَنْخَرَاهُ وَعَيْنَاهُ وَأُذُنَاهُ

وَكُلُّ ثَقْبٍ سَمٌ » . (٢) فِي الْأَصْلَيْنِ : « يَقَالُ » .

(٣) نَسَبَ هَذَا الشَّعْرُ فِي دِيْوَانِ الْمُعَانِي لِأَبِي هَلَالٍ الْعَسْكَرِيِّ (ج ٢ ص ٧٤ مِنْ النُّسَخَةِ الْمَخْطُوطَةِ

الْمَحْفُوظَةِ بِدَارِ الْكُتُبِ الْمِصْرِيَّةِ تَحْتَ رَقْمِ ١٨٧٤ أَدَبٍ) لِلْعَبَّاسِ بْنِ مُرْدَاسٍ . وَنَسَبَ فِيهِ لِمُزَارِحِمِ بْنِ طُفَيْلٍ

شَاهِدٌ آخَرُهُوَ : * مِنْ مَنْخَرٍ كَوَجَارِ الثَّلَبِ الْخَرْبِ *

وَقَالَ : « بِفَعْلِهِ خَرْبًا لِيَكُونَ أَوْسَعُ » .

(٤) الرَّبْوُ : الْبَهْرُ وَانْتِفَاخُ الْجُوفِ . (٥) الْقَيْنُ : الْحَدَادُ .

(٦) كَذَا فِي الْمَخْصَصِ وَلِسَانِ الْعَرَبِ (مَادَّةُ جَرَن) . وَفِي أ : « الْحَرَارُ » وَفِي ب : « الْحِرَارُ » ،

وَكِلَاهُمَا تَحْرِيفٌ . (٧) الزِّيَادَةُ عَنْ الْمَخْصَصِ وَلِسَانِ الْعَرَبِ مَادَّةُ « بَتِيعُ » .

(٨) كَذَا فِي الْمَخْصَصِ وَلِسَانِ الْعَرَبِ مَادَّةُ « بَتِيعُ » وَكِتَابُ الْخَيْلِ لِلْأَصْمَعِيِّ (ص ١٣ طَبْعُ أَوْرَبَا) .

وَالْبَتِيعُ (بِالتَّحْرِيكِ) : شِدَّةُ الْعُنُقِ وَإِشْرَافُهَا . وَالْوَصْفُ مِنْهُ أَبْتَعُ وَبَتِيعُ (وَزَانُ فَرَحٍ) . وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى :

« تَلَعُ » وَالتَّلَعُ : طَوْلُ الْعُنُقِ . وَفِي الْأَصْلَيْنِ : « تَبِيعُ » بِتَقْدِيمِ التَّاءِ الْمُثَنَاءِ عَلَى الْبَاءِ الْمُوَحَّدَةِ ، وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

(٩) الْجُؤْجُؤُ : الصَّدْرُ . وَالْمَدَاكُ : حَجَرٌ يَسْحَقُ عَلَيْهِ الطَّيِّبُ .

٥

١٠

١٥

٢٠

٢٥

و"الْبَّانُ": ما جرى عليه اللَّبُّ. ويقال: "عُنُقُ قَوْدَاءَ" أى طويلة. و"سَطْعَاءُ" أى طويلة منتصبَةٌ غليظة. و"تَلْعَاءُ": منتصبَةٌ غليظة الأصل مجذولةٌ الأعلى. و"دَنَاءُ" أى مطمئنةٌ من أصلها. و"هَنْعَاءُ": مطمئنةٌ من وسطها. و"وَقَصَاءُ": قصيرة. و"مَرْهَفَةٌ": رقيقة^(١).

وأما الظهر وما اتصل به من الوركين — فمِنْهُ: "الْمَتَّانُ" وهما لِحْمَانُ يَكْتَنِفَانِ الظهرَ من مُرَكَّبِ العُنُقِ إلى عُلُوِّ ظَهْرِ الذَّنْبِ. و"الحَارِكُ": عَظْمٌ مشرفٌ من بين فرْعَيِ الكَتِفَيْنِ. و"الْقُرْدُودَةُ": حَدُّ الْفَقَارِ. و"الْفَقَارُ": المنتظمة في الصُّلْبِ. و"الصَّهْوَةُ": مَقْعَدُ الْفَارِسِ. و"الْقَطَاةُ": مَقْعَدُ الرِّدْفِ خَلْفَهُ. و"المَعْدَانِ": موضع السَّرَجِ من جَنْبَيْهِ. قال شاعر^(٢):

فَإِذَا زَالَ سَرَجِي عَنْ مَعَدٍّ^(٣) وَأَجْدَرُ بِالْحَوَادِثِ أَنْ تَكُونَا^(٤)

و"الصُّرْدُ": بَيَاضٌ عَلَى الظهرِ. و"الْغُرَابَانِ": مُلْتَقَى أَعَالَى الْوَرَكَيْنِ فِي نَاحِيَةِ الصُّلْبِ. و"الصَّلَوَانِ": مَا أَسْهَلَ مِنْ جَانِبِي الْوَرَكَيْنِ. و"العَجْبُ": مَا أَرْتَفَعَ مِنْ أَصْلِ الذَّنْبِ. و"العُلُوَّةُ": أَصْلُهُ. و"العَسِيبُ": عَظْمُ الذَّنْبِ. وَالْأَعْوَجُ الْعَسِيبُ: "أَعَزَلُ".

١٥ (١) لعلها «دقيقة» بالدال المهملة. (٢) هو عمرو بن أحرر الباهلي يخاطب امرأته، كما في لسان العرب (مادة معد). (انظر ترجمته في الشعر والشعراء ص ٢٠٧ طبع أوروبا). (٣) في الأصلين: «سرح» بالحاء المهملة. والتصويب عن لسان العرب. ثم استطرد صاحب اللسان في تفسير البيت قائلا: «وقال ابن الأعرابي: معناه إن عرى فرسى من سرجي ومت». وجواب الشرط مذکور في البيت بعده وهو:

٢٠ فلا تصلى بمطروق إذا ما * سرى في القوم أصبح مستكينا

(٤) في الأصلين: «فأجدر» بالنقاء بدل الواو، وهو تحريف.

(٥) في الأصلين: «بيض» وهو تحريف.

وأما الصدر وما اتصل به من البطن — فمنه: «الكَاكُلُ»: ما مس الأرض من فهدتيه. و«الفَهْدَتَانِ»: اللّحمتان الناتئتان في الصدر. و«المَحْزَمُ»: ما شدّ عليه الحِزَامُ. و«الناحِرَانِ»^(١): عِرْقَانِ يُوَدِجُ منهما.

وأما الذراعان ومادونهما — «المِرْفَقَانِ»: مَآخِذُ رُءُوسِ الذراع. و«الحَصِيلَةُ»^(٢): لحمة الذراع مع العَصَب. و«الصَّافِنُ»^(٣): عِرْقُ الذراع. و«الحِبَالُ»: عَصَبُهَا. و«الرَّفَّتَانِ»: لَحْمَتَانِ فِي بَاطِنِهَا لَا تُنْبِتَانِ شَعْرًا. و«الرُّكْبَةُ»^(٤): مَوْصِلُ مَا بَيْنَ الذَّرَاعِ وَالْوَظِيفِ. و«الْوَظِيفَانِ»: الْعِظْمَانِ تَحْتَ الرِّكْبَتَيْنِ وَالْعُرْقُوبَيْنِ. و«الرَّصِفَتَانِ»^(٥): عِظْمَانِ مُسْتَدِيرَانِ عَلَى الرُّكْبَةِ. و«السَّنْبُكُ»: طَرَفُ مُقَدِّمِ الْحَافِرِ. و«النَّسْرُ»: مَا يَتَطَايَرُ مِنْ أَسْفَلِهِ كَالنَّوَى. و«الْمَنْقَلُ»: مُجْتَمِعُ الْحَافِرِ مِنْ بَاطِنِهِ. و«أَلْيَةُ الْحَافِرِ»: مُؤَخَّرُهُ. وَيُقَالُ: حَافِرٌ أَرَحٌ: مُنْبَطِحُ السَّنَابِكِ. و«فَرَشَاحٌ»^(٦) أَيْ مُنْبَطِحٌ. و«وَابٌ»: مُقَعَّبٌ. و«مَصْرُورٌ»: مَضْمُومٌ صَدِيرٌ. و«مَكْنَبٌ»^(٧) أَيْ كَثِيفٌ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ.



وأما ألوانها وشيئاتها وغررها وجوؤها وعصصها وما فيها من الدوائر — من ألوانها: «الْبَيْهَمُ وَالْمُصَحَّمُ»: كُلُّ ذِي لَوْنٍ وَاحِدٍ لَا شَيْءَ فِيهِ،

(١) في الأصلين: «الناجزان» بالجميم والزاي المعجمتين، وهو تصحيف.

(٢) في الأصلين: «الحصيلة» بالحاء المهملة، وهو تصحيف.

(٣) في الأصلين: «والرفتان»: جئان في باطنها لا ينبتان شعرا.

(٤) في الأصلين: «الركوبة»، وهو تحريف.

(٥) في الأصلين: «الرصفتان» بالصاد المهملة، وهو تصحيف.

(٦) في الأصلين: «أزج» بالزاي والجميم المعجمتين، وهو تصحيف.

(٧) في الأصلين: «مكشب» بالشين المعجمة، وهو تحريف.

إلا الأشهب فإنه لا يقال له بهيم . يقال : فرس مصمت ، والأنثى مصمتة ، والجمع مصاميت . وكذلك يُقال في قوائم الفرس إذا لم يكن بهن تحجيل^(١) . قال أبو حاتم :
* مبهمة مصمتة القوائم *

ومن ألوان الخيل : "الدهم" ، وهى ستة : "أدهم غيب" وهو أشدها سوادا ، والأنثى غيبة . والغيب : الظلمة ، والجمع غياهب . وكذلك "الغريد" . و"الحالك" . و"أدهم دجوجي" : صافى السواد ؛ وقيل : هو مأخوذ من الدجة ، وهى شدة السواد والظلمة . و"أدهم يحوم وأدهم أحم" وهو الذى أُشربت سراته^(٢) وحجزته حمرة . قال أبو تمام :

أو أدهم فيه كمة أمم^(٣) * كأنه قطعة من الغليس

ثم "أدهم أكهب" وهو إلى الكدرة .

ثم "أحوى" والجمع حو ؛ وهو أهون سوادا من الجون ، ومناخره حمرة ، وشاكلته مصفرة . والأحوى أربعة ألوان : "أحوى أحم" وهو المشاكل للدهمة والحضرة ؛ ولا فرق بينه وبين الأخضر الأحمر إلا بأحمرار مناخره وأصفرار شاكلته . و"أحوى أصبح" وهو الذى تقل حمرة مناخره فتصير إلى السواد ويكون البياض فيه غالبا على أطراف المنخرين . و"أحوى أطحل" وهو الذى تعتريه صفرة وخضرة^(٤)

(١) فى كتاب فضل الخيل للإمام الحافظ شرف الدين الديبائى المصرى المتوفى سنة ٧٠٥ هـ

(ص ٤٨ طبع حلب) : «أنشد أبو حاتم» .

(٢) سرة الفرس : أعلى منته . وفى الأصلين «سبراته» ، وهو تحريف .

(٣) كذا فى ديوانه المطبوع ببيروت سنة ١٨٨٩ م (ص ١٥٠) وشرحه للعلامة التبريزى (نسخة

مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٠ أدب ش ص ٣٢٨) . وفى الأصلين : «أدهم

فى كمة ترينه» ، وهو تحريف .

مُخَالِطَانِ لِكُدْرَةٍ. و"أَحْوَى أَكْهَبُ". والكَهَبُ: قَلَّةُ مَاءِ اللَّوْنِ وكُدْرَتُهُ فِي مَوْضِعِ
الْمُنْتَخَرِينَ فِي حَمْرَتِهِمَا وَفِي سَوَادِ السَّرَاةِ فِي بَيَاضِ الْأَقْرَابِ .

ومنها الخُضْرُ - ^(١) وهى أربعة: "أخضرُ أحْمُ" وهو أدناها إلى الدُّهْمَةِ . قال
الشاعر :

* خَضْرَاءُ حَمَاءُ كُلُّونِ الْعَوْهَقِ *

وهو اللَّازِزُورْدُ . و "أخضرُ أدْغَمُ" وهو الأخطَبُ لَوْنِ وَجْهِهِ وَأُذُنِيهِ وَمَنَاخِرِهِ .
وهذا اللَّوْنُ يُسَمَّى بِالْفَارْسِيَّةِ "دِيزْجًا" ^(٢) . و"أخضرُ أَطْحَلُ" وهو الذى تعلو خُضْرَتُهُ
صُفْرَةً . و"أخضرُ أَوْرَقُ" وهو الذى كلون الرَّمَادِ .

ومنها الكُمَيْتُ - والجمع كُمَيْتٌ ، والذكر والأنثى فيه كُمَيْتٌ ، وهى تسعة .

قالوا: وكُمَيْتٌ من الأسماء المصغرة المرتحة التى لا تكبير لها، من أ ك م ت بمنزلة حميد
من أحمد، غير أن أ ك م ت لم يستعمل . والكُمَيْتُ بين الأحوى والأصدا، وهو أقرب
من الشُّقْرِ والوَرَادِ إلى السَّوَادِ وَأَشَدُّ مِنْهَا حَمْرَةً . والفرق ما بين الكُمَيْتِ والأشقر
بالْعُرْفِ وَالذَّنْبِ ، فإن كانا أَحْمَرَيْنِ فهو أَشَقَرُ ، وإن كانا أَسْوَدَيْنِ فهو كُمَيْتٌ ؛ وَالْوَرْدُ
بينهما . والكُمَيْتُ أَحَبُّ الْأَلْوَانِ إِلَى الْعَرَبِ . ومن ألوانه : "كُمَيْتُ أَحْمُ" ،
وهو الذى يُشَاكِلُ الْأَحْوَى ، غير أنه تَفْصِيلٌ بَيْنَهُمَا حُمْرَةُ أَقْرَابِهِ وَمَرَاقِهِ وَمُرَبَّطَائِهِ .
والمُرَبَّطَاءُ: الجِلْدَةُ التى بين العانةِ والسَّرَّةِ . والأقْرَابُ: من الشاكلة التى هى الخاصرة

(١) فى الأصلين : «ومنها الخضر» . وقد حذفنا الناء ليتسق كلام المؤلف ؛ فقد ذكر سائر الألوان
بصيغة الوصف .

(٢) جاء فى كتاب قطر السبيل فى أمر الخيل للبلقيني (نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية
تحت رقم ٢١٤ فنون حربية) : «ويقال : إنَّ الحجاج قال لصاحب دوابه : أسرج الأدغم . نخرج الرجل
لا يدري ما قال له ، فسأل يزيد بن الحكم (لعله يعنى يزيد بن أبى مسلم كاتب الحجاج ومستشاره) . فقال :
أفى دوابه ديزج ؟ قال : نعم فيها ديزج . قال : أسرجه له » .

الى مَرَّاقِ البطن ، واحدها : قَرَبٌ وَقَرَبٌ . قال الأصمعي : أشد الخيل جُلودًا
 وحوافر الكُمَّتِ الحُثْمِ . و «كُمَيْتٌ أَضْحَمٌ»^(١) وهو الأسود الذي يضرب الى الصفرة .
 و «كُمَيْتٌ أَطْحَمٌ» والطَّخْمَةُ : سَوَادٌ في مُقَدِّمِ الأنف . و «كُمَيْتٌ مَدْمِيٌّ» وهو الشديد
 الحمرة وكلما انحدر الى مَرَّاقِ البطن يزداد صفاءً . و «كُمَيْتٌ أَحْمَرٌ» وهو أشد حمرة
 من المَدْمِيِّ ، وهو أحسن الكُمَّتِ . و «كُمَيْتٌ مُذَهَّبٌ» وهو الذي تعلو حمرة صفرة .
 و «كُمَيْتٌ مُحَلِّفٌ» وهو أدنى الكُمَّتِ الى الشُّقْرَةِ وظاهر شعر ذنبه وعُرفه كلون جسده
 وباطنه أسود ، والأُنثى مُحَلِّفَةٌ . وأنشدوا :^(٢)

كُمَيْتٌ غَيْرُ مُحَلِّفٍ وَلَكِنْ * كَلَوْنَ الصَّرْفِ عَلَّ بِهِ الْأَدِيمُ^(٤)

قال أبو خيرة : المُحَلِّفُ بين الأصهب والأحمر ، وهو من الإبل الأصحَرُ . و «كُمَيْتٌ
 أَكْلَفٌ» وهو الذي لم تصف حمرة ويرى في أطراف شعره سوادٌ . و «كُمَيْتٌ أَصْدَأُ»
 وهو الذي فيه صدأة أي كدرة بصفرة قليلة ، شَبَّهَتْ بلون صدأ الحديد .

ومنها الْوَرَادُ — وهي جمع وَرْدٍ وهي ثلاثة — وَالْوَرْدُ هو الذي تعلوه حمرة
 الى الشُّقْرَةِ الْخُلُوقِيَّةِ وَجِلْدُهُ وَأَصْوُلُ شَعْرِهِ سُودٌ . وقيل : الْوَرْدَةُ : حمرة تضرب

(١) في الأصلين : « أضخم » بالمعجمين ، وهو تصحيف .

(٢) قائل هذا البيت هو ابن كلجة اليربوعي وأسمه هبيرة بن عبد مناف وكلجة أمه ، كما في لسان
 العرب مادة « حلف » .

(٣) قال صاحب اللسان في تفسير كلمة محلفة : « يعني أنها خالصة اللون لا يحلف عليها أنها ليست
 كذلك » .

(٤) الصرْف (بالكسر) : صبغ أحمر يصبغ به شرك النعال . يعني أنها خالصة الكمة كلون الصرْف .

(٥) الخلوقة (بالحاء المعجمة) : نسبة الى الخلق ، وهو ضرب من الطيب يتخذ من الزعفران وغيره من
 أنواع الطيب .

الى الصفرة . وتحقيقه أنه بين الكميت الأحمر وبين الأشقر — منها : ”ورد خالص“
و ”ورد مصاص“ وهو الخالص أيضا ، والأنتى مصاصصة . و ”ورد أغبس“
تدعوه العجم ”السمند“ وهو الذى لونه كلون الرماد .

ومنها الشُّقْر — وهى تسعة — والأشقر : أشدُّ حمرةً من الورد — يقال : ”أشقر
أدبس“ وهو الذى لونه بين السواد والحمرة . و ”أشقر خلوقى“ و ”أشقر أصبح“ وهو قريب
من الأصهب . والصهب : الشقرة فى شعر الرأس . و ”أشقر سلغد“ وهو الذى خاصت
شقرته ، والأنتى سلغدة ، والجمع سلغدات . قال شاعر :

أشقر سلغد وأحوى أدعج * أصك أظمى وحيفس أفلج^(٤)
^(٣) ^(٢)

و ”أشقر قرف“ والأنتى قرفة ، والجمع قروف وقراف وأقراف وهو كالسلغد .
و ”أشقر مدعى“ وهو الشديد الحمرة . و ”أشقر أقهب“ والقهب : غبرة إلى سواد .
وقال ابن الأعرابي : الأقهب : الذى فيه حمرة فيها غبرة . و ”أشقر أمغر“ ،
وهو الذى تعلو شقرته مغرة ، أى كدرة . و ”أشقر أفضح“ : بين الفضة ، وهى
البياض ليس بالشديد .

ومنها الصفرة — وهى أربعة : ”أصفر فاقع“ . و ”أصفر أعفر“ وهو
بياض تعلوه حمرة . و ”أصفر ناصع“ . و ”أصفر ذهبي“ وهو الذى يضرب إلى
البياض ، وهو السوسنى^(٥) .

- (١) فى الأصلين : «أغبش» بالغين والشين المعجمتين ، وهو تصحيف .
(٢) كذا فى كتاب فضل الخيل للدمياطى . والأظمى : الذى ليس به رهل (استرخاء اللحم من السمن) .
وفى الأصلين : «أظمى» بالطاء المهملة ، وهو تصحيف .
(٣) كذا فى كتاب فضل الخيل للدمياطى ومعاجم اللغة . والحيفس : القصير الغليظ . وفى الأصلين :
«وحفيش» بالشين المعجمة وتقديم الفاء على الياء ، وهو تحريف . (٤) الفلج : تباعد ما بين الساقين .
(٥) كذا فى كتاب حلية الفرسان وشعار الشجعان لابن هذيل الأندلسى (ص ٢٢ طبع باريز سنة ١٩٢٢ م)
والسوسنى : نسبة الى السوسن ، وهو نبات طيب الرائحة ، وأجناسه كثيرة وأطيبه الأبيض .
وفى الأصلين : «السوسى» بدون النون ، وهو تحريف .

ومنها الشَّهْبُ — وهي خمسة . والأشهبُ : كلُّ فرس تكونُ شعرُهُ على لونين ثم تفرق شعرأته ^(١) فلا تجمع واحدا من اللونين شعرأته تخلص بلون كقدر النُّكْته ^(٢) فما فوقها . وقيل : الأشهبُ الأبيض الشعرَ ليس بالبياض الصافي القِرطاسي وجلده أسود يقال له "أشهب أبيض" . والشَّهْبَةُ في الألوان : البياض الذي يغلب على السَّواد . ويقال للأشهب أيضا : أضحى ، والأثى ضياء . وأسماء ألوانه :
 "أشهب ناصع" . و"أشهب أحمر" وهو أسود تنفذه شعرأته بيض . و"أشهب زُرْزُورِي" وهو الذي اعتدل فيه السواد والبياض . و"أشهب مفلس" وهو الذي خالط بياضه سواد أو حمرة . و"أشهب سامري" وهو الذي شُبهته بسواد أ ورق .
 ومنها الجُحُونُ ^(٣) — وهو اختلاط بياض بحمرة الأشقر أو الكُميت .

ومنها الصَّنَابِي — وهو دُهمَة فيها شُهْبَة ، أو كُمْتَة فيها شُهْبَة أقل من بياض الأشهب . نُسِبَ إلى الصَّنَاب وهو الخردل بالزبيب .
 ومنها الأغبرُ — وهو أشقر شملت شقرته شُهْبَة .

ومنها الأبرشُ — وهو الذي فيه لمع بياض كالرُّقْط ^(٤) ، وقيل : هو الذي يكون في شعره نكت صغار تخالف سائر لونه ، وإنما يكون ذلك في الدُّهْم والشَّقر خاصة ، وربما أصابها ذلك من شدة العطاش . فإذا عظمت النكت فهو "مدنر" . وإذا كان في جسده بقع متفرقة مخالفة للونه فهو "ملمع" و"أبقع" و"أشيم" . وقيل : الأشيم : أن تكون

(١) كذا في كتاب رشحات المداد فيما يتعلق بالصافنات الجياد . وفي الأصلين : « تفرق شعرته » .

(٢) كذا في كتاب فضل الحيل للدمياطي وقطر السيل للبلقيني . وفي الأصلين : « كدود » ، وهو تحريف .

(٣) كذا في ب . وفي أ : « أحر » بزيادة الراء المهملة .

(٤) في الأصلين : « الجلاجون » ، وهو تحريف .

(٥) كذا في اللسان والمخصص . وفي الأصلين : « لدع » .

(٦) الرقطة : جمع أرقط ، والرقطة : سواد يشوبه نقط بياض أو بياض يشوبه نقط سواد .

فيه شامة بيضاء، وقيل : قد تكون الشامة غير بيضاء . وإذا كان في الشامة استطالة فهو "مَوْلَعٌ" . وقال ابن بنين : إذا كان في الدابة عدة ألوان من غير بَلَقٍ فذلك التوليع ، يقال : يَرْدُونَ مَوْلَعٌ . وإذا كانت الشامة في مؤخره أو شقه الأيمن كرهت . ومنها العرسى - وهو الذى يشبه لونَ ابنِ عرس .

ومنها الأنمر - وهو الذى يكون فيه بقعة بيضاء وبقعة أخرى من أى لون كان . ومنها الأبلق - وهو ما يكون نصف لونه أو ما قارب النصف أبيض ، والنصف الآخر أسود أو أحمر .

ومنها الأغشى (بالغين المعجمة) - وهو ما أبيض رأسه دون جسده مثل الأرخم .^(٢)

ومنها الأبيض - وهو الذى أبيض شعره بياضا مثل بياض الأوضح أشد ما يكون من البياض وأصفاه لا يخالطه شئ من الألوان فيقال ، فيه : أبيض قرطاسى . وربما كان أزرق العين أو أسود أو أكل^(٣) . ويدعى بما فى عينيه من زُرقة وسواد وكَلٍ ؛ ولا يكون أكل حتى تسود أشفار عينيه وجفونه .

قال الشيخ رحمه الله تعالى فى كتابه "[فضل] الخيل" : «وألوان الخيل أدهم ، وأخضر ، وأحوى ، وكُميت ، وأشقر ، وأصفر ، وأشهب ، وأبرش ، وملمع ، ومولع ،

(١) هو سليمان بن بنين بن خلف النحوى المصرى المتوفى سنة ٥٦١ هـ له عدة مؤلفات ذكرها السيوطى فى كتابه بغية الوعاة : منها كتاب آلات الجهاد وأدوات الصافيات الجياد الذى نقل عنه الحافظ الدمياطى فى كتابه فضل الخيل . (٢) أورد صاحب اللسان للأغشى معنيين أولهما : الذى غشيت غرته وجهه واسعت وثانيهما ما ذكره المؤلف . (٣) كذا فى كتاب رشحات المداد . وقد ورد فى الأصلين وكتاب فضل الخيل هكذا « ... لا يخالطه شئ من الألوان وربما كان أزرق العين أو أسوداً أو أكل فيقال فيه أبيض قرطاسى . ويدعى ... الخ » . (٤) المراد به الامام الحافظ شرف الدين عبد المؤمن الدمياطى المصرى المتوفى سنة ٧٠٥ هـ مؤلف كتاب فضل الخيل . وقد طبع بمدينة حلب سنة ١٣٤٩ هـ . وما ساقه عنه المؤلف هنا يقع فى ص ٤٧ من الكتاب المذكور .

وأشيم . هذا قول أبي عبيدة . وقال الأبيوردي في رسالته : الدُّهْمَةُ ، ثم الحُوَّةُ ،
ثم الصُّدَاةُ ، ثم الخُضْرَةُ ، ثم الكُمَّةُ ، ثم الوردَةُ ، ثم الشُّقْرَةُ ، ثم الصُّفْرَةُ ، ثم العُفْرَةُ ،
ثم الشُّهْبَةُ . هذا ما وقفنا عليه من ألوانها . والله أعلم .



وأما الشَّيَّةُ وجمعها شَيَّات — فقالوا : كلَّ لَوْنٍ يُخَالِفُ مُعْظَمَ لَوْنِ الْفَرَسِ
فهو "شَيَّةٌ" . فإذا لم يكن فيه شَيَّةٌ فهو "أصم" و"بهم" من أىِّ الألوان كان ،
والأُنثى أيضا بهم . وكذلك فرس "مُصَمَّتٌ" بمنزلة البهم من أىِّ لون كان ، والأُنثى
مُصَمَّتَةٌ ، والجمع مَصَامِيتٌ . وقد تقدّم ذكر ذلك . فلنذكر الشَّيَّات .

من الشَّيَّةِ — : الغرَّةُ ، والقُرْحَةُ ، والرُّثْمَةُ ، والتَّحْجِيلُ ، والسَّعْفُ ، والنَّبَطُ ،
والصَّبْعُ ، والشَّعْلُ ، واللَّظُّ ، واليعسوبُ ، والتعميمُ ، والبلقُ .

فَالْغُرَّةُ — : البياضُ في الوجه ، وهى أنواع : أَطِيمٌ ، وشادخةٌ ، وسائلةٌ ،
وشمراخٌ ، ومُتَقَطَّعةٌ ^(١) ، وشهباءٌ .

و"اللطيم" : الذى يُصِيبُ البياضُ عينيه أو إحداهما أو خديه أو أحدهما ، والأُنثى
أيضا لطيم . فإذا فَشَتْ في الوجه ولم تُصَبَّ العينُ فهى "شادخةٌ" . فإذا اعتدلت على
قَصْبَةِ الأنف وإن عرُضت في الجبهة فهى "سائلةٌ" . وإذا دَقَّتْ وسالت في الجبهة وعلى
قَصْبَةِ الأنف ولم تَبْلُغْ الجحفة فهى "شمراخٌ" . وكلُّ بياضٍ في جبهة [الفرس] فشا أو قلَّ
ينحدر حتى يبلُغَ المرَسَنَ ^(٢) ثم ينقطع فهى غُرَّةٌ "مُتَقَطَّعةٌ" . وإذا كان البياضُ في منخريه
ثم ارتفع مُصْعِدًا حتى يبلُغَ بين عينيه ما لم يبلُغْ جَبْهَتَهُ فهى أيضا غُرَّةٌ متقطعة .

(١) كذا في لسان العرب والقاموس (مادة قطع) . وفي الأصل : «متقطعة» بالنون ، وهو تصحيف .

(٢) التكلة من كتاب فضل الخيل وكتاب قطر السيل .

(٣) المرسن (يفتح الميم وكسر السين) : موضع الرسن من أنف الفرس .

وإذا كان في الغرة شعر يخالف البياض فهي غرة "شهباء" . وقال ابن قتيبة : «إن سالت غرته ودقت فلم تجاوز العينين فهي "العصفور" . وإن أخذت جميع وجهه غير أنه ينظر في سواد فهي "المبرقة" . فإن فشّت حتى تأخذ العينين فتبيض أشفاههما فهو "مغرب" . فإن كانت إحدى عينيّه زرقاء والأخرى كحلاء فهو "أخيف" .

وأما القرحة — وهي دون الغرة ؛ فقال ابن قتيبة : الغرة : ما فوق الدرهم ، والقرحة : قدر الدرهم فما دونه . قالوا : والقرح : كل بياض كان في جبهة الفرس ثم انقطع قبل أن يبلغ المرسن . وتنسب القرحة الى خلفتها في الاستدارة والتثليث والتربيع والاستطالة والقلة ؛ فإذا قلت قيل : "خفية" . وإذا كان في القرحة شعر يخالف البياض فهي "قرحة شهباء" .

وأما الرثمة (بالثاء المثناة) — فكل بياض أصاب الجحفة العليا قل أو كثير فهو "رثم" إلى أن يبلغ المرسن . وتنسب الرثمة إذا هي فشّت الى الشدوخ . وإذا لم تجاوز المنخرين نسبت الى الاعتدال . وإذا قلت وأشتد بياضها نسبت الى الاستنارة . وإذا لم يظهر بياضها للناظر حتى يدنو نسبت الى الخفية .

واللظة — كل بياض أصاب الجحفة السفلى قل أو كثير فهو "لمظ" . والفرس المظ .

واليعسوب — كل بياض يكون على قصبه الأنف قل أو كثير ما لم يبلغ العينين . وإذا شاب الناصية بياض فهو "أسعف" . فإذا خلص البياض في الناصية فهو "أصبغ" . فإذا انحدر البياض الى منبت الناصية فهو "المعمم" . وإذا كان في عرض الذنب بياض فهو "أشعل" . والعرب تكره شعلة الذنب . وإذا كان في قمعة الذنب ، وهي طرفه ، بياض فهو "أصبغ" . وإذا ارتفع البياض حتى يبلغ البطن

فهو "أَنْبَط" . وإذا ظهر البياض و زاد فهو "أَبْلَقُ" . وقال ابن قتيبة ^(١) وابن الأجدابي ^(٢) :
 إذا كان الفرس أبيض الظهر فهو "أَرْحَلُ" ، وإن كان أبيض البطن فهو "أَنْبَطُ" .
 وقال غيرهما : "الأدرع" من الخيل والشاء : الذي أسود رأسه ولون سائر أبيض ،
 والأثني "دَرَعَاءُ" ، من الدُرْعَة ^(٣) . و "الأخصف" من الخيل والغنم : الأبيض
 الخاصرتين الذي ارتفع البلق من بطنه الى جنبه ، ولونه كلون الرماد فيه سواد
 و بياض . وقيل : كل ذي لونين مجتمعين فهو خفيف وأخصف ؛ وأكثر ذلك
 السواد والبياض . ويقال : فرس "آزر" إذا كان أبيض العجز .



ومن الشية التَّحْجِيلُ — وهو البياض في قوائم الفرس الأربع ، أوفي ثلاث
 منها ، أوفي رجله قل أو أكثر إذا استدار حتى يطيف بها . وأصل الجملة من
 الجميل (بفتح الحاء وكسرهما) وهو القيد والخلخال . قال ابن الأجدابي : فإن كانت
 قوائمه الأربع بيضاء لا يبلغ البياض منها الركبتين فهو "مُحَجَّلٌ" ^(٤) . وطلق اليد
 وطلق اليد (بفتح الطاء وإسكان اللام وبضمهما أيضا) : إذا كانت على لون البدن
 ولم يكن بها بياض . فإذا أصاب البياض القوائم كلها فهو "مُحَجَّلٌ أربع" . وإن

(١) راجع كتابه أدب الكاتب (ص ٤٩ طبع مطبعة الوطن بمصر سنة ١٣٠٠ هـ) .

(٢) هو أبو اسحاق ابراهيم بن اسماعيل بن عبد الله المعروف بابن الأجدابي الطرابلسي . (راجع ما كتبه على ألوان الخيل في كتابه كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ ص ٢٦ طبع مطبعة وادي النيل) .

(٣) الدرعة : اسم من الدرع (بالتحريك) وهو سواد مقدم الفرس أو الشاة و بياض سائرهما ؛
 وقيل : هو مواد الجسد و بياض الرأس . وإنما سميت بذلك تشبيها بالليالي الدرع وهي ليلة ست عشرة
 وسبع عشرة وثمان عشرة اسودت أوائلها و أبيض سائرهما . أو هي الليالي التي يطلع القمر فيها عند وجه
 الصبح وسائرهما أسود مظلم .

(٤) كذا في كفاية المتحفظ لابن الأجدابي وكتاب فضل الخيل للدمياطي . وفي الأصلين :
 «الوركين» وهو تحريف .

كان في ثلاث قوائم فهو "مُجَلَّلٌ ثَلَاثٌ" مُطْلَقٌ يَدٍ أَوْ رِجْلٍ يُمْنَى أَوْ يُسْرَى . وكلّ قائمة بها بياض فهي "مُمسَّكَةٌ" . وكلّ قائمة ليس بها وَضَحٌ فهي "مُطْلَقَةٌ" . فإن كان البياض في الرجلين جميعا فهو "مُجَلَّلُ الرَّجْلَيْنِ" . وإن كان في إحداهما فهو "الرَّجُلُ" ؛ وقد ذكرناه .

ولا يكون التَّحْجِيلُ واقعا بِيَدٍ ما لم يكن معها رِجْلٌ أَوْ رِجْلَانِ ، ولا بِيَدَيْنِ ما لم يكن معهما رِجْلٌ أَوْ رِجْلَانِ أَوْ وَضَحٌ بِالْوَجْهِ . فإن كان التَّحْجِيلُ في يد ورجل من شَقٍّ واحدٍ فهو مُمسَّكُ الأَيْمَنِ مُطْلَقُ الأَيْسَرِ مُطْلَقُ الأَيْمَنِ ، ويقال : الأَيْمَنَيْنِ والأَيْسَرَيْنِ . وإن كان من خِلَافٍ قَلٌّ أَوْ كَثْرُفُهُ "مَشْكُولٌ" ؛ وهو مكروه في الحديث ^(١) . وقد تقدّم ذكره .



ومنها الْعَصَمُ - وهو إذا كان البياض بإحدى يديه قَلٌّ أَوْ كَثْرُفُهُ "أَعْصَمُ" اليمنى أَوْ اليسرى . وأسمُ الْعَصْمَةِ : أَخُوذٌ مِنَ الْمِعْصَمِ وهو مَوْضِعُ السَّوَارِ مِنَ السَّاعِدِ . فإن كان البياض في يده اليسرى قيل : "مَنْكُوسٌ" ؛ وهو مكروه . وإن كان البياض بيديه جميعا فهو أَعْصَمُ اليدين ، إلا أن يكون بوجهه وَضَحٌ فهو "مُجَلَّلٌ" ذهب عنه الْعَصَمُ . فإن كان بوجهه وَضَحٌ وبإحدى يديه بياض فهو أَعْصَمٌ ، لا يُوقِعُ عليه وَضَحُ الْوَجْهِ أَسْمُ التَّحْجِيلِ إذا كان البياض بيد واحدة .

وَوَضَحُ الْقَوَائِمِ : الْخَاتَمُ ، وَالْإِنْعَالُ ، وَالتَّخْدِيمُ ، وَالصَّبْغُ ، وَالتَّجْبِيبُ ، وَالْمُسْرُولُ ، وَالْأَخْرَجُ ، وَالتَّسْرِيجُ . فأقلُّ وَضَحِ الْقَوَائِمِ "الْخَاتَمُ" وهو شَعْرَاتُ بَيْضٍ . فإذا جاوز ذلك حتى يكون البياض واضحا فهو "إِنْعَالٌ" ما دام في مؤخَّرِ رُسْغِهِ مما يلي الحافر . فإذا جاوز الأرساغ فهو "تَخْدِيمٌ" . وإذا أبيضَّتِ الثَّنَّةُ كُلُّهَا ولم يَتَّصِلْ

(١) لعله يريد ما رواه مسلم وأبو داود عن أبي هريرة : كان النبي صلى الله عليه وسلم يكره الشكال

في الخيل . (٢) الثنّة : الشعرات التي في مؤخر رُسْغِ الدابة .

(١) بياضها بياض التحجيل فهو "أصبغ". وإذا ارتفع البياض في القوائم الى الجنب^(١) فما فوق ذلك ما لم يبلغ الركبتين والعرقوين فهو "التجيب". فإذا بلغ التجيب الركبتين والعرقوين فهو "مسرول" حتى يخرج من الذراعين والساقين. فإذا خرج من الذراعين والساقين فهو "أخرج". وكل بياض في التحجيل مستطيل فهو "تسريح". والله أعلم.



وأما ما في الفرس من الدوائر — فمنها : "دائرة الحيا" وهي اللاصقة بأسفل الناصية . و"دائرة اللطمة" في وسط الجبهة ، فإن كانت دائرتان في الجبهة قيل : فرس^(٢) نطيح . و"دائرة اللاهين" : التي تكون في اللهزيمة . و"دائرة العمود" وتسمى المعوذ أيضا وهي في موضع القلادة . و"دائرة السامة" في وسط العنق . و"دائرتا البنيقين"^(٣) وهما اللتان في نحر الفرس . و"دائرة الناحر"^(٤) : التي في الجحان الى أسفل من ذلك . و"دائرة القانع" : التي تكون تحت اللبد . و"دائرة الحقعة" في الشقين^(٥) ، وتدعى النافذة أيضا ، وقيل : هي التي تكون في عرض زوره . و"دائرة النافذة" وهي دائرة الحزام . و"دائرتا الصقرين" في المجبتين والقصرين —

(١) الجبة : مغرز الوظيف في الحافر .

(٢) في الأصلين : « بطيح » بالباء الموحدة ، وهو تصحيف .

(٣) كذا في ١ وقد جاء في المخصص (ج ٦ ص ١٤٧) : « والدائرتان اللتان في نحر الفرس يقال لهما : البنيقان ، الواحدة بنيقة بالهاء ، والثنية بغيرها » وفي ب واللسان (مادة بنق) : « البنيقتين » بإثبات هاء التأنيث في الثنية .

(٤) الناحران (بالحاء المهملة) : عرقان في صدر الفرس . والجحان : باطن العنق ، وقيل : مقدم العنق من مذبج البعير الى منحره .

(٥) كذا في لسان العرب (مادة نفذ) وكتاب فضل الخيل للدمياطي . وفي الأصلين : « الشفتين » بالفاء والياء ، وهو نحر ينف .

والحجبة : رأس الورك . والقُصْرَى : الضِّلَعُ التي تلى الشاكلة — و "دائرة الحرب" تكون تحت الصَّقْرَيْن . و "دائرة الناحس" تكون تحت الجاعرتين الى الفائلين . وهما عُرْقَان في الفخذ . والجاعرتان : حُرْفَا الوركين المُشْرِفَان على الفخذَيْن ، وهما مَضْرِبُ الفرس بذنبه على نَحْذِيهِ ، وهما موضع الرِّقْمَتَيْن من آسِتِ الحمار .

وكانت العرب تَسْتَحِبُّ من هذه الدوائر : المَعْوِذُ ، والسَّامَةُ ، والهِقْمَةُ . وقيل : أَسْتَحَبُّوا الهقمة ثم كَرِهوها . يقال : إن المهقوع لا يَسْبِقُ أبدا . وكانوا يكرهون النَّطِيحَ ، وَاللَّاهِزَ ، والقَالِيعَ ، وقيل : الناحس أيضا . وما سوى هذه الدوائر فغير مكروه .

* *

وقال أبو قتَيْبَةَ : «والدوائر ثمانى عشرة دائرة . تُكره منها "الهقمة" وهي التي تكون في عَرْض زوره ، ويقال : إن أبقى الخيل المهقوع . و "دائرة القاليع" هي التي تكون تحت اللبد . و "دائرة الناحس" هي التي تكون تحت الجاعرتين الى الفائلين . و "دائرة اللطاة" في وسط الجهة ، وليست تُكره إذا كانت واحدة ، فإذا كانت هناك دائرتان قالوا : فرس نَطِيحٌ ، وذلك مكروه . وما سوى هذه الدوائر غير مكروهة» .

ومن الدوائر التي ذكرتها الهند في البركة والشؤم — قالوا : إذا كان في موضع حَكْمَتِهِ دائرة أو على جَحْفَلَتِهِ العليا دائرة كان مما يُرْتَبِط . وما كان منها ليس في وجهه ولا في صدره دائرة فمكروه ارتباطه . وما كان في صدره دائرة الى التربع ، أو كان في رأسه دَارَتَان ، أو على خَاصِرَتِهِ أو على مَذْبَحِهِ دائرة ، أو في عنقه أو على خَطْمِهِ أو على أُذُنِهِ شَعْرٌ نابت كزهرة النبات ، كان ذلك مما يُرْتَبِط وتُقْضَى عليه الحوائج ، ويكون صاحبه مظفراً في الخروب ولا يرى في أموره إلا خيرا .

(١) راجع كتابه أدب الكاتب (ص ٥١ طبع مصر) . (٢) الدارة بمعنى الدائرة .

- وذكروا أيضا : أنه لا ينبغي أن يرتبط من الدواب ما كان منها في مُقَدِّم يده
 دائرة، وما كان أسفل من عينيهِ دائرة، أو في أصل أذنيه من الجانبين دَارتان،
 أو على مَأْبِضِهِ دائرة، أو على مَحْجَرِهِ دائرة^(٢)، أو في خَدِّهِ أو في جَحْفَلَتِهِ السُّفْلَى أو على
 ملتقى لَحْيَيْهِ دائرة، أو في بطنه شعر منتشر^(٣)، أو على سُرَّتِهِ دائرة، أو كانت أسنانه طالعة
 على جَحْفَلَتِهِ، أو له سَنَان نَاتِئَان بِمِزَلَةِ أَنْيَابِ الْخَزِيرِ، أو في لِسَانِهِ خُطَطٌ سُودٌ لَا خُضْرَ،
 وما كان منها أَدْبَسُ^(٤) أو أبيض أو أصفر أو أَشْهَبُ تعلوه حمرة وداخل جَحَافِلِهِ وَلَهَوَاتِهِ^(٥)
 وخارج لَحْيَيْهِ سَوَادٌ، وما كان منها أَدْهَمُ وداخل جَحَافِلِهِ أبيض، أو في لهواته وداخل
 شِدْقِهِ نَقَطٌ سُودٌ وَجَحْفَلَتُهُ خَارِجُهَا مُنْقَطٌ كَحَبِّ السَّمْسَمِ، أو على مِئْسَجِهِ دَارتان،
 أو على خُصْيَيْهِ وَبُرْأَسُوهُ مَخَالِفٌ لِلْوَنَةِ، أو كان في جَبْهَتِهِ شَعْرَاتٌ^(٦) [مُخَالَفَةٌ لِلْوَنَةِ]^(٧)،
 أو ما كان منها حين يَنْتِجُ يُرَى خُصْيَاهُ ظَاهِرِينَ - فهذه العلامات زعم حَنَّةُ الْهِنْدِيَّةُ^(٨)
 أنه لا ينبغي لأحد أن يرتبط دَابَّةٌ بِهَا شَيْءٌ مِنْهَا . وَزَعِمَ أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ أَنْ يُرْتَبَطَ مَا كَانَ
 فِي صَدْرِهِ أَرْبَعُ نُقَاطٍ فِي أَرْبَعَةِ مَوَاضِعَ، أو شَعْرٌ مُلْتَفٌّ عَرَضًا وَطَوَلًا،
 أو شعرٌ مُلْتَوٍ .

- (١) المأبض : باطن الركبة .
 (٢) محجر العين (بتقديم الحاء على الجيم مثال مجلس) : ما يبدو من النقاب .
 (٣) الدبسة : حمرة مشربة سوادا، وتكون في الشاء والخيل .
 (٤) اللهوات جمع اللهاة : لحة حمراء في الحنك معلقة على عكدة اللسان .
 (٥) النكلمة عن كتاب رشحات المداد .
 (٦) في الأصلين : «ظاهرة» .
 (٧) كذا في كتاب فضل الخيل للدمياطي (ص ٦٩) ورشحات المداد (ص ١٠٣) . وفي الأصلين :
 «جنة» بالجيم المعجمة .



وأما ما قيل في طبائعها، وعاداتها، والمحمود من صفاتها، ومحاسنها،
والعلامات الدالة على جودة الفرس ونجابتة :

قالت العرب : والخيل نوعان : عتيق وهو المسمى فرسا، وهجين وهو المسمى
برذونا . والفرق بينهما أن عظم البرذون أغلظ من عظم الفرس ، وعظم الفرس
أصلب وأثقل من عظم البرذون ، والبرذون أحمل من الفرس ، والفرس أسرع من
البرذون ، والعتيق بمنزلة الغزال ، والبرذون بمنزلة الشاة .

وفي طبع الفرس : الزهو، والخيلاء، والعجب، والسرور بنفسه، والمحبة لصاحبه .
وفي طبعه : أنه لا يشرب الماء إلا كدرا ، حتى إنه يرد الماء وهو صاف فيضرب
بيده فيه حتى يكدره ويعكره . وربما ورد الماء الصافي وهو عطشان فيرى خياله
فيه فيتحاماه ويأباه، وذلك لفزعه من الخيال الذي يراه في الماء . وهو يوصف بحدة
البصر . وفي طبعه : أنه متى وطئ أثر الذئب خدرت قوائمه حتى لا يكاد يتحرك،
ويخرج الدخان من جلده ، وإذا وطئته الأنثى وهي حامل أزلقت^(١) . والأنثى من الخيل
تحمل سنة كاملة ، هذا هو المعروف من عاداتها . وأخبرني بعض من أثق إلى قوله
أنه كان يملك حجرا تحمل ثلاثة عشر شهرا . وسمعت أن عند التتر جنسا من خيلها^(٢)
تحمل الفرس منها تسعة أشهر وتضع . وقال لي الناقل : إن هذا أمر مشهور عندهم
معروف مألوف لا ينكرونه ولا يتعجبون .

(١) أزلقت الفرس : أسقطت حملها لغير تمامه .

(٢) الحجر (بالكسر) : الأنثى من الخيل .

(٣) كذا في شرح القاموس ، وهم جيل بأقصى بلاد المشرق يتأخون الترك . وفي الأصلين :

« التتار » .



فصل — والعلامات الجامعة لنجابة الفرس الدالة على جودته ، ما ذكره أيوب^(١)
 ابن القرية وقد سأله الحجاج عن صفة الجواد من الخيل فقال : القصيرُ الثلاث ،
 الطويلُ الثلاث ، الرَّحْبُ الثلاث ، الصافي الثلاث . فقال : صفهن ؛ فقال :
 أما الثلاث الطوال فالأذن^(٢) والعنق والذراع . وأما الثلاث القصصار فالظَّهْر والسَّاق
 والعسيب . وأما الثلاث الرَّحبة فالجبهة والمنخر والجوف . وأما الثلاث الصافية
 فالأديم والعينان والحافر . وقد جمع بعض الشعراء ذلك في بيت واحد فقال :
 وقد أغتدى قبل ضوء الصَّباح * وورد القَطَا في الغَطَاطِ الحَثَاثِ^(٣)
 بصافي الثلاث عريض الثلاث * قصير الثلاث طويل الثلاث

وهذه الحكاية أيضا نقلت عن صَعْصَعَةَ بن صُوحَانَ وقد سأله معاوية : أي
 الخيل أفضل ؟ فقال : الطويلُ الثلاث ، العريضُ الثلاث ، القصيرُ الثلاث ، الصافي
 الثلاث . قال معاوية : فسِّرْ لنا ؛ قال : أما الطويلُ الثلاث فالأذن والعنق والحزام .
 وأما القصيرُ الثلاث فالصُّلب والعسيب والقضيب . وأما العريضُ الثلاث فالجبهة
 والمنخر والورك . وأما الصافي الثلاث فالأديم والعين والنافر .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لعمر بن مَعْدٍ يَكْرِب : كيف معرفتك
 بعَرَاب الخيل ؟ قال : معرفة الإنسان بنفسه وأهله وولده ؛ فأمر بأفرايس فَعْرِضَتْ
 ١٥

(١) هو أيوب بن زيد بن قيس ، والقرية أمه . وهو من بني هلال . وكان لسنا خطيبا . قتله الحجاج
 لاتباهمه بالميل إلى ابن الأشعث . (راجع ترجمته في تاريخ ابن خلكان ج ١ ص ١١٥ طبع بولاق) .
 (٢) كذا في كتاب نخبة عقد الأجياد في الصافات الجياد (ص ١١١ طبع بيروت) . وفي الأصلين :
 « فالأنف » .

(٣) الغطاط : ضرب من القطا ، الواحدة غطاطة .

عليه ؛ فقال : قدّموا إليها الماء في التّراس^(١) ، فمن شرب ولم يكتف^(٢) فهو من العراب ، وما ثنى سُنْبُكَه فليس منها^(٣) .

وقيل : أهدى عمرو بن العاص لمعاوية بن أبي سفيان ثلاثين فرساً من خيل مصر ، فعرضت عليه وعنده عتبة بن سفيان بن يزيد الحارثي ؛ فقال له معاوية : كيف ترى هذه يا أبا سفيان ؟ فإن عمراً قد أطب في وصفها ؛ فقال : أراها يا أمير المؤمنين كما وصف ؛ وإنها لسامية العيون ، لاحقة البطون ؛ مُصْغِيَةُ الأذان ، قَبَاءُ الأَسنان^(٤) ؛ ضَخَامُ الرُّكبات ، مُشْرِفات الحُجَبات ؛ رِحَابُ المناخر ، صِلَابُ الحوافر ؛ وضعها تحليل^(٥) ، ورفعها تقايل ؛ فهي إن طَلَبْتَ سَبَقَتْ ، وإن طَلَبْتَ لَحَقَتْ . فقال معاوية : إصْرِفها إلى دارك ، فإن بنا عنها غنى ، وبفتيانك إليها حاجة .

وقال أبو عبيدة : يُسْتَدَلُّ على عِتْق الفرس برقة بحافله وأرنبته ، وسعة منخريه ، وعُمرى نواهقه ، ودقة حَقْوِيهِ وما ظهر من أعالي أذنيه ، ورقة سالفتيه وأديمه ، وإين شعره ؛ وأبين من ذلك كله إين شَكِير ناصيته وعُرفه^(٦) .

(١) التراس : جمع ترس وهو صفحة مستديرة من الفولاذ تحمل للوقاية من السيف ونحوه .

(٢) كتفت الخيل : ارتفعت فروع أكتافها .

(٣) قال ابن عبدربه في العقد الفريد (ج ١ ص ٥٨ طبع بولاق) بعد سياقه هذا الخبر : « قلت : إنما المحفوظ أن عمرشك في العناق والهجن فدعا سلمان بن ربيعة الباهلي بطست من ماء فوضع بالأرض ثم قدم إليها الخيل فرسا فرسا ، فاثني سُنْبُكَه وشرب هجته » اهـ .

(٤) في الأصلين : « أقباء » وهو تحريف . يقال : قبت نابه إذا صوتت وقعقت .

(٥) يريد : أن مواصلاتها بين خطواتها كمواصلة الحالف يمينه بالنحلة لا تراخي بينهما . والنحلة قول

الحالف : أن شاء الله عقب اليمين . (عن ديوان المعاني لأبي هلال العسكري — الكتاب العاشر) .

(٦) كذا في كتاب حلية الفرسان وشعار الشجعان لابن هذيل الأندلسي (ص ١٧) . وقد ورد

في الأصلين محزفاً . والشكير : ما أطاف بالناصية من قصير الشعر ، وهو مما يستدل به على العتق .

وكانوا يقولون : إذا اشتدَّ نفسُه ، ورُحِبَ مُتَنَفِّسُه ، وطال عنقه ، واشتدَّ
حَقْوُه ، وأنهرت شدْقُه ، وعظمت نخذاه ، وأنشجَت أنساؤه ، وعظمت فصوصُه ،
وصلبت حوافره ووثقت^(٢) ، لحق بجياد الخيل . والله أعلم .

ومما يستحب من أوصافها في الخلق — الأذن المؤالمة ، والناصية المعتدلة

التي ليست بسفواء ولا غمّاء ، والجهة الواسعة ، والعين الطامحة السامية ، والخذ
الأسيل ، ورُحِبَ المنخرين ، وهَرَّت الشدقين — قال الشاعر^(٣) :

هَرَيْتُ قَصِيرَ عَذَارِ الْجَمَامِ * أَسِيلٌ طَوِيلُ عَذَارِ الرَّسَنِ^(٤)

قوله^(٥) : ”قصير عذار الجمّام“ : لم يُرد به قصر خذّه ، وإنما أراد طول شق الفم .
ويدل على ذلك قوله في البيت :

١٠ * أَسِيلٌ طَوِيلُ عَذَارِ الرَّسَنِ *

(١) الشنج : تقلص الجلد والأصابع وغيرهما ، يقال : فرس شنج النسا : متقبضه . وهو مدح له .
والنسا بالفتح : عرق من الورك الى الكعب .

(٢) كذا في كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه (ج ١ ص ٥٨ طبع بولاق) . ووثقت (من باب
ضرب وعلم وكرم) : صلبت . وورد في الأصلين محرفا .

١٥ (٣) هو تميم بن أبي بن مقبل ، كما في شرح القاموس (مادة قبل) ولسان العرب (مادة رسن) وهو
أحد شعراء الجاهلية ، مخضرم عاش مائة وعشرين سنة .

(٤) الخريت : الواسع الشدقين الطويل شق الفم ، كما في كتاب شرح أدب الكاتب لموهوب بن أحمد
ابن محمد الجواليقي (ص ١٩٢ من النسخة الفتوغرافية المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٤٢٦
أدب) . وقد جاء هذا البيت في كتاب الخيل للأصمعيّ طبع فينا هكذا :

٢٠ وأحوى قصير عذار الجمّام * م وهو طويل عذار الرسن

(٥) هذا التفسير لابن قتيبة في كتابه أدب الكاتب (ص ٤٢) طبع مطبعة وادي النيل . وقد نقله ابن
عبد ربه في كتابه العقد الفريد (ج ١ ص ٥٨ طبع بولاق) .

يريد طولَ خَدَه — وَقَوْدُ العنق (لِئِنْهَا حَتَّى لَا تَكُونَ جَاسِئَةً^(١)) ، وَرِقَّةُ المَحْفَلَتَيْنِ ،
وَأَرْتِفَاعُ الكَتِفَيْنِ والحَارِكِ والكَاهِلِ .

قالوا : وَيَسْتَحِبُّ أَنْ يَشْتَدَّ مَرَكَبُ عُنُقِهِ فِي كَاهِلِهِ لِأَنَّهُ يَتَسَانَدُ إِلَيْهِ إِذَا
أَحْضَرَ ، وَعِزَّضَ الصَّدْرَ ، وَضَمَّقَ الزَّوْرَ ، وَأَرْتِفَاعَ اللِّسَانِ ، وَأَنْ يَشْتَدَّ حَقْوُهُ
لِأَنَّهُ مُعَلَّقٌ وَرِكَيُهُ وَرَجْلِيهِ فِي صُلْبِهِ ، وَعِظْمُ جَوْفِهِ وَجَنْبِيهِ ، وَأَنْطَوَاءُ كَشْحِهِ ،
وَإِشْرَافُ القَطَاةِ ، وَقَصْرُ العَصِيبِ ، وَطُولُ الذَّنْبِ ، وَشَنَجُ النَّسَا ، وَآسْتَوَاءُ الكَفَلِ
حَتَّى لَا يَكُونَ أَقْرَنَ ، وَمَلَاسَةُ الكَفَلِ ، وَقَصْرُ السَّاقَيْنِ ، وَطُولُ الفَخِذَيْنِ ، وَتَوْتِيرُ
الرَّجْلَيْنِ حَتَّى لَا يَكُونَ أَقْسَطَ^(٢) ، وَتَأْنِيفُ العِرْقَوَيْنِ حَتَّى لَا يَكُونَ أَقْمَعَ^(٣) ، وَغِلَظُ الرُّشْعِ ،
وَأَنْ تَكُونَ الحَوَافِرُ صَلَابًا سُودًا أَوْ خُضْرًا .

١٠ وَحَكَى أَنَّ هَارُونَ الرَّشِيدَ رَكِبَ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ وَمِائَةٍ إِلَى الْمِيدَانِ لِشَهُودِ
الْحَلْبَةِ ، قَالَ الْأَصْمَعِيُّ^(٤) : فَدَخَلَتِ الْمِيدَانَ لِشَهُودِهَا ، بَخَاءُ فَرَسٍ أَدْهَمُ لِهَارُونَ الرَّشِيدِ
سَابِقًا يُقَالُ لَهُ «الرَّبْدُ»^(٥) ، فَسَرَّ بِهِ الرَّشِيدُ وَابْتَهَجَ وَقَالَ : عَلَى الْأَصْمَعِيِّ ، فَنُودِيَتْ مِنْ كُلِّ
جَانِبٍ ، فَأَقْبَلَتْ سَرِيعًا حَتَّى مَثَلَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقَالَ : يَا أَصْمَعِيُّ ، خُذْ بِنَاصِيَةِ «الرَّبْدِ»
ثُمَّ صَفِّهِ مِنْ قَوْنِسِهِ إِلَى سُنْبُوكِهِ ، فَإِنَّهُ يُقَالُ : إِنْ فِيهِ عَشْرِينَ اسْمًا مِنْ أَسْمَاءِ الطَّيْرِ ،
فَقُلْتُ : نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأُنَشِدُكَ شِعْرًا جَامِعًا لَهَا مِنْ قَوْلِ أَبِي حَزْرَةَ^(٦) ، قَالَ :
فَأَنشَدَنَا اللَّهُ أَبُوكَ ! ، فَأَنشَدْتَهُ :

(١) كَذَا فِي كَتَبِ اللُّغَةِ . وَالْجَاسِئَةُ : الصَّلْبَةُ الْخَشْنَةُ . وَوَرَدَتْ فِي الْأَصْلَيْنِ مُحَرَّفَةً .

(٢) سَيَذْكُرُ الْمُؤَلِّفُ «الْأَقْسَطَ» وَيُفْسِرُهُ فِي الْعُيُوبِ الَّتِي تَكُونُ فِي الْخَلْقَةِ .

(٣) تَأْنِيفُ الْعِرْقَوَيْنِ : تَحْدِيدُ طَرَفَيْهِمَا . وَيَسْتَحِبُّ فِي الْفَرَسِ أَنْ يَكُونَ حَدِيدُ طَرَفِ الْعِرْقَوَيْنِ .

وَالْقَمْعُ فِي الْعِرْقَوَيْنِ : غِلَظُ قَعْتِهِ (رَأْسِهِ) ، وَهُوَ عَيْبٌ . ٢٠

(٤) فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ لِابْنِ عَبْدِ رَبِّهِ (ج ١ ص ٦١ طبع بولاق) : «... لِشَهُودِهَا فِيمَنْ شَهِدَ مِنْ خَوَاصِ

أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَالْحَلْبَةُ يَوْمُئِذٍ أَفْرَاسُ لِلرَّشِيدِ وَلَوْلَدِيهِ الْأَمِينُ وَالْمَأْمُونُ وَلِسُلَيْمَانَ بْنِ أَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ وَلِعَبْدِي

ابْنِ جَعْفَرِ بَخَاءٍ... الخ» . (٥) كَذَا فِي الْأَصْلَيْنِ وَحَلِيَّةُ الْفَرَسَانِ لِابْنِ هَذَا . وَفِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ :

«الرَّبِيدُ» . وَلَعَلَّ صَوَابَهُ «الرَّبْدُ» (وَزَانُ فَرَحٍ) . بِالذَّالِ الْمَعْجَمَةِ . وَالرَّبْدُ مِنَ الْخَبْلِ : السَّرِيعُ .

(٦) هِيَ كُنْيَةُ جَرِيرِ بْنِ عَطِيَّةِ الْخَطَفِيِّ الشَّاعِرِ الْمَشْهُورِ . ٢٥

(١) وَأَقْبَ كَالسَّرْحَانِ تَمَّ لَهُ * مَا بَيْنَ هَامَتِهِ إِلَى النَّسْرِ

الهامة : أعلى الرأس . والنسر : ما ارتفع من بطن الحافر من أعلاه . وهما من أسماء الطير .

(٢) رَحِبَتْ نَعَامَتُهُ وَوَفَّرَ فَرْخُهُ * وَتَمَكَّنَ الصُّرْدَانُ فِي النَّحْرِ

النعام : جلدة الرأس التي تغطي الدماغ . والفرخ : الدماغ . والصردان : عرقان في أصل اللسان ، ويقال : إنهما عرقان يكتنفان باطن اللسان . وفي الظهر أيضا صرد يكون في موضع السرج من أثر الدبر . والنعام والفرخ والصردان من أسماء الطير .

(٣) وَأَنَافَ بِالْعَصْفُورِ فِي سَعَفٍ * هَامٍ أَشْمٍ مَوْثِقِ الْجَذْرِ (٤)

العصفور : أصل منبت شعر الناصية ، وهو أيضا عظم ناتئ في كل جبين ، وهو أيضا من الغرر . والسعف : يقال : فرس أسعف إذا سالت ناصيته . وهام أى سائل . والشمم : ارتفاع قصبة الأنف . وموثق الجذر أى شديد . والجذر : الأصل من كل شيء .

(٥) وَأَزْدَانُ بِالْدَّيْكَانِ صَلَاصِلُهُ * وَنَبَتْ دَجَاجَتُهُ عَنِ الصَّدْرِ

الديكان : واحد هما ديك وهو العظم الناتئ خلف الأذن ، وهو الذي يقال له الخشاء والخششاء . والصلصل : بياض في طرف الناصية ، ويقال : هو أصل

(١) الأقب : الضامر . والسرحان : الذئب . وقد ذكر ابن عبد ربه في كتابه العقد الفريد هذه القصيدة وشرح الأنفاظ الغريبة في أبياتها عند ذكره «سوابق الخيل» (راجع ج ١ ص ٦١ — ٦٣ طبع بولاق) .

(٢) رحب : اتسع . ووفر : تم وكل .

(٣) أناف : أشرف . ويروى : «هاد أشم» ، يريد عنقا مرتفعا .

(٤) قال الأصمعي وغيره : هو بالفتح ، وقال أبو عمرو بن العلاء : هو بالكسر .

(٥) كذا في العقد الفريد وحلية الفرسان . وفي الأصلين : «على» .

الناصية . والدَّجاجة : اللحم الذي على زوره بين يديه . والدَّيْكُ والصلصلُ والدَّجاجةُ من الطير .

والنَّاهِضَانِ أَمْرٌ جَلْزُهُمَا * فكأنما عثما على كسر

الناهضان : واحدهما ناهض ، وهو لحم المنكبين ، ويقال : هو اللحم الذي يلي العضدين من أعلاهما . والناهض : فرخ العقاب . وقوله : « أَمْرٌ جَلْزُهُمَا » أى قتل وأحكام ، يقال : أمررتُ الحبل أى فتلته . والجَلَزُ : الشد . وقوله :

* فكأنما عثما على كسر *

أى كأنهما كسرا ثم جبرا . والعثم : الجبر على عقدة وعوج .

مُسْحَنَفِرُ الْجَنْبَيْنِ مُلْتَمٌ * ما بين شيمته الى الغر

قوله : « مسحنفر الجنبين » أى متفخهما . ملتئم أى معتدل . والشيمة : من قولك : فرس أشيم : بين الشامة . والغر فى الطير الأغلب الذى يسمى الرنحة . وهى من الفرس عضلة الساق .

وَصَفَتْ سَمَانَاهُ وَحَافِرُهُ * وأديمه ومنابت الشعر

السَّمانى : طائر وهو موضع من الفرس ربما أراد به السَّمانة ، وهى دائرة تكون فى سائفة الفرس . والسَّمانة أيضا من الطير . وأديمه : جلده .

(١) عبارة ابن عبد ربه فى العقد الفريد : « وشيمته : منخره ، والشيمة أيضا من قولك فرس بين الشيمة وهى بياض فيه » .

(٢) عبارة العقد : « والغر فى الأغلب على الذى يسمى الرنحة من الفرس وهى عضلة الساق » . وكلتا العبارتين غير واضحة .

(٣) عبارة ابن عبد ربه فى كتاب العقد : « وهو موضع من الفرس لا أحفظه إلا أن يكون أراد السمانة وهى دائرة ... الخ » .

(٤) فى الأصلين : « السمانة » بالنون ، وهو تحريف .

وسما الغراب لموقعيه معاً * فأبين بينهما على قدر

الغراب : رأس الورك ، ويقال للصّالون الغرابان ، وهما مكتنفان عجم^(١) الذنب ،
ويقال : هما ملتقى أعلى الوركين . والموقعان : ما في أعالي الخاصرتين . وقوله :
* فأبين بينهما على قدر *

أى فرق بينهما على استواء واعتدال .

وأكتن دون قبيحه خطافه * ونأت سماته على الصقر

قوله : واكتن أى استتر . والقبيح : ملتقى الساقين ، ويقال : إنه مركب^(٢)
الذراعين فى العضدين . والخطاف : هو حيث أدركت عقب^(٣) الفارس إذا حرك
رجليه ، ويقال لهذين الموضعين من الفرس المركلان . ونأت أى بعُدت .
والسمامة : دائرة تكون فى عنق الفرس . والصقر : دائرة فى الرأس . والخطاف^(٤)
والسمامة والصقر من أسماء الطير .

وتقدّمت عنه القطاة له * فنأت بموقعها عن الحُر

القطاة : مقعد الردف . والحُر : سواد فى ظاهر أذن الفرس . وهما من الطير .
يقال : إن الحُر ذكر الحمام .

وسما على تقويه دون حداته * نحران بينهما مدى الشبر

النقوان : واحد هما نقو والجمع أنقاء ، وهو عظم ذو مخ . وعن هاهنا عظام^(٥)
الوركين ، لأن الحرب هو الذى تراه مثل المدّهن^(٤) فى ورك الفرس . وهو من الطير
ذكر الحبارى . والحدأة : سالفة الفرس . وهى من الطير .

(١) العجم : أصل الذنب ، وهو العصعص ، لغة فى «العجب» بالباء الموحدة .

(٢) العقب : مؤخر القدم .

(٣) عبارة ابن عبد ربه فى كتاب العقد : «والصقر : أحسبها دائرة فى الرأس وما وقفت عليها» وقد

جاء فى اللسان : أن الصقرين : دائرتان من الشعر عند مؤخر اللبد من ظهر الفرس .

(٤) كذا فى العقد الفريد . والمدّهن : ما يجعل فيه الدهن . وفى الأصلين : «الدهن» بدون ميم .

يدع الرّضيم إذا جرى فلقاً * بتوائم كمواسم سُمر

الرّضيم : المجارة ، يَفْلِقُهَا بتوائم أى بحوافره . والمواسم : جمع ميسم الحديد ؛
أى أنها كمواسم الحديد فى صلابتها . وقول : سُمر أى لون الحافر . والحافر الأسمر
هو الصُّلب .

رُكَّبن فى محض الشّوى سبط * كَفَّتِ الوثوب مُشدّد الأسر

الشّوى هاهنا : القوائم ، يقال : فرس محض الشّوى إذا كانت قوائمه معصوبة .
سبط : سهل . كَفَّتِ الوثوب أى مُجْتَمِعٌ . مُشدّد الأسر أى الخلق .

قال الأصمعى : فأمر لى بعشرة آلاف درهم .

فهذه جمل من أوصاف محاسنها . وسند كر إن شاء الله تعالى ما وصفها به
الشعراء فى أشعارها والفضلاء فى رسائلها ، على ما تقف على ذلك فى موضعه .
فلنذكر عيوب الخيل :



وأما عيوبها التى تكون فى خيلقتها ، وفى جريها ، والتى تطراً
عليها وتحدث فيها — فهى مائة نذكرها :

فأما التى فى خيلقتها — فهى أن يكون الفرس "أخذى" وهو
المُسْتَرْنَحى أصول الأذنين . و"أمعر"^(١) وهو الذى ذهب شعر ناصيته . و"أسفى"
وهو الخفيف الناصية ، وهو محمود فى البغال . و"أغم" وهو الذى غطت ناصيته
عينه . و"أسعف" وهو الذى فى ناصيته بياض . و"أحول" وهو الذى أبيض

(١) فى الأصلين : « أمعر » بالزاي المعجمة ، وهو تصحيف .

- مُؤَخَّر عَيْنِهِ وَغَارِ السَّوَادُ مِنْ قَبْلِ مَا قِيَهُ . وَ «أَزْرَقَ» وَهُوَ الَّذِي فِي إِحْدَى عَيْنَيْهِ بَيَاضٌ أَوْ زُرْقَةٌ . وَ «أَقْنَى» وَهُوَ الَّذِي فِي أَنْفِهِ أَحْدِيدَابٌ . وَ «مُغْرَبًا» وَهُوَ الَّذِي أَشْفَارُ عَيْنَيْهِ بَيَضٌ مَعَ زُرْقَتِهَا . وَ «أَدْنَى» وَهُوَ الَّذِي أَطْمَأَنَّ عُنُقُهُ مِنْ أَصْلِهِ . وَ «أَدْنَعَ» وَهُوَ الَّذِي أَطْمَأَنَّ عُنُقُهُ مِنْ وَسْطِهَا . وَ «أَوْقَصَ» وَهُوَ الَّذِي فِي عُنُقِهِ قِصْرٌ وَيَسُّ مَعْطَفٌ . وَ «أَكْتَفَى» وَهُوَ الَّذِي فِي أَعَالَى كَتِفَيْهِ أَنْفَرَجٌ .
- وَ «أَزُورَ» وَهُوَ الَّذِي تَدْخُلُ إِحْدَى فَهْدَتَيْ صَدْرِهِ وَتَخْرُجُ الْأُخْرَى . وَ «أَقْعَصَ» وَهُوَ الْمُطْمَأَنَّ الصُّلْبِ مِنَ الصَّهْوَةِ الْمُرْتَفِعِ الْقَطَاةِ . وَ «مُخْطَفًا» وَهُوَ الَّذِي لَحِقَ مَا خَلْفَ فَخْزِهِ مِنْ بَطْنِهِ . وَ «أَهْزَمَ» وَهُوَ الْمُسْتَقِيمُ الضَّلُوعِ الَّذِي دَخَلَتْ أَدَالِيهِ .
- وَ «صَقَّالًا» وَهُوَ الطَّوِيلُ الصَّقْلَةِ . وَ «أَنْجَلَ» وَهُوَ الَّذِي نَحَرَجَتْ خَاصِرَتَهُ وَرَقَّ صِفَاقُهُ . وَ «أَفَرَّقَ» وَهُوَ الَّذِي قَدْ أَشْرَفَتْ إِحْدَى وَرِكَيْهِ عَلَى الْأُخْرَى . وَ «أَرْشَحَ» وَهُوَ قَلِيلُ لَحْمِ النَّصْلَا . وَ «أَعَزَّلَ» وَهُوَ الْمُتَوَيِّ عَسِيبِ الذَّنْبِ حَتَّى يَبْرُزَ بَعْضُ بَاطِنِهِ . وَ «أَكْشَفَ» وَهُوَ الَّذِي آلَتَوَى عَسِيبُ ذَنْبِهِ . وَ «أَصْبَغَ» وَهُوَ الْمُبْيَضُّ الذَّنْبِ . وَ «أَشْعَلَ» وَهُوَ الَّذِي فِي عُرْضِ ذَنْبِهِ بَيَاضٌ . وَ «أَشْرَجَ» وَهُوَ الَّذِي بَيَاضُهُ وَاحِدَةٌ . وَ «أَخْفَجَ» وَهُوَ الَّذِي تَبَاعَدَ كَعْبَاهُ . وَ «أَبَدَّ» وَهُوَ الَّذِي تَبَاعَدَتْ

- (١) فِي الْأَصْلَيْنِ : «أَذَن» بِالذَّالِ الْمَعْجَمَةِ ، وَهُوَ تَصْحِيفٌ .
- (٢) الْعُنُقُ يَذْكُرُ وَيُؤَنِّثُ .
- (٣) كَذَا فِي لِسَانِ الْعَرَبِ (مَادَّةُ زُور) . وَفِي الْأَصْلَيْنِ : «إِحْدَى نَهْدَى صَدْرِهِ» ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ .
- (٤) فِي الْأَصْلَيْنِ : «أَهْزَمَ» بِالظَّاءِ الْمَعْجَمَةِ ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ .
- (٥) الصَّقْلَةُ : الْخَاصِرَةُ .
- (٦) فِي الْأَصْلَيْنِ : «أَنْجَلَ» بِالنُّونِ وَالْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ ، وَهُوَ تَصْحِيفٌ .
- (٧) الصَّفَاقُ : جِلْدُ الْبَطْنِ .
- (٨) فِي الْأَصْلَيْنِ : «أَرْشَحَ» بِالشَّيْنِ الْمَعْجَمَةِ ، وَهُوَ تَصْحِيفٌ .
- (٩) فِي الْأَصْلَيْنِ : «أَشْرَجَ» بِالْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ ، وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

يَدَاهُ . و "أَصَكَّ" وهو الذى تَصَكُّ كَعْبَاهُ إِذَا مَشَى . و "أَحَلَّ" وهو مُتَمَسِّحُ النِّسَاءِ ^(١)
 رِخْوُ الكَعْبِ . و "أَقْفَدَ" وهو الْمُتَنَصِّبُ الرُّسْعُ الْمُقْبِلُ عَلَى الحَافِرِ وَيَكُونُ فِي الرَّجْلِ
 خَاصَّةً . و "أَصْدَفَ" وهو الذى تَدَانِي ذِرَاعَاهُ وَتَبَاعَدُ حَافِرَاهُ . و "مُوجَّهًا" وهو
 الذى بِهِ صَدَفٌ يَسِيرُ . و "أَقْسَطَ" وهو الذى رَجَلَاهُ مُتَنَصِّبَتَانِ غَيْرِ مُنْحَنِيَتَيْنِ .
 و "أَمْدَشَ" وهو الْمُصْطَكُ بِوَاطِنِ الرُّسْعَيْنِ . و "أَحْنَفَ" ^(٢) وهو الْمُتَلَوِّى الحَافِرَيْنِ
 يَقْبِلُ كُلُّهُمَا عَلَى صَاحِبِهِ . و "مُتَأَقِّفًا" وهو الذى يَخْبِطُ بِيَدِهِ . و "أَرْجَرَ" ^(٣)
 وهو الْمُضْطَرِبُ الرَّجْلَ وَالْكَفْلَ إِذَا قَامَ أَضْطَرَبَتْ لِحْذُهُ . و "شَخَّتًا" وهو القَلِيلُ
 اللَّحْمِ الْحَمِيشِ الْعِظَامِ ^(٥) . و "رَطَلًا" وهو الضَّعِيفُ الْخَفِيفُ . و "مَكْبُونًا" وهو
 الْقَصِيرُ الدَّوَارِجِ الْفَرِيبِ مِنَ الْأَرْضِ الرَّحِيبِ الْخَوْفِ . و "عَشًّا" وهو الضَّاحِى ^(٦)
 الْعِظَامِ لِقَلَّةِ لَحْمِهِ . و "سَخِلًا" وهو الصَّغِيرُ الْحَرْمِ . قَالَ الْوَاسِئِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : ^(٧)

لَيْسَ بِأُسْفَى وَلَا أَحَقُّ وَلَا * أَهْضَمَ طَاوَى الْحَشَا وَلَا سَخِلَ ^(٨)

و "جَابًّا" وهو الْقَصِيرُ الْغَلِيظُ . و "مِلْوَاحًا" وهو السَّرِيعُ الْعَطِشُ . و "صَلُودًا" وهو
 الْبَطِىءُ الْعَرَقُ . و "ضَاوِيًّا" وهو الذى أَضَوَاهُ أَبَوَاهُ . و "مُقَرِّفًا" وهو الذى أُمُّهُ

(١) متمسح النساء : ضعيف النساء .

(٢) فى الأصلين : « أخيف » بالخاء المعجمة والياء المثناة ، وهو تصحيف .

(٣) فى الأصلين : « يفتل » بالفاء والتاء ، وهو تصحيف .

(٤) كذا فى كتاب رشتات المداد . وفى الأصلين : « أ ز » ، وهو تحريف .

(٥) الحميش العظام : دقيقها .

(٦) دوارج الدابة : قوائمها ، الواحدة دارجة .

(٧) هو أبو القاسم الحسين بن الحسين بن واسانه بن محمد المعروف بالواساني ، أعجوبة الزمان ونادرته ،
 وفريد عصره وباقعته ؛ وهو أحد الفضلاء المجيدين فى الهجاء ؛ وكان فى زمانه ، كاتب الرومى فى أوامره .

(راجع ترجمته فى يتيمة الدهر للثعالبي ج ١ ص ٢٦١ طبع بيروت) .

(٨) الأحق : الذى يضع حافر رجله موضع يده .

عتيقة وأبوه غير عتيق . و"هَجِينَا" وهو الذى أبوه عتيق وأمه بِرْذَوْنَة . و"مُحْمَقًا" وهو الذى لَا يُنْتَج منه [إلا أحق] . و"كُوسِيَا" وهو الذى إذا جرى نكس كالحمار . و"جَاسِيَا" وهو الذى تُرى معاقده وفقار ظهره وعنقه جَاسِيَةً غيرَ لَيِّنَةٍ . والله أعلم .



- وأما العيوب التى فى جريها — فمنها : "الطَّمُوحُ" وهو السامى ببصره
صُعْدًا . و"الْمُنْكَسُ" وهو الذى يُطأطأ رأسه إذا جرى . و"المُعْتَرِمُ" وهو الذى يَجْمَحُ
أحيانًا . و"الْجَمُوحُ" : الصُّلْبُ الرأس . و"الْغَرْبُ" : المَدَادُ المَرَامَى . و"الشَّمُوسُ" :
الذى يمنع السرج والمس . و"الْحَرُونُ" : الذى إذا أدَّرَ جَرِيَه قام لا عن كلال .
و"الْبَاحُ" : إذا قطع جَرِيَه ضَعْفًا . و"الضَّغْنُ" هو الذى يَتَلَكَّأُ [فى] الحُضْرِ وَيَقْصُرُ عَنْ
الْحِرَانِ . و"الْحَفَاشُ" هو الذى يَشَبُّ حُضْرًا ثم يرجع القَهْقَرَى . و"الرَّوَّاعُ" هو
الذى يَحِيدُ فى حُضْرِهِ يَمِينًا وَشِمَالًا . و"الْفَيُوشُ" هو الذى يُظَنُّ به الجرى وليس
عنده شىء منه . و"الْحَيُوصُ" وهو الذى يَعْدِلُ يَمِينًا وَشِمَالًا فى أَسْتِقَامَةِ حُضْرِهِ .

- (١) التكلية عن رشحات المداد (ص ٢٥) .
(٢) فى الأصلين : « كوشيا » بالشين المعجمة ، وهو تصحيف .
(٣) فى الأصلين : « حاشنا » بالحاء المهملة والشين المعجمة ، وهو تصحيف .
(٤) فى الأصلين : « جاشية » بالشين المعجمة ، وهو تصحيف .
(٥) يريد : إذا طلب منه الجرى وقف عصيانا لا إعياء . وفى الأصلين : « إذا دَرَّ جريه قام إلا عن كلال » .
(٦) فى الأصلين : « النابح » ، وهو تحريف .
(٧) زيادة يقتضها السياق .
(٨) كذا فى الأصل ورشحات المداد . والذى فى كتب اللغة أن الحفاش هو الذى يعقب جريا بعد جرى ولم يزد إلا جودة .
(٩) فى الأصلين : « يستنب » .
(١٠) فى الأصلين : « الرواع » بالعين المهملة ، وهو تصحيف .
(١١) عبارة رشحات المداد : « فى حضره » .

و"المُشْتَقَّ" هو الذى يدع طريقه ويعديل ثم يمضى على عدوله لا يروغ. و"الشَّبُوبُ": الذى يقوم على رجله ويرفع يديه. و"العَاجِرُ" و"المُعَاجِرُ": الذى يعجزُ برجليه كقِطَاصِ الحمار. و"الْعَدُومُ" و"الْعَضُوضُ": الذى يعَضُّ ما سَايَرَه. و"الشَّادِخُ": يعِدِلُ عن طريقه ولا يُبَالِي ما رَكِبَ. و"الجُرُورُ": البَطِيء. و"الْمُنْعَثِلُ": الذى يَفَرِّقُ بين قوائمه فإذا رفعها فكأنما يَنْزِعُهَا مِنْ وَحَلٍ يَخْفِقُ بِرَأْسِهِ وَلَا تَتَّبِعُهُ رِجْلَاهُ. و"المَجْرَبُ"^(١): الذى يُقَارِبُ الخَطَوَ يَقْتَرِبُ سَنَابِكُهُ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا يَرْفَعُهَا رَفْعًا شَدِيدًا. و"المُسَاعِرُ"^(٢): الذى يُطَيِّحُ قَوَائِمَهُ جَمِيعًا مَتَفَرِّقَةً وَلَا ضَبْرَ لَهُ. و"الْمُتَرَادُّ"^(٣): الذى يَنْقُصُ حُضْرَهُ مِنْ ابْتِدَاءِ جَرِيهِ. و"الْفَاتِرُ"^(٤): إِذَا فَتَرَ فِي حُضْرِهِ وَلَمْ تَسَاعِدْهُ قَوَائِمُهُ عَلَى مَا تَطَالِبُهُ بِهِ نَفْسُهُ. و"المُؤَاكِلُ": الذى لَا يَسِيرُ إِلَّا بِسِيرِ غَيْرِهِ. و"الخَرُوطُ"^(٥): الذى يَخْرِطُ رَسَنَهُ عَنْ رَأْسِهِ. و"الرَّمُوحُ": الذى يَرْمَحُ بِإِحْدَى رِجْلَيْهِ. و"الضَّرُوحُ": الذى يَرْمَحُ بِكِلْتَاهُمَا. قال: وهذه الزيادة على الأربعة والعشرين إنما هي من سوء العادة وفساد الرياضة.



وأما العيوبُ التى تَطَرَّأَ عَلَيْهَا وَتَحْدُثُ فِيهَا — فَمِنْهَا: "الانْتِشَارُ" وهو انْتِفَاخُ الْعَصَبِ. و"الشَّظَى"^(٦): تَحَرُّكُ الْعِظَمِ اللَّاصِقِ بِالرُّكْبَةِ. و"الْفُتُوقُ":

- (١) فى الأصلين: «المجرى» بالدال المهملة، وهو تصحيف.
- (٢) كذا فى لسان العرب مادة «سعر» ويقال فيه: «مسعر» (كمنبر). وفى أ «والشاعر».
- وفى ب: «والمشاعر» بالشين المعجمة، وكلاهما تحريف.
- (٣) كذا فى لسان العرب. والضبر (بالضاد المعجمة): الوثب مع جمع القوائم. وفى الأصلين: «صبر» بالصاد المهملة، وهو تصحيف.
- (٤) هذه عبارة رشحات المداد. وفى الأصلين: «والفاتر إذا عجز عن نفسه وفتر... الخ».
- (٥) يرمح: يضرب.
- (٦) فى الأصلين: «تحريك».

- آفتاق من العصب على الأرضفة ^(١) . و "الدَّخَسُ" ^(٢) : ورم في [أطرة] الحافر .
 و "الزوائد" : أطراف عصب تَفَرَّق عند العُجَاية ^(٣) [وتتقطع عندها وتَلَصَق بها] ^(٣) .
 و "العَرَنُ" ^(٤) : جَسُوءٌ في رُسْغِ الرَّجْلِ خَاصَّةً لَشُقَاقٍ أو مشقة . [و "الشَّقَاقُ" :
 يَصِيبُهُ في أرساغه] ^(٥) وربما أرتفع الى أوظفته ، [وهو تشقق يَصِيبُهَا] ^(٥) ، وتسمى
 الحَلَامَةُ ^(٦) . « والجَرْدُ » ^(٧) ، ما حَدَثَ في عُرْضِ عُرْقُوبَيْهِ ظَاهِرًا وِبَاطِنًا من تَزِيدٍ
 وَاَنْتِفَاحِ عَصَبٍ وَيَكُونُ مع المِفْصَلِ طَوَلًا كَالْمَوْزَةِ . و "المَلَحُ" ^(٨) : آفَتَاقٌ من
 العَصَبِ أَسْفَلَ العُرْقُوبِ لِمَادَّةٍ تَنْصَبُّ إِلَيْهِ كَالْبَلُوطَةِ ^(٩) . و "القَمْعُ" ^(٩) هو عِظْمُ
 قَمْعَةِ العُرْقُوبِ . و "المَشَشُ" ^(١٠) : كُلُّ مَا شَخَصَ فِي الْوِظَيفِ وَلَهُ حَجْمٌ وَلَيْسَتْ
 لَهُ صَلَابَةُ الْعِظْمِ . و "الْأَرْتِهَاشُ" ^(١٠) : أَنْ يَصُكَّ بَعْرُضُ حَافِرِهِ عُرْضَ مُجَايَتِهِ مِنَ الْيَدِ
 الْأُخْرَى . و "الرَّهْصَةُ" ^(١٠) : مَا يَصِيرُ فِي الْحَافِرِ . و "الْوَجَا" ^(١٠) : مَا يُصِيبُ الْحَافِرَ مِنْ

- (١) رصف الركبة ورضافها : ما كان تحت الداغصة (عظم يموج فوق رأس الركبة) .
 (٢) التكملة عن المخصص وأدب الكاتب . وأطرة الحافر : ما أحاط به من اللحم .
 (٣) في الأصلين : « الفحانة » . والتصويب والتكملة عن المخصص وأدب الكاتب . والعجاية :
 عصابة باطن الوظيف من الفرس .
 (٤) في الأصلين : « حشو » ، وهو تحريف .
 (٥) التكملة عن المخصص وأدب الكاتب .
 (٦) كذا وردت هذه الجملة في أ . وفي ب : « وتسمى الخلافة » . ولم نجد في المظان
 ما يوضح هذه العبارة أو يبرر وجودها في هذا الموضع .
 (٧) ويقال فيه « الجرد » بالذال المعجمة أيضا . وفي الأصلين : « الجراد » بزيادة ألف بعد الراء ،
 وهو تحريف .
 (٨) في اللسان : « والملح (بالتحريك) : ورم في عرقوب الفرس دون الجرد ، فان اشتد فهو الجرد » .
 (٩) البلوط : ثمر شجر يؤكل ويدبغ بقشره .
 (١٠) في العبارة قصور . وفي اللسان « ... والرهصة أن يدوى باطن حافر الدابة من بخر تطؤه مثل
 الوقرة » . وفي الأصلين : « الرهضة » بالمعجمة ، وهو تصحيف .

الخشونة . و "الرَّقَقُ" : ضَعْفٌ وَرِقَّةٌ فِي الْحَافِرِ . و "النَّمْلَةُ" : شَقٌّ فِي الْحَافِرِ مِنْ
 الْأَشْعَرِ إِلَى طَرَفِ السُّنْبِكِ . و "السَّرَطَانُ" : دَاءٌ يَأْخُذُ فِي الرُّسْغِ فَيُبَيِّسُ عُرْوَقَهُ حَتَّى
 يَقْلَبُ حَافِرَهُ . و "العَزَلُ" : أَنْ يَعْزِلَ ذَنْبَهُ فِي شَقٍّ عَادَةٍ . و "الحَقَاقُ" : صَوْتٌ
 مِنْ ظَبْيَةِ الْأَنْثَى . و "البَجَرُ" : أَنْ تَكُونَ الرَّهَابَةُ غَيْرَ مُلْتَمِّمَةٍ فَيَعْظُمُ مَا وَالَاهَا مِنْ
 جِلْدِ السَّرَّةِ .

وحيث ذكرنا العيوب فلندكر الخيل النبوية على صاحبها أفضل الصلاة
 والسلام .

ذكر أسماء خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم

أول فرس ملكه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرسٌ آتباعه بالمدينة من رجل من
 بنى قزارة بعشر أواق^(٥) ، وكان اسمه عند الأعرابي "الضَّرِيسَ" فسماه النبي صلى الله
 عليه وسلم "السَّكَبَ" . فكان أول ما غزا عليه أحدًا ، ليس مع المسلمين فرسٌ غيره وفرس

(١) أشعر الفرس : ما بين حافره الى منتهى شعر أرسائه .

(٢) لا خلقة .

(٣) الظبية : الحياء من المرأة وغيرها . وعبارة أبي عبيدة في كتاب الخيل : « الخقاق صوت يكون
 في ظبية الأنثى من الخيل من رخاوة خلقها وارتفاع ملتقاها . فاذا تحركت لعنق أو غيره احتشت رحمها الريح
 فصوتت فذلك الخقاق ، ويقال للفرس من ذلك الخاق » .

(٤) الرهابة (بضم الراء وفتحها) : غضروف كاللسان معلق في أسفل الصدر مشرف على البطن .

(٥) الأواق بالتخفيف ومثله الأواق بالتشديد : جمع أوقية بالتشديد ، وهي أربعون درهما . قال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليس فيما دون خمس أواق من الورق صدقة » . وهي مائتا درهم ، والدرهم
 = ٣٠٨٩٨ من الجرامات كما قدره رجال المجمع العلمى المصرى الذى انعقد فى عهد محمد على باشا للبحث
 فى ذلك . (راجع رسالة مخطوطة للامام تقي الدين أحمد الشهير بابن المقرئ فى المكاييل والأوزان الشرعية
 محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٨٥ رياضة ورسالة فى المقاييس والمكاييل العملية بالديار المصرية
 مؤلفها محمود باشا الفلكى طبع مطبعة الجوائب بالأستانة) . ويقدر فى كتب الحساب المتداولة الآن
 ب ٣١٢ من الجرامات .

لأبي بردة بن نيار يقال له مُلَاوِح . وكان السَّكْبُ كَمَيْتًا أَغْرَّ مُحَجَّلًا مُطْلَقَ الْيَمْنَى ،
وقيل : إنه أدهم . رواه الطَّبْرَانِيُّ فِي الْمَعْجَمِ الْكَبِيرِ .

- وعن عُمَارَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ الْأَنْصَارِيِّ أَنَّ عَمَّهُ حَدَّثَهُ — وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتْبَاعَ فَرَسًا مِنْ أَعْرَابِيٍّ ، فَاسْتَتَبَعَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُقْبِضَهُ ثَمَنَ فَرَسِهِ ، فَاسْرَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَشَى وَأَبْطَأَ الْأَعْرَابِيُّ ؛ فَطَفِقَ رَجَالٌ يَعْتَرِضُونَ الْأَعْرَابِيَّ فَيُساوِمُونَهُ بِالْفَرَسِ وَلَا يَشْعُرُونَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتْبَاعَهُ ، حَتَّى زَادَ بَعْضُهُمُ الْأَعْرَابِيَّ فِي السَّوْمِ عَلَى ثَمَنِ الْفَرَسِ الَّذِي أَتْبَاعَهُ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فَنَادَى الْأَعْرَابِيُّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : إِنْ كُنْتَ مَبْتَدَأًا هَذَا الْفَرَسَ فَأَتْبَعَهُ وَإِلَّا بَعْتَهُ ؛ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ” بَلَى قَدْ أَتْبَعْتُهُ “ ؛ فَطَفِقَ النَّاسُ يَلُودُونَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبِالْأَعْرَابِيِّ وَهُمَا يَتَرَاكِعَانِ ، وَطَفِقَ الْأَعْرَابِيُّ يَقُولُ : هَلُمَّ شَهِيدًا يَشْهَدُ أَنِّي قَدْ بَايَعْتُكَ . فَمِنْ جَاءَ مِنَ النَّاسِ قَالَ لِلْأَعْرَابِيِّ : وَيْلَكَ ! إِنْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَكُنْ لِيَقُولَ إِلَّا حَقًّا ! حَتَّى جَاءَ خُزَيْمَةُ بْنُ ثَابِتٍ فَاسْتَمَعَ لِمُرَاجَعَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمُرَاجَعَةِ الْأَعْرَابِيِّ ؛ فَطَفِقَ الْأَعْرَابِيُّ يَقُولُ : هَلُمَّ شَهِيدًا يَشْهَدُ أَنِّي قَدْ بَايَعْتُكَ ؛ فَقَالَ خُزَيْمَةُ بْنُ ثَابِتٍ : أَنَا أَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَايَعْتَهُ . فَأَقْبَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى خُزَيْمَةَ فَقَالَ : ” يَمَّ تَشْهَدُ “ ؟ فَقَالَ : بَتَّصَدِيقَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ فَجَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : ” شَهَادَةُ

(١) هو الإمام أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني الحافظ المتوفى سنة ٣٦٠ هـ كان ثقة صدوقا واسع الحفظ بصيرا بالعلل . ومعجمه الكبير رتبته في الصحابة على الحروف وهو مشتمل على نحو خمسمائة وعشرين ألف حديث . والطبراني نسبة إلى طبرية مدينة بالأردن . وفي الأصلين : « الطبري » ، وهو خطأ .
(٢) هو سواء بن قيس المخاربي ، كما في أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير الجزري في ترجمته له ونخزيمه بن ثابت .

(٣) يتراجعان : يتخاوران .

خزيمة بن ثابت بشهادة رجلين^(١). وفي لفظ : فقال خزيمة بن ثابت : أنا أشهد أنه قد باعك الفرس يا رسول الله ؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ” وهل حضرنا يا خزيمة ؟ ” فقال : [لا ؛ فقال :] ” فكيف شهدت بذلك “ ؛ فقال خزيمة : بأبي أنت وأمي ! يا رسول الله ، أصدقك على أخبار السماء وما يكون في غدٍ ولا أصدقك في آبتياك هذا الفرس ! . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ” إنك لذو الشهاداتين يا خزيمة “ .

وقد اختلف في اسم هذا الفرس ، فقال محمد بن يحيى بن سهل بن أبي حثمة : هو ” المرتجز “^(٢) ؛ وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه المرتجز . قال ابن الأثير : وكان أبيض . وقال ابن قتيبة في المعارف : المرتجز ، وفي أخرى : ” الطرف “^(٣) ، وفي أخرى : ” النجيب “ .

ومنها ” البحر “ ، وهو الذى سبق الخيل لما سبق به رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فسماه البحر في ذلك اليوم . وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد اشتراه من تجر قديموا من اليمن ، فسبق عليه مرات . قال ابن الأثير : وكان كميئاً ، وقيل : كان أدهم .

ومنها ” سبعة “ ، ذكرها ابن بنين فقال : وكانت فرساً شقراء ابتاعها النبي صلى الله عليه وسلم من أعرابي من جُهينة بعشر من الإبل ، وسابق عليها يوم خميس

(١) التكملة عن كتاب فضل الخيل للدمياطي ورشحات المداد فيما يتعلق بالصافات الحيات للبخشي .

(٢) سمي المرتجز لحسن صهيله .

(٣) هذا يوافق ما في كتاب فضل الخيل الذى ينقل عنه المؤلف . ويلاحظ أن المؤلف لم يذكر

« الطرف » ضمن جملة خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم التى ذكرها في آخر كلامه عليها . ٢٠

ومد الحبل بيده ثم خلى عنها وسبح عليها ، فأقبلت الشقراء حتى أخذ صاحبها العلم وهي تنبر في وجوه الخيل ، فسميت سبعة . وسبعة من قولهم : فرس ساج إذا كان حسن مَدَّ اليدين في الجرى . وسبح الفرس : جريه .

ومنها "ذو اللمة" ، ذكره ابن حبيب في أفراس النبي صلى الله عليه وسلم .

ومنها "ذو العقال" ، قال بعض العلماء : كان للنبي صلى الله عليه وسلم فرس يقال له ذو العقال . وكان له صلى الله عليه وسلم فرس يقال له "اللخيف" ^(٢) وقيل : "اللتيف" بالخاء ، وقيل فيه : "اللتيف" ^(٣) . أهداه له فروة بن عمرو من أرض البلقاء ، وقيل : أهداه له ابن أبي البراء ^(٤) ، وكان صلى الله عليه وسلم يركبه في مذهبته . وسمى اللخيف أطول ذنبه .

و روى ابن منده من حديث عبد المهيم بن عباس بن سهل عن أبيه .
عن جده قال : كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أفراس يسميهن : "اللزاز" و "اللتيف" و "الظرب" . فأما لزاز فأهداه له المقوقس . وأما اللتيف فأهداه له ربيعة بن أبي البراء ، فأثابه عليه فرائض من نعم بني كلب . وأما الظرب ^(٥) فأهداه له فروة بن عمرو بن النافرة الجذامي . الظرب واحد الطراب وهي الروابي ^(٦) الصغار .
سمى به لكبره وسمته ، وقيل : لقوته وصلابة حافره .

١٥

(١) تغبر في وجوه الخيل : تسبقها .

(٢) في كتاب فضل الخيل : « ... وقيل فيه أيضا : اللخيف بضم اللام وفتح الحاء مصغرا ... الخ » .

(٣) كان فروة هذا عاملا للروم على من يليهم من العرب ، وكان منزله معان وما حولها من أرض

الشام . فلما بلغ الروم إسلامه طلبوه حتى أخذوه فحبسوه ثم ضربوا عنقه وصلبوه .

٢٠

(٤) أبو البراء : كنية ملاعب الأسنة عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب .

(٥) جمع فريضة وهي ما فرض في السائمة من الصدقة .

(٦) في الأصلين : « الرواسي » بالسين المهملة . والتصويب والتكملة عن كتاب فضل الخيل ومعاجم اللغة .

وأهدى تميم الداري لرسول الله صلى الله عليه وسلم فرساً يقال له "الورد" ، فأعطاه عمر ، فحمل عليه عمر رضى الله عنه في سبيل الله .

وذكر على بن محمد بن حنين^(١) بن عبدوس الكوفي في أسماء خيل النبي صلى الله عليه وسلم قال : وكانت له أربعة أفراس : أحدها يقال له "السكب" و "المرتجز" ، و "السجل"^(٢) و "البحر" . وقال ابن الأثير : وكان له أفراس : "المرتجز" و "ذوالعقل" و "السكب" و "الليخيف" و "اللزاز" و "الظرب" و "سبحه" و "البحر" و "الشحاء"^(٢) (بالشين المعجمة والحاء المهملة) .

وحكى ابن بنين عن ابن خالويه قال : كان للنبي صلى الله عليه وسلم من الخيل : "سبحه" و "الليخيف" و "لزاز" و "الظرب" و "السكب" و "ذوالالمة" و "السرطان" و "المرتجل" و "الأذهم" و "المرتجز" . وذكر في موضع آخر : و "ملاوح" و "الورد" و "اليغسوب" .

وذكر قاسم بن ثابت في كتاب الدلائل : "اليغسوب" و "اليغبوب" فرسين لرسول الله صلى الله عليه وسلم . وذكر ابن سعد في وفادات العرب عن محمد بن عمر

(١) كذا في شرح الزرقاني على المواهب (ج ٣ ص ٦٣ طبع بولاق) وورد فيه أنه : « اسم بلفظ الوادي المذكور في القرآن » . يريد قوله تعالى : (و يوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم) . وفي الأصلين : « الحسن » وهو تحريف .

(٢) قال الإمام الدمي في كتابه فضل الخيل : «... والسجل بكسر السين المهملة وسكون الجيم ، كذلك ألفيته مضبوطا . فإن كان محفوظا غير مصحف فلعله مأخوذ من قولك : سجلت الماء ، فانسجل ، أى صبيته فانصب ، وأسجلت الخوض : ملأته ... إلى أن قال : والشحا بالشين المعجمة والحاء المهملة من قولهم : فرس بعيد الشحوة ، أى بعيد الخطوة ... وأخاف أن يكون السجل مصحفا من الشحا أو العكس . والله أعلم » . وفي اللسان (مادة شحا) : «... كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم فرس يقال لها الشحاء ، هكذا روى بالمد ، وفسر بالواسع الخطوة ... » .

قال : حدثني أسامة بن زيد عن زيد بن طلحة التيمي قال : قدم خمسة عشر رجلا
 من الرهاويين (وهم حتى من مذجج) على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، [فتزلوا^(١)
 دار رَمْلَة بنت الحارث ، فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم] فتحدث عندهم
 طويلا ، فأهدوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم هدايا ، منها فرس يقال له "المرواح" ،
 فأمر به فشور بين يديه فأعجبه ، فأسلموا وتعلموا القرآن والفرائض ، وأجازهم كما يُجيز^(٢)
 الوفد : أرفعهم ثلثي عشرة أوقية ونشأ وأخفصهم خمس أواق .

فقد ظهر من مجموع هذه الروايات أن خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت
 تسعة عشر فرسا ، وهي : "السكب" و"المرتجز" و"البحر" و"سبحة" و"ذو اللمة" و
 "ذو المقال" و"الليخ" — وقيل فيه بالخاء المعجمة ، وقيل : "النحيف" بالنون —
 و"اللزاز" و"الظرب" و"الورد" و"السجل" و"الشجاء" و"السرحان" و"المرتجل" و
 و"الأدهم" و"ملاوح" و"اليعسوب" و"اليعبوب" و"المرواح" .
 وقد يكون الأدهم هو السكب أو البحر ، فتكون ثمانية عشر فرسا . والله عز وجل
 أعلم .

- (١) الزيادة عن طبقات ابن سعد (ج ١ قسم ٢ ص ٧٦ طبع أوروبا) .
 (٢) شار الدابة وشورها : عرضها أو أجزاها ليعرف قوتها . وفي الأصلين : « فتور » بالناء المثلثة ،
 وهو تحريف .
 (٣) كذا وردت هذه العبارة في طبقات ابن سعد . ووردت في الأصلين هكذا « ... لرفيعهم
 ثلثي عشرة أوقية ونشأ ولبعضهم ... الخ » .
 (٤) النش : نصف أوقية والأوقية أربعون درهما ، سئلت عائشة رضي الله عنها : كم كان صداق
 النبي صلى الله عليه وسلم قالت : كان صداقه اثنتي عشرة ونشأ ، قالت : والنش نصف أوقية . وفي النش
 أقوال أخرى . (راجع لسان العرب مادة «نشش») .

ذكر أسماء كرام الخيل المشهورة عند العرب

من أقدم خيل العرب "زاد الراكب"^(١)، وكان من خيل سليمان بن داود عليهما السلام . حكى محمد بن السائب الكلبي^(٢) : أن الصافيات الجياد المعروضة على سليمان ابن داود صلى الله عليهما وسلم كانت ألف فرس ورثها عن أبيه ؛ فلما عُرضت عليه ألهته عن صلاة العصر حتى توارت الشمس بالحجاب ، فردّها وعرقبها إلا أفراسا لم تُعرض عليه ؛ فوفد عليه قوم من الأزد ، وكانوا أصهاره ، فلما فرغوا من حوائجهم قالوا : يا نبي الله ، إن أرضنا شاسعة فزودنا زادا يباغنا ؛ فأعطاهم فرسا من تلك الخيل وقال : اذا نزلتم منزلا فأحملوا عليه غلاما واحتطبوا ، فإنكم لا تُورون ناركم حتى يأتكم بطعام ؛ فساروا بالفرس ، فكانوا لا ينزلون منزلا إلا ركبهم أحدهم للقنص ، فلا يُفَلت شيء تقع عينه عليه من ظبي أو بقرة أو حمار ، إلى أن قديموا بلادهم ؛ فقالوا : ما لفرسنا هذا اسم إلا "زاد الراكب" فسمّوه به . فأصلُ فحول العرب من نتاجه . ويقال : إن "أعوج" منها . قال امرؤ القيس :

إذا ما ركبنا قال ولدانُ أهلنا * تعالوا إلى أن يأتى الصيدُ نَحْطِبُ^(٣)
وقال عُمارة :

(١) كذا في الأصلين وأنساب الخيل لابن الكلبي والعقد الفريد (ج ١ ص ٥٩ طبع بولاق) وقطر السيل للبلقيني . وفي كتاب أسماء الخيل لابن الاعرابي (ص ٥٠ طبع ليدن) ولسان العرب مادة «زود» : «زاد الركب» . وقال : وإياه عنى الشاعر بقوله :

فلما رأوا ما قد رآته شهوده * تنادوا ألا هذا الجواد المؤمل
أبوه ابن زاد الركب وهو ابن أخته * معم لعمرى في الجياد ونحوه

(٢) راجع كتابه أنساب الخيل (ص ١٢ طبع بولاق و ص ٤ طبع ليدن) .

(٣) في الأصلين « نحتطب » وهو تحريف ؛ اذ هذا البيت من قصيدته التي مطلعها :

خيلى مرأبى على أم جنذب * لتقضى حاجات الفؤاد المعذب

(١) وأرى الوحش عن يميني اذا ما * كان يوماً عنانه في شمالي
ومن خيل العرب المشهورة ما حكاها أبو علي الحسن بن رشيق الأزدي في كتابه
المترجم بالعمدة عن ابن حبيب عن أبي عبيدة قال : ”الغراب“ و ”الوجيه“
و ”لاحق“ و ”المذهب“ و ”مكتوم“ كانت كلها لغني .

وقال أحمد بن سعد الكاتب : كان ”أعوج“ أولاً ليكندة ، ثم أخذته سليم ، وصار
ابن [عامر] ثم ابن هلال . قال ابن حبيب : ركب رطباً فأعوجت قوائمه ، وكان من
أجود خيل العرب . وأمه ”سبل“ لغني . وأم سبل [”سواده“] . وأم سواده [^(٣)
”القسامة“] ، وكانت لجمدة .

وحكى أحمد بن محمد بن عبد ربه صاحب العقد في كتابه : أنه لما ألتجته أمه
ببعض بيوت الحى نظروا الى طرف يضع بحفلة على كاذتها (على الفخذ مما يلي
الحياء) ، فقالوا : أدركوا ذلك الفرس لا يتزو فرسكم ، لعظم ”أعوج“ وطول قوائمه ،
فقاموا إليه فإذا هم بالمهر ، فسموه ”أعوج“ . ولهم أيضا ”الفياض“ .

قال ابن سعد : ”الوجيه“ و ”لاحق“ ابنى أسد ، ”وقيد“ ”وحلاب“ ^(٥)
ابن تغلب ، ”والصريح“ ابنى نهشل — وزعم غيره أنه كان لآل المنذر —

- ١٥ (١) في الأصلين : «وأى» بدون راء ، مع تشديد الياء . والتصويب عن كتاب ديوان المعاني لأبى هلال
المسكى (نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية برقم ١٨٧٤ أدب) .
(٢) التكملة عن كتاب العمدة لابن رشيق (ص ١٨٢ ج ٢ طبع مصر) .
(٣) التكملة عن كتاب أنساب الخيل (راجع فيه ص ١٥ ، ٢١ ، ٢٦ ، ٤٣ طبع بولاق) .
(٤) وردت « القسامة » في بعض أصول كتاب أنساب الخيل بالألف واللام كما في الأصلين هنا ،
وفي بعضها بدونهما . وفي بعضها « القسامية » . وضبطها الغندجاني « قسام » بضم القاف . (راجع كتاب
٢٠ أنساب الخيل ص ١٥ ، ٢١) .
(٥) كذا في ب ، وهو الموافق لما في القاموس . وفي أ : «جلاب» بالجيم ، وهو تصحيف .

و "جَلَوَى" لَبْنَى ثَعْلَبَةَ بْنِ يَرْبُوعَ، و "ذُو الْعُقَالِ"^(١) لَبْنَى رِيَّاحَ بْنِ يَرْبُوعَ، وَهُوَ أَبُو "دَاحِسٍ". وَكَانَ "دَاحِسٌ"^(٢) و "الْغَبْرَاءُ" لَبْنَى زُهَيْرٍ . وَالْغَبْرَاءُ خَالَةُ دَاحِسٍ وَأُخْتُهُ مِنْ أَبِيهِ . و "ذُو الْعُقَالِ" و "قُرْزُلُ" و "الْخَطَّارُ" و "الْحَنْفَاءُ"^(٣) الْحَذِيفَةُ بْنُ بَدْرٍ . وَالْحَنْفَاءُ هِيَ أُخْتُ دَاحِسٍ مِنْ أَبِيهِ وَأُمُّهُ . و "قُرْزُلُ" آخَرُ لِلطُّفَيْلِ بْنِ مَالِكٍ . و "حَذَفَةُ"^(٤) لَخَالِدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ كِلَابٍ . و "حَذَفَةُ" أَيْضًا لَصَخْرَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الشَّرِيدِ . و "الشَّقْرَاءُ" لَزُهَيْرِ بْنِ جَذِيمَةَ الْعَبْسِيِّ .

(١) وفيه يقول جرير :

إِن الْجِيَادَ يَبْتَنِ حَوْلَ قَبَائِنَا * مِنْ نَسْلِ «أَعُوجٍ» أَوْ «لَذَى الْعُقَالِ»
(راجع النقائض ص ٨٤ طبع أوربا) .

(٢) راجع في النقائض (ص ٨٦) تفصيله الوافي لحديث «داحس» و «الغبراء» .
(٣) كذا في اللسان (مادة حنف) . وفي الأصلين : «الحيفاء» بالياء المثناة من تحت وهو تصحيف .
(٤) قال سلمة بن الخرشب يخاطب عامرا ابنه :

فَاذْكُ يَا عَامُ ابْنِ فَارَسٍ «قُرْزُلُ» * مَعِيدٌ عَلَى قَيْلِ الْخَنَاءِ وَالْهَوَاجِرِ
وَقَالَ فِيهِ ضَبِيعَةُ بْنُ الْحَارِثِ الْعَبْسِيُّ :

وَفَعَلْتُ فَعَلَ أَبِيكَ فَارَسٍ «قُرْزُلُ» * إِنِ النَّدُودَ هُوَ ابْنُ كُلِّ نَدُودٍ
النَّدُودُ : الْمُنْهَزَمُ الَّذِي إِذَا لَقِيَ الْحَرْبَ فَزَّ . وَلِصَاحِبِهِ الطُّفَيْلِ يَقُولُ أَوْسُ بْنُ حَجْرٍ :

هَرَبْتُ وَأَسْلَمْتُ ابْنَ أَمِّكَ عَامِرًا * يَلْعَبُ أَطْرَافَ الْوَشْيِجِ الْمَزْعُوعِ
وَنَجَاكَ تَحْتَ اللَّيْلِ شَدَاتٍ «قُرْزُلُ» * يَمُرُّ نَحْذَرُوفِ الْوَلِيدِ الْمَقْرَعِ

المَقْرَعُ : السَّرِيعُ الْخَفِيفُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ . (راجع كتاب أسماء خيل العرب لابن الأعرابي ص ٧٥ طبع ليدن ،
وكتاب أنساب الخيل لابن الكلبي ص ٧٧ طبع بولاق و ص ٢٦ طبع ليدن) .

(٥) وفيها يقول خالد المذكور من قصيدة :

أَرِيفُونِي إِرَاغْتَكُمْ فَاثِي * وَ«حَذَفَةُ» كَالشَّجَاثَةِ الْوَرِيدِ
أَسْقِيهَا بِجَارِيٍّ أَوْ بِجَزْءٍ * وَالْحَفْهَاءُ رِدَائِي فِي الْجَلِيدِ

(راجع أنساب الخيل لابن الكلبي ص ٦٦ طبع بولاق) .

و "الزَّعْفَرَان" لِبِسْطَامِ بْنِ قَيْسٍ . و "الْوَرِيعَةُ"^(١) و "نِصَاب" و "ذَوِ الْخِمَارِ"^(٢) لمالك بن نويرة . و "الشَّقْرَاءُ" أخرى لِأَسِيدِ بْنِ حِثَاءَ^(٣) . و "الشَّيْطُ"^(٤) لِأَنْيَفِ بْنِ جَبَلَةَ الضَّبِّيِّ^(٥) . و "الْوَحِيفُ"^(٦) لِعَامِرِ بْنِ الطَّفِيلِ . و "الْكَلْبُ" و "الْمَزْنُوقُ"^(٧)

(١) هذه الفرس وهبها الأحوص بن عمرو لمالك بن نويرة ، فقال في ذلك مالك :

- سأهدى مدحتي لبني عدى * أخص بها عدى بني جناب
شكوت إليهم رجلى فقالوا * لسيدهم أطعنا في الجواب
ورّد حليفنا بعتاء صدق * وأعقبه الوريعة من نصاب
تراث الأحوص الخير بن عمرو * ولا أغنى الأحوص من كلاب
فأصبح خلتي قد حش سرجي * بسلهبة وساع في الجناب
- ١٠ (راجع أنساب الخليل لابن الكلبي ص ١٠٣ طبع بولاق وأسماء الخليل لابن الأعرابي ص ٦٤ طبع ليدن) .
وفي الأصلين : «الوديعة» بالدال المهملة ، وهو تحريف .

(٢) قال فيه مالك المذكور :

جزاني دوائى ذوالخمار وصنعتى * اذا نام أطواء بني الأصاغر

(راجع أسماء الخليل لابن الأعرابي ص ٦٤ طبع ليدن) .

- ١٥ (٣) كذا في كتاب أنساب الخليل لابن الكلبي (ص ٤٧ طبع بولاق) وكتاب أسماء الخليل لابن الأعرابي (ص ٦٥ طبع ليدن) والقاموس (مادة شقر) . وفي أ : «حنارة» . وفي ب : «جناره» وكلاهما تحريف .
(٤) كذا في المخصص (ح ٦ ص ١٩٥) وأنساب الخليل لابن الكلبي (ص ٤٥ طبع بولاق) وأسماء الخليل لابن الأعرابي (ص ٥٨ طبع ليدن) . وفيه يقول أنيف :
أضرب بنجر الشيط الطعن فائننى * فأجشمته الإصعاب حتى تقدما
وفي الأصلين : «السايط» وهو تحريف .

- ٢٠ (٥) كذا في كتاب أنساب الخليل لابن الكلبي وأسماء الخليل لابن الأعرابي والقاموس واللسان (مادة شيط) . وفي أ : «حلة» وفي ب : «حلقة» وكلاهما تحريف .
(٦) في شرح القاموس (مادة وحف) نقلا عن ابن الأعرابي أن الوحف فرس عامر بن الطفيل . وفيه يقول يوم الرقم :

- ٢٥ وتحتى «الوحف» والجلواظ سينى * فكيف يمل من لومى المليم
ثم جاء فيه أيضا : «والوحيف كزبير فرس عقيل بن الطفيل أو عمرو — وفي نسخة عامر — بن الطفيل .
والصواب الأول ، قال جبار بن سلمى :

يدعو عقيلًا وقد مر الوحيف به * على طواله يمرى الركض بالعقب»

(٧) كذا في أنساب الخليل لابن الكلبي (ص ٦٤ طبع بولاق) وأسماء الخليل لابن الأعرابي (ص ٧٦ طبع ليدن) والقاموس واللسان (مادة زنف) . وفيه يقول عامر المذكور :

- ٣٠ =

و"الورد" له أيضا. و"الخنثى" لعمر بن عمرو بن عدس. و"الهداج" فرس الرّيب (٤)

لقد علم المزنوق أنى أكره * على جمعهم كر المنيع المشهر
إذا أزور من وقع الرماح زجرته * وقلت له أرجع مقبلا غير مدبر
وأنبأته أن الفـرار خزاية * على المرء ما لم يبل عذرا فيعذر
ألست ترى أرماحهم فى شرعا * وأنت حصان ماجد العرق فاصبر
فبنس الفتى إن كنت أعور عاقرا * جباننا فإرجى لدى كل محضر
لعمرى وما عمرى على بهين * لقد شان حر الوجه طعنة مسهر

وفى أ : «المرنون» . وفى ب : «المزنون» وكلاهما تحريف .

(١) وفيه تقول تميمه بنت أهبان العبسية فى يوم الرقم :

ولولا نجاء «الورد» لاشىء غيره * وأمر الإله ليس لله غالب
إذا لسكنت العام نقشا ومنعجا * بلاد الأعادى أو بكنتك الحباب

(منعج : قرية فى طريق البصرة إلى مكة . ونف : مكان بالقرب منها) . (راجع أنساب الخيل لابن الكلبي ص ٦٥ طبع بولاق و ص ٢١ طبع ليدن) .

(٢) لعمر بن عمرو بن عدس هذا فرسان : إحداهما هذه وهى التى طلبه عليها مرداس بن أبي عامر السلمى يوم جيلة فقات ، فقال مرداس :

تمطت كميت كالهراوة صلدم * بعمر بن عمرو بعد ما مس باليد

فلولا مدى الخنثى وطول جرائها * لرحت بطىء المشى غير مقيـد

والأخرى الحشاء ، وكان لها ما للفحل وما للأنثى ، وكانت لا تجارى ، وكانت ضبو با .

وقد أورد هاتين الفرسين صاحب شرح القاموس كل منهما فى مادتهما ، وأورد الأخيرة ابن الكلبي فى كتابه أنساب الخيل .

(٣) وفيه تقول الحارثية ترى من قتل من قومها فى يوم أرمام وكان لباهلة على بنى الحارث ومراد

وخشم :

شقيق وحرى أراقا دماءنا * وفارس «هداج» أشاب النواصيا

(راجع أنساب الخيل لابن الكلبي ص ١٠١ طبع بولاق) .

(٤) كذا فى كتاب العمدة لابن رشيق الذى اعتمد عليه المؤلف فى النقل وكتاب أنساب الخيل لابن الكلبي

(ص ١٠١ طبع بولاق و ص ٣٥ طبع ليدن) والقاموس (مادة هدج) . وفى الأصلين : «لزينب بنت

شريق» ، وهو تحريف .

أَبْنُ شَرِيقِ السَّعْدِيِّ وَ"وَجْزَةُ"^(١) فَرَسُ يَزِيدَ بْنِ سِنَانِ الْمُرِّيِّ فَارِسُ غَطَفَانَ .
و"النَّعَامَةُ"^(٢) لِلْحَارِثِ بْنِ عَبَّادٍ . وَ"أَبْنُ النَّعَامَةِ" لَعْنَتَرَةُ . وَ"النَّحَامُ"^(٣) فَرَسٌ لِلْسَّلِيكِ
ابْنِ السَّلَكَةِ السَّعْدِيِّ . وَ"الْعَصَا"^(٤) فَرَسُ جَذِيمَةَ بْنِ مَالِكِ الْأَزْدِيِّ . وَ"الْهَرَاوَةُ"^(٥)

(١) وفيها يقول يزيد المذكور :

لَمَّا أَنْ رَأَيْتَ بَنِي حَيٍّ * عَرَفْتَ شَنَاؤَهُ فِيهِمْ وَوَتَرِي

رَمِيَّتَهُمْ «بَوْجَزَةً» إِذْ تَوَاصَوْا * لِيَرْمُوا نَحْرَهَا كَتَبًا وَنَحْرِي

(راجع أنساب الخيل لابن الكلبي ص ٦٩ طبع بولاق وأسماء الخيل لابن الأعرابي ص ٧٠ طبع ليدن) .
وقال في اللسان : «سُمِّيَ مِنَ الْوَجْزِ وَهُوَ السَّرْعَةُ» .

(٢) كَذَا فِي الْأَصْلِينَ وَكِتَابُ أَسْمَاءِ الْخَيْلِ لِابْنِ الْأَعْرَابِيِّ (ص ٧٠ طبع ليدن) وَالْأَغَانِي (ح ١٠

ص ٤٦ طبع بولاق) وَالنَّقَائِضُ (ص ٥٧٦ و ١٠٦٨ طبع ليدن) وَلِسَانُ الْعَرَبِ وَالْقَامُوسُ وَشَرْحُهُ (مادة
وجز) وَفِي أَنْسَابِ الْخَيْلِ لِابْنِ الْكَلْبِيِّ : «زَيْدٌ» .

(٣) وفيها يقول الحارث المذكور :

قَرَّبَا مَرْبِطَ النَّعَامَةِ مَنَى * لَقَحْتُ حَرْبَ وَائِلٍ عَنْ حَيَالٍ

(راجع أنساب الخيل لابن الكلبي ص ٨٤ طبع بولاق) .

(٤) قَدْ وَرَدَ هَذَا الْأِسْمُ بِمَا يُوجِبُ هَذَا الضَّبْطَ فِي قَوْلِ الْفَرَزْدَقِ :

تَرِيكَ نَجُومِ اللَّيْلِ وَالشَّمْسِ حَيَّةٍ * كَرَامَ بَنَاتِ الْحَارِثِ بْنِ عَبَّادٍ

(٥) وفيه يقول سليل المذكور :

قَدَّمَ «النَّحَامَ» وَأَعْجَلَ يَا غَلَامَ * وَأَطْرَحَ السَّرَجَ عَلَيْهِ وَالْجَامَ

وَقَالَ فِيهِ :

قَطَعْتَ وَتَحَتَى «النَّحَامَ» يَهْوَى * كَمَا انْقَضَتْ عَلَى الْخَزَزِ الْعُقَابُ

(راجع أنساب الخيل لابن الكلبي ص ٦١ و ٦٢ طبع بولاق ، وأسماء الخيل لابن الأعرابي ص ٦٢
طبع ليدن) .

(٦) وَلَهَا يَقُولُ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ :

نَخَبِرْتَ «الْعَصَا» الْأَنْبَاءَ عَنْهُ * وَلَمْ أَرِ مِثْلَ فَارِسِهَا هَجِينَا

(راجع أنساب الخيل لابن الكلبي ص ٩٤ طبع بولاق) .

(٧) قَالَ فِي شَرْحِ الْقَامُوسِ (مادة هرو) : الْهَرَاوَةُ فَرَسَانِ : إِحْدَاهُمَا فَرَسُ الرِّيَّانِ بْنِ حَوِیصِ

الْعَبْدِيِّ ، وَالْأُخْرَى هَرَاوَةُ الْأَعْرَابِ لِعَبْدِ الْقَيْسِ بْنِ أَفْصَى . وَقَالَ فِي (مادة عزب) : هَرَاوَةُ الْأَعْرَابِ

فَرَسٌ لِلرِّيَّانِ بْنِ حَوِیصِ الْعَبْدِيِّ ، وَهَذَا مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْمُؤَلِّفُ وَسَيَذْكُرُهُ بَعْدَ قَلِيلٍ ، وَفِيهَا يَقُولُ لَبِيدٌ : =

لعبد القيس بن أفضى . و «اليحموم»^(١) فرس النعمان بن المنذر . و «كامل»^(٢) فرس
زيد الخيل . و «الزبد»^(٣) فرس الحوفزان وهو أبو «الزعفران» فرس بسطام .
و «الجمالة» فرس الكلحة اليربوعي . هذا ما أورده أحمد بن سعد .

لا تسقني بيدك إن لم ألتس * نعم الضجوع بغارة أسراب
تهدي أوائلهن كل طمرة * جرداء مثل «هراوة الأعزاب»

وكانت لا تدرك جعلها موقوفة على الأعزاب من قومه فكانوا يغزون عليها ويستفيدون المال ليتزوجوا
فاذا استفاد واحد منهم مالا وأهلا دفعها الى آخر منهم فكانوا يتداولونها كذلك فضربت مثلا فقيل : أعز
من هراوة الأعزاب . وفي الأصلين : «اهراوة» .

(١) سمي باليحموم لشدة سواده . وفيه يقول الأعشى :

و يأمر «اليحموم» كل عشية * بقت وتعلق فقد كاد يستق

ويستق ، أى تصيبه نخة من كثرة الشرب ومن كثرة الأكل . (راجع أنساب الخيل لابن الكلبي ص ٩٢
طبع بولاق) .

(٢) في الأصلين : «كابل» بالباء الموحدة وهو تحريف ، والتصويب عن القاموس وشرحه
واللسان (مادة كل) وإياه عن زيد الخيل بقوله :

* ما زلت أرميهم بغرة كامل *

وكامل أيضا أفراس لموسى بن سيمون المرئي والرقاد بن المنذر الضبي وقد أورده ابن الأعرابي في أسماء
الخيال ، واللقام الكلبي ، والحوفزان بن شريك الشيباني ، وسان بن أبي حارثة المري ، وشيبان النهدي ،
وزيد الفوارس الضبي وقد أورده ابن الكلبي في أنساب الخيل . واستشهد بقول العائف الضبي فيه :

نعم الفوارس يوم جيش محرق * لحقوا وهم يدعون بالضرار

زيد الفوارس كروأبنا منذر * والخيال تصنعها بنو الأحرار

يرمي بغرة «كامل» وبخمره * خطر النفوس وأى حين خطار

ولعمرجدك ما الرقاد بطاش * رعى بديهنه ولا عوار

(٣) كذا في شرح القاموس (مادة زعفر) . وفي الأصلين : «الريد» بالراء المهملة والياء المشناة من

تحت ، وهو تصحيف .

(٤) الذى أورده ابن الكلبي وابن الأعرابي في كتابيهما أن لكلحة اليربوعي فرسا اسمه «العرادة»

وفيه يقول :

تسألني بنو جشم بن بكر * أغراء العرادة أم بهيم

وقال ابن دُرَيْد: "الْقَطِيب" ^(١) و"البَطِين" ^(٢) فرسان كانا للعرب . و"اللَّعَاب" ^(٣)
و"العَبَايَة" ^(٤) فرسا حرّى ^(٥) بن صَمْرَة . و"الْمِدْعَاس" ^(٦) فرس النَّوَاس ^(٧) بن عامر

— وأما الجمالة فأفراس لبني سليم وللطفيل بن مالك (ثم صارت لابنه عامر بن الطفيل) ولطهر بن الأشيم
والعباية بن شكس وللطفيل بن خويلد (راجع القاموس وشرحه واللسان «مادة حمل» وأنساب الخيل
لابن الكلبي ص ١٠ و ١٢ و ٢٥ طبع ليدن وأسماء الخيل لابن الأعرابي ص ٥٦ و ٧٢ و ٧٦ و ٨٣
طبع ليدن) .

(١) القطيب فرسان ، الأول وزان أمير وهو لصرد بن حزة بن شداد اليربوعي (عم مالك ومتمم
ابن نورة) سابق به أبا سواج الضبي على فرسه بذوة فسبقه أبو سواج ؛ فقال :

ألم تر أن بذوة إذ جرينا * وجد الجدة منا والقطيبا
كأن قطيبهم يتلو عقابا * على الصلعاء وازمنة طلوبا
والآخر وزان زبير وهو لسابق بن صرد .

(٢) ضبطه شارح القاموس كأمر ، وذكر أنه وأباد بطانا (ككتاب) فرسان لمحمد بن الوليد بن عبد الملك
ابن مروان .

(٣) ذكره الهذلي في قوله :
وطاب عن "اللعاب" نفسا وربة * وغادر قيسا في المكر وعفرا
(اللسان مادة لعب) .

(٤) كذا في القاموس وشرحه (مادة عي) . وفي الأصلين : «العباءة» .
(٥) كذا في شرح القاموس (مادة عي) والعمدة لابن رشيقي وأسماء الخيل لابن الأعرابي (ص ٦٦
طبع ليدن) وكذلك ورد في النقائض (ص ٩٤٣ طبع أوربا) في بيت الفرزدق :

ولو كان حرّى بن صمـرة فيكم * لقال لكم اسم على المتخير
وشرح أشعار الحماسة للبريزي (ص ٢٥٥ طبع أوربا) . وفي الأصلين وشرح القاموس واللسان (مادة هـج)
وأنساب الخيل لابن الكلبي (ص ١٠١ طبع بولاق) : «حرّى» .

(٦) والمدعاس أيضا فرس الأقرع بن حابس كما في القاموس وشرحه واللسان (مادة دعس) .

(٧) كذا في العمدة والنقائض . وفي الأصلين : «لرايس» وهو خطأ .

المجاشعي. و"صهبي" فرس النمر بن تَوَّاب. و"حافل" فرس مشهور. و"العسجدى"^(٣)
 لبنى أسد. و"الشموس"^(٤) فرس يزيد بن خذَّاق العبدى. و"الضيف"^(٦)
 لبنى تغلب. و"هراوة العزَّاب"^(٧) فرس الريَّان بن حوَّيص العبدى^(٨)، يقال إنها
 جاءت سابقةً طول أربع عشرة سنة، فتصدق بها على العزَّاب يتكسبون عليها في السباق

(١) ولها يقول النمر المذكور :

أذهب باطلا عدوات "صهبي" * وركض الخيل تخرج اختلاجا
 وكرى فى الكريهة كل يوم * اذا الأصوات خالطت العجاجة
 كمت اللون شائلة الذنابي * تحال بياض قرحتها سراجا

(راجع أسماء الخيل لابن الأعرابي ص ٥٨ طبع ليدن وأنساب الخيل لابن الكلبي ص ١١٠ طبع

بولاق وص ٤٠ طبع ليدن) .

(٢) فى كتاب العمدة : «فرس مشهور ذكره حرب بن ضرار فى قوله :

كمت عبنة السراة نمت بها * الى نسب الخيل الصريح و«حافل»

(٣) وفيه قال النابغة الذبياني :

فيهم بنات "العسجدى" و"لاحق" * ورق مراكلها من المضاير

ويروى : «ورقا» بالنصب . والمراكل : جمع مركل بكعفر وهو الموضع الذى يصيب رجل الفارس

من الجانبين اذا استوى على السرج . (راجع أنساب الخيل لابن الكلبي ص ٣٣ طبع بولاق) .

(٤) وفيها يقول يزيد المذكور :

ألا هل أتاها أن شبكة حازم * لدى وأنى قد صنعت "الشموسا"

وداويتها حتى شئت حبشية * كأن عليها سندسا وسدوسا

(راجع هذين البيتين وتفسيرهما فى لسان العرب مادة «سندس») .

(٥) كذا فى لسان العرب وتاج العروس وأنساب الخيل لابن الكلبي وأسماء الخيل لابن الأعرابي .

وفى الأصلين : «حلاق» وهو تحريف .

(٦) سيذكر المؤلف بعد أسطر قول الشمردل اليربوعى فيه .

(٧) راجع الحاشية (٥) ص ٤٤ من هذا الجزء .

(٨) كذا فى كتب اللغة . وفى الأصلين : «العبرى» ، وهو تحريف .

والغارات . و "الحُرُون"^(١) فرس تنسب اليه الخيل ، وكان لمسلم بن عمرو بن أسد الباهلي . و "الزائد" فرس مشهور وهو من نسل الحرون . و "مُنَاهِب" فرس تُنسب اليه الخيل أيضا ، قال الشَّمرْدَل ^(٢) :

[تَلَقَّى الْحَيَادَ الْمُقَرَّبَاتِ فِينَا] * لِأَخْلِيلٍ ثَلَاثَةٌ يَمْخِينَا ^(٣)

* "مُنَاهِبَا" و "الضَّيْف" و "الحُرُونَا" * ^(٤)

و "الْعَلَّهَان" فرس أبي مَلِيلٍ عبد الله بن الحارث اليربوعي . ^(٥)

هذا ما اتفق إيراده من أسماء كرام الخيل ومشهورها . فلنذكر ما ورد في أوصافها وتشبيهها .

ذكر ما قيل في أوصاف الخيل وتشبيهها نظما ونثرا

- ١ . أَوَّلُ مَنْ شَبَّهَ الْفَرَسَ بِالظَّبْيِ وَالسَّرْحَانِ وَالنَّعَامَةِ ، ثُمَّ اتَّبَعَهُ الشُّعْرَاءُ وَحَدَّوْا مِثَالَهُ وَاقْتَدَوْا بِهِ ، هُوَ أَمْرُو الْقَيْسِ بْنِ حُجْرٍ حَيْثُ قَالَ :

(١) راجع ما ورد من الكلام عليه في كتاب أنساب الخيل لابن الكلبي (ص ١١٧ طبع بولاق) ، وفيه يقول بعض الشعراء لما رأى غلبة مسلم بن عمرو على سبق :

إذا ما قرئش خوى ملكهما * فإن الخلافة في باهله

١٥ لرب «الحرون» أبي صالح * وما تلك بالسنة العادله

(٢) كذا في كتاب أنساب الخيل لابن الكلبي (ص ١٢١ طبع بولاق) . وفي الأصاين :

«السمول» ، وهو تحريف .

(٣) الزيادة عن كتاب أنساب الخيل لابن الكلبي .

(٤) المقربات من الخيل : التي صُمِّرت للركوب .

٢٠ (٥) كذا في شرح القاموس ولسان العرب (مادة عله) وأسماء الخيل لابن الأعرابي (ص ٦٤

و ٦٥ طبع ليدن) . وفي الأصاين : «العلها» وهو تحريف .

(٦) كذا في لسان العرب وشرح القاموس (مادة عله) وأسماء الخيل لابن الأعرابي . وفي الأصاين :

«ملك» بالكاف في آخره ، وهو تحريف .

له أَيْطَلًا ظَبْيٍ وساقا نعامة * وإِرْخَاءُ سِرْحَانٍ وتقريبٌ تَتَفَلُّ^(٣)
 كَأَنَّ عَلَى الْمَتْنَيْنِ مِنْهُ إِذَا أَتَتْحَى * مَدَاكَ عَرُوسٍ أَوْ صَرَايَةَ حَنْظَلٍ^(٤)
 مَكْرٌ مَفَرٌّ مُقْبِلٌ مُدِيرٌ مَعَا * بِكَلَامُودٍ صَخْرٍ حَطَّه السَّيْلُ مِنْ عَلٍ^(٥)
 دَرِيرٍ نَحْذَرُوفٍ الْوَلِيدِ أَمْرِهِ * تَقَلُّبُ كَفَّيْهِ بِخَيْطٍ مُوصَّلٍ^(٦)
 كُنَيْتٍ يَزِلُّ اللَّبْدُ عَنْ حَالٍ مَتْنِهِ * كَمَا زَلَّتِ الصَّفَوَاءُ بِالْمَتْنِزْلِ^(٧)
 ٥

وقال أيضا :

وَأَرْكَبُ فِي الرَّوْعِ خَيْفَانَةً^(١١) * كَمَا وَجْهَهَا سَعْفٌ مُنْتَشِرٌ^(١٢)

- (١) الأيطل : الخاصرة ، وهى ما بين الأضلاع الى الورك .
- (٢) الإرخاء : السير دون الحضر الشديد . والسرحان : الذئب .
- (٣) التقريب : ضرب من العدو . والتفلى : ولد الثعلب .
- (٤) كذا فى المملقات . وفى الأصلين : « الكتفين » . والمتنان : ما اكتنفا فقار الظهر . والانتحاء :
 الاعتماد والقصد . والمدالك : الحجر الذى يسحق عليه الطيب . والصراية : الحنظلة الخضراء البراقة (كما فى شرح
 أبى جعفر النحاس لمعلقة امرئ القيس) أو هى الحنظلة الصفراء (كما يقول الأصمعى) . ويروى : « صلاية
 حنظل » . والصلاية : الحجر الأملس الذى يسحق عليه حب الحنظل . ويروى الشطر الأول : « كأن سراته
 لدى البيت قائما » .
- (٥) الدريز : الفرس السريع العدو .
- (٦) النذر وف : عود أو قصبة مشقوقة يفرد فى وسطه ثم يشد بخيط فاذا أمر دار وسمعت له
 حفيفا يلعب به الصبيان ويوصف به الفرس لسرعته . وهو الذى يسمى « الحرارة » .
- (٧) أمره : قلبه ثم أداره بين كفيه . ويروى : « تتابع كفيه » .
- (٨) الحال : وسط الظهر . يريد أن لجمه قد اكتنز على ظهره فأملس ، فاذا ألقى عليه اللبد زل فلم
 يثبت عليه .
- (٩) الصفواء : الصخرة الملساء التى لا ينبت فيها شئ .
- (١٠) المنزل : الذى ينزل عليها فيزاق عنها .
- (١١) الخيفانة : الجرادة . شبه الفرس بها فى الخفة والسرعة .
- (١٢) السعف : يريد به الناصية . شبه ناصية الفرس بسعف النخل .

لَهَا حَافِرٌ مِثْلُ قَعْبِ الْوَلِيدِ * بِدَرْكٍ فِيهِ وَظِيفٌ عَجَزٌ^(١)^(٢)^(٣)
لَهَا عَجَزٌ كَصَفَاةِ الْمَسِيحِ * لِيْلٍ أُبْرَزَ عَنْهَا بِحُخَافٍ مُضِرٍّ^(٤)^(٥)^(٦)^(٧)
لَهَا ذَنْبٌ مِثْلُ ذَيْلِ الْعُرْوِ * سَسْتَسُدُّ بِهِ فَرْجَهَا مِنْ دُبُرٍ^(٨)^(٩)
لَهَا جَبْهَةٌ كَسَرَاةِ الْمَجْنُونِ * حَذَفَهُ الصَّانِعُ الْمُقْتَدِرُ^(١٠)^(١١)
إِذَا أَقْبَلَتْ قَلَّتْ دِبَاءَةٌ * مِنَ الْخَضِرِ مَغْمُوسَةٌ فِي الْغَدْرِ^(١٢)^(١٣)
وَإِنْ أَعْرَضَتْ قَلَّتْ سُرْعُوفَةٌ * لَهَا ذَنْبٌ خَلَفَهَا مُسَبِّطٌ^(١٤)^(١٥)
وَإِنْ أَدْبَرَتْ قَلَّتْ أَنْفِيَّةٌ * مَلْمَلَةٌ لَيْسَ فِيهَا أَثَرٌ^(١٦)^(١٧)

(١) القعب : القدح . شبه حافر الفرس بقعب الوليد لأنه صغير لطيف .

(٢) الوظيف : عظم الساق والرجل .

(٣) العجرككتف ورجل : الصلب الشديد .

(٤) صفاة المسيل : المجارة التي تكون في الماء وهي أصلب من غيرها .

(٥) أبرز : كشف .

(٦) كذا في ديوانه ، أى عن الصفاة . وفي الأصلين : « عنه » .

(٧) الحخاف : السيل الذي لا يمر بشئ . إلا حملة وقشره .

(٨) السراة : الظهر . والمجن : الترس .

(٩) حذفه : أخذ من جوانبه ما يسويه به . وقيل : هياه وصنعه .

(١٠) الدبابة : واحدة الدباء وهو القرع . وشبه الفرس بها لسعة مؤخرها ودقة مقدمها ، وذلك محبوب

في إناث الخيل . يقول : هي مجتمعة الخلق ، دقيقة الصدر ، عظيمة العجز . مغموسة في الغدر : يريد أنها ربا .

(١١) السرعوفة : الجرادة .

(١٢) مسبطر : طويل .

(١٣) الأنفية : الحجر المدور الصلب الذي يوضع عليه القدر . والململة : المستديرة الصلبة .

يقول : مؤخرها كأنه صخرة مدورة مجتمعة . والآثر (بالضم و بضمين) : أثر الجرح . يريد أنها ليس بها خدش .

٥

١٠

١٥

٢٠

وقال أبو دُوَادٍ الإِيَادِي ^(١) [يصف فرسا] ^(١) :

له ساقا ظالم ^(٢) خا * ضِبُّ فُوجِيَّ بِالرُّعْبِ
حديدُ الطَّرْفِ والمَنَكِ * ب والْعُرْقُوب والقلب

وقال آخر :

له صدر طائوس ونخذه نعامة * ووثبة نمر والتفات غزال
وأعجب من ذا كلما حط حافرا * يخط هلالا من وراء هلال

وقال البُحْتَرِيَّ وكان وصافا للخيل :

وأغر في الزمن البهيم محجل * قد رحت منه على أغر محجل
كالهَيْكَل المَبْنَى إلا أنه * في الحسن جاء كصورة في هيكل
ذنب كما سحب الرداء يذب عن * عرف، وعرف كالقناع المسبل
جذلان ينقض عذرة ^(٣) في غرة * يقى ^(٤) تسيل حجولها في جندل
كالرائح النشوان أكثر مشيه * عرضا على السنن البعيد الأطول
تتوهم الجوزاء في أرساغه * والبدر غرة وجهه المتهلل ^(٥)

(١) في ب : « وقال زهير » . وقد سقط اسم الشاعر من أ . والتصويب والزيادة عن لسان العرب (مادة خضب) وشرح أدب الكاتب لأبي منصور موهوب بن أحمد الجواليقي (ج ١ ص ١٩٠ من النسخة الفتوغرافية المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٤٢٦ أدب) .

(٢) الخاضب : الظلم الذي اغتم فاحرت ساقاه . وقيل : هو الذي قد أكل الربيع فاحر ظنبوباه أو اصفرا أو اخضرا .

(٣) العذرة : عرف الفرس وناصيته .

(٤) اليقى (محركة وككتف) : المتناهى في البياض .

(٥) عرضا : يحتمل أن يكون بالفتح من قولهم : عرض الفرس يعرض عرضا إذا عارضا صدره ورأسه مائلا من النخوة والنشاط ، وأن يكون بضمين وهو السير في جانب ، وهو محمود في الخيل مذموم في الإبل .

(٦) رواية الديوان (ج ٢ ص ٢١٨ طبع مطبعة الجوائب بالقسطنطينية) :

* والبدر فوق جبينه المتهلل *

صافي الأديم كأنما عُنيت^(١) به * لصفاء نقبته^(٢) مداوس^(٣) صيقل^(٤)
 وكأنما نقضت عليه صبغها * صهباء للبردان^(٥) أو قُطربل^(٦)
 وتخاله كسي الحدود نواعماً * مهما توصلها بلحظ^(٧) تحجل
 وتراه يسطع في الغبار لهيبه * لوناً وشداً كالخريق المشعل^(٨)
 هزج الصهيل كأن في نغماته * نرات معبد^(٩) في الثقل الأول
 ملك العيون فإن بدا أعطيته * نظر^(١٠) [المحب] إلى الحبيب المقبل

وكتب إلى محمد بن حميد^(١٠) [بن عبد الحميد] الطوسي^(١٠) يستهديه فرسا ، ووصف

له أنواعا من الخيل ، فقال من أبيات :

- (١) كذا في ديوانه . وفي الأصلين : « عنيت له * بصفاء ... الخ » .
 - (٢) النقبة : اللون .
 - (٣) المداوس : جمع مدوس وهو المصقلة . والصيقل شحاذ السيوف وجلأؤها .
 - (٤) البردان : قرية من قرى بغداد على شاطئ دجلة الشرق وبينها وبين بغداد فرائخ .
 - (٥) اسم قرية بين بغداد وعكبرا تنسب إليها الخمر .
 - (٦) رواية الديوان : « وكأنما » .
 - (٧) شدا : مصدر ، وشدت النار ارتفعت . أي وترى لهيبه يسطع في الغبار كالخريق المشعل في اللون والشدة ، أي ارتفاع اللهب ، وقد أجمعت كل نسخ الديوان المطبوعة والمخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية على هذه الرواية ، على أنه لا يبعد أن تكون الرواية فيه : « يسطع في الغبار إهابه » .
 - (٨) قال أبو العلاء المعري في كتابه عبث الوليد عند كلامه على هذا البيت (ص ١٢٧) : « الذي يوجهه رأى أهل البصرة كسر الدال في معبد ، ويجوز الفتح على مذهب أهل الكوفة » .
 - (٩) النكلة عن ديوانه .
 - (١٠) في الأصلين : « سعيد بن حميد الطوسي » والزيادة والتصويب عن الديوان . وقد ذكر في الديوان جملة قصائد مدح بها محمد بن حميد هذا ، ومنها هذه القصيدة التي اقتبس المؤلف بعض أبياتها ، وبين هذه القصائد قصيدة دالية صرح فيها باسم محمد هذا في أحد أبياتها وهو :
- محمد بن حميد أي مكرمة * لم تحوها بيد بيضاء بعد يد

فَاعِنْ عَلَى غَزْوِ الْعَدُوِّ بِمَنْطَوٍ * أَحْشَاؤُهُ طَى الرَّدَاءِ الْمُدْرَجِ^(١)
 إِمَّا بِأَشْقَرٍ سَاطِعٍ أَغْشَى الْوَغَى * مِنْهُ بِمِثْلِ الْكُوكَبِ الْمُتَأَجِّجِ
 مُتَسَرِّبِلٍ شَيْئَةً طَلَتْ أَعْطَافَهُ * بَدَمٍ فَمَا تَلْقَاهُ غَيْرَ مُضَرِّجِ^(٢)
 أَوْ أَدْهَمٍ صَافِي الْأَدِيمِ كَأَنَّهُ * تَحْتَ الْكَبِيِّ مُظْهِرٍ^(٣) بِرِنْدَجِ^(٤)
 ضَرِمٍ يَهْبِجُ السَّوْطُ مِنْ شُؤْبُوْبِهِ * هَيْجَ الْجَنَائِبِ مِنْ حَرِيقِ الْعَرْجِ^(٥)
 خَفَّتْ مَوَاقِعُ وَطْنِهِ فَلَوَّآئِهِ * يَجْرِي بِرَمْلَةٍ عَالِجٍ لَمْ يَرْهَبِ^(٦)
 أَوْ أَشْهَبٍ يَقْقِي يُضِيءُ وَرَاءَهُ * مَتْنُ كَمَتْنِ الْجَلَّةِ الْمُتَرْجَرِجِ^(٧)
 تَخَفَى الْجُجُولُ وَلَوْ بَلَغْنَ لَبَانَهُ * فِي أَبِيضٍ مُتَالِقٍ كَالْدَمْلَجِ^(٨)

(١) رواية الديوان : « طى الكتاب » .

(٢) فى ديوانه : « صافى السواد » .

(٣) كذا فى ديوانه ، واليرندج : السواد يسود به الخلف أو هو الزاج يسود به . وفى الأصلين :

« بالنبرج » .

(٤) الشؤبوب : شدة العدو .

(٥) الجنائب : جمع جنوب وهى التى تقابل الشمال .

(٦) العرج : ضرب من النبات سهلى طيب الريح . قال أبو حنيفة : وأخبرنى بعض الأعراب

أن العرجة أصلها واسع يأخذ قطعة من الأرض تنبت له قضبان كثيرة بقدر الأصل ، وليس لها ورق له
 بال إنما هى عيبدان دقاق وفى أطرافها زرع يظهر فى رهوسها شئ ، كالشعر أصفر ولهبه شديد الحمرة ويبالغ
 بحمرته فيقال كأن لحينه ضرام عرجة .

(٧) عالج : رمال بين فيد والقريات ينزلها بنو بخت من طى ، وهى متصلة بالثعلبية على طريق مكة

لا ماء بها ولا يقدر أحد عليهم فيها .

(٨) لم يرهج : لم يثر الغبار من خفة وطنه .

(٩) اللبان : الصدر .

(١٠) الدملج : حلى يلبس فى المعصم .

أَوْفَى بِعُرْفٍ أَسْوَدٍ مَتَفَرِّدٍ ^(١) * فَمَا يَلِيهِ وَحَافِرٍ فَيُرْوِزِجِي
 أَوْ أَبْلَقٍ مَلَأَ الْعَيُونَ إِذَا بَدَا * مِنْ كُلِّ لَوْنٍ مُعْجِبٍ بِنَمُودَجِ
 جَذَلَانِ تَحْسُدُهُ الْحَيَادُ إِذَا مَشَى * عَنَقًا بِأَحْسَنِ حُلَّةٍ لَمْ تُنْسَجِ ^(٢)
 وَعَرِيضٍ أَعْلَى الْمَتْنِ لَوْ عَلَيَّتَهُ * بِالزَّبَقِ الْمُنْهَالِ لَمْ يُتَدَحَّرَجِ ^(٣)
 خَاضَتْ قَوَائِمُهُ الْوَشِيقُ بِنَاوُهَا ^(٤) * أَمْوَاجَ تَحْنِيبٍ بَيْنَ مُدَرَّجِ ^(٥)
 وَلَأَنْتَ أَبْعَدُ فِي السَّمَاحَةِ هِمَّةً ^(٦) * مِنْ أَنْ تَضُنَّ بَمُلْجَمٍ أَوْ مُسَرَّجِ ^(٧)

وقال أيضا يصف فرساً أدهم :

بَادِهِمُ كَالظَّلَامِ أَغْرَّ يَجْلُو ^(٨) * بُغْرَتَهُ دَيَّاجِيرَ الظَّلَامِ
 تَرَى أَحْجَالَهُ يَضَعْدَنَ فِيهِ * صَعُودَ الْبَرْقِ فِي جَوْنِ الْغَمَامِ ^(٩)

- ١٠ (١) رواية الديوان : « منغربب » .
 (٢) العنق (بفتحين) : ضرب من السير فسيح سريع .
 (٣) في ديوانه : « يترجرج » .
 (٤) في الأصلين : « القويم » .
 (٥) التحنيب : احديداب في وظيفي يدي الفرس وليس ذلك بالاعوجاج الشديد ، وهو مما يوصف
 صاحبه بالشدة . وقيل : هو بعد ما بين الرجلين من غير فجج ، وهو مدح .
 ١٥ (٦) رواية الديوان : « في المكارم » .
 (٧) رواية الديوان : « بموكف » والموكف : ما وضع عليه الوكاف (ويقال فيه الإكاف على
 الإبدال) وهو : البرذعة .
 (٨) كذا في ديوانه : وهو متعلق ببيت قبله وهو :
 ٢٠ أَرَا جَعَتِي يَدَاكَ بِأَعْوَجِي * كَقَدَحِ النَّبْعِ فِي الرِّيشِ اللَّوَامِ
 (الأعوجي : نسبة إلى الأعوج وهو فرس لبني هلال تنسب إليه الأعوجيات . وليس في العرب فحل
 أشهر ولا أكثر نسلا منه) . وفي الأصلين : « وأدهم » بالواو .
 (٩) الجون : الأسود . ورواية الديوان : « في الغيم الجهام » .

وقال أيضا في أدهم :

أما الجَوَادُ فقد بَلَوْنَا يومَهُ * وكفى بيومٍ مخبرًا عن عامِهِ
جَارَى الجِيَادَ فطار عن أوهامها * سَبَقًا وكاد يطيرُ عن أوهامِهِ
جَذْلَانِ تَلَطَّمَهُ جَوَانِبُ غُرَّةٍ ^(١) * جاءتْ مَجَىءَ البدرِ عندَ تَمَامِهِ
وَأَسْوَدَتْ ثم صَفَّتْ لِعَيْنِي ناظِرٍ * جَنَابَاتُهُ فَأَضَاءَ في إظْلَامِهِ
مَالَتْ نَوَاحِي عُرْفِهِ فَكَأَنَّهَا * عَذَبَاتُ أَثَلٍ مالَ تحتَ حَمَامِهِ
ومَقْدَمُ الأَذُنَيْنِ تحسَّبُ أَنَّهُ * بهما يرى الشخصَ الذي لأَمَامِهِ
وَكَأَنَّ فَارِسَهُ وراءَ قَدَالِهِ * رَدْفُ فُلَسْتِ تراه من قُدَامِهِ
لَأَنْتَ معَاطِفُهُ خَفِيْلٌ أَنَّهُ * لِلخَيْرَانِ مَنَاسِبٌ لِعِظَامِهِ
فِي شُعْلَةٍ كَالشَّيْبِ مرَّ بِمَفْرِقٍ ^(٢) * غَزِيلٌ لَهَا عن شَيْبِهِ بغَرَامِهِ
وَكَأَنَّ صَهْلَتَهُ إِذَا أَسْتَعَلَى بِهَا * رَعْدٌ يَقَعُّعُ في آزدحامِ غَمَامِهِ
مثلَ الغرابِ غَدَا يُبَارَى صَحْبَهُ ^(٣) * بِسَوَادِ صِبْغَتِهِ وحسنِ قَوَامِهِ
وَالطَّرْفُ أَجْلَبُ زَائِرٍ لِمَوْوِنَةٍ * مَالِمَ تُزِرُهُ بِسَرْجِهِ وِجَامِهِ

وقال علي بن الجهم :

فوق طَرِفٍ كَالطَّرْفِ في سرعة الطَّرِّ ^(٤) * فِ وكالقلبِ قلبُهُ في الذكاءِ
لا تراه العيونُ إِلَّا خِيَالًا * وهو مثلُ الخيالِ في الانطواءِ

(١) لطمت الغرة الفرس : سالت في أحد شق وجهه فهو لطيم ، الذكر والأنثى فيه سواء .

(٢) لها : من اللهو .

(٣) رواية الديوان : « شئ يباهي » .

(٤) الطرف (بالكسر) من الخيل : الكريم العتيق . والطرف (بالفتح) : العين . والطرف الأخيرة (وهي بالفتح أيضا) : إطباق الجفن على الجفن . أي فوق جواد كريم يشبه في جريه البصر في سرعة الغمض .

وقال العباس بن مرداس :

جاء كلمع البرق سام^(١) ناظره * تسبح أولاه ويطفو آخره
* فما يمس الأرض منه حافره *

وقال أبو الطيب المتنبي :

وَجُرْدًا مَدَدْنَا بَيْنَ آذَانِهَا الْقَنَا * فَبِشْنٍ خِفَافًا يَتَّبِعُ الْعَوَالِيَا^(٢)
تَمَاشَى بِأَيْدٍ كَلَّمَا وَافَتِ الصِّفَا^(٣) * نَقَشْنَ بِه صدر البزاة حوافيَا
وَيَنْظُرْنَ مِنْ سُودٍ صَوَادِقَ فِي الدُّجَى * يَرَيْنَ بَعِيدَاتِ الشُّخُوصِ كَمَا هِيَ^(٤)
وَتَنْصَبُّ لِلْجَرَسِ الْخَفَى سَوَامِعًا * يَخْلُنْ مُنَاجَاةَ الضَّمِيرِ تَنَادِيَا^(٥)
تُجَاذِبُ فُرْسَانَ الصَّبَاحِ أَعْنَةً^(٦) * كَأَنَّ عَلَى الْأَعْنَاقِ مِنْهَا أَفَاعِيَا^(٧)

- (١) كذا في العقد الفريد (ج ١ ص ٦٤) . وفي الأصلين : « جاش ناظره » وفي ديوان المعاني
لأبي هلال العسكري : « جاش ماطره » وجاش ماطره : اضطرب أو تدفق بالماء .
- (٢) الجرد من الخيل : القصار الشعر . والقنا : الرماح . والعوالي : جمع عالية وهي صدر الرمح مما
يلي السنان .
- (٣) الصفا : الصخر ، واحده صفاة . والبزاة : جمع باز . وحوايا : جمع حاف نصب على الحال من
فاعل « تماشى » . أى إن هذه الخيل تماشى بأيد إذا وطئت الصخر وهي حافية من غير نعال نقشت حوافرها
فيه أثرا مثل صدور البزاة لشدة وطئها .
- (٤) من سود ، أى من أعين سود . أى وتنظر هذه الجرد من عيون سود صوادق فيما تنظره في ظلمة
الليل ، فترى الشخص البعيد عنها كهيبته إذا كان قريبا منها .
- (٥) الجرس : الصوت أو الخفى منه . والسوامع : الآذان ، واحدها سامعة . ويخلن : يحسبن .
وصفها بجدة السمع ، فهي إذا سمعت الخفى نصبت آذانها فسمعتة . وهذا من عاداتها أنها إذا سمعت أخفى
ما يكون نصبت آذانها حتى إن ما يناجى به الضمير عندها كالمناداة لحده سمعها .
- (٦) المراد بالصباح هنا الغارة لأنهم كانوا أكثر ما يغيرون في ذلك الوقت ؛ فسميت الغارة به .
- (٧) الأعنة : سيور اللجم . يصف هذه الخيل بالقوة والنشاط وأنها تجاذب فرسانها أعنتها . ثم
شبه أعنتها في طولها وامتدادها بأفاعى .

وقال أيضا :

وَجِيَادٌ يَدْخُلْنَ فِي الْحَرْبِ أَعْرَا ^(٢) * ءَ وَيَخْرُجْنَ مِنْ دِمٍّ فِي جِلَالٍ ^(١)
وَاسْتَعَارَ الْحَدِيدُ لَوْنًا وَأَلْقَى * لَوْنَهُ فِي ذَوَائِبِ الْأَطْفَالِ ^(٣)

وقال أبو الطيّب أيضا :

وَيَوْمٍ كَلِيلِ الْعَاشِقِينَ كَمَثَلِهِ ^(٤) * أَرَأَيْتَ فِيهِ الشَّمْسُ أَيَّانَ تَغْرُبُ
وَعَيْنِي عَلَى أُذُنِي أَغْرَّ كَأَنَّهُ ^(٥) * مِنَ اللَّيْلِ بَاقٍ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَوَكْبُ
لَهُ فَضْلَةٌ عَنْ جِسْمِهِ فِي إِهَابِهِ ^(٦) * تَجِيءُ عَلَى صَدْرٍ رَحِيْبٍ وَتَذْهَبُ
شَقَقْتُ بِهِ الظُّلُمَاءَ أُذُنِي عِنَانَهُ ^(٧) * فَيَطْغَى وَأَرْخِيهِ مِرَارًا فَيَلْعَبُ

(١) في شرح العكبري لديوان المتنبي : « بجياد » باللام الجارة ؛ إذ هو متصل بالبيت الذي قبله وهو

واغتفار لو غير السخط منه * جعلت هامهم نعال النعال

وعلى هذا فالجار والمجرور متعلق بالبيت الذي قبله ، ويكون فيه تضمين ، وهو مما عيب على المتنبي .

(٢) أعراء : جمع عري (بالضم) . يقال : ذابة عري ، وأفراس أعراء ، ولا يقال : رجل عري ، وإنما يقال : رجل عريان وامرأة عريانة إذا عريا من ثيابهما . ورجل عار إذا أخلقت أثوابه . (عن اللسان مادة عرا) . والجلال : ما يوضع على الدابة من غطاء . واحده جل . ويجمع جلال على أجلة .

(٣) يقول : إن السيوف والرماح اكتست الدم لما باشرت القتل فاستعارت لونا غير لونها ، وألقت لونها ، وهو البياض ، في روس الأطفال ؛ فانهم يشيرون من شدة ما ينالهم من الفزع .

(٤) يقول : رب يوم طال على كما يطول ليل العاشقين اختفيت فيه خوفا على نفسي أراقب حين تغرب الشمس حتى أسير اليكم .

(٥) يقول : إنه كان ينظر الى أذني فرسه ؛ وذلك أن الفرس أبصر شيء ، فاذا أحس بشخص من بعيد نصب أذنيه نحوه ، فيعلم الفارس أنه أبصر شيئا . ثم وصف فرسه بأنه أسود في وجهه غرة ؛ وذلك قوله : « ... كأنه * من الليل باق بين عينيه كوكب » أي كأنه قطعة من الليل غمت نجومها فلم يبق فيها إلا كوكب .

(٦) الإهاب : الجلد ما لم يدبغ . يريد أن يصف الفرس باتساع الجلد وأن له فضلة عن جسمه . في إهابه تجي . وتذهب على صدره الرحيب . واتساع الجلد ما يسر للحيوان شدة العدو .

(٧) يطغى ، أي ينشط ويمرح . يقول : شققت ظلام الليل بهذا الفرس أجذب عنانه إلى فيطغى ويثب مرحا ونشاطا ، وأرخيه له فيلعب كما يشاء .

وَأَصْرَعُ أَيَّ الْوَحْشِ قَفَيْتُهُ بِهِ ^(١) * وَأَنْزَلَ عَنْهُ مِثْلَهُ حِينَ أَرْكَبُ
وقال أيضا يصف فرساً :
إِنْ أَدْبَرْتُ قَلْتَ لَا تَلِيلَ لَهَا ^(٢) * أَوْ أَقْبَلْتُ قَلْتَ مَا لَهَا كَفَلُ
وقال أبو الفرج البَغَاء :
إِنْ لَاحَ قَلْتَ أَدْمِيَّةً أَمْ هَيْكُلُ ^(٣) * أَوْ عَنْ قَلْتَ أَسَاجِحَ أَمْ أَجْدَلُ

تَتَخَاذِلُ الْأَلْحَاطُ فِي إِدْرَاكِهِ * وَيَحَارُ فِيهِ النَّاطِرُ الْمُتَأَمِّلُ
فَكَأَنَّهُ فِي اللَّطْفِ فَهْمٌ ثَاقِبٌ ^(٤) * وَكَأَنَّهُ فِي الْحَسَنِ حُظٌّ مُقْبِلُ
وقال أيضا من أبيات :

رَمَاهُمْ بِالْحَاطِ الْجَيَادِ وَلَمْ تَكُنْ * لِيَنَآيَ عَلَيْهَا الْمَنْزِلُ الْمُتَبَاعِدُ
مِنْ اللَّاءِ يَجْرُنُ الْمِيَاهُ لَدَى السَّرَى * وَيَعْتَضُنُ شَمَّ الْجَوْ وَالْجَوْ رَاكِدُ
مَرْنٌ عَلَى لَدَعِ الْقَنَافِ كَأَنَّمَا ^(٥) * عَلَيْهِنَ مِنْ صَبْغِ الدَّمَاءِ مَجَاسِدُ ^(٦)
نَسَجْنَ مَلَأَ النَّقْعَ ثُمَّ نَحَرَفْنَاهُ ^(٧) * بِكَرٍّ لَهَا مِنْهُ إِلَى النَّصْرِ قَائِدُ
عَلَيْهِنَّ مِنْ نَسْجِ الْغُبَارِ غَلَائِلُ * رِقَاقٌ وَمِنْ نَضْحِ الدَّمَاءِ قَلَائِدُ



(١) قفَيْتُهُ : أتبعته . يقول : إنه ياحق أي الوحش يتبعه به فيصرعه دون أن يناله تعب فهو حين ينزل عنه مثله حين يركبه .

(٢) التليل : العنق . يقول : إنها مشرفة الكفل عريضة الصدر ، فإذا أدبرت منع إشراف كفلها من رؤية عنقها ، وإذا أقبلت منع اتساع صدرها من رؤية كفلها . (راجع شرح الديوان لليازجي ص ١٣٦ طبع بيروت سنة ١٨٨٣ م) .

(٣) الأجدل : الصقر .

(٤) كذا في يتيمة الدهر للثعالبي (ج ١ ص ٢٠٤ طبع بيروت) . وفي الأصلين : « خبط يقتل » .

(٥) في الأصلين : « لدع » بالبدال المهملة ، وهو تصحيف .

(٦) المجاسد : الثياب المصبوغة بالزعفران .

(٧) في أ : « حرفته » ، وفي ب « حرفته » وكلاهما تصحيف .

وقال أبو الفتح كشاجم :

ماءٌ تدفق طاعةً وسلاسةً * فإذا استدير الحضر منه فنارٌ
وإذا عطفت به على ناورده ^(١) * لتديره ^(٢) فكأنه ^(٣) بركارٌ
قصرت قلادة نحره وعذاره * والرُغ، وهي من العتيق قصارٌ
يرد الضحاضح ^(٤) غير ثاب ^(٥) سنبكاً * ويرود طرفك خلفه فيجارٌ
لو لم تكن للخيول نسبة خلقه * خالته من أشكالها الأطيوارُ

وقال آخر :

وأقب ^(٦) تحمله رياح أربع * لولا اللجام لطار في الميدان
من جملة العقبان ^(٧) إلا أنه * من حسنه في طلعة الغزلان
يمشى إلى ميدانه متبخترًا * من تيهه كتبختر النشوان

وقال ابن المعتز :

وخيل طواها القود ^(٨) حتى كأنها * أنابيب سمر من قنا الخط ذبل

(١) في شفاء الغليل : « ناورد : لفظ فارسي هو في لغتهم بمعنى القتال وجولان الخيل في الميدان . وفي اللغة الجديدة ناورد جنك وجولان أسب . وبالمعنى الثاني استعمله المولدون كالبحتري وغيره » . واستشهد بهذا البيت ، وورد الشطر الثاني فيه هكذا : « فكأنه من لينة بركار » .

(٢) كذا في ديوان كشاجم وفي الأصاين : « لترده » .

(٣) بركار (بالكسر) : آلة ذات ساقين ترسم بها الدوائر ، وهو فارسي معرب .

(٤) الضحاضح : جمع ضحضح وهو الماء القليل يكون في الغدير وغيره .

(٥) السنبك : طرف الحافر وجانباه من قدم ، وجمعه سنابك .

(٦) الأقب من الخيل : الدقيق الخصر الضامر البطن .

(٧) العقبان : جمع عقاب وهو طائر من الجوارح تسميها العرب الكاسر . وقيل : تقع على الذكر والأنثى .

(٨) القود : نقيض السوق ، يقود الدابة من أمامها ويسوقها من خلفها ، أولعله يريد مطلق السير . والأنابيب : الرماح ، واحدا أنبوب . والخط : موضع باليامة تنسب إليه الرماح الخطية . وذبل : دفاق ، واحدا ذابل .

صَبَبْنَا عَلَيْهَا ظَالِمِينَ سَيَاطِنًا * فَطَارَتْ بِهَا أَيْدٍ سِرَاعٌ وَأَرْجُلٌ^(١)
وقال أبو بكر الصنوبري :

طَرَفٌ نَأَتْ سَمَاوُهُ عَنْ أَرْضِهِ * وَمَا نَأَى كَاهِلُهُ عَنِ الْكَفَلِ
ذُو أَرْبَعٍ مِنْ أَرْبَعٍ مِنَ الْقُبُورِ * لِ الدَّبُورِ وَالْجَنُوبِ وَالشَّامِلِ^(٢)
وَهُوَ إِذَا أَعْمَلَهَا أَلْفَى لَهَا * فَوْقَ الَّذِي يَطْلُبُهُ مِنَ الْعَمَلِ
كَالْبَرْقِ إِنْ أَوْمَضَ أَوْ كَالرَّعْدِ إِنْ * أَجْلَبَ أَوْ صَوَّبَ الْحَيَا إِذَا أَحْتَمَلَ^(٣)
وقال آخر :

يَجْرِي فَيَبْعُدُ مِنْ مَدَى مِتْقَارِبٍ * أَبَدًا وَيَدْنُو مِنْ مَدَى مُتَبَاعِدٍ^(٤)
إِنْ سَارَ فَهُوَ غَدِيرٌ مَاءٍ مَائِجٍ * أَوْ قَامَ فَهُوَ غَدِيرٌ مَاءٍ جَامِدٍ^(٥)
وقال أبو الفضل الميكالي :

خَيْرٌ مَا اسْتَطَرَفَ الْفَوَارِسُ طَرَفٌ * كُلُّ طَرَفٍ بِحَسَنِهِ مَبْهُوتٌ
هُوَ فَوْقَ الْجِبَالِ وَعَلَى وَفَى السَّهْلِ * لِي نَعَامٌ وَفِي الْمَعَابِرِ حُوتٌ
وقال آخر :

وِطْرِيفٍ إِذَا مَا جَرَى خَلَّتْهُ * عُقَابًا مِنَ الْوُكْرِ يَبْغِي الْمَزَارَا^(٦)
تَرَى فِي الْحَبِيبِينَ لَهُ سَوْسَنًا * وَتَلْمَحُ فِي لَوْنِهِ الْجُلُنَارَا^(٧)

(١) ذكر أبو هلال العسكري في كتابه ديوان المعاني في معنى هذا البيت مانصه : « ذكر أنهم ضربوها من غير أن تمنع شيئاً من مطلوب سيرها فكانوا ظالمين لها » .

(٢) كذا في مباحج الفكر . وفي الأصلين : « الفاءها » ، وهو تحريف .

(٣) كذا في مباحج الفكر . وفي الأصلين : « أو كالبرق إن » * أخلب... الخ « بالخاء المعجمة ، وهو تحريف .

(٤) الحيا : المطر .

(٥) قام : وقف ولم يسر .

(٦) السوسن : نبات طيب الرائحة .

(٧) الجلنار : زهر الرمان .

وَيَمْشِي عَلَى الْمَاءِ مِنْ خَفَّةٍ * وَيَقْدَحُ فِي الْجَلْمَدِ الصَّخْرَ نَارًا
فَلَوْ كَانَ يَبْغِي بِهِ رَاكِبٌ ^(١) * إِلَى مَطْلَعِ الشَّمْسِ سَيْرًا لَطَارًا

وقال عبد الجبار بن حمديس :

وَمَجْرٍ فِي الْأَرْضِ ذَيْلَ عَسِيْبِهِ * حَمَلُ الزَّبْرَجَدِ مِنْهُ جِسْمٌ عَقِيْقٌ
يَجْرِي وَلَمْعُ الْبَرْقِ فِي آثَارِهِ * مِنْ كَثْرَةِ الْكَبَوَاتِ غَيْرُ مُفِيْقٍ ^(٢)
وَيَكَادُ يُخْرِجُ سُرْعَةً مِنْ ظِلِّهِ * لَوْ كَانَ يَرْغَبُ فِي فِرَاقٍ رَفِيْقٍ ^(٣)

وقال ابن طباطبا :

عَجَبًا لَشَمْسٍ أَشْرَقَتْ فِي وَجْهِهِ * لَمْ تَمُحْ مِنْهُ دُبْحَى الظَّلَامِ الْمُطْبِقِ ^(٤)
وَإِذَا تَمَطَّرَ فِي الرَّهَانِ رَأْيَتَهُ * يَجْرِي أَمَامَ الرِّيحِ مِثْلَ مُطَرِّقٍ ^(٥)

وقال تاج الملوك بن أيوب :

وَخَيْلٌ كَأَمْثَالِ السَّعَالِي شَوَارِبِ ^(٦) * تَكَادُ بِنَا قَبْلِ الْمَجَالِ تَجُولُ ^(٧)
سَوَابِقُ تَكْبُو الرِّيحُ قَبْلَ لِحَاقِهَا * لَهَا مَرْحٌ ^(٨) مِنْ تَحْتِنَا وَصَهِيلُ

وقال إبراهيم بن خفاجة يصف فرساً أشهب :

رُبَّ طَرَفٍ كَالطَّرَفِ سَاعَةً عَدُوٍ * لَيْسَ يَسْرِى سُرَاهُ طَيْفُ الْخِيَالِ

(١) في الأصلين : « راجبا » بالنصب .

(٢) كذا في ديوانه . وفي الأصلين : « فلع » .

(٣) هذه رواية الديوان . وفي الأصلين : « صديق » .

(٤) تمطرت الخيل : ذهبت مسرعة .

(٥) المطرق : الذي يمهّد الطريق لیسلك .

(٦) السعالى : الغيلان أو سحرة الجن .

(٧) الشوارب : الضواير من الخيل . وقد وردت في الأصلين : « شوارب » بالراء المهملة ،

وهو تصحيف .

(٨) المرح : التبخر والاختيال .

إن سرى في الدجى فبعض الدارارى * أو سعى في الفلا فإحدى السعالى
 لست أدري إن قيد ليلة أسرى * أو تمطيته غداة قتال
 أجنوب تفتاد لي أم جنيب^(١) * أم شمال عنانها بشمالى
 أشهب اللون أثقلته حلى^(٢) * خب^(٣) فيهن وهو ملق الجلال
 فبدا الصبح ملجأ بالثريا * وجرى البرق مسرجاً بالهلال

وقال أيضا في أشهب :

وظلام ليل لا شهاب بأفقه * إلا لنصل مهتد أو لهذم
 لا طمت لجنته بموجة أشهب * يرمى بها بحر الظلام فيرتدى
 قد سال في وجه الدجنة غرة * فالليل في شبه الأغر الأدهم
 أطلعت منه ومن سنان أزرق * ومهتد عصب ثلاثة أنجم

وقال أبو الصلت يصف فرسا أشهب :

وأشهب كالشهاب أضفى * يجول في مذهب الجلال
 قال حسودى وقد رآه * يجنب خافى إلى القتال
 من أجم الصبح بالثريا * وأسرج البرق بالهلال

وقال ابن خفاجة وقد أهدى مهرا بهيا :

تقبل المهر من أنى ثقة * أرسل ريحا به الى المطر
 مشتملا بالظلام من شية * لم يشتمل ليها على سحر
 منتسبا لونه وغرته * الى سواد الفؤاد والبصر

(١) الجنيب : الفرس الذى يقاد الى جنب الراكب .

(٢) خب الفرس : راوح بين يديه ورجليه أى قام على إحداها مرة وعلى الأخرى مرة .

(٣) الجلال (بالكسر) : جمع جل (بالضم) وهو ما تلبسه الدابة لتصان به .

تَحْسِبُهُ مِنْ عَالَاكَ مُسْتَرِقًا * بِهِجَةً مَرَأَى وَحَسَنَ مُحْتَبِرٍ
حَنَّنَ إِلَى رَاحَةٍ تَفِيضُ نَدَى * فَمَالَ ظِلُّهُ عَلَى نَهْرِ
تَرَى بِهِ وَالنَّشَاطُ يُخْفِزُهُ * مَا شَتَّتَ مِنْ فَحْمَةٍ وَمِنْ شَرَرِ
لَوْ حَمَلَ اللَّيْلُ حَسَنَ دُهُمَتِهِ * أَمْتَعَ طَرْفَ الْحَبِّ بِالسَّهْرِ^(١)
أَحْمَى مِنَ النِّجَمِ يَوْمَ مَعْرَكَةٍ * ظَهَرَ وَأَجْرَى بِهِ مِنَ الْقَدَرِ
إِسْوَدَّ ، وَأَبْيَضَ فَعْلُهُ كَرَمًا * فَالْتَفَتَ الْحَسَنُ فِيهِ عَنْ حَوَرِ
فَازْدَدَ سَنَا بِهِجَةٍ بِدُهُمَتِهِ * فَالَّيْلُ أَذْكَى لُغْتَةِ الْقَمَرِ
وَمِثْلُ شُكْرَى عَلَى تَقَبُّلِهِ * يَجْمَعُ بَيْنَ النَّسِيمِ وَالزَّهْرِ

وقال في فرس أشقر :

وَمُطَهَّمٌ شَرِيقُ الْأَدِيمِ كَأَنَّمَا * أَلِفَتْ مَعَاظِفُهُ النَّجِيعَ خَضَابًا^(٢)
طَرِبْتُ إِذَا غَنَى الْحُسَامُ ، مُمَزَّقٍ * ثَوْبَ الْعَجَاجَةِ جَيْئَةً وَذَهَابًا
قَدَحَتْ يَدُ الْهَيْجَاءِ مِنْهُ بَارِقًا * مَتَلَهَبًا يُزْجِي الْقَتَامَ سَحَابًا
[وَرَمَى الْحِفَاطُ بِهِ شَيَاطِينَ الْعِدَا * فَأَنْقَضَ فِي لَيْلِ الْغُبَارِ شَهَابًا]^(٣)
بَسَامُ تُغِيرُ الْحَلِيَّ تَحْسَبُ أَنَّهُ * كَأَنَّ أَثَارَ بَهَا الْمِزَاجُ حَبَابًا

وقال في أدهم أغرَّ محجل :

وَكَأَنَّمَا لَطَمَ الصَّبَاحُ جَبِينَهُ * فَأَقْتَصَّ مِنْهُ نَخَاضٌ فِي أَحْشَائِهِ

(١) كذا في ديوانه (ص ٦٧ طبع مصر سنة ١٢٨٦ هـ) . وفي الأصلين : « لو وهب الليل

جود همته » . (٢) النجيع : الدم ، وقيل : هودم الجوف خاصة ، وفيه أقوال غير ذلك .

(٣) زيادة عن ديوانه . (٤) السياق يدل على أن هذا البيت لابن خفاجة . والصواب أنه لابن نباتة

السعدي كما سيذكره له المؤلف بعد أسطر ضمن أبيات . وقد وردت هذه الأبيات في ديوانه (نسخة مخطوطة

محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٢ أدب ش) كما وردت له في كتاب عنوان المرقصات والمطربات

(ص ٥٠ طبع مصر) وابن خلكان واليتيمة ، يمدح بها سيف الدولة وقد حمّله على فرس أدهم أغرَّ محجل .

وقال ابن نباتة السعدي^(١) في أدهم :

وأدهم يستمد الليل منه * وتطلع بين عينيه الثريا
سرى خلف الصباح يطير مشيا * ويطوى خلفه الأفلاك طيا
فلما خاف وشك الفت منه^(٢) * تعلّق بالقوائم والمحيّا

وقال في فرس أدهم أغرّ محجل أهدى له :

قد جاءنا الطرف الذي أهديته * هاديه يعقد أرضه بسمائه^(٣)
أولايه وليتنا فبعثته * ربحاً سيب العرف عقد لوائه
تختال منه على أغرّ محجل * ماء الدياجي قطرة من مائه
وكأنما أطم الصباح جبينه * فأقتص منه نخاض في أحشائه
متهللاً والبرق من أسمائه * متبرقعا والحسن من أكفائه
ما كانت النيران يكمن حرها * لو أن للنيران بعض ذكائه
لا تعلّق الأحاظ في أعطافه * إلا إذا كفكفت من غلوائه

(١) قال ابن خلكان في ترجمته (ج ١ ص ٤١٨ — ٤١٩) مانصه : « أبو نصر عبد العزيز بن عمر بن محمد بن أحمد بن نباتة السعدي . كان شاعرا مجيدا جمع بين حسن السبك وجودة المعنى ، طاف البلاد ومدح الملوك والوزراء والرؤساء ، وله في سيف الدولة بن حمدان غرر القصائد ونخب المدائح ... ومعظم شعره جيد وله ديوان كبير ، وكان قد وصل الى الرى وامتدح أبا الفضل محمد بن العميد ... ولد سنة ٣٢٧ هـ وتوفي في ثالث شوال سنة ٤٠٥ هـ ببغداد ودفن في مقبرة الخيزران من الجانب الشرقى » . وراجع ترجمته أيضا في يتيمة الدهر (ج ٢ ص ١٤٣ — ١٥٧)

(٢) كذا في الديوان . وفي الأصلين : « منها » .

(٣) ورد هذا البيت في عنوان المرقصات والمطربات هكذا :

قد جاءنا المهر الذي أهديته * جذلان يخلط أرضه بسمائه

(١) وقال محمد بن الحسين الفارسي النحوي أحد شعراء اليتيمة في فرس أدهم أغر:
ومطهم ما كنت أحسب قبله * أت السروج على البوارق توضع^(٢)
وكأنما الجوزاء حين تصوبت * لبب عليه والثرىا برقع

طرائف في ذم الخيل بالهزال والعجز عن الحركة

كتب بعضهم إلى صديق له :
ما فعلت حجرك^(٣) تلك التي * أفضل من فارسها التراجل
عهدي بها تبكى وتشكو الضنى * لما احتشاه البدن الناحل
وهي تغنني غنا صبة * غايتها وجدان ما تأكل
يارب لا أقوى على كل ذا * موت وإلا فرج عاجل

وقال آخر :

يا نصر حجرك أبلى الجوع جدتها * وأصبحت شبحاً تشكو تجافيك

- (١) هو أبو الحسين محمد بن الحسين النحوي أحد أفراد الدهر ، وأعيان العلم ، وأعلام الفضل ، وهو الامام اليوم في النحو بعد خاله أبي علي الحسن بن أحمد الفارسي ، ومنه أخذ ، وعليه درس ، حتى استغرق علمه ، واستحق مكانه ... » وكان خاله أوفده على صاحب بن عباد الى جهة الري فارتضاه وأكرم مثواه وقد نزل نيسابور دفعات وأولى بها من الأدب والنحو ما سارت بذكره الركبان وآل أمر الى أن وزر للامير شاد عرسي ستان ثم اختص بالامير اسماعيل بن سبكتكين بغزنة ووزرله ثم توجه الى عدة جهات واستوطن جرجان الى أن مات وقرأ عليه أهلها ، منهم الامام عبد القاهر الجرجاني وليس له أستاذ سواه . وللصاحب بن عباد مكاتبات اليه مدونة . مات سنة ٢١٤ هـ . (راجع يتيمة الدهر ج ٤ ص ٢٧٠ ومعجم الأدباء لياقوت ج ٧ ص ٣ و بغية الوعاة للسيوطي) . وفي الأصلين : « الحسن » وهو تحريف .
- (٢) كذا في اليتيمة . وفي الأصلين : « عن » وهو تحريف .
- (٣) الحجر (بالكسر) : الأنثى من الخيل .

إذا رأْتُ تَبَنَّةً قَالَتْ مُجَاهِرَةً * يَا تَبْنُ لِي حَسْرَةً مَا تَتَقِضِي فِيكَ
تَرْجُوهُ طَوْرًا وَتَبْكِي مِنْهُ آيَسَةً * حَتَّى إِذَا عَرَضْتُ بَاتَتْ تَغْنِيكَ:
هَذِي - فِدَيْتُكَ - حَالِي قَدْ عَلِمْتَ بِهَا * فَلِمَ يَكُونُ الْجَفَا أَفْدِيكَ أَفْدِيكَ

(٦٦)

وقال آخر :

أَعْطَيْتَنِي شَهْبَاءَ مَهْلُوبَةٍ^(١) * تُذَكِّرُ نَمْرُودَ بْنَ كَنْعَانَ^(٢)
سَفِينَةَ الْحَشْرِ إِلَى عَدُوِّهَا * أَسْبَقُ مِنْ أَشْقَرِ مَرْوَانَ^(٣)
كَأَنِّي مِنْهَا عَلَى زَوْرَقٍ * بِأَلَا مُجَادِيْفَ وَسُكَّانٍ^(٤)
فَأَنْظُرْ إِلَى حَجْرِي تَرَى شَهْرَةً * أَخْبَارُهَا جَامِعُ سَفِيَانٍ^(٥)

وقال آخر :

حَمَلْتَنِي فَوْقَ مُقْرِفٍ زَمِينٍ * لَيْسَ لَدَى رِحْلَةٍ بَنَفَّاعٍ
جِلْدٌ عَلَى أَعْظَمٍ مُحَلَّلَةٍ * فَلَيْسَ يَمْشِي إِلَّا بَدَفَّاعٍ
كَأَنِّي إِذْ عَلَوْتُ صَهْوَتَهُ * رَكِبْتُ مِنْهُ سَرِيرَ فُقَّاعٍ^(٦)

(١) يقال : فرس مهلوب : مستأصل شعر الذنب ، قد هلب ذنبه ، أى استؤصل جزاء .

(٢) اسم ملك من الجبابرة معروف .

(٣) أشقر مروان فرس مشهور كان لمروان بن محمد آخر ملوك بني مروان ، وكان يعدل شديراً برونز
في الحسن والكرم واستيفاء أقسام الجودة والعنق ثم في أشهر الذكرك حتى صار مثلاً لكل طرف عتيق وفرس
كريم . ويريد به هنا السخرية (راجع ما يقول عليه في المضاف والمضاف اليه للحجى المحفوظ منه نسخة
خطية بدار الكتب المصرية تحت رقم ٧٨ أدب م) .

(٤) السكان : ذنب السفينة الذى به تعدل .

(٥) هو جامع سفيان الثوري وهو كتاب في الفقه كبير يضرب به المثل للشيء الجامع كل شيء ، وكان
أبو بكر الخوارزمي إذا رأى جامعاً أو كتاباً قال : ما هو إلا سفينة نوح ، وجامع سفيان ، ومخلط خراسان .
(راجع ما يقول عليه في المضاف والمضاف اليه) .

(٦) الفقاع : نبات يابس .

وكتب زهير بن محمد الكاتب :^(١)

وفرس على المسا * وى كلها محتوية
راكبها فى نجلة * كأنه فى مخزية
مستقيجا ركوبها * مثل ركوب المعصية
فما مساويها لمن * عددها مستوية
يا قبحها مقيلة * وقبحها مولية

٥

وقال برهان الدين ابن الفقيه نصر :

لصاحب الديوان برذونة^(٢) * بعيدة العهد من القرط^(٣)
إذا رأت خيلا على مربيط * تقول سبجانك يا معطى
تمشى إلى خلف إذا ما مشت * كأنها تكتب بالقبطى

١٠



هذا ما أتفق إirأده مما قيل فى أوصاف الخيل من النظم . فلنذكر ما وصفت
به فى الرسائل المنشورة ، والفقر المسجوعة ، والألفاظ المزدوجة ، مع ما يتصل بذلك
من الأبيات فى ضمنها .

- ١٥ (١) قال ابن خلكان فى ترجمته (ج ١ ص ٢٧٢ — ٢٧٥) ما نصه : «أبو الفضل زهير بن محمد
ابن على الملقب بهاء الدين الكاتب ، من فضلاء عصره وأحسنهم نظما ونثرا وخطا ، ومن أكبرهم مروءة .
كان قد اتصل بخدمة السلطان الملك الصالح نجم الدين أبى الفتح أيوب بن الملك الكامل بالديار المصرية ،
وتوجه فى خدمته إلى البلاد الشرقية ... أنشدنى شيئا كثيرا من شعره ، وشعره كله لطيف ، وهو كما يقال السهل
المتنع . وأجازنى رواية ديوانه ، وهو كثير الوجود بأيدى الناس ... توفى رابع ذى القعدة سنة ٦٥٦ هـ
ودفن بالقرافة الصغرى بترتته بالقرب من قبة الإمام الشافعى رضى الله عنه فى جهتها القبلىة » .
- ٢٠ (٢) فى الأصلين : « يوذونه » وهو تحريف .
- (٣) القرط : نبات تألفه الدواب وهو شبيه بالرطبة إلا أنه أجل منها وأعظم ورقا .

فمن ذلك ما حُكي أن المهديّ سأل مَطَر بن دَرَّاج عن أيّ الخيل أفضل ؛
 فقال : الذي إذا استقبلته قلتَ نافر ، وإذا استدبرته قلتَ زاجر ، وإذا استعرضته^(١)
 قلتَ زافر . قال : فأىّ هذه أفضل ؟ قال : الذي طرفه إمامه ، وسوطه عنانه .^(٢)
 ومن هذا أخذ المتنبي وعليّ بن جبلة والعسكريّ . فقال المتنبي :
 * إن أدبرت قلتَ لا تليل لها^(٣) *

وقد تقدّم .

وقال عليّ بن جبلة :

تَحَسُّبُهُ أَقْعَدُ فِي اسْتِقْبَالِهِ * حَتَّى إِذَا اسْتَدْبَرْتَهُ قَلْتَ أَكَبَّ

وقال أبو هلال العسكريّ :

طَرَفٌ إِذَا اسْتَقْبَلْتَهُ قَلْتَ حَبَا * حَتَّى إِذَا اسْتَدْبَرْتَهُ قَلْتَ كَبَا

ووصف أعرابيّ فرسا أجريّ في حلبة فقال لما أرسلت الخيل : جاءوا^(٤)
 بشيطان ، في أشطان ؛ فأرسلوه فلمع لمع البرق ، وأستهلّ استهلال الودق ؛ فكان^(٥)
 أقرب الخيل إليه ، تقع عينه من بُعدٍ عليه .

(١) كذا في العقد الفريد (ج ١ ص ٥٨) . وفي أ : « ناجز » وفي ب : « ناجر »

وكلاهما تحريف .

(٢) كذا في ديوان المعاني . وفي الأصلين : « زاجر » بالخاء المعجمة .

(٣) كذا في ديوانه شرح العكبري وفيما تقدّم من هذا الكتاب . وفي الأصلين هنا : « أقبلت »

وهو خطأ .

(٤) أشطان : جمع شطن ، وهو الحبل الطويل الشديد الغنل يستقى به وتشدّ به الخيل .

(٥) الودق : المطر كله ، شديد وهينه .

٦٧

ووصف محمد بن الحسين بن الحرّون فرسا فقال : هو حسن القميص ، جيد^(١) الفصوص ، وثيق^(٢) القصب ، نقي^(٣) العصب ، يبصر بأذنيه ، ويتبوع^(٤) بيديه ، ويدخل رجليه .

ووصف آخر فرسا فقال : الريح أسيرة^(٥) يديه ، والظلم^(٦) فريسة^(٧) رجله ، إن حرّ^(٨) آستعر في آتياه ، وإن جدّ مرق من إياه .

وكتب عبد الله بن طاهر إلى المأمون مع فرس أهداه إليه : قد بعثت إلى أمير المؤمنين فرسا يلحق الأرنب في الصعداء^(٩) ، ويجاوز الظباء في الاستواء ، ويسبق^(١٠) في الحدور جرّى الماء ، إن عطف حار ، وإن أرسل طار ، وإن حُسّ صفن^(١١) ، وإن استوقف فطن ، فهو كما قال تأبط شرا :

ويسبق وفدّ الريح من حيث يلتجى * بمنخري من شدّه المتابع

ووصف آخر فرسا فقال : كأنه إذا علا دعاء ، وإذا هبط قضاء . كأنه محلول

من قول الشاعر في صفة فرس :

مثل دعاء مستجاب إن علا * أو كقضاء نازل إذا هبط

ووصف أيوب بن القريّة فرسا فقال : أسيل الخلد ، حسن القد ، يسبق

الطرف ، ويستغرق الوصف .

(١) الفصوص من الفرس : مفاصل رقبته وأرساغه ، وفيها السلاميات وهي عظام الرسغين . (راجع لسان العرب مادة فصص) .

(٢) تبوع الفرس في جريه : أبعد الخطو بيديه . قال اللحياني : والله لا تبلغون تبوعه ، أي لا تلحقون شأوه في خطاه .

(٣) الظلم : الذكر من النعام .

(٤) كذا في أ وحز : اشتد . وفي ب : «حرك» .

(٥) يقال : أكمة ذات صعداء : يشتد صعودها على الراق .

(٦) صفن الفرس : قلب أحد حوافره وقام على ثلاث قوائم .

٢٠

١٠

١٥

وقال محمد بن عبد الملك لصديق له : اُبغ لي فرساً بِرْدُونًا، وثيق اليدين، قائم الأذنين، ذَكَر العينين، يَأْنَف من تحريك الرجلين .

- ومن الكلام الجيّد في وصف الخيل ما أنشأه الشيخ ضياء الدين بن القُرْطُبِيّ من رسالته التي كتبها إلى صاحب الوزير شرف الدين الفَائِزِيّ ، وقد تقدّم ذكرها في باب الكتاب في الرسائل ، فلا فائدة في إعادتها ؛ وإنما أوردنا ذكر الخيل هناك لأن الرسالة تشتمل على أوصاف الخيل والعساكر والسلاح وغير ذلك ، فأردنا بإيرادها بجملة ما ثم أن يكون الكلام فيها سياقاً يتلو بعضه بعضاً . وهذه الرسالة في السّفر السابع (١) من هذه النسخة .



- ومن إنشاء المولى الفاضل العالم الأديب البليغ شهاب الدين أبي الثناء محمود ابن سليمان الحلبي الكاتب رسالة^(٢) في الخيل عملها تجربة ورياضة لخاطره ، ولم يكتب بها ، سمعها من لفظه ، ونقلها من خطه ؛ وهي :

- أدام الله إحسان الجنب الفلاني ، ولا زالت الآمال في أمواله مُحْكَمَةً ، والأمانى كالحامد في أبوابه مَحِيْمَةً ، والمعالي كالعوالي إليه دون غيره مسلمة ، والمكارم تُغْرِيهِ في الندى حتى يبذل ما حُبَّ إليه من الخيل المسومة . المملوك يقبل اليد التي ما زالت بَسْطُطُهَا في الكرم عَلَيْهِ ، وَقَبْضُهَا بتصرف أعنة الزمن مَلِيَّةٌ ، ومواهبها تنوع في الندى ، ومذاهبها في الكرم تهب الأولياء ماتها به العدا . وَيُنْهِى وصول

(١) راجع هذه الرسالة ونسب منشؤها في الجزء الثامن من هذه الطبعة (ص ٦٣)

(٢) راجع هذه الرسالة في كتاب حسن التوسل الى صناعة الترسل لمنشئ هذه الرسالة (ص ٩٩ طبع

المطبعة الوهية بمصر سنة ١٨٨١ م) وصبح الأعشى للقلقشندي (ج ٨ ص ٣٨٦ طبع بولاق) .

(٣) في العبارة نقص . والذي في حسن التوسل « ... فن ذلك كتاب أنشأته في أوصاف الخيل ،

ولم يكتب به على وجه امتحان الخاطر وهو ... » .

ما أنعم به من الخيل التي وُجد الخَيْرُ في نَوَاصِيها ، وأدْخَرَتْ صَهَوَاتِها حصُوناً يعتصم^(١)
في الوغى بصِياصِيها :

فمن أشهبَ غَطَّاه النهارُ بجلَّتِه ، وأوطأه الليلُ على أهْلَتِه ؛ كأنَّ أذنه جِلْفَةً^(٢)
قَلَمٌ ، أو شَقَّةً جَلَمٌ ؛ يُدْرِكُ بها الوهمُ ، ويحقِّقُ في الليلِ البهيمِ مواقعَ السهمِ ؛ يتموج
أديمُه رِيًّا ؛ ويتأرجح رِيًّا ، ويقول من آستقبله في حَلِي لحامه : هذا الفجر قد طلع
بالثريا ؛ إن آلتفت المضايقُ أنسابَ أنسيابِ الأئيمِ ، وإن أنفجرت المسالكُ مرَّ
مرور الغيمِ ؛ كم أبصر فارسُه يومًا أبيضَ بطلعتِه ، وكم عين [طَرْفُ السَّنانِ]^(٣) مقاتِلَ
العدا في ظلامِ النَّقْعِ بنورِ أشِعَّتِه ؛ لا يَسْتَنُّ داحِسٌ في مضماره ، ولا تطمع الغبراءُ^(٤)
في شقِّ غُبَارِه ، ولا يظفر لاحِقٌ من لحاقه بِسوى آثارِه ؛ تُسابق يداه مراميَ طَرْفِه ،
ويُدْرِك شوارِدَ البروقِ ثانياً من عِطْفِه .

ومن أدهمَ حالي الشَّكِيمِ ، حالكِ الأديمِ ، له مقلَّةٌ غانيةٌ وسالفةٌ رِيمٌ ؛ قد ألبسه
الليلُ بُردَه ، وأطلع بين عينيه سعدَه ؛ يظنُّ من نظر إلى سواد طُرتِه ، وبياض حُجولِه
وغُرتِه ؛ أنه توهمَ النهارَ نهرًا نخاضه ، وألقى بين عينيه نقطةً من رَشَاشِ تلك المخاضه ؛
لين الأعطافِ ، سريع الأنعطافِ ؛ يُقبِل كالليلِ ، ويكرُّ كالحُمودِ صخِرَ حَطَّه السَّيْلُ ؛
يكاد يسبق ظلُّه ، وإذا جارى السهمَ إلى غَرَضٍ بلغه قبله .

ومن أشقرَ غَشَّاه البرقُ بلَهَبِه ، ووشَّاه الأصيلُ بذهَبِه ؛ يتوجَّس ما لديه
برقيقتين ، وينفضُ وفرتيه عن عقيقتين ، ويُنزل عذارَ لحامه من سالفتيه على

(١) كذا في حسن التوسل وصبح الأعشى . وفي الأصلين : « حصنها حصونا » ، وهو تحريف .

(٢) الحلقة من القلم : من مبراه الى سنه .

(٣) الزيادة عن حسن التوسل وصبح الأعشى .

(٤) داحس والغبراء ولاحق : أسماء أفراس تقدَّم الكلام عليها .

شَقِيقَتَيْنِ ؛ لَهُ مِنْ الرَّاحِ لَوْنُهَا ، وَمِنْ الرِّيحِ لِيْنُهَا ؛ إِنْ جَرَى فَبَرْقٌ خَفَقَ ، وَإِنْ أَسْرَعَ
فَهَلَالٌ عَلَى شَفَقٍ ؛ لَوْ أَدْرَكَ أَوَائِلَ حَرْبِ آبْنَى وَأَوَّلِ لَمْ يَكُنْ لِلنَّعَامَةِ نَبَاهُهُ ، وَلَا لِلوَجِيهِ
وَجَاهُهُ ، وَلَكِنْ تَرَكُ إِعَارَةَ سَكَابٍ لَوْماً وَتَحْرِيمُ بَيْعِهَا سَفَاهُهُ ؛ يَرْكُضُ مَا وَجَدَ
أَرْضاً ، وَلَوْ آعَرَضَ [بِهِ] رَاكِبُهُ بِحَرّاً وَثَبَهُ عَرْضاً .

وَمِنْ كُمَيْتٍ نَهْدٍ ، كَأَنَّ رَاكِبَهُ فِي مَهْدٍ ؛ عِنْدِمَيَّ الْإِهَابِ ، شَمَالِي الذَّهَابِ ؛ ^(١) يَزِلُّ
الْغَلَامُ الْخُفَّ عَنْ صَهَوَاتِهِ ، ^(٢) وَكَأَنَّ نَعْمَ الْغَرِيضِ وَمَعْبَدٍ فِي لَهَوَاتِهِ ؛ قَصِيرِ الْمَطَا ،
فَسِيحِ الْخُطَا ؛ إِنْ رُكِبَ لَصِيدٍ قَيْدَ الْأَوَايِدِ ، وَأَعْجَلَ عَنْ الْوُثُوبِ الْوَحْشِ الْوَايِدِ ؛
وَإِنْ جُنِبَ إِلَى حَرْبٍ لَمْ يَزُورْ مَنْ وَقَعَ الْقَنَا بَلْبَانِهِ ، وَلَمْ يَشْكُ لَوْ عَلَّمَ الْكَلَامَ بِلِسَانِهِ ،
وَلَمْ يُرْدُونْ بُلُوغَ الْغَايَةِ — وَهِيَ ظَفَرُ رَاكِبِهِ — ثَانِيّاً مِنْ عِنَانِهِ ؛ وَإِنْ سَارَ فِي سَهْلٍ
أَخْتَالَ بِرَاكِبِهِ كَالثَّمَلِ ، وَإِنْ أَصْعَدَ فِي جَبَلٍ طَارَ فِي عِقَابِهِ كَالْعُقَابِ وَأَنْحَطَ فِي مَجَارِيهِ
كَالْوَعْلِ ؛ مَتَى مَا تَرَقَّى الْعَيْنُ فِيهِ تَسَهَّلَ ، وَمَتَى أَرَادَ الْبَرْقُ مَجَارَاتَهُ قَالَ لَهُ الْوَقُوفُ
عِنْدَ قَدْرِهِ : مَا أَنْتَ هُنَاكَ فَتَمَهَّلْ .

(١) كَذَا فِي حَسَنِ التَّوَسُّلِ وَصَبَحَ الْأَعْشَى . وَفِي الْأَصْلَيْنِ : « أَسْرَحَ » بِالْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ .

(٢) النَّعَامَةُ : فَرَسُ الْحَارِثِ بْنِ عَبَادٍ . وَالْوَجِيه : مَنْ خِيَلُ غَنَى بْنِ أَعْمَرَ .

(٣) فِي الْأَصْلَيْنِ : « وَلَكِنْ تَرَكُ إِغَارَةَ ... » ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٤) سَكَابُ (كَقَطَامٍ) : فَرَسُ عَبْدِ بَنِي رُبَيْعَةَ . وَهُوَ يُشِيرُ إِلَى قَوْلِهِ فِيهَا :

أَبَيْتَ اللَّعْنَ إِنْ سَكَابٍ لَيْسَتْ * بَعَلَقُ يَسْتَعَارُ وَلَا يَبَاعُ

سَلِيلَةُ سَابِقَيْنِ تَنَاجَلَاهَا * يَضُمُّهُمَا إِذَا نَسَبَا كِرَاعُ

وَلَا تَطْمَعُ أَبَيْتَ اللَّعْنَ فِيهَا * وَمَنْعُكُمَا بَوَاجِيسَ تَطَاعُ

(٥) الزِّيَادَةُ عَنْ حَسَنِ التَّوَسُّلِ وَصَبَحَ الْأَعْشَى .

(٦) هَذَا شَطْرُ بَيْتٍ مِنْ مَعْلَقَةِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ ، وَهُوَ :

يَزِلُّ الْغَلَامُ الْخُفَّ عَنْ صَهَوَاتِهِ * وَيَلْوِي بِأَثْوَابِ الْعَنِيفِ الْمُثْقَلِ

(٧) الْمَطَا : الظَّهْرُ .

ومن حبشيّ أصفر يروق العين ، ويشوق القلب بمشابهته العين^(١) ، كأن الشمس
ألقّت عليه من أشعتها جلّالا ، وكأنه نفر من الدجى فأعتنق منه عرفاً واعتلق
أججالا ، ذى كفّل يزّين سرجه ، وذيل يسدّ إذا استدبرته منه فرجه ، قد أطلعت
الرياضة على مرّاد فارسه ، وأغناه نضار لونه ونضارته عن ترصيع قلائده وتوشيع
ملابسه ، له من البرق خفة وطئه وخطفه ، ومن النسيم^(٢) لين طروقه ولطفه ، ومن
الريح هيزؤها إذا ما جرى شأوين وأبتل عطفه ، يطير بالغمز ، ويدرك بالرياضة
مواقع الرمز ، ويغدو كالف الوصل في استغنائه مثلها عن الهمز .

ومن أخضر له من الروض تفويفه ، ومن الوشى تقسيمه وتأليفه ، قد كساه
الليل والنهار حلّي وقار وسنا ، واجتمع فيه من البياض والسواد ضدان لما استجمعا
حسنا ، ومنحه البازي حلة وشيه ، وأعطته نفوح^(٣) الرياح ونسماتها قوة ركضه وخفة
مشيه ، يعطيك أفانين الجري قبل سؤاله ، ولمّا لم يسابقه شيء من الخيل أغراه
حب الطفر بمسابقة خياله ، كأنه تفاريق شيب في سواد عذار ، أو طلائع فجر
خالط بياضه الدجى ، فما سجي ، ومازج ظلامه النهار ، فما أثار ، يختال لمشاركة
أسم الجرى بينه وبين الماء في شدة السير كالسيل ، ويدلّ بسبقه على المعنى المشترك
بين البروق اللوامع وبين البرقية من الخيل ، ويكذب المانوية^(٤) لتولد اليمن فيه بين
إضاءة النهار وظلمة الليل .

ومن أبلق ظهره حرم ، وجريه ضرم ، إن قصد غاية فوجود الفضاء بينه وبينها
عدم ، وإن صرّف في حرب فعمله ما يشاء البنان والعنان وفعله ما تريد الكف

(١) العين هنا : الذهب المضروب .

(٢) في حسن التوسل وصبح الأعشى : « مروره » .

(٣) في حسن التوسل وصبح الأعشى : « ونخلته الرياح ... » .

(٤) المانوية : قوم ينسبون الى ماني ، وهو رجل يقول : الخ من النهار والشر من الليل .

- والقَدَم؛ قد طابَقَ الحَسَنُ البَدِيعُ بينَ ضِدِّي لَوْنِهِ ، ودَلَّتْ على أَجْتِمَاعِ النَّقِیْضَیْنِ عِلَّةٌ
 كَوْنِهِ ؛ وَأَشْبَهَ زَمَنَ الرَّبِيعِ باعتدالِ اللَّیْلِ فیهِ والنَّهَارِ ، وأَخَذَ وَصَفَ حُلَّتِي الدُّجَى
 فی حَالَتِي الإِبْدَارِ والسَّرَارِ ؛ لَا تَكِلُ مَنَاكِبُهُ ، وَلَا یَضِلُّ فی حَجَرَاتِ الجِیُوشِ رَاكِبُهُ ،
 وَلَا یَحْتَاجُ لیلُهُ المَشْرِقُ بِجَاوِرَةِ نَهَارِهِ إلى أَنْ تُسْتَرَشِدَ فیهِ كَوَاكِبُهُ ، وَلَا یُجَارِیهِ الخِیَالُ
 فَضلاً عَنِ الخِیَالِ ، وَلَا یَمَلُّ السُّرَى إِلَّا إِذَا مَلَّ مُشِبِّهَاهُ : النَّهَارُ وَاللَّیْلُ ، وَلَا تَتَمَسَّكُ
 البُرُوقُ اللُّوَامِعُ مِنْ لَحَاقِهِ بِسُوی الأَثَرِ فَإِنْ جَهِدَتْ فَبِالذَّیْلِ ؛ فَهُوَ الأَبْلَقُ الفَرْدُ ،
 والجَوَادُ الذی تُجَارِیهِ العِكْسُ وَلَهُ الطَّرْدُ ؛ قَدْ أَغْنَتْهُ شُهْرَةُ نَوْعِهِ فی جِنْسِهِ عَنِ
 الأَوْصَافِ ، وَعَدَلَ بِالرِّیَاحِ عَنِ مَبَارَاتِهِ سَلُوكُهَا لَهُ فی الإِعْتِرَافِ جَادَّةَ الإِنْصَافِ .
 فَتَرَقَّى المَمْلُوكُ إلى رُتَبِ العِزِّ مِنْ ظُهُورِهَا ، وَأَعَدَّهَا لِحِطْبَةِ الجَنَانِ إِذَ الجِهَادِ عَلَى
 مِثْلِهَا مِنْ أَنْفَسِ مُهُورِهَا ؛ وَكَانَفَ بِرُكُوبِهَا فَكَلَّمَا أَكَلَهُ عَادَ ، وَكَلَّمَا أَتَمَلَّهُ شَرَهُ إِلَيْهِ
 فَلَوْ أَنَّهُ زَیْدُ الخِیْلِ لَمَا زَادَ ؛ وَرَأَى مِنْ آدَابِهَا مَا دَلَّ عَلَى أَنَّهَا مِنْ أَكْرَمِ الْأَصْنَافِ ،
 وَعَلِمَ أَنَّهَا لَیُومَى سِلْمُهُ وَحَرْبِهِ حَنِیَّةُ الصَّائِدِ وَجَنَّةُ الصَّائِلِ ؛ وَقَابَلَ إِحْسَانَ مُهْدِيهَا
 بِثَنَائِهِ وَدُعَائِهِ ، وَأَعَدَّهَا [فی الجِهَادِ] لِمُقَارَعَةِ أَعْدَاءِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَیْهَا وَأَعْدَائِهِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى

- (١) الإبدار : امتلاء القمر وكاله ، و يكون ذلك ليلة يكون القمر بدرا . والسرار : الليلة التي يستسر
 فيها القمر ، أي يغيب ، وهي آخر ليلة في الشهر . (٢) الحجرة (بالفتح) : الناحية .
 (٣) كذا في حسن التوسل وصبح الأعشى . وفي الأصلين : « سلوكه في الاعتراف له » .
 (٤) في حسن التوسل وصبح الأعشى : « إذ الجهاد عليها » .
 (٥) هو زيد بن مهلهل بن يزيد ، كان فارسا مغوارا مظفرا شجاعا بعيد الصوت في الجاهلية وأدرك
 الاسلام ، ووفد الى النبي صلى الله عليه وسلم فلقبه وسرّ به وقرظه وسماه زيد الخير ، وهو شاعر مقلّ مخضرم
 معدود في الشعراء الفرسان . وسمى زيد الخيل لكثرة خيله (راجع ترجمته في الأغاني ج ١٦ ص ٤٧ -
 ٦٢ طبع بولاق) .
 (٦) الحنية : القوس . وفي الأصلين : « حنة » بالحاء المهملة ، ولعلها محرفة عما أثبتناه .
 (٧) الزيادة عن حسن التوسل وصبح الأعشى .

يشكر به الذى أفرد فى الندى بمذاهبه ، وجعل الصافات الحيات من بعض مواهبه .
والله أعلم بالصواب .

✱ ✱

ومن إنشاء المولى الفاضل تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد اليماني رسالة^(١)
فى مثل ذلك أنشأها فى سنة ست أو خمس وسبع مائة . وسمعتها من لفظه ، ونقلتها
من إملائه ، وهى :

يقبل اليد العالية الفلانية ، لا زالت ترسل إلى الأولياء سحاب كرمها ، وتقلد
الأوداء قلائد نعيمها ، ولا برح المرفهان طرازى حاشيتها وخدمها ، حتى ينوب القلم
عن صليل مرففها والصمصام عن صير قلمها ، لتساوى فى الإنفاذ مواقع كلمها
ومراسم كلمها ، ولا قتي ظاهرها قبلة القبل وغاية الآمال ، وباطنها مورد الكرم
ومصدر الأموال .

وينهى أنه لما كانت العزائم الفلانية طامحة إلى أسنى المعالي ، مطلعة من مناقبها
أهلة تحجل بدور الليالى ، متيمة بأكتساب المفانر ، عميدة بتشديد المآثر ، مائلة
إلى ما يزين المقانِب ، ويطرز الكتائب ، مصغية إلى ما يرد جنابها من جنائنها لا غير ،^(٢)
^(٣)

(١) هو الأديب البارع تاج الدين أبو المحاسن عبد الباقي بن عبد المجيد بن عبد الله . ولد بمكة المشرفة
فى رجب سنة ٥٦٨٠ . وكان إماما فاضلا أديبا بليغا . قدم القاهرة ثم رحل إلى دمشق وأقام بها مدة سبع
سنين يقرئ الطلبة المقامات الحريية والعروض وغير ذلك من علوم الأدب ، ثم سافر إلى اليمن وأقام بها
مدة ، وولى الوزارة ثم عزل وصودر ، ثم عاد إلى القاهرة وولى التدريس بالمشهد النفيسى وشهادة البيمارستان
المنصورى ، ثم توجه إلى طرابلس ودمشق فلم تطل مدته وعاد إلى القاهرة ومات بها سنة ٧٤٣ ، وله عدة
تأليف منها : مطرب السمع فى شرح حديث أم زرع ، ولقطة العجلان المختصر فى وفيات الأعيان . وعمل
تاريخا للنحاة واختصر الصحاح . وسمع منه البرازلى والذهبي — وذكراه فى معجميهما — وابن رافع
وخلائق وكتب عنه الشيخ أبو حيان وأثنى عليه كثيرا (راجع شذرات الذهب والمنهل الصافى) .

(٢) المقانِب : جمع مقنب ، وهو من الخيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين ، وقيل : زهاء الثلاثمائة .

(٣) كذا بالأصلين .

وكيف لا تكون كذلك وحب الخيل من الخير ؛ ناظرة إلى ما يصل من كرائمها ،
مهتدية بنجوم غمرها مشغوفة بتججيل قوائمها ؛ عاشقة لآتساع صدورها ، ورقة
نحورها .

- خدم المملوك الركاب العالي بإفزاز خيل آتحدت في الصفات ، وتباينت
في الشيات ؛ وصدرت كروضة تفتحت أزهارها ، وزها نوارها ، وأشرق أنوارها ؛
بل كعرائس تختال في برودها ، أو بكواهر تنافست في عقودها ؛ ملكتها يمين المملوك
فكانت كعدد أصابعها ، وأحرزتها همتة فزعت في الحزم إلى منازعها ؛ لها من الأطباء
أعناقها ، ومن النعام أسواقها ؛ ومن البأس قوة جنانها ، ومن الظفر مثني عنانها ؛
ومن الإقبال غرر نواصيها ، ومن إدراك الغرض جل أمانها ؛ ذوات ضبح ،
وموريات قدح ؛ تكبو الريح في غاياتها ، ويقتر البرق بمعجزاتها ؛ مداخلة الخلق رحبة
اللبان ، مستغنية عن الهمز بتحريك العنان ؛ تقارب ما بين قطاها ومطاها ، وتباعد
ما بين قذالها وصلاتها ؛ سما عنقها وأطرق جبينها ، وتزهت عن المعايب فلا صكك
يشينها ؛ يا حبذا أشهبها وقد تجللت بالشهب ذاته ، وأدرعت أشهب الصبح شياتها ؛
زبرجدي الحافر لؤلؤي الأديم ، له أطلا ظبي وساقا ظايم ؛ كغامة بارقها قدح
سنابكه ، أو كسيل طم مفعمه واسع مسالكه ؛ استغنى بجوهر شياته عن كل مذهب ،

(١) لم ينص في كتب اللغة على هذا الجمع ، والذي فيها سوق وسيقان وأسوق .

(٢) الضبح : صوت أنفاس الخيل عند عدوها . (٣) الايرا : إخراج النار . والقدح :

الضرب ، أى التى تورى النار من صدم حوافرها للحجارة . (٤) اللبان : الصدر .

(٥) القطا : العجز ، وقيل : هو ما بين الوركين ، وقيل : هو مقعد الردف .

(٦) المطا : الظهر . (٧) القذال : جماع مؤخر الرأس . (٨) الصلا : وسط الظهر .

(٩) فى الأصلين : «أطرب حينها» . (١٠) الصكك : اضطراب الركبتين والعرقوبين .

(١١) الظليم : ذكر النعام .

فما لمُذْهَب في الانتساب عنه مذهب ؛ إن أمتطى الفارس قَطَاتَه طار بنسر حافره ،
وإن أشار إلى غرض أدركه يجتد الوهم لا بالنظر إلى ناظره ؛ أميال البيداء كميل بين
عينيه ، وترادف رمالها كذروور بين جفنيه ؛ استولى على السبق^(١) وأحرز خصله ، وكيف
لا وقد حاز اثنتي عشرة خصله .

يتلوها أشقرها وقد نجد عقيقا ، أو التحف شقيقا ؛ أو كوجنة قد أحمرت من
النجل ، أو كوردة ناظرت بخفريها نرجس المقل ؛ تناسبت أجزاءه في الملاحه ، وتسaut
مراتبه في الصباحه ؛ وجاهة الوجيه ناطقة من الحيا ، ومسيل غرته كتصويب اثريا ؛
مجل بالجوزاء وأسرج بالهلال ، وألحم بالمجرة فما لابن ذكاء^(٢) في الإشراق عليه مجال ؛
إن أطلق والريح في سنان ميدان ، رأيت الريح ككُميت خافتة الجياد يوم الرهان ؛
تنهب الفلاة حوافره ، وتحرز قصب السبق بوادره . يتبعه كُميت كقطعة جمر ،
أو ككأس نمر ؛ اسود ذنبه وعرفه ، واختال كاللشوان فكأنما أسكره وصفه ؛
حكّت أذناه قادمتي حمامه ، أو المحرف من أقلام قدامه ؛ قصرت عن سعيه الخيول
فسابق الظلال ، ونشأ مع النعام فلا يالف غير الرئال ؛ كأن الصبا ألفت إليه عنانها
قسرا ، فتخب بسرجه مرة وتناقل أخرى . مقرونا بأصفر كالدينار ، قد أفرغت
عليه حلة نور لانار ؛ طال منه الذيل واتسع اللبان ، فكأنما هو نار على
يفاع شبت للضيفان ؛ جللته الشمس بأنوارها ، وأهدت إليه الرياض
أصفرار أزهارها ؛ تشهدك عند رؤيته يوم العرض ، فروج قوائمه سماء على
أرض ؛ إن هملج لا ذب الريح بالشجر ، وإن عدا قصر عن إدراكه رؤية

(١) السبق (محرّكة) : الخطر يوضع بين أهل السباق وهو ما يتراهنون عليه . وأحرز خصله : غلب

٢٠ على الرهان . (٢) نجد : زين . (٣) الشقيق : نورأحمر . (٤) ابن ذكاء :
الصبيح .

(٧٠) البصر، نَجَاشِي النَّجَارِ، وَحَلِيفِ الْوَجَارِ، كَأَنَّمَا خُلِقَ مِنَ الْحَزْمِ شَطْرُهُ، وَمِنَ الْعِزِّ ظَهْرُهُ؛
وَمِنَ الْإِقْبَالِ غُرَّتُهُ، وَمِنَ كُنُوزِ الْمَفَاحِرِ سُرَّتُهُ، يُقَرَّرُ أَعْوَجُ بَنِي هِلَالٍ بِفَضْلِهِ، وَيَقْفُو
حُرُونُ مُسْلِمٍ أَثَرِ ظِلِّهِ. مَخْتُومًا بِأَدْهَمِ كَصَخْرَةٍ سَيْلٍ، أَوْ كَقِطْعَةٍ لَيْلٍ، خَاضَ
فِي أَحْشَاءِ الصَّبَاحِ فَلَطَمَ جَبِينَهُ، وَسَابَقَ الْفَلَكَ فَقَيَّدَ بِالْجَوْزَاءِ رِجْلَيْهِ وَيَسَارَهُ وَأَطْلَقَ
يَمِينَهُ، عَرِيضُ الْكَفَلِ وَالْمَنْخَرَيْنِ، دَقِيقُ الْقَوَائِمِ وَالسَّاقَيْنِ، كَأَنَّمَا أَشْرَبَ لَوْنُهُ
سَوَادَ الْقَلْبِ وَالْبَصَرِ، وَكَأَنَّمَا النَّصْرُ قَيْسٌ وَهُوَ لَيْلِي يَحْضُرُهُ حَيْثُ حَضَرَ، لَوْ كُتِبَ
أَسْمُهُ عَلَى رَايَةٍ لَمْ تَزَلْ تَقْدُمُ فَتَوْحًا، أَوْ لَمَعَتْ بِوَارِقٍ سَنَابِكُهُ رَأَيْتَ زَنْجِيًّا جَرِيحًا،
طَابَقَتْ أَخْبَارُهُ لِمُخْبَرِهِ، وَسَبَقَتْ رِجَالُهُ فِي الْعَدُوِّ مَوَاقِعَ نَظَرِهِ، لَا يَعْلَقُ غُرَابٌ
بِغَبَارِهِ، وَلَا تَسْتَنُّ النَّعَامَةُ فِي مَضْمَارِهِ.

ولنختم هذا الباب بذكر فائدة، وهي دواء للخلد: يؤخذ خمسون طائرًا من
الدَّرَارِيحِ تُسَحَّقُ بِحَجَرٍ وَلَا تُنَمَّسَ بِالْيَدِ، وَتَجْعَلُ فِي قِدْرٍ صَغِيرَةٍ جَدِيدَةٍ، وَيُصَبُّ عَلَيْهَا
مِنَ الْمَاءِ وَالزَّيْتِ مَا يَغْمُرُهُ، وَيُغْلَى عَلَيْهِ حَتَّى يَنْعَقِدَ، وَيُضَافُ إِلَيْهِ يَسِيرٌ مِنَ الْقَطِرَانِ
الْأَسْوَدِ، وَيَوْضَعُ عَلَى النَّارِ، فَإِذَا فَتَرَفَتْ مُشَاقَّةٌ عَلَى عُودٍ وَيُدْهَنُ بِهِ أُمُّ الْخُلْدِ قَبْلَ
قَطْعِهِ بِالنَّارِ، ثُمَّ يَدْهَنُ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ بِالشَّيْرِجِ وَالصَّيْلَقُونَ وَمَاءُ الْوَرْدِ، فَإِنَّهُ مَجْتَرِبٌ.

- ١٥ (١) النجار: اللون، ويطلق أيضا على الأصل والحسب.
(٢) كذا بالأصلين، والوجار: الجحر للضع والأسد ونحوهما من الوحوش.
(٣) فرس انجبت منه خيول العرب، وعامة جيادها تنسب إليه. وقد تقدم ذكره.
(٤) كذا في أنساب الخيل لابن الكلبي والمخصص واللسان وتاج العروس، وهو فرس مسلم بن عمرو
الباهلي (والد قتيبة بن مسلم) وقد سبق ذكره. وفي الأصلين: «آخرون»، وهو تحريف.
٢٠ (٥) يريد قيس بن الملوح وهو مجنون بن عامر صاحب ليلي. (٦) غراب: اسم فرس لغني.
(٧) يقال: استن الفرس في المضمار: إذا جرى في نشاط.
(٨) الخلد: داء من أخطر الأدواء، وهو في الفرس بمنزلة الجذام في الإنسان.

الباب الثاني من القسم الثالث من الفن الثالث في البغال والحمير

ذكر ما قيل في البغال

قال أصحاب الكلام في طبائع الحيوان : إن البغل لا يعيش له ولد ، وليس بعقيم ؛ ولا يبقى للبغلة ولد ، وليست بعاقرة . وهو أطول عمرا من أبويه وأصبر . ويقال : إن أول من نتج البغال "قارون" ، وقيل : "أفريدون" ^(٢) أحد ملوك الفرس الأول . والبغل يوصف برداءة الأخلاق والنلون . ومن أخلاق البغال الإلف لكل دابة . ويقال : إن أبوال الإناث تنقية لأجسادها . والإناث أجمل من الذكور . قال بعض الشعراء ^(٣) :

عليك بالبغلة دون البغل * فإنها جامعة للشمل
مركب قاض وإمام عدل * وعالم وسيد وكهمل
تصلح للرحل وغير الرحل

والبغال من مراكب الرؤساء ، والسادة النجباء ، والقضاة والعلماء . وهم يرجحون إناثها على ذكورها ، حتى إن المغاربة لا يركبون البغال الذكور البتة وإنما

١٥ (١) في الأصل : « اسحب » ولعلها محرفة عما أثبتناه . (راجع حياة الحيوان للدميري ج ١ ص ١٧٣ طبع بولاق) .

(٢) أفريدون هو سادس ملوك الطبقة الأولى من الفرس وهي الفيشدادية . وفي نسبة اختلاف . وهو الذي قتل الضحاك الظالم ونمرود بن يالش وشرّد النبط . وهو أول من ذلل الفيلة وامتطّاها ، وأنتج البغال واتخذ الاوز والحمام وعمل الترياق ، وردّ المظالم ، وأمر الناس بعبادة الله تعالى والإنصاف والاحسان ، وردّ على الناس ما كان الضحاك قد غصبه من الأرض ، وجعل دار مملكته بابل . (راجع دائرة المعارف للبستاني ج ٤ ص ٢٦) .

(٣) كان الأنسب أن يقال : « بعض الرجاز » .

يجعلونها برسم حمل الزَّيْل . أخبرني قاضي القضاة جمال الدين أبو محمد بن سليمان
بذلك ، وقال : وإذا طلب ولي الأمر البغل لأحدٍ كان ذلك دلالةً على إشهاره^(١)
وتجريسه عليه . قال : فلا يركب البغل الذكور عندنا إلا زبالاً أو مجرس . وأعظم^(٢)
ما تُفضل به إناثُ البغال على ذكورها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ركبها
وملكها ، وما ورد أنه ملك بغلاً ولا ركبها .

ولندكر بغلات رسول الله صلى الله عليه وسلم تفضيلاً لهذا الحيوان وتشريفاً ،
وتنويهاً بذكره وتعريفها ، والله أعلم .

ذكر بغلات رسول الله صلى الله عليه وسلم

كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم بغلةٌ شهباء يقال لها "دُلْدُل" ، أهداها له
المَقَوْس . ذكر ذلك ابن قتيبة وابن سعد ، فقال ابن سعد ما هذا نصه : "وبعث^(٣)
رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطب بن أبي بلتعة اللخمي ، وهو أحد الستة ، إلى

(١) في شرح القاموس (مادة شهر) : « ومن المجاز أشهرت فلانا استخففت به وفضحته وجعلته
شهرة » اهـ . (٢) التجريس بالقوم : التسميع بهم والتشهير .

(٣) هم كما أوردتهم البخشي في رشحات المداد : عمرو بن أمية الضمري بعثه إلى نجاشي الحبشة ،
ودحية بن خليفة الكلبي بعثه إلى هرقل الروم ، وعبد الله بن حذافة السهمي بعثه إلى كسرى ملك
فارس ، وحاطب بن أبي بلتعة اللخمي بعثه إلى مقوقس مصر ، وشجاع بن وهب الأسدي بعثه إلى الحارث
ابن أبي شمر الغساني ملك دمشق ، وسليط بن عمرو العامري بعثه إلى هودذة بن علي الحنفي باليمامة . وزاد
ابن هشام في السيرة أنه بعث عمرو بن العاص السهمي إلى جيفر وعياذ ابني الجلندي الأزديين ملكي عمان ،
وبعث العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى العبدى ملك البحرين ، وبعث المهاجر بن أبي أمية المخزومي
إلى الحارث بن عبد كلال الحميري ملك اليمن .

قال البخشي : إن النبي صلى الله عليه وسلم لما رجع من الحديبية سنة ست أراد أن يكتب إلى الأطراف
فاتخذ خاتماً من فضة نقشه « محمد رسول الله » ثلاثة أسطر وختم به الكتب ووجه بها الرسل ، فخرج منهم ستة
في يوم واحد وذلك في المحرم سنة سبع . وقد أورد من هذه الكتب كتابه إلى النجاشي وكسرى والحارث
الغساني وهودذة بن علي . فارجع إليها فيه (ص ١٢٩ - ١٣٣) .

المُقَوِّس صاحب الإسكندرية عظيم القبط يدعو إلى الإسلام، وكتب معه كتاباً، فأوصل إليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقرأه وقال له خيراً، وأخذ الكتاب فجعله في حَقٍّ من عاج وختم عليه ودفعه إلى جاريته، وكتب إلى النبي صلى الله عليه وسلم: «قد علمت أن نبياً قد بقي، وكنت أظن أنه يخرج بالشام، وقد أكرمت رسولك وبعثت إليك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم، وقد أهديت إليك كسوة وبغلة تركبها». ولم يزد على هذا ولم يُسلم. فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم هديته، وأخذ الجاريتين: مارية أم إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأختها سيرين، وبغلة بيضاء لم يكن في العرب يومئذ غيرها وهي «دُلْدُل». وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ضنّ الخبيث بملكه ولا بقاء لملكه».

وذكر ابن سعد أيضاً قال: كانت «دُلْدُل» بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم أول بغلة رُئيت في الإسلام، أهداها له المُقَوِّس وأهدى معها حملاً يقال له «عَفِير»، فكانت البغلة قد بقيت حتى كان زمن معاوية. وفي لفظ: وكانت

(١) نص هذا الكتاب: «بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط، سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فعليك إثم كل القبط (يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون)». قال المرحوم حفي بك ناصف في كتابه تاريخ الأدب أو حياة اللغة العربية: وقد عثر الباحثون على الكتابين المرسلين إلى المقوقس والمنذر بن ساوى وأخذوا صورتيهما بالتصوير الشمسي وطبعوهما. أما الكتابان أنفسهما فمحفوظان في الآستانة وفيينا، في الأولى كتاب المقوقس وفي الثانية كتاب المنذر. ونسخة كتاب المقوقس محفوظة بدار الآثار النبوية وكان قد عثر عليها عالم فرنسي في دير بمصر قرب إنحيم في زمن سعيد باشا والى مصر. وممع بحديثها السلطان عبد المجيد فاستقدم ذلك العالم وعرضها على العلماء فقرروا أنها هي بعينها كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس، فاشتراها منه بمال عظيم.

شهباء ، وكانت بينبع حتى ماتت ثم . وفي لفظ : وكانت قد كبرت حتى زالت أسنانها ، وكان يُحش لها الشعر .

وروى ابن سعد أيضا عن محمد بن عمر الأسلمي قال : حدثنا أبو بكر بن عبد الله ابن أبي سبرة عن زامل بن عمرو قال : أهدى فروة بن عمرو إلى النبي صلى الله عليه وسلم بغلة يقال لها " فضة " فوهبها لأبي بكر . وكذلك قال البلاذري .
وقد يقال : إن " دلدل " من هدية فروة ، وإن " فضة " من هدية المقوقس .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : أهدى للنبي صلى الله عليه وسلم بغلة أهداها له كسرى ، فركبها بجمل^(١) من شعر ثم أردفني خلفه . رواه الثعالبي في تفسيره في قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ﴾ . قال الشيخ شرف الدين عبد المؤمن الدمياطي رحمه الله : قوله « أهداها له كسرى » بعيد ، لأنه مزق كتاب النبي صلى الله عليه وسلم وأمر عامله باليمن بقتله وبعث رأسه إليه ، فأهلكه [الله] بكفره وطغيانه .

وروى مسلم بن الحجاج رحمه الله بن حديث أبي حميد الساعدي قال : غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تبوك ، فذكر الحديث ، وقال فيه : وجاء رسول ابن العلماء صاحب أيلة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتاب وأهدى له بغلة بيضاء ، فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهدى له بردا . رواه البخاري في كتاب الجزية والمواذعة بعد الجهاد ، ورواه أبو نعيم في المستخرج . ولفظهما : " وأهدى ملك أيلة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بغلة بيضاء فكساه بردا " ، وقال أبو نعيم : بردة .

(١) كذا في كتاب فضل الخيل للدمياطي (ص ١٢٤ طبع حلب) . والجل (بالضم والفتح عن ابن دريد) : ما تلبسه الدابة لتصان به . وفي الأصلين : « بجمل » .

وقال ابن سعد : وبعث صاحب دومة الجندل^(٢) لرسول الله صلى الله عليه وسلم ببغلة وجبة من سندس .

وروى إبراهيم الحاربي في كتاب الهدايا عن علي رضي الله عنه قال : وأهدى^(٣) يحنة بن روبة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بغلته البيضاء .

وروى يوسف بن صهيب عن ابن بريدة عن أبيه قال : انكشف الناس^(٤) عن النبي صلى الله عليه وسلم يوم حنين ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته الشهباء التي أهداها له النجاشي وزيد أخذ بركاب بغلته . وذكر علي بن محمد بن حنين^(٥) بن عبدوس الكوفي في أسماء خيله وسلاحه وأثائه : وكان اسم بغلته « دُلْدُل » أهداها إليه المقوقس صاحب الإسكندرية وكانت شهباء ، وهي التي قال لها يوم حنين : « أربضي » فربضت . ويقال : إن علياً ركبها بعد النبي صلى الله عليه وسلم ثم ركبها الحسن ثم ركبها الحسين ثم ركبها محمد بن الحنفية

(١) هو أكيدر بن عبد الملك ، كما في شرح المواهب .

(٢) دومة الجندل (بضم أوله وفتحهم وقد أنكر ابن دريد الفتح وعده من أغلاط المحدثين) : على سبع مراحل من دمشق بينها وبين مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم . وسميت دومة الجندل لأن حصنها مبني بالجندل .

(٣) ضبطه الزرقاني بالعبارة فقال : بضم التحتانية وفتح المهملة وتشديد النون . وروبة بضم الراء وسكون الواو بعدها موحدة . وهو ابن « العلماء » صاحب أيلة المتقدم . قال في فتح الباري : ولعل « العلماء » اسم أمه . وهو الذي أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انتهى إلى تبوك وصالحه وأعطاه الجزية وأهدى له البيضاء ، وكانت طويلة مخندفة حسنة السير ، فأعجبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأهدى له برداً . (راجع شرح الزرقاني على المواهب ج ٣ ص ٤٦٥ طبع بولاق) . وقد ورد في الأصلين : « يوحنا بن روزنة » ، وهو تحريف . (٤) هو عبد الله بن بريدة بن الحصيب الأسلمي ، كما في الخلاصة وتهذيب التهذيب . (٥) كذا في المواهب (انظر الحاشية رقم ١ ص ٣٧ من هذا الجزء) . وفي الأصلين : « الحسين » ، وهو تحريف .

رضى الله عنهم ؛ ثم كبرت وعميت ، فوقعت في مَبْطَخَةٍ لبعض بني مُدْجٍ خَبِطَتْ فيها ،^(٢)
فرماها بسهم فقتلها .

وكانت له بغلة يقال لها ” الأَيْلِيَّة “ ؛ أهداها إليه ملكُ أَيْلَةَ ، وكانت طويلة
مُخَنَّدَةً كَأَنَّمَا تقوم على رِمالِ حَسَنَةِ السَّيْرِ ؛ فأعجبته ووقعَتْ منه . وهي التي
قال له فيها عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه حين خرج عليها : كَأَنَّ هَذِهِ الْبَغْلَةَ
قد أعجبتك يا رسول الله ؟ قال : ” نعم “ قال : لو شِئْنَا لَكُنْ لَكَ مِثْلُهَا ؛ قال :
” وكيف “ ؛ قال : هذه أمّها فرس عربيّة وأبوها حمار ، ولو أنْزَيْنَا حِمَارًا على فرس
لجاءت بمثل هذه ؛ فقال : ” إِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ “ .

وعن دِحْيَةَ بْنِ خَلِيفَةَ الْكَلْبِيِّ رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله ،
أَلَا أُحْمِلُ لَكَ حِمَارًا على فرس فْتَنْتَجَ لَكَ بَغْلَةٌ ؟ فقال : ” إِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ الَّذِينَ
لَا يَعْقِلُونَ “ . رواه ابن مَنْدَه في كتاب الصحابة .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
عبدا مأمورا ، ما اختصنا دونَ الناس بشيء إلا بثلاث : أَمَرَنَا أَنْ نُسَبِّحَ
الْوُضُوءَ ، وَأَلَّا نَأْكُلَ الصَّدَقَةَ ، وَأَلَّا نُتْرَى حِمَارًا على فرس . رواه التِّرْمِذِيُّ
في الجهاد . وفي لفظ آخر عنه رضي الله عنه : كان عبدا مأمورا بَلَّغَ مَا أُرْسِلَ بِهِ ،
وَمَا اخْتَصَّنَا دُونَ النَّاسِ بِشَيْءٍ إِلَّا بِثَلَاثِ خِصَالٍ : أَمَرَنَا أَنْ نُسَبِّحَ الْوُضُوءَ ،
وَأَلَّا نَأْكُلَ الصَّدَقَةَ ، وَأَلَّا نُتْرَى الْحِمَارَ عَلَى الْفَرَسِ . وهذا على هذين الحديثين
يَخْتَصُّ بِآلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دُونَ غَيْرِهِمْ .

(٧٢)

(١) المَبْطَخَةُ : منبت البطيخ . (٢) خَبِطَتْ : مشت على غير هدى لا تتوقى شيئا .

(٣) كَذَا فِي شَرْحِ الْمَوَاهِبِ . وَالْمَخْنَدَةُ : مَشْيَةٌ كَالْهُرُولَةِ . وَفِي الْأَصْلَيْنِ : «مَخْدُوفَةٌ» ، وَهُوَ مَحْرُيفٌ .

والذى يظهر من مجموع هذه الأحاديث المروية التى أوردناها أن بغلات رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت سبعا، وهى : «الدُّلُّ» التى أهداها له المقوقس، و«فضة» التى أهداها له فروة بن عمرو، وبغلة أهداها له كسرى، وبغلته الأيلىة التى أهداها له ابن العلماء صاحب أيلة، وبغلة بعثها له صاحب دومة الجندل، وبغلة أهداها له يحنة ابن روبة، وبغلة أهداها له النجاشي صاحب الحبشة. والله تعالى أعلم بالصواب.

ذكر شيء مما وُصفت به البغال

قد ألف الجاحظ كتابا فى البغال مفردا عن كتاب الحيوان، قال فيه ما نصه : « نبدأ إن شاء الله بما وُصف الأشراف من شأن البغلة فى حسن سيرتها، وتمايم خلقتها، والأمور الدالة على السرف فى جوهرها، وعلى وجوه الارتفاق بها، وعلى تصرفها فى منافعها، وعلى خفة مؤوتتها فى التنقل فى أمكنتها وأزممنتها، ولم يكلف الأشراف بارتباطها مع كثرة ما يزعمون من عيوبها، ولم آثروها على ما هو أدوم طهارة خلق منها، وكيف ظهر فضلها مع النقص الذى هو فيها، وكيف آغثوا مكروه ما فيها لما وجدوا من خصال المحبوب فيها.

قال : ولقد كلف بارتباطها الأشراف حتى لُقّب بعضهم من أجل آشتهاره بها بـ «رَوَاضِ الْبِغَالِ» ، ولقبوا آخر بـ «عاشقِ البغل» . فبسط القول فى الترجمة ثم لم يأت من أخبار البغال بطائل، بل أقصر على حكايات وأستطرد منها إلى غيرها، على عادته فى مصنفاته . فكان مما حكاه من ذلك :

قال مسأمة بن عبد الملك : ما ركب الناس مثل بغلة طويلة العنان، قصيرة العذار، سَفَوَاءِ الْعُرْفِ^(١)، حَصَاءِ الذَّنْبِ^(٢) .

(١) السفاء (مقصورا) : خفة شعر الناصية، وهو يستحب فى البغال دون الخيل، والوصف للذكر منه أسفى . وفى استعمال «سفواء» منه للأنثى بهذا المعنى خلاف بين أئمة اللغة (راجع معاجم اللغة مادة سفى) .
(٢) حصاء الذنب : قليلة شعره .

قال : وكتب رَوْحُ بن عبد الملك إلى وكيل له : ابْغِني بغلةً حصاءَ الذنبِ ،
عظيمةَ المحزَمِ ، طويلةَ العُنُقِ ، سَوَاطِها عِنائُها ، وهواها إمامُها .

قال : وعاتب صفوان بن عبد الله بن الأَهمَمَ عبدَ الرحمن بن عباس بن ربيعة
ابن الحارث بن عبد المطلب في ركوب البغال ، وكان رَكَّاباً للبغلة ، فقال له : مالك
ولهذا المَرْكَبُ الذي لا يُدْرِكُ عليه الثار ، ولا يُنَجِّيكُ يومَ الفِرارِ ؟ ! فقال : إنها نَزَلَتْ
عن خِيَلِاءِ الخيلِ ، وارتفعتُ عن ذِلَّةِ العَيْرِ ، وخيرُ الأمور أوساطُها . فقال صفوان :
إنا نعلِّمُكم ، فإذا عَلِمْتُمْ تعلَّمنا منكم . وهو الذي يلقَّبُ ”رَوَّاضَ البِغالِ“ ، لِحَذِّقه
بركوبها ، ولشَغْفِهِ بها ، وحُسْنِ قيامه عليها . وكان يقول : أُرِيدُها واسعةَ الجفْرةِ ،
مُنْدَحَةَ السَّرَّةِ ، شديدةَ الغَلْوَةِ ، بعيدةَ الخَطْوَةِ ، لينةَ الظهرِ ، مَلَوِيَّةَ الرُّسْغِ ، سَفَوَاءَ
جَرْدَاءَ عُنُقَاءَ ، طويلةَ الأَنْقَاءِ .

قال : وقال ابن كُثَّامة : سمعتُ رجلاً يقول : إذا أَشْتَرَيْتَ بغلةً ، فاشْتَرِها
طويلةَ العُنُقِ ، تجده في نجائِها ، مُشْرِفةَ الهادِي ، تجده في طباعِها ، صَخْمَةَ الجوفِ ،
تجده في صَبَرِها .

قال : ولما خرج قَطَرِيٌّ بن الفُجَاءَةِ أحبَّ أن يجمع إلى رأيهِ رأيَ غيره ،
فَدَسَّ إلى الأَحْنَفِ بن قَيْسٍ رجلاً يُجْرِي ذَكَرَهُ في مجلسه ويحفظ عنه ما يقول ؛
فلما قعد قال الأحنف : أما إنهم إن جنبوا بناتِ الصَّهَّالِ ، وركبوا بناتِ النَّهَّاقِ ،
وَأَمَسُوا بِأَرْضٍ وَأَصْبَحُوا بِأَرْضٍ ، طال أمرُهم .

(١) كذا في مباحج الفكر . وفي الأصلين : «دكة» ، وهو تحريف . (٢) الجفرة : وسط

الفرس . وفي الأصلين : «الجفرة» بالخاء المهملة ، وهو تصحيف . (٣) مندحة : متسعة .

(٤) الغلوة : أمد جرى الفرس وشوطه . (٥) الأنقاء : العظام ذوات المنخ ، مفردُها نقوونق .

(٦) كذا في مباحج الفكر . وفي الأصلين : «نجدة» . (٧) يلاحظ أن المؤلف عقد هذا

الفصل للكلام في البغال ، وبنات الصهال الخيل ، وبنات النهاق الحمير ؛ وأما البغال فبنات الشَّحَّاج .

قال الجاحظ : فلا ترى صاحب الحرب يستغنى عن البغال ، كما لا ترى صاحب السلم يستغنى عنها ، وترى صاحب السفر كصاحب الحضر . انتهى كلام الجاحظ .

وحكى أن عبد الحميد الكاتب سائر مروان بن محمد الجعدي على بغلة ، فقال له : لقد طالت صحبة هذه الدابة لك ! ، فقال : يا أمير المؤمنين ، من بركة الدابة طول صحبتها . فقال : صفها ، فقال : همها إمامها ، وسوطها زمامها ، وما ضربت قط إلا ظلما .

وقال بعض الكتاب من رسالة : " قد اخترت لسيدى بغلة وثيقة الخلق ، لطيفة الخרט ، رشيقة القد ، موصوفة السير ، مميونة الطير ، مشرفة العنق ، كريمة النجار ، حميدة الآثار .

إن أدبرت قلت لا تليل لها * أو أقبلت قلت ما لها كفل
قد جمعت إلى حسن القميص ، سلامة الفصوص ،^(٢) فسميت قيد الأوابد ، وقرة عين الساهد ، تزي في أنطلاقها ، بالبروق في آتلاقها " .

قال البحتري يصف بغلا :

وأقب نهْد للصواهل شطره^(٣) * يوم الفخار وشطره للشحج^(٤)
نحرق يتيه على أبيه ويدعى * عصيبة لبني الضبيب وأعوج^(٥)

(١) يقال للهر إذا توجه لشيء من حسن السير : قد وصف ، معناه : أنه قد وصف المشى أى أجاده ، فالسير موصوف ، ومنه قول الشماخ :

إذا ما أدلجت وصفت يداها * لها الإدلاج إملة لا هجوع

يريد : أجادت السير (راجع لسان العرب مادة وصف) .

(٢) الفصوص من الفرس : مفاصل ركبتيه وأرساغه . (٣) الصواهل : الخيل . والشحج : البغال .

(٤) كذا في ديوانه (طبع مطبعة الجوائب ج ٢ ص ٢٠) . وفي الأصلين : « بنه » وهو تحريف .

(٥) كذا في ديوانه . والضبيب : فرس حسان بن حنظلة الطائي . وهو الذي كان حمل عليه كسرى

أبرويز حين انهزم من بهرام جو بين يوم النهران فنجا . وفيه يقول حسان :

=

مثل المذرع^(١) جاء بين عُمومة * في غافقي^(٢) وخؤولة للخزرج

وقال أبو الفرج الوأواء من قصيدة يشكر بعض أصحابه وقد أهدى له بغلة :

قد جاءت البغلة السَّفْواء^(٣) يَجْنِبُهَا * للبرق غيثٌ بدا ينهلُ ما طوره^(٤)

عَرِيقَةً ناسبتُ أحوالها فلها * بالعنق^(٥) من أكرم الجنسين فآخره

ملء الحزام وملء العين مسفرة * يريك غائبها في الحسن حاضره

أهدى لها الرّوض من أوصافه شية * خضراء ناضرة إن زال ناضره

ليست بأول حملانٍ شريت به * حمدي ولا هي ياذا الجود آخره

كم قد تقدّمها من ساج بيدي * عنائه وعلى الحوزا حوافره

وقال أبو المكارم بن عبد السلام :

كأنها النار في الحلفاء إن ركضت * كأنها السيل إن وافتك من جبل

كأنها الأرض إن قامت لمعتاف * كأنها الريح إن مرت على القل

ما يعرف الفكر منها منتهى حُضِر * ما صور الوهم فيها وضمة الكسل

إذا اقتعدت مطاها وهي ماشية * ثهلان تبصره في زى متقل

هذا ما آتفق إirاده من صفات البغال التي تقتضى المدح .

١٥ = تلافيت كسرى أن يضام ولم أكن * لأتركه في الخيل يعثر راجلا

بذلت له صدر الضبيب وقد بدت * مسومة من خيل ترك وكابلا

(انظر أنساب الخيل لابن الكلبي ص ٩٥ طبع بولاق) وفي الأصلين : « الصيب » بالصاد المهملة ،

وهو تصحيف . (١) المذرع : الذي أمه أشرف من أبيه . (٢) غافقي : قبيلة من الأزد .

(٣) في الأصلين : « أحوالها » بالخاء المهملة ، وهو تصحيف .

٢٠ (٤) في الأصلين : « العنق » بالنون ، وهو تصحيف .

(٥) الحملان : ما يحمل عليه من الدواب في الهبة خاصة .

فأما ما جاء في ذمها فالمثل المضروب في بغلة أبي دلامة . وقال أبو دلامة

في بغلته :

أبعد الخيل أركبها وراداً * وشقراً في الرِّعيل إلى القتال^(١)
 رزقتُ بغيلةً فيها وكالٌ^(٢) * وخيرُ خصالها فرطُ الوكال
 رأيتُ عيوبها كثرت وعالت * ولو أفنيت مجتهداً مقالي
 تقوم فما تريم إذا استحثت^(٣) * وترح باليمين وبالشمال
 رياضة جاهلٍ وعاليج سوء * من الأكراد أحبن ذى سعال^(٤)
 شتيم الوجه هلباج هدان^(٥) * نعوس يوم حل وأرتحال^(٦)
 فادبها بأخلاق سجاج * جزاه الله شراً عن عيالي
 فلما هددني ونفى رقادى * وطال لذاك همى واشتغالى
 أتيتُ بها الكأساة مستغيثاً^(٧) * أفكر دائباً كيف أحتيالى
 بعهدة سلعة ردت قديماً^(٨) * أطم بها على الداء العضال^(٩)

(١) الرعيل : القطعة المتقدمة من الخيل . (٢) الوكال : البطء والبلادة . (٣) فاطرم :

فاطرم مكانها . (٤) الأحن : العظيم البطن . وفي الأصلين : «أحن» بالجيم ، وهو تصحيف .

(٥) شتيم الوجه : كره الوجه قبيحه . (٦) الهلباج : الوحمة الأكل الشروب .

(٧) الهدان : الوحمة الثقيل في الحرب . (٨) الكأساة : اسم موضع بالكوفة .

(٩) في الأصلين : «ودت» بالواو ، وهو ظاهر التحريف . والعهد : الرجعة . وفي حديث عقبة

ابن عامر : عهد الرقيق ثلاثة أيام . هو أن يشتري الرقيق ولا يشترط البائع البراءة من العيب ، فما أصاب

المشتري من عيب في الأيام الثلاثة (وهي مدة الخيار في البيع) فهو من مال البائع ويرد إن شاء إلا بينة ، فإن

وجد به عيباً بعد الثلاثة فلا يرد إلا بينة . وطم الركبة : دفنها وسواها ، يريد به ستر هذا الداء وإخفاءه .

والمعنى كيف يحتمل في هذه السلعة التي ردت عليه قديماً بعد تجربتها والتي كان يرجع بها عليه المشتري عند

معاينة عيوبها ، فهو لذلك يود الخلاص منها بحيلة ليتخلص من هذا الداء العضال وهو ارتباط هذه البغلة

وصحبها .

- فبينما فكّرني في القوم تُسَدِّي * إذا ما سُمْتُ أُرِخْصُ أم أُنْغَالِي
 أتاني خائبٌ حَمِيقٌ شَقِيٌّ * قَدِيمٌ في الحَسَارَةِ والضَّلَالِ^(١)
 وراوَعَنِي لِيَخْلُوَ بِي خَدَاعًا * وَلَا يَدْرِي الشَّقِيُّ بَمَنْ يُخَالِي
 فقلتُ بأربعين فقال أحسن * فإن البيع مرتخصٌ وغالي
 فلما أبتاعها مِنِّي وَبُتَّتْ * له في البيع غير المستقال
 أخذتُ بثوبه وبرئتُ مما * أعدُّ عليك من شَنِيعِ الحِصَالِ
 برئتُ إليك من مَشِيشٍ قديمٍ * ومن جَرْدٍ وتَحْرِيقِ الجَلَالِ^(٢)
 ومن فَرَطِ الحِرَانِ ومن جَمَاحٍ * ومن ضعِفِ الأسافلِ والأُعَالِي
 ومن عَقَرِ اللسانِ ومن بِياضٍ * بناظرها ومن حلَّ الحِبَالِ
 وعَقَالٍ يُلَازِمُهَا شَدِيدٍ * ومن هَدَمِ المَعَالِفِ والرِّكَالِ^(٣)
 تَقَطَّعَ جِلْدَهَا جَرَبًا وَحَاكًا * إذا هَزِلَتْ وفي غير الهُزَالِ
 ومن شَدَّ العِضَاضَ ومن شَبَابٍ^(٤) * إذا ما هَمَّ صَحْبُكَ بِالرَّقَالِ^(٥)

(١) ورد هذا البيت والخمسة الأبيات التي بعده في الأغاني (ج ٩ ص ١٣٦ طبع بولاق) باختلاف في بعض الكلمات . ولم يذكر صاحب الأغاني غيرها من هذه القصيدة ، فرأينا إثباتها هنا إتماماً للفائدة :

- أتاني بغلة يسنام مني * عريق في الحسارة والضلال
 فقال تبعتها قلت ارتبطها * بحكمك إن بيعي غير غالي
 فأقبل ضاحكاً نحوي سرورا * وقال أراك سمحا ذا جمال
 هلم إليّ يخلو بي خداعا * وما يدري الشقي لمن يخال
 فقلت بأربعين فقال أحسن * إلى فإن مثلك ذو سجال
 فأترك خمسة منها لعلي * بما فيه يصير من الخبال

- (٢) المشش : ورم يأخذ في مقدّم عظم الوظيف أوباطن الساق في إنسيه .
 (٣) الجرد في الدواب : ورم في مؤخر عرقوب الفرس يعظم حتى يمنعه المشي والسعي .
 (٤) العقال : داء يأخذ في قوائم الدابة . (٥) الركال : أن يضرب برجله الأرض .
 (٦) يقال : برئت إليك من العضاض : إذا باع دابة وبرئ إلى مشتريها من عضها الناس .
 (٧) الشباب (بالكسر) : رفع الفرس يديه جميعا من الأرض .

وَأَقْطَفُ^(١) مِنْ دَيْبِ الذَّرْ مَشِيًّا * وَتَنْحَطُّ^(٢) مِنْ مُتَابَعَةِ السُّعَالِ
وَتَكْسِرُ سَرْجَهَا أَبَدًا شِمَاسًا^(٣) * وَتَسْقُطُ فِي الْوُحُولِ وَفِي الرِّمَالِ
وَيَهْزُلُهَا الْجَمَامُ^(٤) إِذَا خَصَبْنَا * وَيُذِيرُ ظَهْرَهَا مَسُّ الْجَلَالِ
تَظَلُّ لِرَكْبَةٍ مِنْهَا وَقِيدًا^(٥) * يُخَافُ عَلَيْكَ مِنْ وَرَمِ الطَّحَالِ
وَتَضْطَرُّ أَرْبَعِينَ إِذَا وَقَفْنَا * عَلَى أَهْلِ الْمَجَالِسِ لِلسُّؤَالِ
فَتُخْرِسُ مَنْطِقِي وَتُحَوِّلُ بَنِي * وَبَيْنَ كَلَامِهِمْ مِمَّا تُؤَالِي
وَقَدْ أَعَيْتُ سِيَاسَتَهَا الْمُكَارِي * وَبَيَّطَارًا يُعَقِّلُ بِالشَّكَالِ
حَرُونَ حِينَ تَرْكَبُهَا لِحُضِرٍ * جَمُوحٌ حِينَ تَعْزِمُ لِلتَّرَالِ
وَذُبٌّ حِينَ تُدْنِيهَا لَسَرْجٍ * وَلَيْثٌ عِنْدَ خَشْخَشَةِ الْمَخَالِ
وَفَيْلٌ إِنْ أَرَدْتَ بِهَا بُكُورًا * خَدُولٌ عِنْدَ حَاجَاتِ الرِّجَالِ
وَأَلْفُ عَصَا وَسَوْطٍ أَصْبَحِي^(٦) * أَلَذُّ لَهَا مِنَ الشَّرْبِ الزُّلَالِ
وَتُصْعَقُ مِنْ صِيَاحِ الدَّيْكِ شَهْرًا * وَتُدْعَرُ لِلصَّافِرِ وَلِلنَّيَالِ
إِذَا اسْتَعْجَلَتْهَا رَاثٌ وَبَالَتْ * وَقَامَتْ سَاعَةً عِنْدَ الْمَبَالِ^(٧)
وَمِثْفَارٌ تَقْدَمُ كُلُّ سَرْجٍ * تَصِيرُ دَفَّتِيهِ عَلَى الْقَذَالِ^(٨)

(١) القَطُوفُ مِنَ الدُّوَابِّ : الْبَطِيُّ السَّيْرِ . (٢) النَحْطُ : صَوْتُ الْخَيْلِ مِنَ الثَّقَلِ وَالْإِعْيَاءِ .

(٣) يُقَالُ : شَمِسَتِ الدَّابَّةُ إِذَا شَرِدَتْ وَجَحَّتْ . (٤) الْجَمَامُ (بِالْفَتْحِ) : الرَّاحَةُ . يُقَالُ :

جَمُ الْفَرَسِ يَجْمُ : إِذَا تَرَكَ فَلَمْ يَرْكَبْ فَعَفَا مِنْ تَعَبِهِ وَذَهَبَ إِعْيَاؤُهُ . (٥) الْوَقِيدُ : الشَّدِيدُ الْمَرَضُ .

(٦) نِسْبَةٌ إِلَى ذِي أَصْبَحٍ : مَلِكٌ مِنْ مَلُوكِ حَمِيرَ ، وَإِلَيْهِ تَنْسَبُ السِّبَاطُ الْأَصْبَحِيَّةُ .

(٧) كَذَا فِي مَبَاهِجِ الْفِكْرِ الَّذِي أَوْرَدَ مُؤَلِّفُهُ مِنْ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ بَعْضَ أَبْيَاتِ اخْتَارَهَا . وَقَدْ وَرَدَ

هَذَا الْبَيْتُ فِي الْأَصْلَيْنِ هَكَذَا :

إِذَا اسْتَعْجَلَتْهَا عَثْرَتْ وَقَامَتْ * سَاعَةً عِنْدَ الْمَبَالِ

(٨) الْمِثْفَارُ : الدَّابَّةُ تَرْمِي بِسَرْجِهَا إِلَى الْوَرَاءِ . وَفِي الْأَصْلَيْنِ : «مِثْفَارٌ» وَهُوَ تَصْحِيفٌ ، وَيُرِيدُ

الشَّاعِرُ بَوَصْفِهَا بِأَنَّهَا تَقْدَمُ كُلُّ سَرْجٍ التَّهْكُمُ . (٩) الْقَذَالُ : جَمَاعٌ مَوْخَرُ الرَّأْسِ ، وَفِيهِ مَعَانٍ أُخْرَى .

وتَحْفَى في الوقوف إذا أَقْنَا * كما تَحْفَى البغال من الكلال
ولو جَمَعْتَ من هنا وهنا * من الأتبان أمثال الجبال
فإنك لست عالفها ثلاثاً * وعندك منه عودٌ للخلال
وكانت قارحاً أيام كسرى * وتذكر تبعاً قبل الفصال^(٢)
وقد قرحت ولقمان فطيمٌ * وذو الأكتاف^(٣) في الحجج الخوالي
وقد أبلى بها قرنٌ وقرنٌ * وآخر يومها لهلاك مالي
فأبداني بها يا ربَّ بغلاً * يزين جمال مركبه جمالي
كريمٌ حين ينسب والداه * إلى كرم المناسب في البغال

وقال القاضي بهاء الدين زهير الكاتب :

١٠ لك يا صديق بغلةٌ * ليست تُساوى نردلةً
مقدار خطوتها الطويد * لمة حين تُسرع أنملةً
ومُخال مُدبرةٌ إذا * ما أقبلت مستعجلةً
تمشي فتحسبها العيو * نٌ على الطريق مشكّلةً
تهترٌ وهي مكانها * فكأنما هي زلزلةً

٧٥

١٥ (١) القارح من ذى الحافر : الذى شق نابه وطلع ، وهو بمنزلة البازل من الإبل .

(٢) الفصال : القطام من الرضاع .

(٣) ذو الأكتاف : ملك من ملوك الفرس وأسمه سابور بن هرمز ، مات أبوه وهو حمل ، فعقد
الناج على بطن أمه يرتقبون ولادته رجاء أن يكون ذكراً ، وإنما سمي ذا الأكتاف لأنه كان مشتهراً بعلم
الكتف فيما يقال . وقيل : خرج عليه قوم من العرب فبار اليهم ونزع أكتافهم فسمى به . (راجع ما يعول
عليه في المضاف والمضاف إليه) .

٢٠

ذكر ما قيل في الحمر الأهلية

قال المتكلمون في طبائع الحيوان : إن الحمار لا يولد له قبل أن تتم له ثلاث سنين ونصف . قالوا : والحمار إذا شم رائحة الأسد رمى بنفسه عليه لشدة خوفه منه . ولذلك قال أبو تمام [يخاطب عبد الصمد بن المعدل وقد هجاه] :

أقدمت ويلك من هجوى على خطر * والعير يقدم من خوف على الأسد

والحمار يوصف بحدة حاسة السمع . وهو إذا نهق أضرب بالكلب ؛ قالوا : حتى إنه يحدث له مغسا^(٢) ، فلذلك يطول نباحه . والبرد يضر الحمار ويؤذيه ؛ ولهذا لا يوجد في بلاد الصقالبة . وقال الجاحظ : وحلف أحمد بن العزيز أن الحمار ما ينام . فقيل له : ولم ذلك ؟ قال : لأني أجد صياحه ليس بصياح من نام وأنتبه في تلك الساعة ، ولا هو صياح من يريد أن ينام بعد أنقضاء صياحه .

وأجود الحمير المصرية . وأهل مصر يعتنون بتربيتها ، ويحتفلون بأمرها ويسابقون عليها ، ويسمون مكان سباقها "الطابق" . والجيد منها يباع بالثمن الكثير . نقل صاحب كتاب مباحج الفكر ومناهج العبر في كتابه قال : لقد بيع منها حمار بمائة دينار وعشرة دنانير . وأما الذي رأيناه نحن منها فأبيع بألف درهم ، وربما زاد بعضها على ألف . وكثير من أهل مصر يركبونها ويتركون الخيل والبغال . فمن ركبها من الأعيان مع وجود القدرة والإمكان على ركوب الخيل والبغال ، يقصد بذلك التواضع وعدم الكبرياء . ومن إركبها من ذوى الأموال وترك الخيل والبغال

(١) الزيادة عن حياة الحيوان للدميري (ج ١ ص ١٩٧ طبع بولاق) .

(٢) المغس : لغة في المغص بالصاد . (٣) من أباع بزيادة الألف وهي لغة في باع وردت

عن ابن القطاع كما في المصباح المنير . وربما كان من أباعه إذا عرضه للبيع . قال الهمداني :

فرضيت آلاء الكمية فن بيع * فرسا فليس جوادنا بمبيع

ربما يفعل ذلك توفيراً لماله وِضْنَةً به . وَمَنْ ركبها من الشباب والسُّوقَة يقصِد
بذلك التزّه عليها لفراحتها وسرعة مشيتها .

وقد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم حمارٌ من حمير مصر اسمه "يَعْفُور" .
وقيل : "عُفَيْر" ؛ أهداه له الْمُقَوِّس صاحب الإسكندرية مع ما أهدى . وقد
ورد أيضاً في الحديث أنه كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم حماران : "يَعْفُور" .
و "عُفَيْر" . فأما "عُفَيْر" فأهداه له المقوقس . وأما "يَعْفُور" فأهداه له فروة
ابن عمرو الجذامي . ويقال : إنّ حمار المقوقس "يَعْفُور" وحمار فروة "عُفَيْر" .

قال الواقدي : مات "يعفور" عند مُنْصَرَفِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم من حِجَّة
الوداع . وذكر السَّهَيْلِيُّ^(١) : أن "يعفورا" طرح نفسه في بئر يوم مات النبي صلى الله
عليه وسلم فمات . وذكر ابن فُورَك^(٢) [في كتاب الفصول] أنه كان في مَغَافِمِ خَيْبَر^(٣) ،
وأَنَّهُ كَلَّمَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم وقال : يا رسول الله ، أنا زياد بن شهاب ، وقد كان^(٤)

(١) هو الامام أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن الخطيب الخشعمي ثم السهيلي مؤلف كتاب

«الروض الأنف» . ولد بمدينة مالقة سنة ٥٠٨ هـ وتوفي بمراكش في شعبان سنة ٥٨١ هـ

(٢) هو الأستاذ أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك المتكلم الأصولي النحوي الواعظ الأصبهاني المتوفى

سنة ٤٠٦ هـ . أقام بالعراق مدة يدرس العلم ، ثم توجه الى الرى فسعت به المبتدعة ، فراسله أهل نيسابور
والتمسوا منه التوجه اليهم ففعل ، وورد نيسابور فبنى له بها مدرسة وداراً وأحيا الله تعالى به أنواعاً من
العلوم . (راجع ترجمته في تاريخ ابن خلكان ج ١ ص ٦٨٧ طبع بولاق) .

(٣) الزيادة عن كتاب فضل الخيل للديلماطي . (٤) قال في المواهب اللدنية وشرحها للزرقاني

في كتاب معجزات النبي صلى الله عليه وسلم وخصائصه (ج ٥ ص ١٧٥ طبع بولاق) بعد أن ذكر هذا الخبر
بتفصيل : لكن هذا الحديث مطعون فيه . أخرجه ابن حبان في الضعفاء وقال : لا أصل له وليس سنده
بشيء . وقال أبو موسى المديني : هذا حديث منكر جداً إسناداً ومثلاً لا أحل لأحد أن يرويه عنى إلا مع
كلامى عليه . وذكره ابن الجوزي في الموضوعات . وتعقب بأنه شديد الضعف فقط كما قال في الإصابة :
إسناده واه لا موضوع . (٥) في المواهب اللدنية : «يزيد» .

في آباء ستون حماراً كلهم ركبهم نبي^(١)، فأركبني أنت . وزاد الجويني^(٢) في كتاب الشامل : أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد أحداً من أصحابه أرسل هذا الحمار إليه ؛ فيذهب حتى يضرب برأسه الباب ؛ فيخرج ذلك الرجل ، فيعلم أنه أرسل إليه ، فيأتي النبي صلى الله عليه وسلم .

وفي الحمار منافع طيبة^(٣) ذكرها الشيخ الرئيس أبو علي بن سينا ، قال : رماد كبد الحمار بالزيت ينفع من الخنازير^(٤) ، قال : ويبرئ من الجذام . وهذا دواء رخيص إن صح . قال : وكبده مشوية على الرقيق تنفع من علة الصرع . قال : والمكروز من اليبوسة يجلس في مرقعة لحمه . وقيل : إن بوله نافع من وجع الكلى . قال : وبول الحمار الوحشي يفتت الحصاة في المثانة .

ذكر ما يتمثل به مما فيه ذكر الحمار

تقول العرب : « العير أوفى لدمه »^(٦) . وقالوا : « نجى عيراً سمته »^(٧) . وقالوا :

(١) قال في شرح المواهب اللدنية : « عبر بكلهم بميم الجمع الموضوعة للعقلاء تشبيها لأصوله بالعقلاء . لشرفهم بركوب الأنبياء لهم » اه . (٢) هو إمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله الجويني المتوفى سنة ٤٧٨ هـ . كان أعلم المتأخرين من أصحاب الإمام الشافعي على الإطلاق ، مجمع على إمامته ، متفق على غزارة مادته وتفنته في العلوم من الأصول والفروع والأدب وغير ذلك . وله عدة مؤلفات ، منها كتابه الشامل في أصول الدين . والجويني : نسبة إلى جوين ، وهي ناحية كبيرة من نواحي نيسابور .

(٣) في الأصلين « طيبة » بتقديم الياء المثناة من تحت على الباء الموحدة وهو تصحيف .

(٤) الخنازير : علة معروفة وهي قروح صلبة تحدث في الرقبة .

(٥) المكروز : من أصابه الكزاز ، وهو تشنج يصيب الإنسان من البرد الشديد أو من خروج دم كثير .

(٦) كذا في مجمع الأمثال للبدائي (ج ١ ص ٤٠١ طبع بولاق) . وقال : يضرب للوصوف بالحدز ؛ وذلك أنه ليس شيء من الصيد يحذر حذر العير إذا طلب . ويقال : هذا المثل لزرقاء الإمامة ، وذلك أنها نظرت جيش العدو على بعد مغيرا على قومها ، فحذرتهم فلم يستمعوا لها ، فنفر حمار ، فقالت : « العير أوفى لدمه من راع في غنمه » فذهبت مثلاً . وفي الأصلين : « أوفى لدمه » وهو تصحيف .

(٧) في مجمع الأمثال للبدائي (ج ٢ ص ٢٤٤) : « قال أبو زيد : زعموا أن حمرا كانت هزلي فهلك في جذب ونجا منها حمار كان سمينا فضرب به المثل في الحزم قبل وقوع الأمر ، أي انج قبل ألا تقدر على ذلك . ويضرب لمن خلصه ماله من مكروه » اه .

«المجش إذا فاتك الأعيار»^(١) . وقالوا : «أصح من عير أبي سيارة»^(٢) ؛ لأنه كان دفع بأهل الموسم على ذلك العير أربعين عاما . وقالوا : «إن ذهب عير فعير في الرباط»^(٣) . وقالوا : «العير يضرب والمكواة في النار»^(٤) . وقالوا : «حمار يحمل سفرا»^(٥) .

(٧٦)

ومن أنصاف الأبيات :
 وَمَعِينُ التَّارِخِ جَرُوبُ
 * وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الْعَيْرِ وَالنَّزْوَانِ *^(٥)
 لَأَهْلِ التَّارِخِ

(١) في مجمع الأمثال للبدائي : « ... لما فاتك ... » يضرب في قناعة الرجل ببعض حاجته دون بعض . ونصب المجش بفعل مضمر ، أى اطلب المجش .
 (٢) كذا في مجمع الأمثال للبدائي . وفي الأصلين : «أصبر» . وأبو سيارة رجل من بني عدوان اسمه عميلة بن خالد بن الأعزل ، وكان له حمار أسود ، أجاز الناس عليه من المزدلفة الى منى أربعين سنة .

(٣) الرباط هنا : حبال الصائد . يقال للصائد : ان ذهب عير فلم يعلق في الحباله فاقتصر على ما علق . يضرب في الرضا بالحاضر وترك الغائب .

(٤) الذي في مجمع الأمثال : « قد يضرب العير ... الخ » قاله عرفة بن عريفة الهزاني سيد بني هزان في رجلين أمر بقتلهما من بني عكل في حرب كانت بينهما ، فلما تقدم أحد الرجلين ليقتل جعل الآخر يضرب ، يضرب للرجل يخاف الأمر فيجزع قبل وقوعه فيه . (راجع الكلام عليه مفصلا في مجمع الأمثال ج ٢ ص ٣٥) .

(٥) أول من قال ذلك صخر بن عمرو أخو الخنساء حين ملته امرأته وكان يكرمها وقد لبث حولا مريضا . وهو من قصيدة مطلعها :

أرى أم صخر لا تمل عيادتي * وملت سليمي مضجعي ومكاني

وصدر البيت : * أم بأمر الحزم لو أستطيعه *

(راجع الكلام عليه مفصلا في مجمع الأمثال للبدائي ج ٢ ص ٣٦) .

١٠

١٥

٢٠

ذكر شيء مما وصفت به الحمير على طريق المدح والذم
 قال أبو العيْناء لبعض سماسرة الحمير : ^(١) اشتر لي حماراً لا بالطويل اللّاحق ،
 ولا بالقصير اللّاصق ؛ إن خلا الطريق تدقق ، وإن كثّر الزحام ترفق ؛ لا يصادم بي
 السّوّارى ، ولا يدخل تحت البوّارى ؛ ^(٢) إن كثرت علفه شكر ، وإن قلّته صبر ؛ وإن
 ركبته هام ، وإن ركبته غيرى قام . فقال له السمسار : ^(٣) إن مسح الله بعض قضائنا
 حماراً أصبت حاجتك ، وإلا فليست موجودة .

قيل للفضل الرّقاشي : إنك لتؤثر الحمير على جميع الدواب ؛ قال : لأنها أرفق
 وأوفق ؛ قيل : ولم ذاك ؟ قال : لأنها لا تستبدل بالمكان ، على طول الزمان ؛ ثم قال :
 هي أقل داءً ، وأيسر دواءً ، وأخف مضى مهوى ، وأسلم صرعاً ؛ وأقل جماحاً ، وأشهر
 فرهاً ، وأقل بطراً ؛ يزهي راكبه وقد تواضع بركوبه ؛ ويعتد مقتصدًا وقد أسرف
 في ثمنه .

وقال أحمد بن طاهر يصف حماراً :

شية كأن الشمس فيها أشرقت * وأضاء فيها البدر عند تمامه
 وكأنه من تحت راكبه إذا * ما لاح ، برق لاح تحت غمامه
 ظهر جكري الماء لين ركوبه * في حالتي إتعابه وجمامه
 سفهت يده على الثرى فتلاعبت * في جريه بسهوله وإكامه

(١) هو أبو عبد الله محمد بن القاسم بن خلاد الضرير مولى أبي جعفر المنصور ، صاحب النوادر والشعر والأدب ، كان ظريفاً ماجناً . انظر ترجمته في ابن خلكان (ج ١ ص ٧١٩ طبع بولاق) .

(٢) البوّارى : جمع بارية (فارسي معرب) ، وهي الحصير المنسوج من القصب . ولعله يريد بالبوّارى هنا مظلات كانت تصنع من الحصر وتثبت الى وجوه الحوانيت أو أخرى تنشر على السوارى في الأسواق .
 يريد حماراً يسلك به وسط الطريق . ويتجنب السير تحت هذه البوّارى حتى لا تصادمه وهو راكب عليه .
 (٣) قام : وقف . (٤) في الأصلين : « صريعا » .

عن حافِرٍ كالصَّخْرِ إِلَّا أَنَّهُ * أَقْوَى وَأَصْلَبُ مِنْهُ فِي أَسْتَحْكَامِهِ
 مَا الْخَيْزُرَانُ إِذَا أَنْثَتْ أَعْطَافُهُ * فِي لَيْنٍ مَعْطِفِهِ وَلَيْنٍ عِظَامِهِ
 عَنْقٌ يَطْوُلُ بِهَا فَضُولَ عِنَانِهِ * وَمَحْزَمٌ يَغْتَالُ فَضْلَ حِرَامِهِ
 وَكَأَنَّهُ بِالرَّيْحِ مُتَّعِلٌ، وَمَا * جَرَى الرِّيحَ بِجَرِيهِ وَدَوَامِهِ
 أَخَذَ الْحَاسِنَ آمِنًا مِنْ عَيْنِهِ ^(١) * وَحَوَى الْكَمَالَ مُبْرَأً مِنْ ذَامِهِ ^(٢)

وقال آخر :

لَا تَنْتَظِرَنَّ إِلَى هُزَالِ حِمَارِي * وَأَنْظُرْ إِلَى مَجْرَاهُ فِي الْأَخْطَارِ ^(٣)
 مُتَوَقِّدٌ جَعَلَ الذِّكَاءَ إِمَامَهُ * فَكَأَنَّمَا هُوَ شُعْلَةٌ مِنْ نَارِ
 عَادَتْ عَلَيْهِ الرِّيحُ عِنْدَ هُبُوبِهَا * فَكَأَنَّهُ رِيحَ الدَّبُورِ يَبَارِي

هذا ما ورد في مدحها .



وَأَمَّا مَا جَاءَ فِيهَا عَلَى سَبِيلِ الذَّمِّ — فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ : «أَضَلُّ مِنْ
 حِمَارِ أَهْلِهِ» . وَقَوْلُهُمْ : أَخْرَى ^(٤) اللَّهُ الْحِمَارَ مَالًا ، لَا يُزَكِّي وَلَا يُذَكِّي . وَمِنْهُ قَوْلُ
 جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ : لَا تَرْكَبْ حِمَارًا ، فَإِنَّهُ إِنْ كَانَ حَدِيدًا أَتَعَبَ يَدَيْكَ ^(٦) ، وَإِنْ كَانَ
 بَلِيدًا أَتَعَبَ رِجْلَيْكَ ^(٥) .

- (١) فِي الْأَصْلَيْنِ : «عَيْنُهُ» بِالنُّونِ ، وَهُوَ تَصْخِيفٌ . (٢) الذَّامُ : الْعَيْبُ وَالذَّمُّ . فَعْلُهُ : ذَامَ يَذِمُّ .
 (٣) كَذَا فِي مَبَاهِجِ الْفِكْرِ . وَالْأَخْطَارُ : جَمْعُ خَطَرٍ وَهُوَ مَا يَتَرَاهُنْ عَلَيْهِ . وَفِي الْأَصْلَيْنِ : «الْإِحْضَارُ» .
 (٤) وَرَدَ فِي مَبَاهِجِ الْفِكْرِ مَا نَصَّهُ : «سَأَلْتُ أَعْرَابِيَّةً عَنْهُ فَقَالَتْ : لَعَنَهُ اللَّهُ لَا يَذَكِّي وَلَا يُزَكِّي ،
 وَإِنْ أَطْلَقْتَهُ وَلَّى ، وَإِنْ رُبَطَتْهُ أَدْلَى ؛ عَظِيمُ الْحَرَارَةِ ، بَطِيءُ الْغَارَةِ ؛ لَا تَرْفَأُ بِهِ الدَّمَاءُ ، وَلَا تَمْهَرُ بِهِ النِّسَاءُ ،
 وَلَا يَحْلُبُ فِي الْإِنَاءِ» . (٥) فِي مَبَاهِجِ الْفِكْرِ : «جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ» . (٦) فِي مَبَاهِجِ الْفِكْرِ :
 «فَارَهَا» . (٧) كَذَا فِي مَبَاهِجِ الْفِكْرِ . وَفِي الْأَصْلَيْنِ : «بَدَنُكَ» ، وَهُوَ تَصْخِيفٌ .

والمثلُ مضروبٌ في الحمير المهزولة بحمار طيّاب^(١) ، كما يُضرب المثلُ ببغلة
أبي دلامة .

قال شاعر :

وحمارٍ بكتٍ عليه الحميرُ * دقّ حتى به الرياحُ تطيرُ
كانَ فيما مضى يسيرٌ بضعفٍ * وهو اليومَ واقفٌ لا يسيرُ
كيف يمشي وليس شيءٌ يراه * وهو شيخٌ من الحميرِ كبيرُ
لمَحَ القَتَّ مرّةً فتَغَنَّى * بحنينٍ وفي الفؤادِ زفيرُ :
« ليس لي منك يا ظلومُ نصيبٌ * أنا عبدُ الهوى وأنتَ أميرُ »

وقال خالد الكاتب^(٤) :

وقائلٍ إن حمارى غداً * يمشى إذا صوّبَ أو أصعدا
فقلتُ لكنّ حمارى إذا * أحثّته لا يلحقُ المقعدا
يستعذبُ الضربَ فإن زدتُه * كاد من اللذة أن يرقدا
وقال أبو الحسين الجزار^(٥) :

هذا حمارى في الحمير حمارُ * في كل خطو كبوّة وعشارُ

(١) هو طيّاب السقاء ، شاعر . وله مقاطيع مشهورة في حماره القديم الصعبة الشديد الهزال . (انظر شرح
القاموس مادة طيب) . (٢) رواية مباحج الفكر : * كيف يمشى وليس يعلف شيئا *
(٣) القَت : علف الدواب . (٤) هو خالد بن يزيد ويكنى أبا الهيثم ، من أهل بغداد ،
وأصله من خراسان . وكان أحد كتاب الجيش ، ووسوس في آخر عمره . (انظر ترجمته في الأغاني ج ٢١
ص ٤٥ — ٥٤ طبع ليدن) . (٥) هو أبو الحسين يحيى بن عبد العظيم الجزار المصري ، ختمت
به دولة شعراء الفسطاط . كان في أول أمره قصابا مثل أبيه وقومه ، ثم اشتغل بالأدب والشعر ففاق
أهل عصره وكان ممتعا بالحياة في سنة ٦٤٦ هـ . ونزل ضيفا عليه ابن سعيد المغربي المؤرخ المشهور فأكرم
مثواه ، وأفرد له ترجمة وافية وأثنى عليه ثناء جميلا في كتابه « المشرق في محاسن أهل المشرق » واختار له
من شعره جملة صالحة مما أورده في ديوانه المسمى : « تقطيف الجزار » وذكره أيضا ابن شاعر الكندي
في الجزء الثاني من كتابه فوات الوفيات (ص ٣٩٨ طبع بولاق سنة ١٢٨٣ هـ) .

قِنْطَارُ تِبْنٍ فِي حَشَاهُ شَعِيرَةٌ * وَشَعِيرَةٌ فِي ظَهْرِهِ قِنْطَارُ

ولما مات حمار هذا الشاعر دأبه شعراء عصره بمراث وهزليات ؛ فقال

بعضهم :

مات حمارُ الأديبِ قلتُ قَضَى * وفات من أمره الذي فاتا

مات وقد خَلَفَ الأديبَ وَمَنْ * خَلَفَ مَثَلَ الأديبِ ما ماتا

ونحو هذين البيتين قولُ الآخر :

قال حمارُ الحكيمِ تَوْماً^(١) * لو أنصفوني لكنتُ أَرْكَبُ

لأُتْنِي جَاهِلٌ بِسَيْطٍ * وصاحبي جاهلٌ مُرَكَّبٌ^(٢)

وكتب أبو الحسن بن نصر الكاتب إلى صديق له اشترى حماراً ، يدأبه .

قال من رسالة : « قد عرفت — أبقاك الله — حين وجدت من سكرة الأيام

إفاقه ، وآنست من وجهها العبوس طلاقه ؛ [كيف]^(٤) أجبته داعي همتك ،

وأطعت أمر مرؤءتك ؛ فسُِررت بكمون هذه المنقبة التي أضمرها الإعدام ، ونمّ

على كريم سرّها الإمكان ؛ وأستدلت^(٥) منها على خبايا فضل ، وتنبّهت منها على مزايا

نُبْل ؛ كانت مأسورة في قبضة الإعسار ، وكاسفة عن سُدفة الإقتار ؛ وقلت : أيُّ

(١) هو طيب يتمثل بحماره في الجهل . وقيل فيه :

إليه بالجهل راح يوماً * مثل حمار الطيب توما

(انظر المضاف والمضاف إليه في حرف الحاء) . (٢) في أ : « جهله » .

(٣) لم نوفق الى مصدر آخر لهذه الرسالة ، وقد صححنا ما صححناه منها اعتماداً على الذوق فيما يقتضيه

السياق ونبها على ذلك في مواضعه . (٤) هذه الكلمة ساقطة في الأصلين والسياق يقتضيها .

(٥) في الأصلين : « استدلك » . (٦) السدفة (بالفتح ويضم في لغة بني تميم) : الظلمة ، وفي لغة

قيس الضوء . وحكى الجوهري عن الأصمعي أنها في لغة نجد الظلمة وفي لغة غيرهم الضوء ، وهو من

الأضداد . والمراد هنا الظلمة .

قَدِّمَ أَحَقَّ بُولُوجِ الرَّكْبِ مِنْ قَدَمَيْهِ ، وَحَازِ أُولَى بَبُطُونِ الْقُبِّ مِنْ حَازِيهِ ؛ وَأَيُّ
 أَنَامِلَ أَبْهَى مِنْ أَنَامِلِهِ إِذَا تَصَرَّفَتْ فِي الْأَعْنَةِ يَسْرَاهَا ، وَتَحْتَمَّتْ بِالْمَخَاصِرِ يُمْنَاهَا ؛
 وَكَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ الْخُلُقُ الْعَظِيمُ ، وَالْوَجْهُ الْوَسِيمُ ؛ وَقَدْ بَهَرَ جَالِسًا ، إِذَا طَلَعَ فَارِسًا ! .
 ثُمَّ أَتَهَمْتُ^(٤) آمَالِي بِالْغُلُوِّ فِيكَ ، وَأَسْتَبَعْدْتُ مَنَاقِضَةَ الزَّمَانِ بِإِنْصَافٍ مَعَالِيكَ ؛
 فَقَبِضْتُ مَا أَنْبَسَطَ مِنْ عَنَانِهَا ، وَأَنْحَدْتُ مَا أَشْتَعَلَ مِنْ نِيرَانِهَا ؛ حَتَّى وَقَفْتُ عَلَى
 صَحِيحَةِ الشُّكِّ . أَرْجُو عُلُوَّ هَمَّتِكَ بِحَسَنِ اخْتِيَارِكَ ، وَأَخْشَى مَنَافِسَةَ الْأَيَّامِ فِي دَرْكِ
 أَوْتَاطِرِكَ ؛ فَإِنَّهَا كَالظَّانَّةِ فِي وَلَدِهَا ، وَالْمَجَادِبَةِ بِالسُّوءِ فِي وَاحِدِهَا ؛ يُدْنِي الْأَمْلُ
 مَسَازِرَهَا ، وَيُرْجِي الْقَلْقَ حِذَارَهَا ؛ حَتَّى أَتْنَا الْأَنْبَاءُ تَنْعَى رَأْيَكَ الْفَائِلَ^(٥) ، وَتَقْلُ^(٦)
 عَزَمَكَ الْآفِلَ ؛ بِوُقُوعِ اخْتِيَارِكَ عَلَى فَاضِحِ صَاحِبِهِ ، وَمُسْلِمِ رَاكِبِهِ ؛ الْجَامِدِ فِي حَلْبَةِ^(٧)
 الْجِيَادِ ، وَالْحَازِقِ بِالْحِرَانِ وَالْكِيَادِ ؛ السُّومِ دَيْنَهُ وَدَأْبَهُ ، وَالْبِلَادَةِ طَبِيعَتَهُ وَشَأْنَهُ ؛
 لَا يُصْلِحُهُ التَّادِيْبُ ، وَلَا تُقَرِّعُ لَهُ الظَّنَّابِيْبُ ؛ إِنْ لَحَظَ عَيْرًا نَهَقَ ، أَوْ لَمَحَ أَتَانًا شَبِقَ ،
 أَوْ وَجَدَ رَوْنًا شَمَّ وَأَنْتَشَقَ ؛ فَكَمْ هَشَمَ سِنًا لَصَاحِبِهِ ، وَكَمْ سَعَطَ أَنْفَ رَاكِبِهِ ؛ وَكَمْ
 أَسْتَرَدَّهُ خَائِفًا فَلَمْ يَرُدُّدْهُ ، وَكَمْ رَامَهُ خَاطِبًا فَلَمْ يُسْعِدْهُ ؛ يَعَجَلُ إِنْ أَحَبَّ الْأُنَاةَ وَالْإِبْطَاءَ ،

- (١) الحاذ: واحد الحاذين وهما لمتان في ظاهر الفخذين تكونان في الانسان وغيره . وفي الأصلين :
 « حاد ... حاديه » وهو تصحيف . (٢) القب : جمع أقب وقباء وهو الدقيق الخصر الضامر
 البطن من الخيل . (٣) كذا في الأصلين . ولعله : « تحكمت » . (٤) في الأصلين :
 « أتهمت » . (٥) الرأي الفائل : الخاطي الضعيف . فعله : قال يفيل . (٦) في الأصلين :
 « تثل » بالثاء المثناة . (٧) في الأصلين : « ناضح » بالنون ، وهو تحريف . (٨) الحران
 وكذلك الحرون : كلاهما مصدر لحرنت الدابة إذا وقفت ولم تنقد . وفي الأصلين : « بالحرن » ، وهو تحريف .
 (٩) الكياد : المكر والخبيث . وفي الأصلين : « الكباد » (بالباء الموحدة) وهو تصحيف .
 (١٠) في الأصلين : « الشؤم » . (١١) الظنابيب : جمع ظنبوب وهو حرف الساق
 من قدم ، وقيل : عظمه اليابس من قدم ، وقيل : حرف عظمه . وقرع الظنبوب : أن يقرع الرجل
 ظنبوب راحلته بعصاه إذا أناخها ليركبها ركوب الجاذ المسرع إلى الشيء .

ويرسخ إن حاول الحث^(١) والنَّجَاءُ، مطبوعٌ على الكَيْدِ والخِلافِ، موضوع للضَّعَةِ
والاستِخفافِ، عزيزٌ حتى تُهَيِّنَهُ السَّيَّاطُ، كسولٌ ولو أَبْطَرَهُ النَّشَاطُ^(٢)، ما عَرَفَ
في النَّجَابَةِ أبا، ولا أفاد من الوَعْيِ أدباً، الطالبُ به محصور، والهارِبُ عليه مأسور،
والمتمطى له راجل، والمستعلي بذروته نازل، له من الأخلاق أسوأها، ومن الأسماء
أشنؤها، ومن الأذهان أصدؤها، ومن القُدود أحقرها، تجحده المراكب، وتجهله
المواكب، وتعرفه ظهورُ السَّوَابِكِ^(٣)، وتألفه سَبَاطَاتُ الْمَبَارِكِ^(٤). والله الموفق .

(١) في الأصلين : « الحديث » ولا معنى له .

(٢) في الأصلين : « بطره » .

(٣) كذا في الأصلين ولم نتبين المراد منها .

(٤) السبابة : الموضع الذي يرمى فيه التراب والأوساخ وما يكنس من المنازل ، وقيل : هي الكاسة
نفسها . وفي الأصلين : « سياطات » بالياء المثناة من تحت ، وهو تصحيف .



الباب الثالث من القسم الثالث من القرن الثالث في الإبل والبقر والغنم

ذكر ما قيل في الإبل

الإبل جمع لا واحد لها من لفظها . والدَّكَر منها جَمَل ، والأُنْثَى ناقة . والبعير يقع عليهما . ودليل ذلك قول بعض الشعراء :

لا تَسْتَهِي لَبَنَ البعير وعندنا * عَرَقُ الزُّجاجة واكفُ المعصار^(٣)

والإبل من منن الله الجسيمة على خلقه ، ومما منحهم به من إرفاقه ورزقه . قال الله تعالى : ﴿ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ . وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ . وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بِالْغِيَةِ إِلَّا لِيَشِيقَ الْأَنفُسُ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ . وقال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ . وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ . وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾ .

ولنذكر ما جاء من لغة العرب في الإبل من تسميتها من حين تُولد إلى أن تنتهي سِنُّها ، وأسماء ما يُركب منها ويُحمل عليه ، وما آخِضَتْ به النوق من الأسماء والصفات ؛ ونذكر ألوان الإبل وما قالوه في ترتيب سَيْرِها ، وفي المسير عليها والنزول ؛ ثم نذكر بعد ذلك

(٣) عرق الزجاجة : ما نتج به من الشراب وغيره مما فيها . يريد به الخمر . وقد ورد هذا البيت في الأغاني (ج ٤ ص ٣٧٣ طبع دار الكتب المصرية) هكذا :

لا نبتغي لبن البعير وعندنا * ماء الزبيب وناطف المعصار

(٤) في الأصلين : «نسبتها» .

أصناف الإبل وما قيل في عاداتها وطبائعها . فإذا [أوردنا^(١)] ذلك ، ذكرنا ما ملكه رسول الله صلى الله عليه وسلم منها ، وما جاء في أوصاف الإبل من الشعر ، فنقول وبالله التوفيق .



- أما تسميتها من حين تولد^(٢) إلى أن تنتهي سنّها^(٣) — فقد قالت العرب : ولدها حين يسَلّ من أمّه^(٤) "سَلِيلٌ" ثم "سَقَب" و "حَوَار" إلى سنة ، وجمعه أحورة وحيران . وهو "فصيل" إذا فصل عن أمّه . وهو في السنة الثانية "أَبْنُ مَخَاضٍ" — لأن أمّه تَلْقَح فتأخق بالمخاض وهي الحوامل ، وواحدتها من غير لفظها "خَلِيفَة" — والأنثى "بنت مخاض" . فإذا دخل في الثالثة فهو "أَبْنُ لَبُونٍ" ، والأنثى "بنت لبون" ، لأن أمّه صارت ذات لبنٍ . وهو في الرابعة "حِقٌّ" ، لأنه آستحق أن يحمل عليه . وهو في السنة الخامسة "جَذَعٌ" . وفي السادسة ["نَيّ"] لأنه يلقى^(٥) نَيْتَهُ ، والأنثى ["نَيَّة"] . و [هو في] السابعة "رَبَاعٌ" . وفي السنة الثامنة "سَدِيسٌ"

(١) في ب : « فاذا أقو . ذلك ذكرنا ... » . وفي أ : « فاذا . ذلك ذكرنا ... » . ولعل الكلام محرف عما أثبتناه .

(٢) في الأصلين : « من حيث » .

١٥

(٣) إذا وضعت الناقة فولدها ساعة تضعه سليل قبل أن يعلم أذكر هو أم أنثى . فاذا علم ، فإن كان ذكرا فهو سقب . ولا يقال للأنثى سقبة ، ولكن حائل . (راجع المخصص ج ٧ ص ١٩ واللسان مادة سقب) .

(٤) في المخصص : « ويسمى حوارا من حين يولد الى حين يفطم » .

٢٠

(٥) النكلة عن المخصص (ج ٧ ص ٢٢) ومعاجم اللغة .

و "سَدَس" للذكر والأُنثى ^(١) . وهو في التاسعة "بازل" إذا فطّر نابيه ، أى طلع .
قال الشاعر ^(٢) :

وَأَبْنُ اللَّبُونِ إِذَا مَا لُزِّي قَرْنٍ ^(٣) * لَمْ يَسْتَطِعْ صَوْلَةَ الْبُزْلِ الْقَنَاعِيسِ ^(٤)
ثم هو بعدها بسنة "مُخْلِفُ عَامٍ" و "بازلُ عَامٍ" ثم "مُخْلِفُ عَامِينَ" و "بازلُ
عامين" ، ثم يُعوّد ، أى يصير عوداً وهيرماً وماجاً ^(٥) .

قالوا : والقُلُوصُ منها كالجارية من الناس ، والقَعُودُ كالغلام ، والجمع قلائصُ
وقعدان ^(٦) . والبَكْرُ : الفَتِي ، والبِكَارَةُ جمع ، والأُنثى بَكْرَةٌ ^(٧) . ويقال : جملٌ رَاسٌ وناقَةٌ ^(٨)
رَاسَةٌ إذا كثر الشعر في آذانها .



وأما أسماء ما يركبُ منها ويُحمل عليه — فقد قالوا : المطيَّةُ اسمٌ جامع
لكل ما يمتطى من الإبل . فإذا اختارها الرجلُ لمركبه لتمام خَلْقَتِها ونجابتها فهي راحلة .

(١) المؤنث في جميع أسنان الإبل بالهاء إلا السدس والسديس والبازل والمخلف فانها في المؤنث بغير
هاء . (راجع المخصص ج ٧ ص ٢٥) .

(٢) هو جرير بن عطية الخطفي الشاعر الإسلامي المشهور .

(٣) لز : قرن وثد . والقرن : جبل يجمع به البعيران . ١٥

(٤) القنعايس (والجمع قناعيس) : الناقة العظيمة الطويلة السنمة ، وقيل : الجمل العظيم .

(٥) المناج : الذي سال لعابه من الكبر .

(٦) القلوص : أول ما يركب من إناث الإبل إلى أن تنثى ، فإذا أثنت فهي ناقة . والقعود :

أول ما يركب من ذكور الإبل إلى أن ينثى ، فإذا أنثى فهو جمل . (راجع اللسان مادة قلص وثنى) .

(٧) ويجمع أيضا على قلاص وقلص ، وقلصان جمع الجمع . كما يجمع قعود أيضا على أقعدة وقعد وقعائد . ٢٠

(٨) في الأصلين : « راس ... راسة » بالسین المهملة فيهما ، وهو تصحيف . (راجع شرح

القاموس مادة روش) .

وفي الحديث النبويّ صلوات الله تعالى وسلامه على قائله : «النَّاسُ كِلَابِلٌ مَائَةٌ لَا يَكَادُ^(١) يَوْجَدُ فِيهَا رَاحِلَةٌ». فإذا اسْتَظْهَرَ صاحبُهَا بِهَا وَحَمَلَ عَلَيْهَا فَهِيَ «زَامِلَةٌ» — والناس يقولون في الرجل العاقل الثابت في أموره : رجل زَامِلَةٌ ، يريدون بذلك مدحه .
ووصف ابن بشير رجل فقال : ليس ذلك من الترواحل إنما هو من الزوامِل —
فإذا وجهها مع قوم يمتاروا عليها فهي «عَلِيقَةٌ» .



وأما ما أختصت به النوق من الاسماء والصفات — فإنهم يقولون فيها : «كَهَاءٌ» و «جَلَالَةٌ» وهي العظيمة ، و «عُظْمُوسٌ» و «دِعْبِلَةٌ»^(٢) وهي الحسنة الخلقة التامة الجسم ، و «كُومَاءٌ» وهي الطويلة السنام ، و «وَجْنَاءٌ» وهي الشديدة^(٣) القوية^(٤) اللجم . وأشتقاقه من الوجين ، وهي الحجارة . فإن آزدادت شدتها فهي «عِرْسٌ»^(٥)

(١) كذا في الأصلين . وقد ورد هذا الحديث في النهاية واللسان (مادتي أبل ورحل) بهاتين الروايتين :
«الناس كِلَابِلٌ مَائَةٌ لَا تَجْدُ فِيهَا رَاحِلَةٌ» و «تجدون الناس بعدى كِلَابِلٌ مَائَةٌ لَيْسَ فِيهَا رَاحِلَةٌ» . وقيل في شرحه : يعني أن المرضى المنتخب من الناس في عزرة و جوده كالنجيب من الإبل القوى على الأحوال والأسفار الذي لا يوجد في كثير من الإبل . وقال الأزهري : الذي عنده فيه أن الله ذم الدنيا وحذر العباد سوء مغبتها وضرب لهم فيها الأمثال ليعتبروا ويحذروا ... وكان النبي عليه الصلاة والسلام يحذرهم ما حذرهم الله ويزهدهم فيها فرغب أصحابه بعده فيها وتنافسوا عليها حتى كان الزهد في النادر القليل منهم ، فقال الرسول : « تجدون ... الخ » أي إن الكامل في الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة قليل كقلة الراحلة في الإبل . والراحلة : البعير القوى على الأسفار والأعمال النجيب التام الخلق الحسن المنظر . ويقع على الذكر والأنثى . والهاء فيه للبالغة .
(٢) استظهر : استعان .

(٣) في الأصلين : «دغلبة» (بالدال المهملة والعين المعجمة) ، وهو تحريف . والتصويب عن اللسان (مادة دعل) والمخضص (ح ٧ ص ٦٢) . والشرح الذي ذكره المؤلف لهذه الكلمة يبعد أن تكون مصحفة عن دغلبة بالدال المعجمة والعين المهملة ، وهي الناقة السريعة .

(٤) في الأصلين : «عرسن» ، وهو تحريف .

و "عِيرَانَةٌ" . فإذا كانت شديدة كثيرة اللحم فهي "عَنْتَرِيْسٌ" و "عَرَنْدَسٌ" و "مُتَلَاَحِكَةٌ" . فإذا كانت ضخمة شديدة فهي "دَوَسْرَةٌ" و "عُذَاْفِرَةٌ" . فإذا كانت حسنة جميلة فهي "شَمْرَدَلَةٌ" . فإذا كانت عظيمة الجوف فهي "مُجْفِرَةٌ" . فإذا كانت قليلة اللحم فهي "حَرْجُوجٌ" ^(١) و "حَرْفٌ" و "رَهْبٌ" .



ومن أوصافها في السَّير — إذا كانت لينة اليدين في سيرها فهي "خَنُوفٌ" . فإذا كان بها هَوَجٌ من سرعتها فهي "هَوَجَاءٌ" و "هَوَجُلٌ" . فإذا كانت تُقَارِبُ الخَطُو فهي "حَاتِكَةٌ" . فإذا كانت تَمْشِي وكأنها مقيدة الرجل وهي تضرب بيديها فهي "رَاتِكَةٌ" . فإذا كانت سريعة فهي "عَصُوفٌ" و "مُشْمَلَةٌ" و "عَيْهَلٌ" و "شِمْلَالٌ" و "يَعْمَلَةٌ" و "مَهْرَجَلَةٌ" ^(٢) و "شَمْدَرٌ" ^(٣) و "شِمْلَةٌ" و "شَمْرَدَلَةٌ" . فإذا كانت تجر رجلها في المشي فهي "مِرْحَافٌ" ^(٤) و "زُحُوفٌ" . فإذا كانت لا تقصد في سيرها من نشاطها فهي "عَجْرَفِيَّةٌ" . قال الأعشى :

وفيها إذا ما هجرت عَجْرَفِيَّةٌ * إذا خلت حَرْبَاءَ الظَّهيرة أَصِيدَا ^(٥)

(١) ومن معاني « الحرجوج » — كما ورد في اللسان (مادة حرج) — الناقة الجسيمة الطويلة على وجه الأرض . (٢) في الأصلين : « هرجلة » ، وهو تحريف . (٣) كذا في اللسان والمخصص . وفي الأصلين : « سمندر » ، وهو تحريف . (٤) كذا في المخصص . وفي الأصلين : « مرحاف ورحوف » بالراء المهملة في الكلمتين ، وهو تصحيف .

(٥) هجرت : سارت في الهاجرة . والعجرفية كما تطلق على السرعة في المشي تطلق أيضا على الناقة التي لا تقصد في سيرها من نشاطها . والحرباء : دويبة أكبر من العظاءة شيئا ، يستقبل الشمس برأسه ويكون معها كيفما دارت . يقال : إنما يفعل ذلك ليق جسده برأسه . ويتلون ألوانا بجزر الشمس . والأصيد : الذي لا يستطيع الالتفات .



وأما ألوان الإبل — فإنهم قالوا: إذا لم يُخالط حمرة البعير شيء فهو «أحمر». .
 فإن خالطها السواد فهو «أرمك». . فإذا كان أسود يخالط سواده بياض كدخان
 الرمث فهو «أورق»^(٢). . فإذا اشتد سواده فهو «جون»^(٣). . فإن كان [أبيض] فهو
 «آدم». . فإن خالط بياضه حمرة فهو «أصهب». . فإن خالطته سُقره فهو
 «أعيس»^(٤). . فإن خالطت خضرته صفرة وسواد فهو «أحوى». . فإذا كان أحمر
 يخالط حمته سواد فهو «أكف»^(٥).



وأما ترتيب سيرها — «فالعنق» وهو السير المُسَبِّطُ^(٦). فإذا ارتفع عنه قليلا
 فهو «التريد». . فإذا ارتفع عن ذلك فهو «الذميل». . فإذا ارتفع فهو «الرسيم». .
 فإذا دارك المشى وفيه قرمطة^(٧) فهو «الحفد». . فإذا ارتفع عن ذلك وضرب بقوائمه
 كلها فذاك «الارتباع» و«الالتباط». . فإذا لم يدع جهدا فذاك «الإدرنفاق».

(١) الرمث (من الحمض) : شجري شبه الغص لا يطول ولكنه ينبسط ورقه ، وله هذب طوال دقاق
 وله حطب وخشب ، ووقوده حار ، وينفع بدخانه من الزكام .

(٢) كذا في المخصص . وفي الأصلين : «أزرق» ، وهو تحريف .

١٥

(٣) مكان هذه الكلمة بياض بالأصلين . وقد وضعناها لاطرادها مع السياق . وفي المخصص
 واللسان : «والآدم من الإبل : الأبيض . فإن خالطته حمرة فهو أصهب» .

(٤) في ب «أغبش» وفي أ : «أعيس» ، وكلاهما تصحيف .

(٥) في الأصلين «حمته» ، وهو تحريف . (راجع شرح القاموس واللسان والصحاح مادة حوى

والمخصص ج ٧ ص ٥٦) .

٢٠

(٦) المسبطر : السريع ، يقال : اسبطرت الإبل في سيرها إذا أسرعت وامتدت .

(٧) القرمطة : مقارنة الخطو .



وأما ما قيل في المسير عليها والنزول للراحة والإراحة — فقد قالوا: إذا سار القومُ نهاراً ونزلوا ليلاً فذاك "التَّأْوِيْبُ". فإذا ساروا ليلاً ونهاراً فذاك "الإِسَادُ". فإذا ساروا من أول الليل فهو "الإِدْلَاجُ". فإذا ساروا من آخر الليل فهو "الإِدْلَاجُ". فإذا ساروا مع الصبح فهو "التَّغْلِيْسُ". فإذا نزلوا للاستراحة في نصف النهار فهو "التَّغْوِيرُ". فإذا نزلوا في نصف الليل فهو "التَّعْرِيسُ".

ذكر أصناف الإبل وعاداتها وما قيل في طبائعها

والإبل ثلاثة أصناف: يَمَانِيٌّ، وَعِرَابِيٌّ، وَبُخْتِيٌّ. فاليمانيُّ هو النَجِيبُ، وَيَنْزَلُ بمنزلة العتيق من الخيل. والعِرَابِيُّ كالبرذون. والبُخْتِيُّ كالبعل. ويقال: البُخْتُ (٢) ضأنُ الإبل. وهي متولدة عن فساد منى العِراب. وحكى الجاحظ أن منهم من يزعم أن في الإبل ما هو وَحْشِيٌّ وأنها تسكن أرض وبار، وهي غير مسكونة بالناس. وقالوا: ربما نَدَّ الجملُ منها في الهياج فيَحْمِلُهُ ما يَعْرِضُ له منه على أن يأتي أرض (٤)

(١) البختي: واحد البخت وهي الإبل الخراسانية تنتج من بين عريضة وفالج (والفالج: الجمل الضخم ذو السنامين يحمل من السند للفحلة).

(٢) كذا في مباحج الفكر. وفي الأصلين: «النَجِيب» وهو تحريف.

(٣) وبار: أرض ما بين الشحر إلى صنعاء، مساحتها زهاء ثلثمائة فرسخ. ويزعم علماء العرب أن الله تعالى لما أهلك عاداً وثمود أسكن الجن في منازلهم، وهي أرض وبار، فحمتها من كل من يريد لها، وأنها أخصب بلاد الله وأكثرها شجراً ونخلاً وخيراً.

(٤) هاج الفحل هياجا: هدر وأراد الضراب.

عُمَانٌ ، فَيَضْرِبَ فِي أَدْنَى هَجْمَةٍ ^(١) مِنَ الْإِبِلِ ؛ فَالْإِبِلُ الْمَهْرِيَّةُ مِنْ ذَلِكَ النَّتَاجِ . وَتُسَمَّى
الْإِبِلُ الْوَحْشِيَّةُ ^(٢) «الْجُوشُ» . وَيَقُولُونَ : إِنَّهَا بَقَايَا إِبِلِ عَادٍ وَثَمُودَ وَمَنْ أَهْلَكَ اللَّهُ مِنْ
العَرَبِ . وَالْمَهْرِيَّةُ مَذْسُوبَةٌ إِلَى مَهْرَةٍ ^(٣) (قَبِيلَةٍ بِالْيَمَنِ) ؛ وَهِيَ سَرِيعَةُ الْعَدُوِّ . وَيَعْلِفُونَهَا
مِنْ قَدِيدِ سَمَكٍ يُصَادُ مِنْ بَحْرِ عُمَانَ .

وَأَمَّا الْبُخْتُ — فَمِنْهَا مَا يُرْهَوِكُ ^(٤) مِثْلَ الْبَرَادِينِ ؛ وَمِنْهَا مَا يَجْزُجُ ^(٥) وَيرْقِلُ ^(٦) .
إِرْقَالًا . وَفِي الْبُخْتِ مَالُهُ سَنَامَانٌ فِي طُولِ ظَهْرِهِ كَالسَّرَجِ ، وَلِبَعْضُهَا سَنَامَانٌ فِي الْعَرَضِ
عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ ، وَتُسَمَّى «الْخُرَّاسَانِيَّةُ» .

قَالُوا : وَالْجُمْلُ لَا يَنْزُو إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً يُقِيمُ فِيهَا النَّهَارَ أَجْمَعَ وَيُنْزِلُ فِيهَا مِرَارًا
كَثِيرَةً ، فَيَجِيءُ مِنْهَا وَلَدٌ وَاحِدٌ . وَهُوَ يَنْخَلُو فِي الْبَرَارِيِّ حَالَةَ النَّزْوِ ، وَلَا يَدْنُو مِنْهُ أَحَدٌ
مِنَ النَّاسِ إِلَّا رَاعِيَهُ الْمُلَازِمَ لَهُ . وَذَكَرَهُ صُلْبٌ جَدًّا ؛ لِأَنَّهُ مِنْ عَصَبِ . وَالْأُنْثَى
تَحْمِلُ سَنَةً كَامِلَةً ؛ وَتَلْقَحُ لِمَضَى ثَلَاثِ سَنِينَ ، وَكَذَلِكَ الذَّكَرُ يَنْزُو فِي هَذِهِ الْمُدَّةِ ،
وَلَا يَنْزُو عَلَيْهَا إِلَّا بَعْدَ سَنَةٍ مِنْ يَوْمِ وَضْعِهَا . وَفِيهِ مِنْ كَرَمِ الطَّبَّاعِ أَنَّهُ لَا يَنْزُو عَلَى
أَقْمَهَاتِهِ وَلَا أَخَوَاتِهِ . وَمَتَى حُمِلَ عَلَى أَنْ يَفْعَلَ حَقْدَ عَلَى مَنْ أَلْزَمَهُ ؛ وَرَبَّمَا قَتَلَهُ .
وَلَيْسَ فِي الْحَيَوَانِ مَنْ يَحْقِدُ حَقْدَهُ . وَقَدْ قَالُوا : إِنَّ الْعَرَبَ إِنَّمَا آكَتْسَبَتِ الْأَحْقَادَ
لَأَكْلِهَا لَحُومَ الْجَمَالِ وَمَدَاوِمَتِهَا .



١٥

(١) الهجمة من الابل : أولها أربعون الى مازادت ، أو ما بين السبعين الى المائة ، أو الى دوينها .
(٢) في أ : « الجوش » بالجمع المعجمة . وفي ب : « الجوشى » ، وكلاهما تحريف .
(٣) هو مهرة بن حيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاة أبو قبيلة وهم حنّ عظيم ، تنسب اليهم الابل
المهرية ، وهي نجائب تسبق الخيل . وقيل : لا يعدل بها شيء في سرعة جريانها . ومن غريب ما ينسب
اليها أنها تفهم ما يراد منها بأقل أدب تعلمه . ولها أسماء إذا دعيت بها أجابت سريعاً .

٢٠

(٤) الرهوكة : مشى الذي كأنه يموج في مشيته .
(٥) جز : عدا وأسرع .
(٦) أرقل : أسرع .

وفي طبع الجمل آلا هتداءً بالنَّجم ، ومعرفة الطُّرُق ، والغيرة ، والصولة ، والصبر
على الجمل الثقيل وعلى العطش . والإبل تَمِيلُ إلى شرب المياه الكدرة الغليظة ،
وهي إذا وردت ماء الأنهار حركته بأرجلها حتى يتكدر . وهي من عشاق الشمس .
وهي تتعرف النبات المسموم بالشَّم من مرة واحدة فتجنبه عند رعيه ولا تغلظ^(١)
إلا في اليبس خاصة . وزعم أرسطو : أنها تعيش ثلاثين سنة في الغالب .
وقال صاحب كتاب مباحج الفكر ومناهج العبر ينقل عن غيره : وقد رُئي منها ما عاش
مائة سنة . وكانت للعرب عوائد في إبلها أنها إذا أصاب إبلهم العرَّ^(٢) كَوُوا السليم
ليذهب العرُّ عن السقيم . وكانوا إذا كثرت إبلهم فبلغت الألف فقَّؤا عين الفحل ،
فإن زادت على الألف فقَّؤا عينه الأخرى . وقد ذكرنا ذلك في أوابد العرب ،
وهو في الباب الثاني من الفن الثاني من هذا الكتاب في السفر الثالث من هذه
النسخة . والله أعلم بالصواب .

ذكر ما ملكه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الإبل
كانت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال لها "القَصْواءُ" . ذكر ابن سعد
عن محمد بن عمر قال حدثني موسى بن محمد بن إبراهيم التيمي عن أبيه قال : كانت
القصواء من نَعَم بنى الحريش ، ابتاعها أبو بكر رضى الله عنه وأخرى معها بثمانمائة درهم
فأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم منه بأربعمائة ، فكانت عنده حتى نفقت^(٣) . وهي
التي هاجر عليها صلى الله عليه وسلم . وكانت حين قدم المدينة رباعية ، وكان اسمها
"القَصْواءُ" و"الجَدعاءُ" و"العضباءُ" ، وكان في طرف أذنها جدع^(٤) ، وكانت لا تُسبق

(١) اليبس : ما يبس من العشب ، والبقول التي تنثر إذا يبست ، وقيل : عام في كل نبات يابس .

(٢) العر (بالضم) : الجرب . (٣) نفقت : هلكت .

(٤) الجدع : القطع البائن في الأنف والأذن والشفة واليد .

كلما دُفِعَتْ في سِباق . فلما كان في سنة ستٍّ من الهجرة سابق رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الرواحل ، فسبق قعوداً لأعرابيٍّ "القَصْوَاءَ" ، ولم تكن تُسَبِّقُ قبلها ، فشَقَّ ذلك على المسلمين ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "حقُّ على الله ألا يرفع شيئاً من الدنيا إلا وضعه" . وعن قدامة بن عبد الله قال : رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم في حِجَّتِهِ يرمي على ناقة صَهْبَاءَ . وعن سائمة بن نَيْطٍ عن أبيه قال : رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم في حِجَّتِهِ بعرفة على جمل أحمر . وذكر أبو إسحاق أحمد ابن محمد بن إبراهيم الثعلبي في تفسيره : أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث يوم الحديبية نَحْرَاشَ بن أُمَيَّةَ الخُزَاعِيَّ قَبْلَ عَثْمَانَ إلى قَرِيْشٍ بمكة ، وحمله على جمل له يقال له "الثعلب" ؛ ليلبغ أشرافهم عنه ما جاء له ؛ فعقروا جمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرادوا قتله ؛ فمنعته الأحابيش^(١) ، نخلوا سبيله . وكان للنبي صلى الله عليه وسلم عشرون لِقْحَةً بالغابة^(٢) (وهي على بريد من المدينة من طريق الشام) وكان فيها أبو ذرٍّ ، وكان فيها لقائح غَزَرٌ^(٣) : الحنَّاء^(٤) و"السَّمْرَاءُ" و"العَرِيسُ"^(٥) و"السَّعْدِيَّةُ"^(٦) و"البَغُومُ"

(١) يريد عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وقد بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب وإنما جاء زائراً للبيت ومعظماً لحرمة .

(٢) الأحابيش : جمع أحبوش (بضم الهمزة والباء) وهم بنو الهون بن خزيمه وبنو الحارث بن عبد مناة وبنو المصطلق من خزاعة ، كانوا تحالفوا مع قريش ، قيل تحت جبل يقال له الحبشى أسفل مكة ، وقيل : سموا بذلك لتحبشهم أى تجمعهم . (٣) اللقحة : الناقة الحلوب الغزيرة اللبن .

(٤) الغزر : (جمع غزيرة) ، وهي الكثيرة الدر من الإبل والشاء وغيرها من ذوات اللبن .

(٥) كذا ورد مضبوطاً بالعبارة في شرح المواهب اللدنية للزرقاني (ج ٣ ص ٦٨ ٤) ، وضبط في طبقات

ابن سعد بالقلم (ج ١ ق ٢ ص ١٧٧) بفتح العين وكسر الراء المهملتين . (٦) كذا وردت

مضبوطة بالقلم في تاريخ الطبري (ص ١٧٨٥ من القسم الأول) وطبقات ابن سعد وشرح المناوى على ألفية العراق (نسخة مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٢٥٨ حديث) بفتح الموحدة وضم المعجمة . وضبطت بالعبارة في شرح المواهب للزرقاني (بضم الموحدة والغين المعجمة) . ونحن نستبعد هذا الضبط .

و«اليسيرة»^(١) و«الريّا»^(٢) . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فترقها على نسائه ؛ فكانت «السّمراء» لقحة غزيرة لعائشة ؛ وكانت العرّيس لأُمّ «سَلَمَة» ؛ فأغار عليها عَيْنَة بن حِصْن في أربعين فارساً فاستاقوها وقتلوا ابن أبي ذرّ^(٣) ثم ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حتى انتهوا إلى ذى قرد^(٤) فاستنقذوا منها عشراً^(٥) وأفلت القوم بما بقي ؛ وقيل : بل استنقذها كلّها منهم سَلَمَة بن الأَكوع حين يقول :
ما خلق الله شيئاً من ظهر النبي^(٦) صلى الله عليه وسلم إلا خلفته وراء ظهري وأستنقذته منهم ؛ وذلك في شهر ربيع الأول سنة ست .

وكانت إقاحه صلى الله عليه وسلم ، التي كان يرعاها يسار مولاة ذى الجدر ناحية قُبَاءَ قريباً من غير على ستة أميال من المدينة ، خمس عشرة لقحة غزارة استاقها

- ١٠ (١) كذا وردت مضبوطة بالعبارة في شرح المواهب للزرقاني (بباء مضمومة في أوله ، وقيل بالعين المهملة ، وفتح السين المهملة) وبالقلم في شرح المناوي على ألفية العراقي كذلك (بضم الياء وفتح السين المهملة) . وضبطت بالقلم في طبقات ابن سعد والطبري (بفتح الياء) .
- (٢) كذا وردت في تاريخ الطبري مضبوطة بالقلم بدون مدّ . ووردت مضبوطة بالعبارة في شرح الزرقاني (ج ٣ ص ٦٨ طبع بولاق) وبالقلم في شرح المناوي على ألفية العراقي بفتح الراء وتشديد الياء ومدّ . وضبطت بالقلم في طبقات ابن سعد بالبدال المهملة وتشديد الباء الموحدة ومدّ .
- (٣) هو ذر بن أبي ذر الغفاري ، وكان هو وأبوه وزوجته (زوجة أبي ذر واسمها ليلى) يرعون اللقاح معاً ، كما جاء في شرح المواهب اللدنية (ج ٢ ص ١٧٩) .
- (٤) ذو قرد (بالتحريك وقيل بضمين) : ماء على ليلتين من المدينة بينها وبين خيبر .
- (٥) هو سلمة بن عمرو ، والأكوع لقب جدّه وأسمه سنان . وفي يوم ذى قرد هذا يقول سلمة وهو يرى :
- ٢٠

خذها وأنا ابن الأكوع * واليوم يوم الرضع

- (٦) الظهر : الابل والغنم .
- (٧) كذا في ياقوت ومعجم ما استعجم للبكري . وغير : جبل بناحية المدينة . وفي أ : « عيز » بالزاي . وفي ب : « غير » بالعين المعجمة والراء . وكلاهما تصحيف .

(١) العُرَيْيُونَ وقتلوا يساراً وقطعوا يده ورجله وغرزوا الشوك في لسانه وعينه حتى مات .
 فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في إثرهم كُرْزُ بْنُ جَابِرٍ الْفَهْرِيُّ (٢) في عشرين فارساً ،
 فأدركوهم وربطوهم وأردفوهم على الخيل حتى قدموا بهم المدينة ، فقطعت أيديهم
 وأرجلهم وسُيِّمَتْ أَعْيُنُهُمْ وَصُابِئُوا (٣) . وفيهم نَزَلُ : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ
 وَرَسُولَهُ ﴾ الآية ، وذلك في شَوال سنة ست . وفقد النبي صلى الله عليه وسلم
 منها لِقْحَةً تُدْعَى «الحَنَاء» ، فسأل عنها فقيلاً : نحروها .

وقيل : كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم سبع لقائح تكون بذى الجدر ،
 وتكون بالجماء (٤) : لِقْحَةٌ تُدْعَى «مُهْرَةً» وكانت غزيرة ، أرسل بها سعد بن عبادَةَ من
 نَعَمِ بْنِ عُقَيْلٍ ، وَلِقْحَةٌ تُدْعَى «بُرْدَةً» تُحْلَبُ كَمَا تُحْلَبُ لِقْحَتَانِ غزيرتان ، أهداهما له
 الضحَّاكُ بْنُ سُفْيَانَ الْكِلَابِيُّ ، «والشَّقْرَاء» ، «والرَّيَّاء» ، «والسَّمْرَاء» ، «والعُرَيْس»
 «واليسيرة» ، «والحَنَاء» يُحْلَبْنَ وَيُرَاحُ إِلَيْهِ بِلَبْنِهِنَّ كُلَّ لَيْلَةٍ .

وفي غزاة بدر غنم رسول الله صلى الله عليه وسلم جَمَلٌ أَبِي جَهْلٍ وكان مهرياً
 يغزو عليه ويضرب في لقاحه . ذكره الطبري .

- (١) العُرَيْيُونَ : قوم ارتدوا ، ينسبون إلى عرينة (بكهينة) قبيلة من العرب في بجيلة .
 (٢) كذا في الطبري والسيرة لابن هشام والاستيعاب والقاموس (مادة كرز) . وفي الأصلين :
 « كرز » ، وهو تحريف . (٣) سمل عينه : فقأها .
 (٤) كذا في الأصلين وفي طبقات ابن سعد (القسم الثاني ج ١ ص ١٧٨) . ويلاحظ أن اللقائح
 التي ذكرت هنا وهناك ثمان لا سبع .
 (٥) كذا في سيرة ابن هشام (ص ٩٩٨) والطبري (ص ١٧٨٥ من القسم الأول) وطبقات ابن
 سعد (ج ١ ق ٢ ص ١٧٧) . والجماء . اسم لموضع كثيرة بجوار المدينة . وفي الأصلين : « بالحمى »
 وهو تحريف .
 (٦) كان اسمه المكتسب (على صيغة اسم المفعول) . (راجع شرح المواهب للزرقاني) .

وعن آبن عباس رضى الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهدى
عام الحَدْثِيَّة في هداياه جملاً لأبى جهل في رأسه برة ^(٢) من فضة ؛ ليغيظ بذلك
المشركين . ذكره آبن إسحاق .

وقيل : كانت للنبي صلى الله عليه وسلم لقحة اسمها "مروة" .

وقال آبن الكلبي : إن عياض بن حماد أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم
نجيبة ، وكان صديقاً له إذا قدم عليه مكة لا يطوف إلا في ثيابه ؛ فقال له : "أسلمت" ؟
قال : لا ؛ قال : "إن الله نهانى عن زبد ^(٣) المشركين" . فأسلم ؛ فقبلها .

ذكر شيء مما وُصفت به الإبل نظماً ونثراً

قال بعض من عظم شأن الإبل : إن الله تعالى لم يخلق نِعماً خيراً من الإبل ؛
إن حملت أثقلت ، وإن سارت أبعدت ، وإن حلبت أروت ، وإن نُحرت أشبعت .
وقال بَشَامَةُ ^(٤) يصف ناقه :

كأَنَّ يديها إذا أُرْقِلَتْ * وقد حُرْنَ ثم أهتدين السبيلا
يذا ساجح نحر في غمرة * وقد شارف الموت إلا قليلا

(١) الهدى (بالتخفيف وبتشديد الياء ، ويقال فيه هدية) : ما يقدم الى البيت الحرام من النعم لتنحر .

(٢) البرة : حلقة تكون في أنف البعير .

(٣) الزبد : الرغد والعطاء .

(٤) هو بَشَامَةُ بن الغدير . وقد عده ابن سلام الجمحي في كتابه طبقات الشعراء في الطبقة الثامنة من
الشعراء الاسلاميين وذكر له شعرا . (راجع ص ١٤٦ — ١٤٨ من كتاب طبقات الشعراء طبع أوروبا) .

إذا أقبأت قلت مشحونة * أطاعت لها الرِّيحُ قَلْعًا جَفُولًا
وإن أدبرت قلت مذعورة * من الرُّبْدِ نَتَبَعُ هَيْفًا ذَمُولًا^(١)

وقال أبو تمام :

وبدلتها السرى بالجهل حِلْمًا * وَقَدْ أَدِيمَهَا قَدَّ الْأَدِيمِ
بَدَتْ كَالْبَدْرِ فِي لَيْلٍ بِهِيمٍ * وَأَبَتْ مِثْلَ عُرْجُونٍ قَدِيمٍ^(٢)

وقال الحطيم الخزرجي^(٣) :

وقد ضُمرت حتى كأن وضيئها^(٤) * وشاح عروس جال منها على خصر

وقال ابن دريد :

خُوصٌ كأشباح الحنايا ضُمُرٌ * يرعفن بالأمشاج من جذب البرى^(٥)
يرسبن في بحر الدجى، وفي الضحى * يطفون في الآل إذا الآل طفا^(٦)

وقال عبد الجبار بن حمديس :

ومن سفين البر سباحة * من الآل بحرًا إذا ما أعرض

(١) الربد : النعام ، من الربرة وهي لون بين السواد والغبرة . والهيئ : الظلم (ذكر النعام) .

وفي الأصلين : « هيفا » بالناء ، وهو تصحيف . والذمول : السريع .

(٢) العرجون : أصل العذق الذي يعوج وتقطع منه الشماريح . يريد أنها عادت مهزولة مقوسة .

(٣) كذا في مباحج الفكر وشرح القاموس (مادة خطم) . وفي الأصلين : « الحطيم الخزرجي »

وهو تحريف . (٤) الوضين : بطن عريض منسوج من سيور أو شعر ، وهو للرحل بمنزلة الخزام للسرير .

(٥) خوص : غائرات العيون جمع خوصاء . والأشباح : الأشخاص ، واحدها شبح (بفتح الباء وسكونها) .

والحنايا : جمع حنية ، وهي القوس لأنها محنية أى معطوفة . ويرعفن : من الرعاف وهو انبعاث الدم

من الأنف . والأمشاج : ما يسيل من أنوفها من المخاط المتغير اللون . والبرى : جمع برة وهي حلقة تكون

في أنف البعير من فضة أو غيرها .

(٦) يرسبن : يغصن . ويطفون : يعلون . والآل : السراب .

لَهَا شِرَّةٌ لَا تُبَالَى بِهَا * أَطَالَ بِهَا سَبَسَبٌ^(٢) أَمْ عَرَضُ^(١)
 إِذَا خَفَقَ الْبَرْدُ^(٣) بَ خِلْتَنِي * عَلَى كُورِهَا طَائِرًا يَنْتَفِضُ^(٤)
 وَإِنْ يَعْْرِضُ الْبَعْضُ^(٥) مِنْ سَيْرِهَا * تَرَى الْعَيْسَ مِنْ خَلْفِهَا تَنْقَرِضُ^(٦)
 هِيَ الْقَوْسُ إِنِّي لَسَمُّ لَهَا * أُصِيبُ بِكُلِّ فَلَاةٍ غَرَضُ^(٧)
 وقال الشريف البياضي :

نُوقُ تَرَاهَا كَالسَّفِيدِ * مِنْ إِذَا رَأَيْتَ الْآلَ بَحْرًا
 كَتَبَ الْوَجَا^(٨) بَدْمَاءُهَا^(٩) * فِي مَهْرَقِ الْبَيْدَاءِ سَطْرًا
 لَا تَسْتَكِينُ مِنَ اللَّغْوِ * بَ إِذَا وَلَا يَعْرِفُنْ زَجْرًا
 وَكَأَنَّ أَرْجُلَهُنَّ تَط * لَبَّ عِنْدَ أَيْدِيهِنَّ وَثْرًا

- ١٠ (١) كذا في ديوانه (المطبوع برومة ص ٢٥٦) . وفي الأصلين وهامش ديوانه : « سيرة »
 بالسين المهملة والياء المثناة .
 (٢) السبب : القفر والمفازة .
 (٣) كذا في الديوان . وفي الأصلين : « البردى » وهو تحريف .
 (٤) كذا في ديوانه . وفي أ : « نقض البعض » . وفي ب : « نقر البعض » ، وكلاهما تحريف .
 ١٥ ولعله « وان تعرض البعض الخ » بناء التأنيت .
 (٥) كذا في ديوانه . وفي الأصلين وهامش ديوانه : « تنقرض » بالفاء وهو تصحيف .
 (٦) الوجا : الحفا وهو أن يشتكى البعير باطن خفه . وفي الأصلين : « الوحي » بالحاء المهملة ،
 وهو تصحيف .
 (٧) كذا في مباحج الفكر . وفي الأصلين : « بزمامها » .
 ٢٠ (٨) المهرق (بضم أوله وتسكين ثانيه وفتح ثالثه) : الصحيفة البيضاء يكتب فيها ، فارسي معرب .
 وفي أ : « المهرب » بالباء . وفي ب : « مبرات » ، وكلاهما تحريف .

وقال أبو عبادة البُحْترى :

وَحَدَّانِ الْقِلَاصِ حَوْلًا إِذَا قَا * بَلَنْ حَوْلًا مِنْ أَنْجُمِ الْأَسْحَارِ^(١)
يَتَرَقَّرْنَ كَالسَّرَابِ وَقَدْ خُضَّ * نِ غِمَارًا مِنَ السَّرَابِ الْجَارِي^(٢)
كَالْقِسِيِّ الْمُعْطَفَاتِ بِلِ الْأُسْ * هُم مَبْرِيَّةٌ بِلِ الْأُوتَارِ

وقال ذو الرُّمَّة يصف ناقَةً :

رَجِيْعَةُ أَسْفَارٍ كَأَنَّ زِمَامَهَا * شُجَاعٌ عَلَى يُسْرِ الذَّرَاعِينَ مُطْرِقٌ^(٣)^(٤)

ومنه اخذ المتنبي فقال :

* كَأَنَّ عَلَى الْأَعْنَاقِ مِنْهَا الْأَفَاعِيَا *

وقال أبو نُوَّاس يصفها بالسرعة :

وَتَجَشَّعْتُ بِى هَوْلَ كُلِّ تَنُوفَةٍ * هُوَجَاءُ فِيهَا جُرْأَةٌ إِقْدَامُ^(٥)^(٦)
تَذُرُ الْمِطْيَ وَرَاءَهَا وَكَأَنَّهَا * صَفٌّ تَقْدَمُهُنَّ وَهِيَ إِمَامُ^(٧)

(١) وخد البعير وخدا ووخدانا : أسرع ووسع الخطو . وهذا البيت مرتبط ببيت قبله وهو :

وإذا ماتنكرت لى بلاد * أو خليل فإننى بالخيار

(٢) كذا فى ديوانه (ج ٢ ص ٣٠ طبع مطبعة الجوائب) . وفى الأصلين : « بالسحاب » .

(٣) رجيعة أسفار : معاودة أسفار . والشجاع : الحية الذكر . ومطرق : ساكن لا يتحرك .

(٤) رواية ديوانه المطبوع بأوربا : « لدى » .

(٥) التنوفة : الأرض القفر، وقيل : البعيدة الماء .

(٦) الذى ظهر لنا هو نصب « جرأة » على أن تكون مفعولا لأجله . ويكون المعنى : فيها

إقدام لجرأتها .

(٧) كذا فى ديوانه . وفى الأصلين : « أمامها » وهو تحريف .

وقال الفرزدقُ منشدا :

تَنْفِي يَدَاهَا الْحَصَى فِي كُلِّ هَاحِرَةٍ * تَنْفَى الدَّرَاهِيمُ تَنْقَادُ الصَّيَارِيفُ^(٣)

وقال آخر :

تَطِيرُ مَنَاسِمُهَا بِالْحَصَى * كَمَا تَقْدُ الدَّرَاهِمُ الصَّيْرِفُ^(٤)

وقال الغطمشُ :

كَأَنَّ يَدَيْهَا حِينَ جَدَّ نَجَاؤُهَا * يَدَا سَابِجٍ فِي غَمْرَةٍ يَتَّبِقُ^(٥)

وقال آخر في نُوقٍ :

خُوصٌ نَوَاجٍ إِذَا حَثَّ الْحُدَاةُ بِهَا * حَسِبْتَ أَرْجُلَهَا قُدَّامَ أَيْدِيهَا

وقال القطامي :

يَمْشِينَ رَهْوًا^(٦) فَلَا الْأَعْجَازُ خَاذِلَةٌ * وَلَا الصَّدُورُ عَلَى الْأَعْجَازِ تَتَكَلُّ

فَهِنَّ مُعْتَرِضَاتُ^(٧) وَالْحَصَى رِمَضُ^(٨) * وَالرَّيْحُ سَاكِنةٌ وَالظِّلُّ مُعْتَدِلٌ

(١) في الأصلين : « من كل » ، وهو تحريف .

(٢) كذا رواه سيبويه باثبات الياء في « الدراهم » ، على أنه جمع لدرهم لغة في درهم أوجع شاذ لدرهم . ويروى « نفى الدنانير » كما في شواهد العيني لشروح الألفية .

(٣) كذا في اللسان ، وقد جئ به هنا الجمع على الضرورة ، لأنه لما احتيج إلى تمام الوزن أشبعت الحركة ضرورة حتى صارت حرفا . وفي الأصلين : « التصاريف » ، وهو تحريف .

(٤) هو الغطمش بن عمرو بن عطية من بني شقرة بن كعب بن ثعلبة بن سعد بن ضبة . وقال ابن الكلبي : هو من بني معاوية بن عمرو بن عامر بن ربيعة بن كعب بن ضبة . والغطمش يعنون به الظالم .

(٥) يتَّبِقُ : يمد باعه .

(٦) الرهو : السير السهل المستقيم .

(٧) كذا في الأصلين (بالضاد المعجمة) . والظاهر أنها مصحفة عن « معترضات » بالصاد المهملة . والاعتراض : الأرن والنشاط .

(٨) الرمض (بالتحريك) : حرا الحجارة من شدة حر الشمس .

وقال أبو نؤاس :

ولقد تجوب بي الفلاة إذا * صام^(١) النهار وقالت^(٢) العفر

شدنية^(٣) رعت الحمى فأتت * مثل الجبال كأنها قصر

وقال الأحمر^(٤) :

٥ حمراء من نسل المهارى نسلها * إذا ترامت يدها ورجلها
حسبتها غيرة استفز عقلها * أتى^(٥) التى كانت تخاف بعلمها

ذكر ما قيل فى البقر الأهلية

١٠ عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : "بيننا رجل يسوق بقرة إذ ركبها فضر بها فقالت إنا لم نخلق لهذا إنما خلقنا للحرث"؛ فقال الناس : سبحان الله بقرة تكلم ! قال : "فإني أومن بهذا أنا وأبو بكر وعمر" وما هما ثم^(٦).

(١) صام النهار : اعتدل وقام قائم الظهيرة .

(٢) قالت : سكنت وقت القائلة . والعفر من الظباء : ما يعلو بياضها حمرة ، وقيل : البيضاء التى

ليست شديدة البياض . (٣) شدنية : نوق تنسب إلى شدن (موضع باليمن) .

١٥ (٥) فى ديوان المعانى لأبى هلال العسكري (ج ١ ص ٨٣ من النسخة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٨٧٤ أدب) : «وقال الآخر» .

(٦) كذا فى ديوان المعانى . وفسر أبو هلال البيت بقوله : «أى كأنها من عملها بيديها ورجليها

وسرعة تحريكها إياهما غيرى تخاصم وتشير بيديها لا تفر» . وفى الأصلين : «أى» . وقد ضبطناه بهذا الضبط ، على أن يكون «أتى» مصدرا منصوبا على أنه مفعول له ، مضافا لمفعوله ، وفاعله «بعلمها» ،

٢٠ ويكون المعنى : استفزع عقل هذه المرأة الغيرة من أجل إتيان بعلمها ضررتها التى تخافها .

(٦) قوله : «وما هما ثم» يعنى أن العمرين لم يكونا حاضرين هناك . (انظر هامش صحيح الامام

مسلم ج ٧ ص ١١١ طبع مصر) .

وقال أصحابُ الكلام في طبائع الحيوان : إنَّ الفحل من البقر ينزو إذا تمت له سنةٌ من عمره ؛ وقد ينزو لعشرة أشهرٍ . والبقرة إذا ولدت تحدر لبنها من يومها ، ولا يوجد لها لبنٌ قبل أن تضع . وهي تحمل تسعة أشهر وتضع في العاشر ؛ فإن وضعت قبل ذلك لا يعيش ولدها . وربما وضعت اثنين ، وهو نادر . وهم يتشاءمون بها إذا وضعت اثنين . وإذا مات ولدها أو ذبح لا يسكن خوارها ولا يدر لبنها ؛ ولذلك الرعاء يسليخون جلد ولدها ويحشونه لتدر له وتسكن ، ويسمون « البو » .
والبقر يحب الماء الصافي ، بضد الخيل والجمال . وقال المسعودي في كتابه المترجم بمروج الذهب : رأيت بالري نوعاً من البقر تبرك كما تبرك الإبل وتحمل فتشور بجملها ، والغالب عليها حمرة الحديق . وحكى أسامة^(١) بن منقذ في كتابه أن في بعض البلدان بقرأ لها أعراف كالخيل . ولعلها الأبقار التي توجد فيها البراجم . والبراجم في أطراف أذناها وفي أكتافها . ويقال : إن أبقار البراجم تخرج من بحر الصين

(١) هو أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكثاني ، كان من مشهورى الكتاب والشعراء . وقد ترجم له ابن خلكان في تاريخه وقال : إنه من أكابر بني منقذ أصحاب قلعة شيزر وعلمائهم وشجعانهم ، له تصانيف عديدة في فنون الأدب . وذكره العماد الكاتب في الخريدة وقال بعد الثناء عليه : سكن دمشق ثم نبت به كما تنبوا لدار الكريم ، فانتقل إلى مصر فبقى بها مؤمراً مشاراً إليه بالتعظيم إلى أيام الصالح بن رزك ، ثم عاد إلى الشام وسكن دمشق ، ثم رماه الزمان إلى حصن كيفا فأقام به حتى ملك السلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى دمشق فاستدعاه وهو شيخ قد جاوز الثمانين . وقال غير العماد : إن قدومه مصر كان في أيام الظاهر ابن الحافظ والوزير يومئذ العادل بن السلار فأحسن إليه . ولد سنة ٥٤٨ هـ وتوفي سنة ٥٨٤ هـ بدمشق . (راجع تاريخ ابن خلكان ج ١ ص ٨٨ — ٩٠ طبع بولاق) .

(٢) اسمه : « أزهار الأنهار » ، كما في مباحج الفكر وكشف الظنون .
(٣) وردت هذه العبارة في كتاب مباحج الفكر نقلاً عن ابن منقذ هكذا : « أن في بعض البلدان بقرأ لها أعراف كأعراف الخيل » قال ابن منقذ : وأظنها الأبقار التي توجد فيها البراجم ، وسمعت من يقول : إنها أبقار عمالة في بلاد يقال لها « جم وتانة وبلخشان » وهي ملونة : بيض وسود وبلق . والبراجم تكون في رؤوس أذناها وهي الكجار وعلى كتفها وهي الصغار ؛ وسمعت من يقول : إنها أبقار تخرج من بحر الصين .

وهي تلد وتُرضع^(١)؛ ولذلك يقال البراجم البحرية . وبأرض مصر بناحيتي دُمياط
وتنيس بقر تُسمى بقر الخيس^(٢)، ضخام حسان الصور والشيآت، ولها قرون كالآهلة،
وفيها نفور وتوحش^(٣)، لا يُنتفع بها في العمل وإنما يُنتفع بالبانها . وهي لا تُعلف
الحب، ومأواها حيث يكون العشب والماء الدائم، ولها أسماء يدعونها بها إذا أرادوا
حلبها، فتتقدم إليهم .

وقد وصف الشعراء البقر في أشعارها ، فمن ذلك قول أحمد بن علقم^(٤)
الأصبهاني :

يا حبذا محضها ورائبها * وحبذا في الرجال صاحبها
عجولة سمحة مباركة * ميمونة طفح محالبها
تقبل للحلب كلما دُعيت * ورامها للحلاب حالبها
فتية سنّها، مهذبة * معنف في الندى عائبها^(٥)

(١) كذا في مباحج الفكر . وفي الأصلين : « توضع » بالواو، وهو تحريف .

(٢) الخيس (بالفتح و يكسر) : من كور الخوف الغربي بمصر من فتوح خارقة بن حذافة ، وكان أهلها
من أعان على عمرو بن العاص فسيّاهم ، ثم أمر عمر بردهم الى بلادهم على الجزية أسوة بالقبط . (راجع
معجم البلدان ج ٢ ص ٧٠٥) .

(٣) كان من شعراء أصبهان في القرن الثالث للهجرة وكان له سنة ٣١٠ من العمر ٩٨ سنة ، وقد عمر
الى ما بعد ذلك . وكان يقول الشعر الجيد . وله قصيدة على ألف قافية شيعية عرضت على أبي حاتم
السجستاني فأعجب بها وقال : يا أهل البصرة غلبكم أهل أصبهان . وأول هذه القصيدة :
ما بال عينك ثرة الانسان * عبري اللهاظ سقيمة الأجفان

(٤) راجع معجم الادباء لياقوت ج ٢ ص ٣) .

(٥) المحض : اللبن الخالص بلا رغو .

(٥) العجولة : أنثى العجول ، وهو ولد البقرة .

(٦) في الأصلين : « الندى » بالناء المثلثة ، وهو مصحف عما أثبتناه . وفي مباحج الفكر : « البذاء » .

كانها لُعْبَةٌ مُزَيَّنَةٌ * يَطِيرُ عَجَبًا بِهَا مُلَاعِبُهَا
 كَأَنَّ أَلْبَانَهَا جَنَى عَسَلٍ * يَلَذُّهَا فِي الْإِنَاءِ شَارِبُهَا
 عَرُوسٌ بِأُقُورَةٍ إِذَا بَرَزَتْ ^(١) * مِنْ بَيْنِ أَحِبَّالِهَا تَرَائِبُهَا
 كَأَنَّهَا هَضْبَةٌ إِذَا أَنْتَسَبَتْ ^(٢) * أَوْ بَكَرَةٌ قَدْ أَنْافَ غَارِبُهَا ^(٣)
 تُزْهِى بَرُوقَيْنِ كَالْجَيْنِ إِذَا * مَسَّهَمَا بِالْبَنَانِ طَالِبُهَا
 لَوْ أَنَّهَا مُهَرَّةٌ لَمَا عَدِمَتْ * مِنْ أَنْ يَضُمَّ السَّرُورَ رَاكِبُهَا

وَأُنْشَدَنِي شَمْسُ الدِّينِ بْنِ دَانِيَالٍ لِنَفْسِهِ :

لِلَّهِ عَجَلَةٌ خَيْسٌ * صَفَرَاءُ ذَاتُ دَلَالٍ
 تُرِيكَ عَيْنِي مَهَاةٍ * مِنْ تَحْتِ قَرْنِي غَزَالٍ
 قَدْ سُرِبَلْتُ بِأَصِيلٍ * وَتَوَجَّجْتُ بِهَلَالٍ ^(٤)

وَقَالَ شَاعِرٌ يَصِفُ صَوْتَ الْحَلَبِ :

كَأَنَّ صَوْتَ شَجَبِهَا الْمُرْفُضِّ ^(٥) * كَشِيشُ أَفْعَى أَجْمَعَتْ لِعَضِّ ^(٦)
 * وَهِيَ تَحْكُ بِعَضِّهَا بِيَعَضِّ *

وَقَالَ :

كَأَنَّ صَوْتَ شَجَبِهَا غُدِيَّةٍ * هَفِيفُ رِيحٍ أَوْ كَشِيشُ حِيَّةٍ

(١) الباقورة والباقور : جماعة البقر .

(٢) كذا في مباحج الفكر . وفي الأصلين : « ابْتَسَمَتْ » .

(٣) أناف : ارتفع وأشرف .

(٤) الأنسب للسياق أن يكون « وقال الراجز » وهو معتمر بن قطبة ، كما في شرح القاموس مادة

« كَشَش » .

(٥) الشجب (بفتح الشين وضمها) : ما يخرج من الضرع من اللبن إذا احتلب .

(٦) الكشيش صوت جلد الأفعى . وأما صوتها من فيها فيقال له الفحيح .

ذكر ما قيل في الجاموس

قال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ :

- والجواميس هي ضأن البقر . والجاموس أجزع الحيوان من البعوض وأشدّها
هَرَباً منه إلى الماء ؛ وهو يمشي إلى الأسد رَنَحاً البال ، رابط الجأش ، ثابت الجنان .
وقد حكى عن المعتصم بالله العباسي أنه أبرز للاسد جاموستين فغلبته ، ثم أبرز له
جاموسةً ومعهما ولدها فغلبته وحمّت ولدها ، ثم أبرز له جاموساً مفرداً فواثبه ثم أدبر
عنه . هذا على ما في الأسد من القوة في فمه وكفّه والجرأة العظيمة والثبّة وشدة
البطش والصبر والحُصِر والطلب والمهرب ؛ وليس ذلك في الجاموس ، ولا يستطيل
بغير قرنه ، وليس في قرنه حدة قرن بقر الوحش ؛ فإذا قوى الجاموس مع ذلك حتى
يقاوم الأسد دلّ على قوة عظيمة . ولذلك قدّم الجاحظ الجاموس على الأسد ، وعلّل
تقديمه عليه بهذه العلة . وليس ما حكى عن المعتصم في أمر الجاموس وغلبته للأسد
بعجيب ؛ فإن الجواميس بالأغوار تُقاتل الأسد وتُمانعه وتدفعه فلا يقدر على قهرها .
وأصحاب الجواميس هناك منهم من يغلف قرونها بالنحاس ويُحدّدون أطرافه ،
يقصدون بذلك إعانتته على حرب الأسد وقتاله .

(٨٤)

- والجاموس عندنا بالديار المصرية يقاتل التماسيح الذي هو أسد البحر ويتمكن
منه ويقهره في الماء ؛ فهو قد جمع بين قتال أسد البرّ وأسد البحر . وله قدرة
عظيمة على طول المكث في قعر البحر . والتماسيح لا تكاد تأوى موارد الجواميس
من بحر النيل وتجنّبُ أماكنها .

(١) في الأصلين : « ويقصدون » بالواو .

والجواميس في أرض الشام من الأغوار والسواحل والأماكن الحارة الكثيرة المياه يُنتفع بها في الحرث والحُمولة وجرّ العجل وحلب ألبانها. وأما ^(١) [في] الديار المصرية ^(٢) فلا يستعملونها ألبتة ولا ينتفعون بها إلا بما يتحصّل من ألبانها وتناجها .

وَحُؤُلُ الجواميس يكون بينها قتالٌ شديدٌ ومحاربةٌ ، فأَيُّها فُخِلَ غلب وقهره خصمه ، لا يأوى ذلك المراح ، بل ينفرد بنفسه في الجزائر الكثيرة العُشب شهوراً وهو يأكل من تلك الأعشاب ويشرب من ماء النيل ، وينفرد خصمه بالإناث ، فإذا علم المارب من نفسه القوة والجلد ، رجع إلى المراح وقد توحّش وأستطال ، ويكون خصمه قد ضَعُفَتْ قواه فلا يقوم بمحاربته ، ولكنه لا يُؤلّي عنه إلا بعد محاربته . فإذا قهره ترك الآخر المراح وتوجّه إلى جزيرة وفعل كما فعل الأول وعاد إلى خصمه . ١٠

ولبن الجاموس من ألبان الألبان وأدسمها . والرّعاء يُسمّون كلّ جاموسة بأسم تعرفه إذا دُعيت به إلى الحلب ، فتجيب وتأتيه وتقف حتى يحلبها .

ذكر ما قيل في الغنم الضأن والمعز

رَوَى عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ وَعَطَاءُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : «الْغَنَمُ بَرَكَةٌ مُوضَوعةٌ» . وعن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ١٥

(١) زيادة يقتضيا السياق .

(٢) يلاحظ أن الحال في مصر ليست الآن كما ذكر المؤلف ، إذ الجواميس تستعمل فوق الانقاع بألبانها وتناجها في الحرث كما تستعمل في حمل الأثقال أحيانا .

(٣) يقال : ما قام فلان له - إذا الأمر ولا يقوم له ، إذا لم يطقه . ويقال أيضا : فلان لا يقوم

بهذا الأمر أي لا يطيق عليه ، وإذا لم يطق الإنسان شيئا قيل : ما قام به . (راجع اللسان مادة قام) . ٢٠

قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرُ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمًا^(١) يَتَّبِعُ بِهَا شَعَفَ الْجِبَالِ وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ يَفْتَرِ بَدِينَهُ مِنَ الْفِتَنِ" . وعن أبي هريرة رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "رَأْسُ الْكُفْرِ نَحْوُ الْمَشْرِقِ وَالْفَخْرُ وَالْخِيَلَاءُ فِي أَهْلِ الْخَيْلِ وَالْإِبِلِ وَالْفَدَادِينُ^(٢) أَهْلُ الْوَبْرِ وَالسَّكِينَةُ فِي أَهْلِ الْغَنَمِ" .

ومن فضل الغنم ما رواه أبو هريرة رضى الله عنه : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : "مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا وَرَعَى الْغَنَمَ" . فقال له أصحابه : وأنت يا رسول الله ؟ قال : "نعم [كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة]"^(٤) . وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الغنم مائة شاة لا يريد أن تزيد كلما ولد الراعى بهيمة ذبح مكانها شاة . وقال ابن الأثير في تاريخه : وكان له شاة تُسمى "غوثة"^(٥) ، وقيل "غيثة" ، وعثر

- ١ . (١) كذا في القسطلاني (ج ١ ص ١٣٦ طبع بولاق) . وفي الأصلين : «مال المرء» . (٢) شعف الجبال : رؤسها . (٣) أورد الجاحظ في كتاب الحيوان في كلامه على الماعز (ج ٥ ص ١٤٨) هذا الحديث ، ونصه فيه : «رأس الكفر قبل المشرق والفخر والخيلاء في أهل الإبل والخيل والفدادين أهل الوبر والسكينة في أهل الغنم والإيمان يمان والحكمة يمانية» . وفسر الفداد بالجا في الصوت والكلام ، وأنشد قول أبي الرديني العكلي :

- ١٥ * جاءت سليم ولها فديد *
وقال ثعلب : الفدادون : أصحاب الوبر لفظ أصواتهم وجفائهم (يعني بأصحاب الوبر أهل البادية) .
وقال الأصمعي في تفسير قوله صلى الله عليه وسلم : "الجفاء والتمسوة في الفدادين" هم الذين تعلو أصواتهم في حروثهم وأموالهم ومواشيهم وما يعالجون منها . وقال أبو العباس المبرد في تفسيره له : «هم الجمالون والرعيان والبقارون والحمارون» . والفدادون أيضا : أصحاب الإبل الكثيرة الذين يملك أحدهم المائتين من الإبل إلى الألف ، وهم جفأة أهل خيلاء ، كان أحدهم إذا بلغ ذلك قيل له : فداد .
وهو في معنى النسب كسراج وعوّاج لبائع السروج والعاج .

- (٤) الزيادة عن القسطلاني (ج ٤ ص ١٥٢) .
(٥) كذا في ألفية العراقي والمواهب اللدنية وعبون الأثر . وفي الأصلين : «غوث» . ولم يذكر ابن الأثير هذا الاسم فيما ذكره من مناقحه صلى الله عليه وسلم (في ج ٢ ص ٢٣٩ طبع أوربا) .

تسمى "اليمَن" . وذكر بعض المتأخرين من أهل الحديث أنَّ مكحولاً سُئل عن جلد الميتة، فقال : كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة تسمى "قَمَرٌ"؛ ففقدتها فقال : "ما فعلت قمرٌ؟" فقالوا : ماتت يا رسول الله ؛ قال : "ما فعلتم بإهابها؟" قالوا : ميتة ؛ قال : "دباغها طهورُها" .

قال الشيخ شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الدميّاطي رحمه الله تعالى في كتاب [فضل] الخيل : وكانت منائح رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغنم سبعة : "عَجْرَةٌ" و "زَمْرَمٌ" (١) و "سُقْيَا" و "بَرْكَةٌ" و "وَرَشَةٌ" و "أَطْلَالٌ" و "أَطْرَافٌ" (٢) . وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم سبعُ أعنزٍ منائحٍ ترعاهنَّ أمُّ أيمن . قال : والمنيحةُ : الناقةُ والشاةُ تُعطىها غيرك فيحلبها ثم يردّها عليك . قال أبو عبيد : للعرب أربعةُ أسماءٍ تَضَعُها مواضع العارية ، وهي : المنيحةُ ، والعريّةُ ، والإفقارُ ، والإخبالُ (٣) .

ذكر ترتيب سنّ الغنم

ولدت الشاة حين تَضَعُ ذكراً كان أو أنثى "سَخْلَةً" و "بَهْمَةً" . فإذا فُصِلَ عن أمّه فهو "حَمَلٌ" و "نَحْرُوفٌ" . فإذا أكل وأجتر فهو "بَذَجٌ" (٥) و "فَرْفُورٌ" . فإذا

- (١) كذا في الطبري وابن الأثير . وفي أ : « رمزه » . وفي ب : « زنه » وكلاهما تحريف .
- (٢) كذا في الطبري وابن الأثير والمواهب اللدنية . وفي الأصلين : « أطواف » بالواو ، وهو تحريف .
- (٣) يقال : أفقر الرجل بعيره إذا أعاره غيره للحمل أو للركوب حتى إذا ما انتهى منه رده . مأخوذ من ركوب فقار الظهر . (٤) كذا في لسان العرب (مادة منح) . والإخبال : أن تعطى الرجل البعير أو الناقة ليركها ويجتز وبراها ثم يردّها . وفي الأصلين : « الإحبال » بالحاء المهملة ، وهو تصحيف .
- (٥) كذا في المخصص (ج ٧ ص ١٨٩) واللسان (مادة بذج) . وفي أ : « بذح » بالحاء المهملة . وفي ب : « بذح » بالذال والحاء المهملتين ، وكلاهما تصحيف .

- بلغ النَّزْوَ فهو "عُمْرُوسٌ". وكلُّ أولاد الضَّان والمَعز في السنة الثانية "جَذَعٌ"، وفي الثالثة "ثَنِيٌّ"، وفي الرابعة "رَبَاعٌ"، وفي الخامسة "سَدِيسٌ"، وفي السادسة "سَالِغٌ"^(١). وليس له بعد هذا اسم. ويقال لولد المعز: "جَفْرٌ"، ثم "عَرِيضٌ"، و"وَعْتُودٌ"، و"وَعْنَقٌ". والغنم، الضَّان والمَعز، تضع حملها في خمسة أشهر. وتلد النعجة رأسًا إلى ثلاثة، والعنز من الرأس إلى أربعة. ويتزو الذكور بعد مضي ستة أشهر من ميلاده. وتحمل الأنثى بعد مضي خمسة أشهر من يوم ولدت. ويحز صوف الضَّان عنها في كل سنة. ولحوم الضَّان من أطيب اللحمان، وكذلك ألبانها. وقد أطنب الجاحظ في المفاخرة بين الضَّان والمَعز وأطال وأتى بالغث والسمين.
- وكتب أبو الخطَّاب الصَّابي إلى الحسين بن صبرة جوابًا عن رقعة أرسلها إليه في وصف حملٍ أهداه إليه، جاء منها:

١٠

- «وصلت رقعتك، ففضضتها عن خطِّ مشرق، ولفظ مؤنق، وعبارة مُصيبة، ومعانٍ غريبة، وأتساع في البلاغة يعجزُ عنه عبد الحميد في كتابته، وسحبان في خطابته. وذكرت فيها حملاً، جعلته بصفتك جملاً، وكان كالمُعَيَّدِيٍّ أسمع به ولا أراه. وحضر، فرأيتُ كبشاً مُتَقَامَ المِيلاد، من نتاج قوم عاد، قد أفته الدهور، وتعاقبت عليه العصور، فظننته أحدَ الزوجين اللذين حملهما نوح في سفينته، وحفظ بهما جنس الغنم لذريته. صغر عن الكبر، ولطف في القدر، فبانت دمايته،

١٥

- (١) كذا في اللسان والمخصص. وفي أ: «صالح» بالصاد والعين المهملتين. وفي ب: «ضالع» بالضاد المعجمة والعين المهملة، وكلاهما تحريف.
- (٢) كذا في مباحج الفكر. وفي الأصلين: «اسمع به لا أن تراه».
- (٣) يشير بذلك إلى قوله تعالى: (حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل).

٢٠

وتقاصرت قامته ؛ وعاد نحيفاً ضئيلاً ، بالياً هزليلاً ؛ بادى السقام ، عارى العظام ؛
جامعاً للعايب ، مُشتملاً على المثالب ؛ يعجب العاقل من حلول الروح فيه ؛ لأنه
عظم مجلد ، وصوف ملبد ؛ لا تجد فوق عظامه سلباً ^(١) ، ولا تلقى اليد منه إلا خشباً ؛
لو ألقى للسبع لأباه ، أو طرح للذئب لعافه وقلاه ؛ وقد طال للكلاء فقده ، وبعد
بالمرعى عهد ؛ لم ير القت ^(٢) إلا نائماً ، ولا الشعير إلا حالمًا . وقد خيرتني بين أن
أقتنيه فيكون فيه غنى الدهر ، أو أذبحه فيكون فيه خصب الشهر ؛ فملت إلى استبقائه ؛
لما تعلمه من محبتي في التوفير ، ورغبتى في التثمير ؛ وجمعى للولد ، وأدخارى لغد ؛
فلم أجد فيه مستمتعاً للبقاء ، ولا مدفعاً للفناء ؛ لأنه ليس بأنثى فيحمل ، ولا بفتى
فينسل ، ولا بصحيح فيرعى ^(٣) ، ولا بسليم فيبقى ؛ فملت إلى الثانى من رأيك ،
وعملت بالآخر من قوليك ؛ وقلت : أذبحه فيكون وظيفة للعيال ، وأقيمه رطباً مقام
قديد الغزال ؛ فأنشدنى وقد أضرمت النار ، وحددت الشفار ، وثمر الجزار :

أعيدها نظرات منك صادقة * أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

وما الفائدة لك فى ذبحى ! وإنما أنا كما قيل :

لم يبق إلا نفس خافت * ومقلة إنسانها باهت

ليس لى لحم يصلح للأكل ^(٤) ، فإن الدهر أكل لحمى ؛ ولا جلد يصلح للدبغ ، فإن
الأيام مزقت أديمى ؛ ولا صوف يصلح للغزل ، فإن الحوادث حصت وبرى ^(٥) .

(١) كذا فى مباحج الفكر . وفى أ : « لا يوجد فيها فوق عظامه سلبا » . وفى ب : « لا يوجد فوق
عظامه تسلبا » ، وكلاهما تحريف . والسلب : ما على الرجل من اللباس . يربد به هنا اللحم لأنه يكسو العظم
ويستره كما يستر اللباس الرجل . (٢) القت : نبات رطب تغلفه الدواب .

(٣) فى الأصلين : « يرعى ... يبق » . من غير فاء . (٤) فى الأصلين : « فيصلح » بالفاء .

(٥) حصت وبرى : حلقته وأذهبت .

وإن أردتني للوقود فكفّ بعر أذفاً من ناري ، ولم تَفِ حرارة جَمْرِي بِرائحة قُتَارِي ^(١) .
 ولم يَبْقَ إِلَّا أن تُطالِبني بِذُحُلٍ ^(٢) أو بيني وبينك دَم . فوجدته صادقاً في مقالته ، ناصحاً
 في مشورته . ولم أعلم من أيِّ أموره أُعْجَب : أَمِنْ مُطالَته الدَّهْرَ على البقاء ، أم من
 صبره على الضَّر والبلاء ، أم مِنْ قُدْرَتِكَ عليه مع عَوَزِ مثله ، أم من إتحافك الصديق به
 على خَسَاسة قَدْرِهِ . ويا ليت شعري إذا كنتَ والى سوق الأغنام ، وأمرُكَ ينفذُ ^(٣)
 في المعز والضأن ، وكلُّ حَمَلٍ سَمِين ، وكَبْشٍ بَطِين ، مَحْلُوبٌ ^(٤) إليك ، وموقوفٌ عليك ،
 تقول فيه فلا تُردِّد ، وتريد فلا تُصدِّد ، وكانت هديَّتُك هذا الذي [كأنه] ^(٥) أنشُر من
 القبور ، أو أقيم عند النَّفخ في الصُّور ، فما كنتَ مُهْدِيّاً لو أنك رجل من عُرض
 الكُتَّاب ، كأبي عليّ وأبي الخطاب ! ما تهدي إلّا كلباً أجرب ، أو قرداً أهدب .

وقال شاعرٌ في هذا المعنى :

ليت شعري عن الحروف الهزِيل * ألك الذُّبُّ فيه أم للوَكِيل
 لم أجِدْ فيه غيرَ جِلْدٍ وعَظْمٍ * وذُنَيْبٌ له دَقِيقٌ طَوِيل
 ما أَرَانِي أَرَاهُ يَصْلُحُ إِذْ أَص * بَعَثَ رَسَمًا على رسومِ الطُّلُولِ
 لا لِشَيْءٍ ولا لِطَبَخٍ ولا يَد * مع ولا يرُّ صاحبِ وخِيل
 أعجفٌ لو مَطْفَلٌ نال منه * لغدا تابئاً عن التَّطْفِيلِ ^(٦)

(١) القُتَار (بالضم) : الدخان من المطبوخ . (٢) الذحل : النار . (٣) في الأصلين :
 « إذ » . (٤) كذا في مباحج الفكر . وفي أ هكذا : « بجلوت » . وفي ب : « محلوب » بالخاء
 المهملة . وكلاهما تصحيف . (٥) التكلة عن مباحج الفكر .
 (٦) الأعجف : المهزول . والمطفل : الطفيل . يقال : طفّل الرجل أي صار طفلياً . وقد ورد هذا
 البيت في الأصلين هكذا :

أعجف أو مطفل قال منه * لغدا تابئاً عن التطفيل

وفيه تحريف .

وقال شرف الدين بن عَيْن وقد أهدى له بعض أصدقائه خروفا بعد ما مَظَّلَه به :

٨٦

أتانى خروفاً ما تشككت أنه * حليف جوى قد شفه المجر والمطل
إذا قام في شمس الظهيرة خلتَه * خيالاً سرى في ظلمة ما له ظل
فناشدته : ما تشهى ؟ قال : قَتَّة * وقاسمته : ما شفه ؟ قال لى : الأكل^(١)
فأحضرتها خضراء مجاجة الثرى * منعمة ما خص أطرافها قتل
وظل يراعىها بعين ضعيفة * ويُنشدها والدمع في الخلد منهل :
« أتت وحياض الموت بينى وبينها * وجادت بوصل حين لا ينفع الوصل »

وقال الحمدونى فى المعزى :

أبا سعيد لنا فى شاتيك العبر * جاءت وما إن بها بول ولا بعبر
وكيف تبعر شاة عندكم مكثت * طعماها الأبيضان : الشمس والقمر
لو أنها أبصرت فى نومها علفاً * غنت له ودموع العين تتحدر :
« يا مانى لذة الدنيا بما رحبت * إني ليقننى من وجهك النظر »

وقال أيضا :

ما أرى إن ذبحت شاة سعيد * حاصلاً فى يدى غير الإهاب
ليس إلا عظامها ، لو تراها * قلت هذى أرازن^(٢) فى جراب

(١) قاسمته : أحلفته .

(٢) الأرن : شجر صلب تتخذ منه عصى صلبة .

وقال فيها :

لِسَعِيدٍ شَوْيْهَةٌ * سَلَّهَا الضُّرُّ وَالْعَجْفُ
 قَدْ تَغَنَّتْ وَأَبْصُرْتُ * رَجُلًا حَامِلًا عَلَفَ :
 أَبِي مَنْ بَكَفَّهُ * بَرُّ دَائِي مِنَ الدَّنَفِ
 فَأَتَاهَا مُطَمَّعًا * فَأَتَتْهُ لَتَعْتَلِفُ
 فَتَوَلَّى وَأَقْبَلْتُ * تَتَغَنَّى مِنَ الْأَسْفِ :
 لَيْتَهُ لَمْ يَكُنْ وَقَفَ * عَذَّبَ الْقَلْبَ وَأَنْصَرَفُ

القسم الرابع من الفن الثالث

في ذوات السموم، وفيه بابان

الباب الأول

من هذا القسم في ذوات السموم القَوَاتِل . ويشتمل هذا الباب على ما قيل
في الحيات والعقارب .

ذكر ما قيل في الحيات

الحياتُ مختلفاتُ الجهاتِ جدًّا . وهى من الأمم التى يكثرُ اختلافُ أجناسها
في الصُّورِ والشَّيمِ ، والصَّغَرِ والعَظَمِ ، وفي التعرُّضِ للناسِ وفي الهربِ منهم . فمنها^(١)
ما لا يؤذى إلا أن تَطَّأَهَا . ومنها ما يؤذى إذا وُطِئَتْ في حِمَاها . ومنها ما لا يؤذى
في تلك الحال إلا أن تكون على بيضها أو فراخها . ومنها ما لا يؤذى إلا أن يكون
النَّاسُ قد آذَوْهَا مرَّةً . فاما "الأَسودُّ" فإنه يَحْقِدُ وَيُطَالِبُ وَيَكُنُّ في المتاعِ
حتى يُدْرِكَ ؛ وله زمانٌ يقتلُ فيه كلَّ شَيْءٍ نَهَشَهُ . وأما "الأَفْعَى" فليس ذلك عندها ،
ولكنها تظهر في الصيف مع أوائل الليل إذا سَكَنَ وَهَجُ الرَّمْلِ أو ظاهرُ الأرضِ ،
فتأتى قارعةَ الطريقِ حتى تستديرَ كالرَّحَى وتُشَخِّصُ رأسها ؛ فمن وَطِئَ عليها أو مسَّها
نَهَشَتْهُ . وهى من الحيات التى تَرَصَّدُ ؛ وهى تقتلُ في كل زمانٍ وعلى كل حال .
و"الشُّجاع" يُوايِبُ ويقوم على ذنبه . والحياتُ أصنافٌ كثيرةٌ سنذكر ما أمكن
ذكره منها إن شاء الله .

(١) في الأصلين : « فيها » .

والعرب تضرب المثل في الظلم بالحية فيقولون : " أَظْلَمُ مِنْ حَيَّةٍ " ، لأنها لا تتخذ لنفسها بيتاً ، وكل بيت قصدت نحوه هرب أهله منه وأخلوه لها .

- والحیة مشقوقة اللسان ، ولسانها أسود . وزعم بعض المفسرين لكتاب الله عز وجل أن الله تعالى عاقب الحیة ، حين أدخلت إبليس في فمها حتى خاطب آدم وحواء وخدعهما ، بعشرة أشياء : منها شق لسانها ، فلذلك ترى الحیة إذا ضربت لتقتل كيف تُخرج لسانها لترى الضارب لها عقوبة الله تعالى ، كأنها تسترحم . ويقال : إن من خصائص الحیة أن عينها إذا قُلت عادت ، وكذلك نابها إذا قُلع أو قُطع بالكاز (١) عاد بعد ثلاث ليالٍ ، وكذلك ذنبها إذا قُطع عاد . وفي طباعها أنها تهرب من الرجل العريان ، وتفرح بالنار وتطلبها وتعجب بها ، وباللبن والبطيخ واللُّفاح والخردل . (٢)
- وهي لا تضبط نفسها عن الشراب إذا شتمته ، وإذا وجدته شربت منه حتى تسكر ، وربما كان السكر سبب حتفها ، لأنها إذا سكرت خدرت . وتكره الحیة ريح السذاب (٣) ولا تملك نفسها [معه] ، وربما اضطيدت به ، وتكره ريح الشَّيح . والحیة تذبج حتى تُفري أوداجها فتبقى أياماً لا تموت . ومتى ضربت بالقصب الفارسي ماتت ، وإن ضربت بسوط قد مسه عرق الخيل ماتت . ويقال : إنها لا تموت حتف أنفها إلا أن تُقتل .

١٥

(١) الكاز : المقص بالفارسية .

(٢) اللفاح : هو المعروف في مصر بالشمام .

(٣) السذاب : نوعان : برّي وبستاني ، فالبستاني يفرع فروعا تطلع من ساق له قصيرة تشعب عليه شعب مثل الأغصان ويحمل في أطراف أغصانه رهوسا تنفتح عن ورد صغار الورق أصفر وإذا انتشر سقط منه الحب . وأما البرّي فهو أصغر ورقا من البستاني وزهره مثل زهر البستاني .

٢٠

(٤) زيادة يقتضيا السياق .

ومن أعجب ما شاهدته أنا من الأفاعى أنها قُطعت بحضوري بالبيمارستان المنصوري بالقاهرة المعزية في شهر سنة ست وسبع مائة بسبب عمل الدرياق الفاروق^(٢)، وقُطع من رأسها وذنبها ما جرت العادة بقطعه، وسُيخت وشُق بطنها ونُظفت وهي تحتلج، ثم سُلقت وجرد لحمها عن العظم، فنظرت إليه فإذا هو يختلج، فعجبت لذلك، وذكرته لرئيس الأطباء علم الدين^(٣) المعروف بآبن أبي حليقة وهو حاضر في المجلس، فقال: ليس هذا بأعجب مما تراه الآن، وقال لي: استدع أقراص الأفاعى التي عُمِلت من أكثر من سنة، فاستدعيته، فأحضرها الخازن وهي في العسل وقد دُق لحم الأفاعى بعد سلقه ونُجِن بالسَمِيز وجعل أقراصا ووضع في العسل من أكثر من سنة، فقال لي: تأمل الأقراص، فتأملتها فإذا هي تضطرب اضطرابا خفيفا^(٤).

وقال الجاحظ: وزعم صاحب المنطق أن الحيات تنسلخ عن جلودها في كل عام في أول فصل الربيع أو الخريف، وتبتدىء بالسلخ من عيونها ويتم سلخها في يوم وليلة، ويصير داخل الجلد هو الخارج. وإذا هيرمت وعجزت عن السلخ

(١) هو بيمارستان الملك المنصور قلاوون الألفى الصالحى، وبعضه باق الى الآن ويعرف بمستشفى قلاوون، وهو تابع لوزارة الأوقاف المصرية. (راجع ما كتبه عنه المقرئ بتفصيل واف في خطه ج ٢ ص ٦٠٤ وعلى باشا مبارك في خطه ج ٥ ص ٩٩ - ١٠١).

(٢) الدرياق الفاروق أحد الدرايق وأجل المركبات، لأنه يفرق بين المرض والصحة.

(٣) هو علم الدين ابراهيم بن الرشيد بن أبي الوحش المعروف بآبن أبي حليقة رئيس الأطباء بالديار المصرية والبلاد الشامية، كان بارعا في الطب محظوظا عند الملوك والأمراء، ونالته السعادة من ذلك حتى إنه لما مات خلف ثلثمائة ألف دينار غير القماش والأثاث. وهو أول حكيم ركب بدمشق شراب الورد الطرى ولم يكن يعرف بدمشق قبل ذلك. رحمه الله. توفي بمصر سنة ٧٠٨ هـ. (راجع عيون التواريخ لابن شاكر والسلوك للمقرئ وعقد الجمان للعيني والنجوم الزاهرة لابن تغرى بردى فيمن توفي سنة ٧٠٨ هـ).

(٤) كذا في ب. وفي أ: «خفيا».

وَأَرْتَحَى جِسْمَهَا أَدْخَلَتْ جِسْمَهَا بَيْنَ عَوْدَيْنِ أَوْ فِي صَدْعٍ ضَيْقٍ حَتَّى تَنْسَلَخَ ، ثُمَّ تَأْتِي إِلَى عَيْنِ مَاءٍ فَتَنْغَمَسُ فِيهَا فَيَشْتَدُّ لَحْمُهَا وَيَعُودُ إِلَى قُوَّتِهِ وَشِدَّتِهِ .

قال الجاحظ : وليس في الأرض مثل جسم الحية إلا والحية أقوى بدناً منه أضعافاً . ومن قوتها أنها إذا أَدْخَلَتْ صَدْرَهَا فِي بُحْرٍ أَوْ صَدْعٍ لَمْ يَسْتَطِعْ أَقْوَى النَّاسِ وَقَدْ قَبِضَ عَلَى ذَنْبِهَا بِكَتَا يَدَيْهِ أَنْ يُخْرِجَهَا ، لَشِدَّةِ اعْتِمَادِهَا وَتَعَاوُنِ أَجْزَائِهَا ، وَرَبَّمَا أَنْقَطَعَتْ فِي يَدِ الْجَاذِبِ لَهَا . فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يُخْرِجَهَا أَرْسَلَهَا بَعْضُ إِرْسَالٍ ثُمَّ يَجِدُّهَا كَالْمُخْتَطَفِ لَهَا . قال : ومن أصناف الحيات ما هو أَرْعَرُ ، وما هو أَرْبَّ (ذو شعر) ، ومنها ذواتُ قرون . ومنها ما يسمى الأسود وهو ما إذا كان مع الأفاعي فِي جُؤْنَةٍ وَجَاعٍ أَبْتَلَعَهَا مِنْ قِبَلِ رِءُوسِهَا ، وَمَتَى رَامَ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ جِهَةِ الرَّأْسِ عَضَّتْهُ فَقَتَلَتْهُ . ومن أصنافها ما يسمى « الْأَصْلَةَ » ، وهو ثعبان عظيم جداً ، وله وجه كوجه الإنسان ، ويقال : إنه يصير كذلك إذا مَرَّتْ عَلَيْهِ أُلُوفٌ مِنَ السَّنِينَ . وهو يقتل بالنظر وبالنفخ . ومنهم من يسمي هذا النوع الصِّلَّ ، ويقول : إنَّ أَصْلَ خَلْقَتِهِ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ . قال : وفي البادية حية يقال لها « الْحَفَّاثُ » ، تَأْكُلُ الْفَأَرَ وَأَشْبَاهَهُ . وهي عظيمة ، ولها وعيدٌ مُنْكَرٌ وَنَفْخٌ وَإِظْهَارٌ لِلصَّوْلَةِ ، وليس وراء ذلك شيء ، والجاهل ربما مات من الفرع منها .

١٥

قالوا : ^(٢) والثعبان والأفعى فإنه يقتل بما يُحْدِثُهُ مِنَ الْفَرْعِ ؛ لِأَنَّ الرَّجُلَ إِذَا فَرَعَ تَفْتَحَتْ مَسَامُهُ وَمَنَافِسُهُ ، فَيَتَوَغَّلُ السَّمُّ فِي مَوْضِعِ الصَّمِيمِ وَأَعْمَاقِ الْبَدَنِ . فَإِنْ

(١) الجؤنة : سلية مستديرة مغشاة أداما (الجراب) .

(٢) كذا في الأصلين . والسياق يقتضي أن يكون : « قالوا : والثعبان والأفعى يقتلان بما يحدثانه

٢٠

من الفرع ... الخ » .

(٣) الصميم : العظم الذي به قوام العضو . وفي الأصلين : « الصمم » ، وهو تحريف .

(١) نَهَشَتِ النَّائِمَ وَالْمُغْمَى عَلَيْهِ وَالْمَجْنُونَ وَالطِّفْلَ الصَّغِيرَ لَمْ تَقْتُلْهُ الْبَتَّةَ . وَزَعَمَ صَاحِبُ
الْمَنْطِقِ أَنَّ بِالْحَبَشَةِ حَيَاتٍ لَهَا أَجْنَحَةٌ . وَأَخْبَرَنِي الْمَوْلَى شَرْفُ الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ
الْيَزْدِيِّ قَالَ : كُنْتُ بِمَدِينَةِ الرَّمْلَةِ (٢) فِي شَهْرٍ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِمِائَةٍ صَحْبَةَ الصَّاحِبِ
شَرْفِ الدِّينِ بْنِ الْخَلِيلِ وَمَعَهُ الْقَاضِي الْحَاكِمُ وَجَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ مِنَ النَّاسِ وَفِيهِمْ عَدَوَلَى (٣)
وغيرهم ؛ فَنَظَرْنَا نَحْوَ السَّمَاءِ فَإِذَا نَحْنُ بِحَيَّتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ طَائِرَتَيْنِ فِي الْهَوَاءِ قَاصِدَتَيْنِ
صَوَّبَ الْبَحْرَ ، كُلُّ مَنَّهُمَا فِي غَلَظِ الثَّنِيَانَةِ (٤) ، وَإِنْ إِحْدَاهُمَا مُسْتَقِيمَةٌ فِي طِيرَانِهَا وَالْأُخْرَى
تَتَعَوَّجُ مِنْ قِبَلِ رَأْسِهَا وَوَسَطِهَا وَذَنَبِهَا ، وَكَانَتَا مِنَ الْأَرْضِ بِحَيْثُ لَا يَبْلُغُهُمَا السَّهْمُ ،
قَالَ : فَسَطَّرْنَا بِذَلِكَ مُحَضَّرًا عَلَى عِدَّةٍ نَسَخَ .

وَحَكَى بَعْضُ الْمُؤَرِّخِينَ : أَنَّهُ وَجِدَ فِي خَزَائِنِ الْمُسْتَنْصِرِ بِاللَّهِ الْعَبِيدِي (٥) أَحَدَ خُلَفَاءِ
مِصْرَ بَيْضَةً مَحَلَّةً بِالذَّهَبِ ظَنُّوا أَنَّهَا بَيْضَةٌ نَعَامَةٌ ؛ بِفَعْلٍ النَّاسِ يَتَعَجَّبُونَ مِنْ تَحْلِيلِهَا ١٠

(١) كَذَا فِي الْأَصْلَيْنِ . وَعَلَى مَا اسْتَدْرَكَاهُ فِي حَاشِيَةِ رَقْمِ ٢ ص ١٣٦ يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ السِّيَاقُ : «فَانْهَشَا ... لم يقتلته البتة» .

(٢) الرَّمْلَةُ : مَدِينَةٌ عَظِيمَةٌ بِفَاسْطِينِ ، نَسَبُ الْيَا قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ .

(٣) الْعَدَوَلَى : الْمَلَا حُونَ ، مُفْرَدُهُ عَدَوَلَى .

(٤) كَذَا فِي الْأَصْلَيْنِ . وَالسِّيَاقُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُشَبِّهَ هَاتَيْنِ الْحَيَّتَيْنِ بِشَيْءٍ غَلِيظٍ . وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْكَلِمَةُ مُحَرَّفَةً عَنِ الثَّنَاءِ (بِالْكَسْرِ) وَهُوَ عَقَالُ الْبَعِيرِ وَنَحْوُهُ مِنْ كُلِّ حَبَلٍ مَثْنً . ١٥

(٥) هُوَ أَبُو تَمِيمٍ مَعْدَنُ بْنُ الظَّاهِرِ لِإِعْزَازِ دِينِ اللَّهِ . وَلَدَ سَنَةَ ٤٢٠ هـ وَبَوَّعَ لَهُ بِالْخِلَافَةِ سَنَةَ ٤٢٧ هـ وَعُمُرُهُ يَوْمَئِذٍ سَبْعُ سِنِينَ وَأَقَامَ فِي الْخِلَافَةِ سَتِينَ سَنَةً وَأَشْهَرَا وَجَرَى فِي أَيَّامِهِ مَا لَمْ يَجْرَ فِي أَيَّامِ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ مِنْ تَقَدُّمِهِ وَلَا مِنْ تَأَخُّرِ عَنِهِ . وَتَوَفَّى سَنَةَ ٤٨٧ هـ . (رَاجِعْ تَرْجُمَتَهُ بِتَفْصِيلٍ وَافٍ فِي تَارِيخِ ابْنِ خُلِّكَانَ

ج ٢ ص ١٥١ طَبْعُ بُولَاقٍ وَالْمَقْرِيزِيُّ ج ١ ص ٣٥٥) . ٢٠

بالذهب؛ فذكروا ذلك للمستكفي، فقال : إنها بيضة حية كان بعض الملوك أهداها
لجدي القائم بأمر الله .^(١)

- ومن كتاب نشوار المحاضرة قال حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن الوراق قال
حدثني عمي أبو الحسين : أن الحصيني حدثه عن أبي العباس بن الفرات قال
حدثني أبي قال : قال لي جعفر الخياط : أمرني المأمون ونحن بالروم أن أقتص
الطريق لئلا يكون به جواسيس للعدو، فأخذت معي جماعة من أصحابي فرساناً ورجالةً
وسلكتُ الطريق، فعن لي شعب فقصدته لئلا يكون فيه كمين من الجواسيس،
وتقدمني الرجال فرأيتهم قد وقفوا، فأسرعت اليهم وسألتهم عن خبرهم، فقالوا :
انظر، فنظرت فإذا رجل من الرجال قد قعد لقضاء حاجته، ومشى أصحابه، فقصدته
حية من وراء ظهره فأبتلعت من رجليه إلى صدره وهو يستغيث ويصيح، فلم يكن
لنا فيه حيلة وخفت أن أمر الرجال برمي الحية بالنشاب فيصيب الرجل فأكون أنا
قتله . فبسط الرجل يديه وآتتهى بلع الحية إلى إبطيه، فرأيتها وقد انضمت على

(١) هو القائم بأمر الله أبو القاسم محمد، ولي الأمر بعد موت أبيه المهدي عبيد الله بعهد منه إليه .
سار إلى مصر مرتين ووقع له مع أصحاب مصر حروب وخطوب . وكانت وفاته بالمهدية من بلاد المغرب
في شوال سنة ٣٣٤ هـ . (راجع ترجمته في النجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٨٧ طبع دار الكتب المصرية
والمقرزي ج ١ ص ٣٥١) .

(٢) كذا في ١ . وفي ب : « عمر أبو الحسين » . وقد بحثنا عن هذا الاسم في الجزء الأول
المطبوع من كتاب نشوار المحاضرة (طبع مطبعة أمين هندية بمصر) ، فلم نثر عليه . فلعل هذه الحكاية التي
ورد فيها هذا الاسم جاءت في الأجزاء التالية التي لم تطبع بعد .

(٣) هو جعفر بن دينار بن عبد الله الخياط، كان من كبار القواد في عصر المأمون وابنه المعنم .
وجهه المأمون على رأس جيش في سنة ٢١٥ هـ إلى صاحب حصن سنان فأخضعه، وكان مع الأفشين
في حرب بابل الخرمي وأبلى معه بلاء حسناً .

(٤) الانقصاص : تتبع الأثر .

ما أبتلعه منه ضمة سمعنا تكسير عظامه في جوفها ، فمات وسقطت يداه فأبتلعه حينئذ بأسره . فقلت : الآن أقصدوها بالنشاب ، فرشقناها جميعا فأثبتناها في موضعها حتى قتلناها ، فأمرت بشق بطنها لأعين جسم الرجل ، فلم نجد في بطنها من جلد ولا عظم ولا غيرهما إلا شيئاً كالخيط الأسود ، فإذا هي قد أحرقت في لحظة واحدة .

ويقال : إن بجزائر الصين حيات تبتلع الإبل والبقر وشبهها .

قال الجاحظ : حدثني أبو جعفر المكفوف النحوي العنبري وأخوه روح الكاتب ورجال من بني العنبر : أن عندهم في رمال بلعنبر حية تصيد العصافير وصغار الطير بأعجب حيلة ، وزعموا أنها إذا أنتصف النهار واشتد الحر في رمال بلعنبر وأمتنعت الأرض على الحافي والمُنْتَعِل ، غمست هذه الحية ذنبها في الأرض ثم انتصبت كأنها عودٌ مركزٌ أو عود نابت ، فيجىء الطائر الصغير والجرادة ، فإذا رأى عوداً قائماً وكره الوقوع على الرمل لشدة حره وقع على رأس الحية على أنها عود ، فإذا وقع على رأسها قبضت عليه . فإن كان جرادة أو جعلاً أو بعض ما لا يُشبعها أبتلعه وبقيت على انتصابها ، وإن كان طائراً يُشبعها أكلته وأنصرفت ، وإن ذلك دأبها مامنع الرمل جانبها في الصيف ، والقيظ .

قال : وزعم لي رجال من الصقالبة خُصيانٌ وفحولٌ أن الحية في بلادهم تأتي البقرة المحفلة فتنتطوي على نخذيها وركبتها إلى عمراقها ثم تُشخص صدرها نحو أخلاف ضرعها حتى تلتقم الحلف ، فلا تستطيع البقرة مع قوتها أن ترمم^(٣) ، فلا تزال الحية

(١) في كتاب الحيوان للجاحظ (ج ٤ ص ٣٨) : « ثابت » بالثاء المثناة .

(٢) المحفلة : المثناة الضرع التي تركت أياها من غير حلب لينجم لبنها . وفي الحديث "من اشترى

شاة محفلة فلم يرضها ردّها وردّ معها صاعاً من تمر" .

(٣) ترمم : تحرك .

يُمَصُّ اللَّبَنَ ، وَكَلِمَا مَصَّتْ أَسْتَرَحْتُ ؛ فَإِذَا كَادَتْ تَتَلَفُّ أَرْسَاتَهَا . وَزَعَمُوا أَنَّ تِلْكَ الْبَقْرَةَ إِذَا أَنْ تَتَلَفَّ ، وَإِذَا أَنْ يُصِيبَهَا دَاءٌ فِي ضَرْعِهَا وَفَسَادٌ شَدِيدٌ يَعْسُرُ دَوَاؤُهُ . وَهَذَا الْبَابُ طَوِيلٌ ؛ وَقَدْ أوردنا منه ما فيه غِنًى^١ . فَلْنَذْكُرْ مَا قِيلَ فِي أَصْنَافِ الْحَيَّاتِ وَأَوْصَافِهَا .

- ذِكْرُ أَسْمَاءِ الْحَيَّاتِ وَأَوْصَافِهَا — يُقَالُ : «الْحَيَّاتُ» وَ«الشَّيْطَانُ» هِيَ الْحَيَّةُ الْخَبِيثَةُ . وَ«الْحَنْشُ» : مَا يَصَادُ مِنَ الْحَيَّاتِ . وَ«الْحَيَّوتُ» : الذِّكْرُ مِنْهَا . وَ«الْحَفَّاتُ»^(٢) وَ«الْحَضْبُ» : الضَّخْمُ مِنْهَا . وَ«الْأَسْوَدُ» : الْعَظِيمُ فِيهِ سَوَادٌ ؛ وَيُقَالُ : الْأَسْوَدُ هُوَ الدَّاهِيَةُ ؛ وَلَهُ خُصْمَتَانِ تُخَصِّمَتَانِ الْجَدَى ، وَشَعْرُ أَسْوَدٍ ، وَعُرْفٌ طَوِيلٌ ، وَصُنَانٌ كَصُنَانِ التَّيْسِ . وَ«الشُّجَاعُ» : أَسْوَدٌ أَمْلَسُ يَضْرِبُ إِلَى الْبَيَاضِ ، خَبِيثٌ ؛ وَيُقَالُ : إِنَّهُ دَقِيقٌ لَطِيفٌ . وَ«الْأَعْرَجُ» : حَيَّةٌ صَّمَاءٌ لَا تَقْبَلُ الرُّقَى وَتَطْفِرُ كَمَا تَطْفِرُ الْأَفْعَى . وَيُقَالُ : الْأَعْرَجُ : حَيَّةٌ أَرِيْقُطُ نَحْوُ مِنْ ذِرَاعٍ ، وَهُوَ أَخْبَثُ مِنَ الْأَسْوَدِ . وَقَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ : الْأَعْرَجُ أَخْبَثُ الْحَيَّاتِ ، يَقْفِزُ عَلَى الْفَارَسِ حَتَّى يَصِيرَ مَعَهُ فِي سَرْجِهِ . وَقَالَ اللَّيْثُ عَنْ الْخَلِيلِ : الْأَفْعَى الَّتِي لَا تَنْفَعُ مَعَهَا رُقِيَّةٌ وَلَا دِرْيَاقٌ ، وَهِيَ دَقِيقَةُ الْعَنْقِ عَرِيضَةُ الرَّأْسِ . وَقَالَ غَيْرُهُ : هِيَ الَّتِي إِذَا مَشَتْ مُنْتَنِيَةً جَرَشَتْ بَعْضَ أَسْنَانِهَا بِبَعْضٍ . وَقَالَ غَيْرُهُ : هِيَ الَّتِي لَهَا رَأْسٌ عَرِيضٌ وَلَهَا قَرْنَانِ . وَالْأَفْعَوَانُ : الذِّكْرُ مِنَ الْأَفْعَى . وَ«الْعَرَبْدُ» وَ«الْعِسْوَدُ» حَيَّةٌ تَنْفَخُ وَلَا تَوْدِي . وَ«الْأَرْقَمُ» : الَّذِي فِيهِ سَوَادٌ وَبَيَاضٌ ، وَ«الْأَرْقَشُ» نَحْوُهُ . وَ«ذَوِ الطُّفَيْتَيْنِ» : الَّذِي لَهُ خَطَّانِ أَسْوَدَانِ . وَ«الْأَبْتَرُ» : الْقَصِيرُ الذَّنْبُ . وَ«الْحَشَخَاشُ» : الْحَيَّةُ الْخَفِيفَةُ . وَ«الْثَعْبَانُ» : الْعَظِيمُ مِنْهَا ، وَكَذَلِكَ «الْأَيْمُ»

(١) فِي الْأَصْلَيْنِ : «الْحَيَّاتِ» . وَالتَّصْوِيبُ عَنِ الْمَخْصَصِ .

(٢) كَذَا فِي اللِّسَانِ وَالْمَخْصَصِ . وَفِي الْأَصْلَيْنِ : «الْحَضْبُ» بِالضَّادِ الْمَهْمَلَةِ ، وَهُوَ تَصْغِيفٌ .

و «الآين» . و «آبن قِترَة» : حية شبيهة بالقضيب من الفضّة في قدر الشبر والفتر ،
وهي أخبث الحيات ، فإذا قُرب من الانسان تراءى في الهواء فوقه عليه من أعلاه .
و «آبن طَبَق» : حية صفراء ، ومن طبعها أن تنام ستة أيام ثم تنبّه في اليوم
السابع . ولا تنفخ شيئاً إلا أهلكته قبل أن يتحرك . وربما مر بها الرجل وهي نائمة
فيأخذها كأنها سوار من ذهب ، فإن استيقظت وهي في كفّه خرميتاً . ومن أمثال
العرب «أصابته إحدى بنات طبق» . قال الليث : «السّف»^(١) : الحية التي تطير
في الهواء . وأنشد :

وحتى لو أنّ السّف ذا الريش عَضَنِي * لما ضَرَنِي من فيه نابٌ ولا ثَعَرُ^(٢)
و «النضناض»^(٣) : الذي لا يسكن في مكان .
ومن أسمائها «القَزَة»^(٤) و «الهلال»^(٥) و «الرّعاصة»^(٥) .

ذكر ما في لحوم الحيات من المنافع والأدوية

قال الشيخ الرئيس أبو علي بن سينا : والحية يُستعمل مطبوخها بالماء والملح
والشّبث ، وقد يُزاد عليها الزيت . قال : وأجود لحمه لحم الأنثى ، وأجود سلخه سلخ^(٦)

- (١) كذا في اللسان والمخصص . وفي الأصلين في الموضعين : «السيف» بزيادة الياء ، وهو تحريف .
- (٢) كذا في اللسان مادة (سفف) ، والثعر : السم . وفي الأصلين : «ثغر» بالغين المعجمة ، وهو تصحيف .
- (٣) كذا في اللسان والمخصص . وفي أ : «الفضفاض» . وفي ب : «الفضاص» ، وكلاهما تحريف .
- (٤) كذا في اللسان والمخصص . وفي الأصلين : «الغرة» ، وهو تحريف .
- (٥) في الأصلين : «الرعاة» بالميم . ولم نجد لها في كتب اللغة ولا في المخصص (في الكلام على الحيات) فلعلها محرفة عما أثبتناه . يقال : ارتفعت الحية إذا التوت .
- (٦) السلخ (بالكسر) : الجلد .

الذَّكْر . وطبع الحية إلى التجفيف في لحمها قوى^(١) ، وأما التسخين فليس بشديد ،
وسلخه شديد التجفيف أيضا . وخاصة لحمه أنه يُنفذ الفضول إلى الجلد ، سيما
إذا كان الإنسان غير نقي^(٢) . قال : ولحمه إذا استعمل أطال العمر ، وقوى القوة ،
وحفظ الحواس والشباب^(٣) — أمّا قوله : « أطال العمر » فيردّ هذا القول ما ورد
في الأحاديث الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « فرغ ربك
من أربع خلق وخلق ورزق وأجل^(٤) » . وأما ما عدا ذلك فغير مردود عليه . قال :
وأكله ينفع من الجذام نفعاً عظيماً ، وإذا استعمل على داء الثعلب^(٥) نفعاً عظيماً .
ولحمها ومرقها بعد إسقاط طرفها يمنع تزيّد الخنازير ، وكذلك سلخها . ومرقها
إذا تحسّيت^(٦) وأكل لحمها نفع من أوجاع العصب ، وكذلك سلخها . قال :
وسلخها إذا طبخ في شراب وقطر منه في الأذن سكن وجعها ، ويضمض بخل^(٧)
طبخ فيه السلخ لوجع السن . قال : وزعم جالينوس أنه إذا أخذت خيوط كثيرة ،
وخصوصا المصبوغة بالأرجوان ، وخنق بها أفعى ولّف واحد منها على عنق صاحب
أورام اللّهاة والخلق ظهر نفع عجيب . ومرقته ولحمه يقويان البصر . قال : وآتفقوا
على أن شحم الأفعى يمنع نزول الماء إلى العين ، ولكن الإنسان لا يجسر على ذلك .
وإذا شقت الحية ووضعت على نهش الأفاعي سكن الوجع .

- (١) يريد أن لحم الحية يجفف البدن ويسخنه ، إلا أنه في التجفيف أقوى منه في التسخين .
(٢) كذا في كتاب القانون . وفي الأصلين : « الجواشر » ، وهو تحريف .
(٣) الذي ورد في كتاب الجامع الصغير (ج ٢ ص ١٢٠) : « فرغ إلى ابن آدم من أربع الخلق
والخلق والرزق والأجل » .
(٤) داء الثعلب : علة معروفة يتناثر منها الشعر . وسمى داء الثعلب لأن الثعلب يتساقط شعره كل سنة .
(٥) الخنازير : قروح صلبة تحدث في الرقبة وهي علة معروفة .
(٦) كذا في كتاب القانون . وفي الأصلين : « إذا نخست » ، وهو تحريف .

ذكر شيء مما وُصِفَتْ به الأفاعى

قال بعض الشعراء يصف حية :

لا يَنْبُتُ الْعُشْبُ فِي وَادٍ تَكُونُ بِهِ * وَلَا يُجَاوِرُهَا وَحْشٌ وَلَا شَجَرٌ
جَرْدَاءٌ شَابِكَةُ الْأَنْيَابِ ذَابِلَةٌ ^(١) * يَنْبُو مِنَ الْيَبْسِ عَنْ يَافُوخِهَا الْحَجَرُ ^(٢)
لَوْ شَرَحْتُ بِالْمُدَى مَا مَسَّهَا بَلَلٌ ^(٣) * وَلَوْ تَكَنَّفَهَا الْحَاوُونَ مَا قَدَرُوا ^(٤)
قَدْ جَاهَدُوهَا فَمَا قَامَ الرُّقَاةُ لَهَا * وَخَاتَلُوهَا فَمَا نَالُوا وَلَا ظَفَرُوا ^(٥)
يَكْبُو لَهَا الْوَرَلُ الْعَادِي إِذَا نَفَخَتْ ^(٦) * جَبْنًا وَيَهْرُبُ مِنْهَا الْحَيَّةُ الذَّكْرُ ^(٧)

وقال خلف الأحمر :

وَكَاثِمًا لَبَسَتْ بِأَعْلَى جِسْمِهَا * رَدًّا مِنَ الْأَثْوَابِ أَنْهَجَهُ الْبَلِي ^(٨)
فِي عَيْنِهَا قَبْلُ ^(٩) وَفِي خَيْشُومِهَا * فَطَسَّ ^(١٠) وَفِي أَنْيَابِهَا مِثْلُ الْمُدَى

- (١) كذا في مباحج الفكر (القسم الثاني المجلد الثاني ص ١٥٧) والحيوان للجاحظ (ج ٤ ص ١٠٢) .
يقال : أسد شابك أى مشتبك الأنياب . وفي الأصلين : « شابكة الأذنان » . على أنه يحتمل أن تكون « شائكة » . (٢) اليافوخ : الموضع الذى يتحرك من رأس الطفل ، يهمز ولا يهمز .
- (٣) كذا في مباحج الفكر . وفي الأصلين : « تكيفها » .
- (٤) كذا في مباحج الفكر والحيوان للجاحظ . وفي الأصلين : « فاقام الرقى بها » . والرقى : كالرقية .
- (٥) كذا في الحيوان . وفي مباحج الفكر : « حابلوها » . وفي الأصلين : « حاولوها » .
- (٦) كذا في الحيوان . وفي الأصلين ومباحج الفكر : « آبوا » .
- (٧) الورل (بالتحريك) : دابة على خلقة الضب إلا أنه أعظم منه ، يكون في الرمال والصحارى ، يأكل العقارب والحيات والحرايب والخنافس .
- (٨) في الأصلين ومباحج الفكر : « حيناً » . ورواية البيت في الحيوان :
تقصر الورل العادى بضربتها نكرا ويهرب منها الحية الذكر
ونكز الحية : طعنها بأنفها ، وخص بعضهم به الثعبان والدساسة . ومنه قيل لضرب من الحيات النكاز ، لأنه ينكر بأنفه ولا يعرض بفيه ، ولا يعرف رأسه من ذنبه لدقة رأسه .
- (٩) كذا في مباحج الفكر . وأنهجه : أخلقه وأبلاه . وفي الأصلين : « أبهجه » بالباء الموحدة ، وهو تصحيف .
- (١٠) القبل في العين : إقبال السواد على الأنف ، وقيل : هو مثل الحول ، وقيل : إقبال إحدى الحدقتين على الأخرى ، وقيل غير ذلك .

وقال آخر :

أَرْقَمُ كالدَّرْعِ فِيهِ وَشَمٌ * مَمْزَنُ الظَّهْرِ وَاللَّبَانِ^(١)
يَزْحَفُ كَالسَّيْلِ مِنْ تِلَاجٍ * كَأَنْ عَيْنِيهِ كَوْبَانِ
يَهْشِمُ مَا مَسَّ مِنْ نَبَاتٍ * وَيَجْذِبُ النَّفْسَ بِالْعِنَانِ

وقال ابن المعتز :

أَنْعَتُ رَقْشَاءَ لَا تَحْيَا لَدَيْغَتُهَا * لَوْ قَدَّهَا السَّيْفُ لَمْ يَغْلِقْ بِهِ بَلَلُ
تَلْقَى إِذَا آنَسَلَخَتْ فِي الْأَرْضِ جِلْدَتَهَا * كَأَنَّهَا كُفُّ دِرْعٍ قَدَّهَ بَطْلُ

٩٠

وقال الظاهر البصري^(٢) شاعر اليتيمة :

سِرْتُ وَصَحْبِي وَسُطَّ قَاعٍ صَفْصَفٍ * إِذْ أَشْرَفْتُ مِنْ فَوْقِ طَوْدٍ مُشْرِفٍ^(٣)
رَقْشَاءُ تَرْنُو مِنْ قَلْبٍ أَجُوفٍ * تَوَمَّى بِرَأْسٍ مِثْلِ رَأْسِ الْمَجْرِفِ^(٤)
وَذَنْبٌ مِنْ مَدْمِجٍ مَعْقَفٍ * حَتَّى إِذَا أَبْصَرْتُهَا لَا تَتَكْفَى^(٥)
عُلُوتُهَا بِحَدِّ سَيْفٍ مُرْهَفٍ * [فَظُلَّ يَجْرَى دُمُهَا كَالْقَرْقِفِ]^(٦)
* أَتْلَفْتُهَا لَمَّا أَرَادَتْ تَلْفَى *^(٧)

- (١) اللبان : الصدر . (٢) كذا في كتاب اليتيمة (ج ٢ ص ١٣٥ طبع الشام)
في ذكر شعراء البصرة . وكنيته « أبو الحسين » . وفي أ : « الظاهر المصري » بالميم . وفي ب :
« الظاهر المصري » بالطاء المهملة والميم . وكلتاها تحريف .
(٣) في الأصلين : « ... من كل طود ... » . والتصويب عن اليتيمة .
(٤) كذا في اليتيمة . وفي الأصلين : « ترمي » بالراء ، وهو تحريف .
(٥) كذا في اليتيمة . وفي الأصلين : « مدحج » ، وهو تحريف .
(٦) لا تنكفي : لا ترجع . (٧) التكملة عن اليتيمة .
(٨) القرقف : الخمر .

وقال خلف الأحمر :

له عنق مخضرة مدّ ظهره * وشوم كتحيير اليماني المرقم
إلى هامة مثل الرّحى مستديرة * بها نقط سود وعينان كالدم

وقال آخر :^(١)

وحنّش كحلقة السّوار * غايته شبر من الأشبار
كأنه قضيب ماء جارٍ * يفتّر عن مثل تلظى النّار^(٢)

وقال خلف الأحمر :

صلّ صفا لا تنطوى من القصر * طويلة الإطراف من غير حسر^(٣)
داهية قد صغرت من الكبر * مهروته الشّدقين حولاء النّظر^(٤)
* تفتّر عن عوج حداد كالإبر *

(١) هو أشجع السلي ، كما في مباحج الفكر . (٢) في الأصلين : « النابغة » وهو تحريف .
والتصويب عن كتاب الحيوان للجاحظ (ج ٤ ص ٩٥) . وفيه يقول الجاحظ : « وما علمت أن أحدا
وصف عين الأفعى على معرفة واختبار غيره » . ثم أورد هذه الأبيات بزيادة عليها وعلى غير هذا الترتيب وهي :
أفعى زحوف العين مطراق البكر * داهية قد صغرت من الكبر
صل صفا لا ينطوى من القصر * طويلة الإطراف من غير حسر
(الإطراف : مصدر أطرف وهو أن يطابق ما بين الجفنين . والحسر : الإعياء والكلال)
كأنما قد ذهبت به الفكر * شقت له العينان طولاً في شتر
(الشتر : أن يكون جفن العين منقلبا من أعلى وأسفل ومنشقا ، أو أسفله مسترخيا ، أو انقلب جفنه
الأسفل فلا يلقى الأعلى فظهرت حالقه) .

مهروته الشّدقين حولاء النّظر * جاء بها الطوفان أيام زحر
(الهرت : سعة الشّدقين) .

كأن صوت جلدها إذا استدر * نشيش جمر عند طاه مقتدر
(٣) في الأصلين : « الحفر » بالفاء ، وهو تحريف .

(٤) في المخصص (ج ٨ ص ١٠٩) بعد أن ذكر رواية الأصل هنا : « قال أبو علي : روايته
* حارية قد صغرت من الكبر * » .
والحارية : الأفعى التي كبرت ونقص جسمها ولم يبق إلا رأسها ونفسها وسمها ، وهي أخبث ما تكون .

وقال أبو هلال العسكري :

وخفيفة الحركات تَفْتَرِعُ الرَّبِّي * كالبرق يلمع في الغمام الرائج
منقوطةٌ تحكي صدورَ صحائف * إبانَ تبدو من بطون صفائح
ترضى من الدنيا بظلِّ صُخيرةٍ * ومن المعيشة بأشتمامٍ روائح^(١)

وقال ابن المعتز :

كأننى ساورتني يوم بينهم * رقشاء مجدولةٌ في لونها برق^(٢)
[كأنها حين تبدو من مكانها * غصن تفتح فيه النور والورق]
ينسل منها لسان تستغيث به * كما تعوذ بالسبابة الفرق^(٣)

وقال الهذلي في مزاحف الحيات :

كأن مزاحف الحيات وهنأ^(٤) * قبيل الصبح آثار السياط

وقال آخر :

كأن مزاحفه أنسع^(٥) * جرن فرادى ومنها ثنى^(٦)

(١) ذكر أبو هلال العسكري في كتابه (ديوان المعاني) بعد ذكر هذه الأبيات ما نصه : « وهذا من

قولهم : إن الحية إذا هرمت لم تحتج إلى الطعام واكتفت بالنسيم » .

(٢) الزيادة عن ديوان المعاني . (٣) الظاهر أنه يريد بالفرق : المصلى الخاشع ؛

أى إنها تحرك لسانها كما يحرك المصلى الخاشع سبابة في الصلاة .

(٤) في اللسان (مادة زحف) : « ... الحيات فيه » . وفي الحيوان : « فيها » . والوهن : جزء من

الليل ، واختلف فيه : أهو نحو من نصفه أو بعد ساعة منه أو هو حين يدبر الليل أو هو ساعة تمضي منه .

(٥) الأنسع : جمع نسع وهو سير مضافور يجعل زماما للبعير وغيره .

(٦) كذا بالأصلين . ولعل « ثنى » مقصور ثناء بالمد . يقال : جاء القوم ثناء ومنى أى اثنين

اثنين . وروايته في الحيوان :

كأن مزاحفه أنسع * جرن فرادى ومثاتها

ذكر ما قيل في العقارب

قال الجاحظ : والعقاربُ أصنافٌ : منها الجرّارة ، والطيّارة ، وماله ذنبٌ كالحرّبة ، وماله ذنبٌ معقّفٌ ، وفيها السّود ، والحضرة ، والصّفرة . وهى من ذوات الدّرو^(١) . ويقال : إنّ الأثني من هذا النوع إذا حملت يكون حتفها فى ولادتها ؛ لأن أولادها إذا آستوى خلّقها أكلت بطون الأمّهات حتى تنقبها ، وتكون الولادة من ذلك النّقب ، فتخرجُ والأمّهات ميتة . وفى ذلك يقول الشاعر :

وحاملةٍ لا تحمِل الدّهْرَ حملها * تموت ويحيا حملها حين تعطب^(٢)

وقال أيضا : إنّها تلبّ من فيها مرّتين ، وتحمل أولادها على ظهرها وهى فى قدر القمل كثيرة العدد . قال : والعقرب شرّ ما تكون إذا كانت حبلى ؛ ولها ثمان أرجل لها أظلافٌ مثل أظلاف الثور ، وعيناها فى ظهرها . ومن عجيب أمرها أنّها لا تضرب الميت ولا المغشى عليه ولا النائم ، إلا أن يتحرّك شيء من بدنه ؛ فإنها عند ذلك تضربه ؛ وضربها له إنمّا هو من خوفها منه . وهى تأوى إلى الخنافس وتُسالِمها ، وتُصادق من الحيات كلّ أسودٍ سانخ . وربما لسعَت الأفعى فتموت . وفيها ما يلسع بعضه بعضا فيموت الملسوع . ويقال : إنّها تُستخرج من بيوتها بالجراد ؛ لأنّها تحرص على أكله . ومتى أُدخل الكرّاث فى جحرها وأخرج تبعته وما معها من نوعها . وهى إذا خرجت من جحرها تضرب كلّ ما لقيته من حيوانٍ أو نباتٍ أو جمادٍ .

(١) كذا فى كتاب الحيوان للجاحظ (ج ٥ ص ١٠٧ من النسخة الفوتوغرافية المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٨٥ أدب) . وفيها يقول الجاحظ : « وفى العقارب أعجوبة أخرى لأنّه يقال : إنّها مائة الطباع وإنّها من ذوات الدّرو والإنسال وكثرة الولد » . والدّرو : كالذرية ، وقيل : الدّرو عدد الذرية . وفى الأصلين : « الدور » وهو تحريف .

(٢) كذا فى كتاب الحيوان (ج ٥ ص ١٠٩) . وفى الأصلين : « وينى » .

- وقيل لبعض الأطباء : إن فلانا يقول : إنما أنا مثل العقرب أضرت ولا أنفع ، فقال : ما أقل علمه بها ! إنها تنفع إذا شق بطنها ووضعت على مكان اللسعة . وقد تجعل في جوف نخار مسدود الرأس مطين الجوانب ، ثم توضع الفخارة في تنوير ، فإذا صارت العقرب رمادا سقي من ذلك الرماد من به حصاة نصف دانق فتفتتها من غير أن تضر شيئا من الأعضاء . وقد تلسع من به حمى عتيقة فتقلع عنه . وقد تلسع المفلوج فيذهب عنه الفالج . وقد تلقى العقرب في الدهن وترك فيه حتى يأخذ منها ويجذب قواها ، فيكون ذلك الدهن مصرفا للأورام الغليظة . وقال الشيخ الرئيس : زيت العقارب نافع من أوجاع الأذن . فهذه منافعها .
- وقال الجاحظ : ومن أعاجيب العقرب أنها لا تسبح ولا تتحرك إذا ألقيت في الماء ، كان الماء جاريا أو ساكنا . قال : وهي تطلب الإنسان وتقصده ، فإذا قصدها فترت منه . وهي إذا ضربت الإنسان هربت هرب من قد أساء .
- قال : ومن أعاجيب ما في العقرب أنا وجدنا عقارب القاطول يموت بعضها من أسع بعض ، ثم لا يموت عن لسعتها شيء [غير العقارب] ، ونجد العقرب تلسع إنسانا فيموت وتلسع آخر فتموت هي ، فدل ذلك على أنها كما تعطى تأخذ . ويقال : إن الذي تموت هي إذا لسعته تكون أمه قد لسعت وهي حامل به . قال : ومن أعاجيبها أنها تضرب الطست والقمقم النحاس فتخرقه ، وربما ضربته فثبتت إبرتها فيه .
- قال : والعقارب القتالة تكون في موضعين : بشهرزور من بلاد الجبل ، وعسكر مكرم من بلاد الأهواز ، وهي جرارات ، وإذا لسعت قتلت ، وربما تناثر لحم من

(١) القاطول : اسم نهر كأنه مقطوع من دجلة ، وكان الرشيد أول من حفر هذا النهر وبنى على فوهته

قصر اسماء أبا الجند . (٢) الزيادة عن كتاب الحيوان (ج ٥ ص ١١٠) .

(٣) عسكر مكرم : بلد مشهور بنواحي خوزستان ، منسوب إلى مكرم بن معز .

لسعته أو تعفن ويستريح حتى لا يدنو منه أحدٌ إلا وهو يمسك أنفه مخافة إعدائه .
وهي في غاية الصغر ؛ فإن أكبر ما يوجد منها تكون زنته دانقاً واحداً ، والذي
يوجد منها كبيراً تكون زنته ثلاث حبات أرز ؛ فإن وزنت بشعيرة رجحت الشعيرة
عنها . وهي مع نزارتها تقتل الفيل والبعير بسعتهما . قال : وينصيبين عقارب قتالة
يقال : إن أصلها من شهرزور ، وإن بعض الملوك حاصر نصيبين فأتى بالعقارب من
شهرزور ورمى بها في كيزان بالمجانيق إلى البلد ، فأعطى القوم بأيديهم^(١) .

وقد وصف الشعراء العقرب وشبهوها في أشعارهم ؛ فمن ذلك
قول السري الرفاء :

سارية في الظلام مهيبة * إلى النفوس الردى بلا حرج
سائلة ، في ذنبها حمة * كأنها سبجة من السبيح^(٢)
^(٣)

وقال آخر :

ونضوة تعرف باسم ولقب * ما بين عينها هلال منتصب^(٤)
موجودة معدومة عند الطالب * تطعن من لاقته من غير سبب
يخنجر تسله عند الغضب * كأنه شعلة نار تلتهب

وقال آخر :

تحمّل رماً ذا كعوبٍ مشتهر * فيه سنان بالحريق مستعر^(٥)
أنف تأنيفاً على حين قدير * تأنيف أنف القوس شدت بالوتر

(١) أعطى القوم بأيديهم : ذلوا وخضعوا . (٢) سائلة : رافعة ذنبها .

(٣) كذا في ديوانه . والسبيح : خرز أسود . وفي الأصلين : « سبجة من السبيح » بالخاء المهملة

في الكلتين ، وهو تصحيف . (٤) نضوة : مهزولة ضعيفة . (٥) أنف : حدد وسوى .

وأنف القوس : حدها الذي في باطن سيتها (ما عطف من طرف القوس) وهما أنقان .

وقال عبد الصمد بن المعدل : [يدعو بها على عدو له] ^(١) .

يأرب ذى إفك كثير خدعه ^(٢) * مستجهل الحليم خبيث مرتعه ^(٣)
 [يسرى إلى عرض الصديق قذعه * صبت عليه حين جئت بدعه] ^(١)
 ذات ذنابي متليف من يلسعه * تخفضه طوراً وطوراً ترفعه
 أسود كالسبجة فيه مبضعه * ينطف منه سمة وسلمعه ^(٤)
 تسرع فيه الحنف حين [تشرعه] * يبرز كالقرنين حين ^(١) تطالعه
 في مثل صدر السبت حين تقطعه ^(٥) * لا تصنع الرقشاء ما قد تصنعه

وقال ابن حمديس :

ومشيرة بالموت للطعن صعدة ^(٦) * فلا قرن إن نادته يوماً يجيبها
 تديقك حر السم من ونخر إبره ^(٧) * إذا لسبت ماذا يلاقى لسبها
 إذا لم يكن لون البهارة لونها * فمن يرقان دب فيها شحوبها ^(٨)
 لها سورة خصت بمنكر صورة * ترى العين فيها كل شيء يريها
 لها طعنة لا تستبين لناظر ^(٩) * ولا يرسل المسبار فيها طيبها

٩٢

(١) الزيادة عن مباحج الفكر . (٢) كذا في مباحج الفكر . وفي الأصلين : « جدعه »

١٥ بالجيم المعجمة ، وهو تصحيف . (٣) كذا في مباحج الفكر . وفي الأصلين : « الحكم »

بالكاف ، وهو تحريف . (٤) كذا أ . وأعله محرف عن « سلعه » والسلع : ضرب

من السم . وفي ب و مباحج الفكر : « لسعه » . (٥) السبت : الجلد المدبوغ .

(٦) الصعدة : الرمح . (٧) لسبت : لدغت .

(٨) في الأصلين : « فن زرقان » والتصويب عن ديوانه ومباحج الفكر .

٢٠ (٩) المسبار : ما يسربه الجرح . وفي أ : « المستار » وفي ب : « المسار » ، وكنائهما

تحريف .

(١) نَسِيتُ بِهَا قَيْسًا وَذَكَرَى طَعِينِهِ * (٢) وَقَدْ دَقَّ مَعْنَاهَا وَجَلَّ نُدُوبُهَا (٣)
 تَجِيءُ كَأَمِّ الشَّيْلِ غَضَبِي تَوَقَّدْتُ * (٤) وَقَدْ تَوَجَّ الْيَأْفُوخُ مِنْهَا عَسِيدُهَا (٥)
 عَدُوٌّ مَعَ الْإِنْسَانِ يَعْمُرُ بَيْتَهُ * فَكَيْفَ يُوَالِي رَقْدَةً يَسْتَطِيعُهَا
 وَلَوْ لَا دِفَاعُ اللَّهِ عَنَّا بُلُطْفَهُ * لَصُبَّتْ مِنَ الدُّنْيَا عَلَيْنَا خَطُوبُهَا

٥ (١) لعله يريد قيس بن عاصم المنقري وطعينة الحارث بن شريك الشيباني، وذلك أنه هاجت الحرب بين قبيلتيهما يوم جدود، فظهرت بنو منقر (قبيلة قيس) على بكر بن وائل (قبيلة الحارث بن شريك)، فهزمت بكر بن وائل وتبعهم بنو منقر، فقصده قيس بن عاصم الحارث بن شريك والحارث على فرس قارح وقيس على مهر، تخاف قيس أن يسبقه الحارث فخره بالرح في آسته فنجفزه فرسه فنجا، فسمى الحوفزان؛ ثم انتقضت طعنة قيس على الحوفزان بعد سنة فمات. (راجع الأغاني ج ١٢ ص ١٥٢ — ١٥٣ طبع بولاق) ١٠

- (٢) في الأصلين : « وذكر طعينة » . والتصويب عن الديوان .
 (٣) الندوب : آثار الجرح . وفي الديوان : « وجلت خطوبها » .
 (٤) اليافوخ : الموضع الذي يتحرك من رأس الطفل ، يهمز ولا يهمز .
 (٥) العسب : عظم الذنب ، وقيل : منبت الشعر منه .

الباب الثاني من القسم الرابع من الفن الثالث

فيما هو ليس قاتلا بفعله من دواب السموم

ويشتمل هذا الباب على ما قيل في الخنافس، والوزغ، والضب، وابن عرس، والحرباء، والقنأذ، والفيران، والقُرَاد، والنمل، والذرة، والقمل، والصُّواب.



فأما الخنافس وما قيل فيها — قالوا: والخنافس تتولد من عفونة الأرض. وهي أصناف، منها الخنفس المعروف، ومنها "الجعل" ويسمى "الكبرتل". وهو يتولد من أخشاء البقر، وهو يموت إذا شم رائحة الطيب، وإذا دُفِن في الورد مات، وإذا أُخرج منه ودُفِن في الروث عاش. والغالب أنه لا يموت حقيقة وإنما يتحدر وتبطل حركته، فإذا عولج بما نشأ منه قوى. والله أعلم. وله ست أرجل، وسنام مرتفع. وهو لا يصير كبرتلا حتى يصير له جناحان. وجناحاه يظهران إذا أراد الطيران ويخفيان إذا مشى. ومن عادة الجعل أن يحرس النيام، فمن قام منهم لقضاء الحاجة تبعه طمعا أنه إنما يريد الغائط، والغائط قوت الجعل.

وقال أبو عثمان عمرو بن بحر: وزعم الأعراب أن بين ذكور الخنافس وإناث الجعلان تسافدا، وأنهما ينتجان خلقا يترع إليهما جميعا. قال: وأنشد سيويه لبعض الأعراب يهجو عدوا له:

عَادَيْتَنِي يَا خُنْفُسَا أُمِّ الْجُعَلِ * عداوة الأوعال حيات الجبل

ويقال : إنَّ الجُعَلَ يظلُّ دهرًا لا جناحَ له ، ثمَّ يَنْبُتْ له جناحان . والعرب تقول في أمثالها : «أَجَّ من خنفساء» و «أفخس من فاسية» وهي الخنفساء . وفي الحاجة الخنفساء يقول الأحمر^(١) :

لنا صاحبٌ مَوْلَعٌ بالخِلافِ * كثيرُ الخطأِ قليلُ الصوابِ^(٢)
أَجُّ لِحَاجًا من الخنفساء * وأزهى إذا ما مشى من غرابِ

ومن أصناف الخنافسِ صِنْفٌ يقال له «حِمَارُ قَبَّانٍ» . وهو يتولَّد في الأماكن النديَّة [على ظهره شبهُ المِجَنِّ . ومنها صِنْفٌ يسمَّى «بَنَاتٍ وَرْدَانٍ» . وهي أيضا تتولَّد في الأماكن النديَّة]^(٤) ، وأكثر ما تكون في الحمامات والسقايات . وفيها من الألوان الأسودُ، والأصهبُ، والأبيضُ . قال بعض الشعراء يصف بناتِ وَرْدَانٍ :

بناتُ وَرْدَانٍ جنسٌ ليس يَنْعَتُهُ * خَلَقَ كنعني في وصفى وتشبيهي
كمثل أنصافٍ بسيرٍ أحمرٍ تُرِكَتْ * من بعد تشقيقه أقماعه فيه



ومنها «الصَّرَاصِرُ والجَنَادِبُ»^(٥) . ولها صوتٌ لا يفتُرُّ بالليل ، فإذا طلَع الفجرُ فُقد . وفيه من الألوان الأسودُ وهو جُنْدَبُ الجبال والآكام السوداء ، والأبرق وهو جُنْدَبُ الطلح والسَّمُر والغضا ، والأبيض وهو جُنْدَبُ الصحاري . قال السَّيرِيُّ الرَّفَّاءُ يصف جُنْدَبَةً :

- (١) في لسان العرب (مادة زها) : «قال الأحمر النحوي يهجو العنبي والفيض بن عبد الحميد» .
(٢) كذا في لسان العرب وفرائد اللآل (ج ٢ ص ٢١٤) وكتاب الحيوان (ج ٣ ص ١٥٧) .
وفي الأصلين : «الخلاف» . (٣) كذا في مباهج الفكر . وفي الأصلين : «من» .
(٤) التكلة عن مباهج الفكر . (٥) في الأصلين : «الجنابذ ... جنبد» ، وهو تحريف .
(٦) كذا في مباهج الفكر . وفي الأصلين : «... والبرق» ، وهو تحريف .

وَجُنْدَبَةٌ تَمْشِي بِسَاقٍ كَأَنَّهَا * عَلَى نَفْذٍ كَالْعُودِ مِنْشَارٌ عَرَّعِرَ^(١)
مَمْسَكَةٌ تَجْلُو الْجَنَاحَ كَأَنَّهَا * عَرُوسٌ تَجَلَّتْ فِي عِطَافٍ مَعْنَبَرٍ^(٢)
^(٣) ^(٤)



وَأَمَّا الْوَزْغُ وَمَا قِيلَ فِيهِ — وَالْوَزْغُ يُسَمَّى ”سَامَّ أَبْرَصَ“ . وَزَعَمُوا
أنه أصم ، وأن السبب في صَمِّهِ وَبَرَصِهِ أَنْ الدَّوَابَّ كُلَّهَا حِينَ أُلْقِيَ إِبْرَاهِيمُ
عليه السلام فِي نَارِ التَّمْرُودِ كَانَتْ تُطْفِئُ عَنْهُ ، وَأَنَّ هَذَا كَانَ يَنْفُخُ عَلَيْهِ ، فَصَمَّ وَبَرَصَ .
وَرُوي عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ : دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي يَدَيْ عُمَاةٍ فِيهِ زُجٌّ^(٥) ، فَقَالَ : ”يَا عَائِشَةُ مَا تَصْنَعِينَ بِهَذَا“ ؟
قَالَتْ : أَقْتُلُ بِهِ الْوَزْغَ فِي بَيْتِي ، قَالَ : ”إِنْ تَفْعَلِي فَإِنَّ الدَّوَابَّ كُلَّهَا حِينَ أُلْقِيَ إِبْرَاهِيمُ
فِي النَّارِ كَانَتْ تُطْفِئُ عَنْهُ وَإِنَّ هَذَا كَانَ يَنْفُخُ عَلَيْهِ فَصَمَّ وَبَرَصَ“ . وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ
عَنْهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِلْوَزْغِ الْفَوَيْسِقَ .

قَالُوا : وَفِي طَبْعِ الْوَزْغِ أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ إِلَى بَيْتٍ فِيهِ زَعْفَرَانٌ . وَالْحَيَّاتُ تَأْلَفُ
الْوَزْغَ ، كَمَا تَأْلَفُ الْعَقَارِبُ الْخَنَافِسَ . وَهُوَ يُطَاعِمُ الْحَيَّاتَ وَيَزَاقُهَا . وَهُوَ يَقْبَلُ

(١) كَذَا فِي دِيْوَانِهِ . وَالْعَرَّعِرَ : شَجَرُ السَّرْوِ . وَفِي الْأَصْلَيْنِ :

١٥ * عَلَى نَفْذٍ مِنْ عُودٍ مِيسَانٍ عَرَّعِرَ *

(٢) كَذَا فِي الْأَصْلَيْنِ وَمَبَاهِجُ الْفِكْرِ . وَالْمَمْسَكَةُ : الْمَطْيِيَّةُ بِالْمَسْكِ . وَلَعَلَّهُ يَرِيدُ أَنَّهَا سَوْدَاءُ كَالْمَسْكِ .
وَفِي دِيْوَانِهِ : « مَكْتَبَةٌ » . وَالْمَكْتَبَةُ : الْحَزْمَةُ ؛ وَفِي حَدِيثِ الْمَغِيرَةِ : « وَقَدْ تَكْتَبُ يَزْفُ فِي قَوْمِهِ »
أَي تَحْزِمُ وَجَمْعُ ثِيَابِهِ .

(٣) كَذَا فِي دِيْوَانِهِ . وَفِي الْأَصْلَيْنِ وَمَبَاهِجُ الْفِكْرِ : « الصَّبَاحُ » ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

٢٠ (٤) الْعِطَافُ : الرِّدَاءُ . (٥) الزَّجُّ : الْحَدِيدَةُ فِي أَسْفَلِ الرِّمْحِ .

اللقاح بفيه ، ويبيض كما تبيض الحية . وقيل : إن نصيبه من السم نصيب متوسط ، لا يكمل أن يقتل ، ومتى دبر جاء منه سم قاتل . ومتى قُتل ووضع على جحر حية هربت منه . وهو يُقيم في جحره أربعة أشهر الشتاء .

وقال الشيخ الرئيس : إذا ضُمد به على الشوك والسَّلاء جَذبه ، وعلى النَّالِيل (٢) يقلعها . قال : وقيل : إنَّ المجفف منه إذا خُلط بالزيت أنبت الشعر على القرع . وبوله ودمه عجيب النفع من فتق الصَّبيان إذا جلسوا في طبيخه . وقد يُجعل في بوله أودمه شيء من المسك ويُجعل في إحليل الصبي فيكون بالغ النفع في الفتق . وقيل : إن كبده تُسكن وجع الضرس ، وتُشَق وتوضع على لسع العقرب فيسكن .



وأما الضب وما قيل فيه — قال الجاحظ في كتاب الحيوان : إن من أعاجيب الضب أن له أيرين وللضبة حرين ؛ قال : وهذا شيء لا يُعرف إلا لهما . هذا قول الأعراب في تخصيصهما بذلك . وقالت الحكماء : إن السقنقور (٥)

(١) دبر : شاخ وولى .

(٢) السلاء (بضم السين وتشديد اللام) : شوك النخل .

(٣) النَّالِيل : جمع ثولول وهو خراج يكون بجسم الانسان نائى صلب .

(٤) كذا في كتاب القانون (ج ١ ص ٣٨٩ طبع بولاق) . وفي الأصلين : « وإذا جلسوا... الخ » .

وظاهر أن الواو زيادة من النسخ .

(٥) السقنقور : حيوان شديد الشبه بالورل ، وهو مما يسعى في البر ويدخل في الماء ؛ ولذلك قيل له

الورل المائي . وهو يفتدى في الماء بالسمك وفي البر بحيوان آخر كالعظايات . وهو مما يتولد من ذكر

وأنثى . ويوجد للذكور بالتشريح خصيتان تخصيتي الديوك في خلقتهما ومقدارهما وموضعهما . وإناته تبيض

فوق العشرين بيضة وتدفعه في الرمل فيكمل كونه بحرارة . (راجع مفردات ابن البيطار ج ٣ ص ٢٠ ،

وحياة الحيوان ج ٢ ص ٢٨) .

(١) له أيران، والحرذون كذلك . قال : وقال جالينوس : الضب الذي له لسانان يصلح لحمه
لكذا وكذا . ومما يستدل به على أن للضب أيرين قول الفزاري :
سَبَجْلُ^(٢) له نَزْكَانِ كَانَا فَضِيْلَةً * على كل حافٍ في البلاد وناعلٍ
وَأَسْمَ أيرالضب : النَّزْكُ . وسئل أبو حية الثميري عن ذلك ، فزعم^(٣) أن أيرالضب
كلسان الحية ، الأصل واحد والفرع آثنان . ولأثنى مدخلان . وعلى ذلك أنشد
الكسائي رحمه الله تعالى :

تَفَرَّقْتُمْ لَا زِلْمَ قِرْنٍ وَاحِدٍ * تَفَرَّقَ أيرالضب والأصل واحد

ويقال : إن الضبة إذا أرادت أن تبيض حفرت في الأرض حفرة ثم رمت
بالببيض فيها وطمته بالتراب ، وتتعاذه كل يوم حتى يخرج ، وذلك في أربعين يوماً .
وهي تبيض سبعين بيضةً وأكثر . وبيضها يُشبهه بيض الحمام . ويخرج الحسل
وهو مطبق للكسب .

قالوا : والضب يخرج من جحره كليل البصر ، فيجلوه بالتحديق في الشمس .
وهو يغتذى بالنسيم ، ويعيش ببرد الهواء ، وذلك عند الحرم .

قال الجاحظ : وزعم عمرو بن مسافر : أن الضبة تبيض ستين بيضةً وتسد
عليهن باب الجحر ثم تدعهن أربعين يوماً ، فيتفقس البيض^(٤) ويظهر ما فيه ، فتحفر
عنهن عند ذلك . فإذا كشفت عنهن أحضرن^(٥) وأحضرت في أثرهن ، فتأكل

(١) الحرذون : دوية تشبه الضب .

(٢) السبجل (وزان قطر) : الضخم من الضب والبعر والسقاء والجارية .

(٣) كذا في مباحج الفكر . وفي الأصلين : « يزعم » .

(٤) كذا في كتاب الحيوان للجاحظ (ج ٦ ص ٣٦) . وتفقس البيض عن الفرخ : انفلقت عنه .

وفي الأصلين : « فيتفضض » . (٥) أحضرن : عدون .

ما أدركت منهم . ويحفر المنفلة منها لنفسه جحراً ، ويرعى من البقل . فلذلك توصف بالعقوق . ويضرب به المثل في أكل حسوله . وفي ذلك يقول الشاعر :

أكلت بذك أكل الضب حتى * تركت بذك ليس لهم عديد

قالوا : وفي ذنب الضب من القوة ما يضرب به الحية فربما قطعها . والضب طويل العمر . وفي طبعه أنه يرجع في قيئه . وهو شديد الإعجاب بالتمر . ويقال : إنه يمكث ليلة بعد الذبح ثم يقرب إلى النار فيتحرّك .

قال الجاحظ : وزعمت العرب أن الضب يُعدّ العقرب في جحره ؛ فإذا سمع صوت الحرش ^(١) استنفرها ^(٢) فالزقها بأصل ^(٣) عجب ذنبه وضمه عليها ، فإذا أدخل الحرش يده ليقبض على أصل ذنبه لسعته . وقيل : بل العقارب تألف الضباب وتسلمها وتأوى إليها . قال التميمي :

أتأنس بي وتجرّك غير تجري * كما أنس العقارب والضباب ^(٤)

والضب من الحيوان المأكول ؛ إلا أن العرب تعير بني تميم بأكل لحم الضب . والدليل على إباحته ما جاء في الحديث الصحيح : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في بيت ميمونة رضي الله عنها ، فقدمت له مائدة وعليها ضب مشوي ، فأهوى بيده لياكل منه ؛ فقليل له : يا رسول الله ، إنه ضب ؛ فرفع يده . فقال له

(١) حرش الضب : صيده ، وذلك أن الصائد يحك الحجر الذي هو فيه ويتحرش به ، فإذا أحسه الضب حسبه ثعباناً فأخرج إليه ذنبه ، فيصطاده .

(٢) كذا في كتاب الحيوان . واستنفرها : جعلها بين نخذه . وفي الأصلين : « استنفرها » بالنون ، وهو تصحيف .

(٣) العجب (بالفتح والضم) : أصل الذنب وعظمه ، وهو العصعص .

(٤) رواية كتاب الحيوان : « كما بين ... الخ » .

(٥) كذا في صحيح البخاري ومسلم (في كتاب الذبائح) . وفي الأصلين : « بيت أم حبيبة » .

خالد بن الوليد : يا رسول الله ، أحرامٌ هو ؟ قال : " لا ولكنه ليس في بلاد قومي فأنا لا آكله " ، فأكله خالد بن الوليد بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينهه ؛ ولو كان حراما لنهاه صلى الله عليه وسلم عن أكله ولأخبر بتحريمه لما سُئِلَ عنه .

وقال أبو نُوَاسٍ يعيرُ بأكل الضَّبِّ :

إذا ما تيممُ أُنَّاكَ مُفَاخِرًا * فَقُلْ عَدَّ عَنْ ذَا كَيْفَ أَكُلُكَ لِلضَّبِّ ٥

وقال عمرو بن الأهتم من أبيات :^(٢)

وَرَدَدْنَاهُمْ إِلَى حَرَّتِهِمْ * حَيْثُ لَا يَأْكُلُونَ غَيْرَ الضَّبَابِ^(٣)

وقال الشيخ الرئيس أبو علي بن سينا : زَبْلُ الضَّبِّ نافع لبياض العين ، وينفع من نزول الماء .

وقد وصفه الجَمَانِيُّ فقال وذَكَرَ أَرْضًا : ١٠

تَرَى ضَبَّهَا مُطْلِعًا رَأْسَهُ * كَمَا مَدَّ سَاعِدَهُ الْأَقْطَعُ
لَهُ ظَاهِرٌ مِثْلُ بَرْدٍ مُوشِيٍّ * وَبَطْنٌ كَمَا حَسَرَ الْأَصْلَعُ^(٤)
هُوَ الضَّبُّ مَا مَدَّ سُكَّانَهُ * وَإِنْ ضَمَّه فَهُوَ الضَّنْدُ ع

(١) كذا في ديوانه . وفي الأصلين : « عَدَّ عَنِ ... » .

(٢) هو عمرو بن سنان بن سميٍّ من بني تميم . وسمى أبوه سنان الأهتم لأن قيس بن عاصم المنقري ضربه بقوس فهتم فيه . وأخوه عبيد الله بن الأهتم جد خالد بن صفوان . وهو جاهلي إسلامي ، وكان في الجاهلية يدعى المكحل الجمال ، ووفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم . (انظر الشعر والشعراء ص ٤٠١ طبع أوربا) .

(٣) الحِزَّة : أرض ذات حجارة نخرة سود كأنها أحرقت بالنار .

(٤) في الأصلين : « برد الوشي » . ٢٠



وأما الحِرْبَاء وما قيل فيها — والحِرْبَاء لها أصابع، وأظنها لنبتش التراب .
 ولونها أسود وأصفر ومختلط الألوان كالفهد . وهذه التسمية تقع على ذكورها
 وإناثها^(١) . والحرباء إذا كان في الشمس كان كثير التلون ، فإذا انتقل إلى الظل
 كان أقل تلوّناً . وإذا قارب الموت أو مات أصفرت . وهو أبداً يطالب الشمس ،
 فإذا طلعت وجهه وجهه نحوها . فمتى غاب عنه جرمها فلا يراها أصابه نوع من
 الجنون . وإذا غابت الشمس ذهب ليطلب معاشه ليلته كله حتى يصبح . ولسانه
 طويل جداً ، يقال : إنه مقدار ذراع ، فهو يبلغ به ما بعد عنه من الدُّباب . والأنثى
 منه تُكنى أم حَبِينٍ . وهو يُوصف بالحزم لأنه حيث ينظر إلى الشمس يقبض بيده
 على خُوطٍ^(٢) ، فإذا تقلّب نحو الشمس حيث مالم^(٣) [لا] يُرسل ذلك الخُوط من يده
 حتى يقبض بيده الأخرى خُوطاً آخر . وفيه يقول الشاعر :
 أَنِّي أَتَيْحَ لَهُ حِرْبَاءُ تَنْضُبَةٌ * لَا يُرْسِلُ السَّاقَ إِلَّا مُمَسِّكًا سَاقًا^(٤)

(١) ذهب المؤلف هنا إلى أن الحرباء يطلق على الذكر والأنثى من هذا النوع من الحيوان . ولهذا
 صح له أن يرجع الضمير إليه مؤنثاً مرة ومذكراً أخرى . والذي في اللسان : أن الحرباء ذكر أم حَبِينٍ ،
 وأنه يقال للأنثى حرباءة .

(٢) الخوط : الفصن الناعم . (٣) النكلة عن مباحج الفكر .
 (٤) هو أبو دواد الإيادي ، كما في لسان العرب (مادة حرب) .
 (٥) ذكر صاحب لسان العرب (مادة حرب) بعد أن استشهد بهذا البيت مانصه : « قال ابن بري :
 هكذا أنشده الجوهري ، وصواب إنشاده : أَنِّي أَتَيْحَ لها ... لأنه وصف ظعننا ساقها وأزعجها سائق مجد .
 فتعجب كيف أتيج لها هذا السائق المجد الحازم » اهـ . ورواية المخصص : « لكم » .
 (٦) التنضب : شجرله شوك قصار ، وليس من شجر الشواحق ، تألفه الحرابي .

(١) وكتب بعض الفضلاء إلى بعض أصدقائه يلومه على مقامه بوطنه حين نبا به ، فقال من رسالة :

«أَعْجَزَتْ فِي الْإِبَاءِ ، عَنْ خُلُقِ الْحِرْبَاءِ ، أَدَلَّى لِسَانًا كَالرِّشَاءِ ، يَبْلُغُ بِهِ مَا يُشَاءُ ، وَنَاطَ هَمَّتَهُ بِالشَّمْسِ ، مَعَ بُعْدِهَا عَنِ الْمَسِّ ، وَأَنْفٍ مِنْ ضَيْقِ الْوَجَارِ ، فَفَرَّخَ فِي الْأَشْجَارِ ، وَسَمَّ الْعَيْشَ الْمَسْخُوطَ ، فَاسْتَبَدَلَ خُوطًا بِخُوطٍ ، فَهُوَ كَالْخَطِيبِ ، عَلَى الْغَصَنِ الرَّطِيبِ .

وَإِنْ صَوَابَ الرَّأْيِ وَالْحَزَمَ لَأَمْرِي * إِذَا بَلَغْتَهُ الشَّمْسُ أَنْ يَتَحَوَّلَا

وقال ذو الرُّمَّة :

كَأَنَّ يَدَيَّ حِرْبَاهُمَا مُتَشَمِّسًا * يَدَا مُذْنِبٍ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ تَائِبٍ (٢)

وقال فيه أيضا :

وَقَدْ جَعَلَ الْحِرْبَاءُ يَصْفَرُ لَوْنُهُ * وَتَحَضَّرَ مِنْ لَفْحِ الْمَجِيرِ غَبَاغِبُهُ (٣)
(٤) وَيُشَبِّحُ بِالْكَفَّيْنِ شَبَّاحًا كَأَنَّهُ * أَخُو بَجْرَةٍ عَالَى بِهِ الْجُدْعَ صَالِبُهُ (٥)

(١) في الأصلين : « حيث » . (٢) كذا في ديوانه (ص ٥٩ طبع أوربا) واللسان (مادة شمس) . وفي الأصلين : ومباحج الفكر « محرم » بالحاء المهملة . وفي الحيوان للجاحظ (ج ٦ ص ١٢١) : « مجرم » بالجيم المعجمة .

(٣) في ديوانه (ص ٤٧) واللسان (مادة غيب) : « يبيض رأسه » .
(٤) الغباغب : جمع غبغب ، وهو ما تغضن من جلد منبت العثون (الذقن) الأسفل ، وخص بعضهم به الديكة والشاة والبقر ، واستعاره العجاج في الفحل فقال :
* بذات أثناء تمس الغبغا *

(يعني شقشقة البعير) كما استعير هنا للحرباء .

(٥) كذا في ديوانه . وشبح يديه يشبههما : مدهما . وتشبح الحرباء على العود : امتد . وفي الأصلين : « ويسبح ... سبحا » بالسين المهملة في الكلمتين ، وهو تصحيف .



وقال فيه أيضا :

يُصَلِّيُ بِهَا الْحَرْبَاءُ لِلشَّمْسِ مَائِلًا * عَلَى الْجُدْعِ إِلَّا أَنَّهُ لَا يُكَبِّرُ^(١)
إِذَا حَوَّلَ الظِّلُّ الْعِشْيَ رَأَيْتَهُ * حَنِيفًا فِي وَقْتِ الضُّحَى يَتَنَصَّرُ^(٢)
^(٣)



وأما ابن عرس وما قيل فيه — وآبن عرس من حيوان البيوت ، وهو
حديد النفس شجاع فطن . وأكثر ما يكون بمصر في المنازل . وله صوت قوي
يدل على شجاعته . وقيل : إنه الحيوان المسمى « بالدلق »^(٤) ، وإنما يختلف وبره ولونه
بحسب البلاد . وفي طبعه أنه يسرق ما يظفر به من الذهب والفضة ، وأنه متى وجد
حبوباً متفرقة خلطها . وهو عدو الفأر يصيده ويقتله ، والفأر يخافه .

وقال الجاحظ : وآبن عرس يُقاتل الحية ، وإذا قاتلها بدأ بأكل السذاب ،
لأن الحية تؤلمها رائحة السذاب ، كما قدمنا . وآبن عرس يفعل في الطير ما يفعل
الذئب في الغنم من الذبح . وهو إذا عجز عن الوصول إليها أستدار بعجزه وفسا إلى
جهتها ، فربما قتل الفراريج رائحة فسائه .

(١) كذا في الأصلين ومباهج الفكر . وفي ديوانه (ص ٢٢٩ طبع أوروبا) واللسان (مادة حول)
والحيوان للجاحظ (ج ٦ ص ١٢٠) : « يظل ... » * على الجدل .

(٢) قال في اللسان (مادة حول) : « يعني تحوّل . هذا إذا رفعت الظل على أنه الفاعل وفتحت العشيّ
على الظرف . ويروى الظل العشيّ (بنصب الظل ورفع العشي) على أن يكون العشي هو الفاعل والظل
مفعولاً به . قال ابن بري : يقول : إذا حوّل الظل العشي وذلك عند ميل الشمس إلى جهة المغرب صار
الحرباء متوجهاً للقبلة فهو حنيف ؛ فإذا كان في أول النهار فهو متوجه للشرق لأن الشمس تكون في جهة
الشرق فيصير متنصراً ؛ لأن النصارى تتوجه في صلاتها جهة المشرق » .

(٣) كذا في الأصلين ومباهج الفكر . وفي ديوانه واللسان (مادة حول) والحيوان للجاحظ :
« وفي قرن الضحى » . (٤) هو معرب « دله » بالفارسية .

ومن ذكائه وفطنته ما حكى : أن رجلا صاد فرخا منها فجعله في قفص ؛ فرأته أمه فذهبت وعادت بدينار في فيها فألقته بين يدي الرجل كأنها تريد فداء ولدها منه به ، فتركه ولم يتناوله ، فذهبت وأتت بدينار آخر فلم يأخذه ، فلم تزل تذهب وتعود في كل مرة بدينار إلى خمسة دنانير وهو لا يمسك الذهب ، فذهبت وعادت بصر فارغة وألقته بين يديه كأنها تقول : إنه لم يبق شيء ؛ فلم يطلق ولدها ولا ضم الدنانير . فلما رأته على ذلك عمدت إلى دينار منها فأخذته وعادت به إلى جحرها ؛ نخشى أن تفعل ذلك ببقية الدنانير ، فأخذها وأطلق فرخها ؛ فأعادت إليه الدينار . وقالت الحكماء : لحم ابن عرس نافع من الصرع . والله أعلم .^(١)



وأما القنفذ وما قيل فيها — وواحدتها قنفذ^{عنه} . وهي صنفان : قنفذ ودل^{دول} . فالقنفذ يكون بأرض مصر في قدر الفار . والدل يكون بالشام والعراق وخراسان في قدر الكلب القلطي^(٢) . ويقال : إنه يسفد قائما^(٣) وبطن الأنثى لاصق^٤ بطن الذكر . والأنثى تبيض خمس بيضات ؛ وليس هو كالبيض الذي له قشر يابس بل هو شبيه باللحم . وتصرف القنفذ بالليل أكثر من تصرفها بالنهار . قال أيمن بن حريم :

كقنفذ الرمل لا تخفى مدارج^٥ه * حتى إذا نام عنه الناس لم ينم

(١) هذه العبارة ساقطة من « ب » . (٢) القلطي (كعربي) : القصير .

(٣) كذا في الأصلين . وفي مباحج الفكر : « يسفد قائما وظهر الأنثى لاصق بظهر الذكر » . وفي حياة الحيوان للدميري (ج ٢ ، ص ٣١٣) : « تسفد قائمة وظهر الذكر لاصق بطن الأنثى » . والظاهر أن جميع الروايات محتملة .

والدُّلُّلُ إذا رأى ما يكرهه أنقبض فيخرج منه شوْكُ كالمَدَّارِى في طول الشَّبرِ،
فيجرح ما يُصِيبُه من الحيوان . ويقال : إن شوْكَه شَعْرٌ، وإنما غَلِظَ وَغَلَبَ
عليه اليُبْسُ صار شوْكًا . ١٠

وقال ابنُ سينا : في رماد القنفذ جلاءٌ وتحليلٌ . ومِلْحُه ينفع من داءِ الفيل .
ولحمُه ينفع من الجُدَام ؛ لشِدَّة تحليهِه وتجفيفِه . ولحمُه المُمَلَّح ينفع من الفالج والتشنُّج
وأَمْرَاض العَصَب كُلِّهَا وداءِ الفيل ، وينفع من السَّل ومن سوء المزاج . ومملوَحُه مع
السَّكِينِيْج جيْدٌ لِلأَسْتِسْقَاء ووجع الكلى ، وينفع مَنْ يبُول من الصبيان في الفراش ؛
حتى إن إدمانَ أَكلِهِ ربما عسّر البول . ولحمُه ينفع من الحمىّات المزمنة ومن نهش
الهوام . والله أعلم .

(١) كذا في اللسان (مادة عمش) . والعشوش : العنقود يؤكل ماعليه و يترك بعضه . وفي الأصلين : « عمر موشه » ، وهو تحريف .

(٢) لعله يريد أن لجمه المملوح ينفع من داء الفيل ، وسيصرح بذلك في السطرين التاليين .

(٣) السكبينج (بفتح السين والنون معرب سكينه) : نبات شبيه بالخيار له صمغ ، وهو دواء .

وقد وصفه البلغاء والشعراء في رسائلها وأشعارها — فمن ذلك ما قاله الأمير شمس المعالي من رسالة كتبها إلى بعض أصدقائه وقد أهدى له دُلْدَلًا : « قد أتخفُّتُك يا سيِّدى بِعَلْقِ نَفِيسٍ ، وَتُخْفَةِ رَئِيسٍ ، يَتَعَجَّبُ الْمُتَأَمِّلُ مِنْ أحواله ، وَيَحَارُ النَّاعَتُ فِي أوصافه وأعماله ، وَيَتَبَلَّدُ الْمُعْتَبِرُ فِي آيَاتِهِ ، وَيَكِلُّ النَّاظِرُ فِي معجزاته ، فَمَا يَدْرِى بِبِدْهيَةِ النظر والنُّوَادِ ، أَمِنْ الحيوانِ هُوَ أَمْ مِنَ الجَمَادِ ، حَتَّى إِذَا أُعْطِيَ مُتَدَبِّرُهُ النَّظَرَ أَوْفَى حَقْوِقِهِ ، وَالْفَحْصَ أَكْمَلَ شَرْطِهِ ، عَلِمَ أَنَّهُ كَمَى سِلَاحَهُ فِي حِصْنِهِ ، وَرَامَ سَهْمَهُ فِي ضِمْنِهِ ، وَمَقَاتِلَ رِمَاحِهِ عَلَى ظَهْرِهِ ، وَمَخَاتِلَ سِرِّهِ خِلَافَ جَهْرِهِ ، وَمَحَارِبَ حِصْنِهِ مِنْ نَفْسِهِ ، بِأَقْمَاقٍ بِأَخْشَنِ مِنْ حَدِّ السِّيفِ ، وَيَسْتَتِرُ بِالْأَيْنِ مِنْ وَبَرِ الْخَيْفِ ^(٢) . مَتَى جَمَعَ أَطْرَافَهُ ، وَضَمَّ إِلَيْهِ أَصْوَافَهُ ، حَسِبْتَهُ رَابِيَةً نَاتِيَةً ، أَوْ تَائِعَةً بَادِيَةً . وَهُوَ أَمْضَى مِنَ الْأَجَلِ ، وَأَرْمَى مِنْ بَنَى ثَعْلٍ ^(٣) . إِنْ رَأَتْهُ الْأَرَاقِمُ رَأَتْ حَتَفَ نَفْسِهَا ، أَوْ عَايَنْتَهُ الْأَسَاوِدُ أَيْقَنْتْ بِفَنَاءِ جَنْسِهَا ، صَعْلُوكُ لَيْلٍ لَا يُجْجِمُ عَنْ دَامِسِهِ ، وَفَارَسُ ظَلَامٍ لَا يَخَافُ مِنْ حَنَادِسِهِ ، فِيهِ مِنَ الضَّبِّ مِثْلٌ ، وَمِنَ الْفَأْرِ شَكْلٌ ، وَمِنَ الْوَرَلِ نَسَبٌ ، وَمِنَ الدُّلْدُلِ سَبَبٌ . وَمِنْ أَوَابِدِهِ أَنَّهُ يَسْوَدُّ إِذَا هَرِمَ وَشَابَ ، وَيَصِيرُ كَأَكْبَرٍ مَا يَكُونُ مِنَ الْكِلَابِ .

(١) هو الأمير شمس المعالي أبو الحسن قابوس بن أبي طاهر وشمكير بن زياد بن وردان شاه الجبلي ، كان أميراً لخرجسان وبلاد الجبل وطبرستان . توفى مقتولاً في سنة ٤٠٣ هـ ودفن بظاهر جرجان . جمع رسائله العلامة عبد الرحمن بن علي الزيدادي ، وقد طبعت بمصر سنة ١٣٤١ هـ مع ترجمة المؤلف وسيرته وترجمة جامعها . (٢) الخيف : جلد الضرع . (٣) بنو ثعل : حى من طي ، وهو ثعل بن عمرو بن الغوث ، وهم الذين عناهم أمرؤ القيس بقوله :

وقال أبو محمد اليزيدي^(١) [يذكر قنفذاً رآه، فأطعمه وسقاه] :^(٢)

وطارقٍ ليلٍ جاءنا بعد هَجَّةٍ * من آلِ ليلٍ إلّا ما تحدّث سامرُ
قريناه صَفَوَ الزاد حين رأيتهُ * وقد جاء خَفَّاقَ الحَشَى وهو سادرُ^(٣)
جميلُ الحَيَا في الرضا فاذا أبى * حمته من الضَّيْمِ الرِّمَاحُ الشَّوَاجرُ^(٤)
ولست تراه واضعاً لسلاحه * مدى الدهر موتوراً ولا هو واطرُ

وقال [آخر] من أبيات يرثيه فيها ويصفه^(٢) :

عجبتُ له من شَيْمٍ متحصِّنٍ * ينبئُ من السردِ المضاعفِ تبرُّقُ^(٥)
وأنى أهدى سهمُ المنية نحوه * وفي كلِّ عَضْوٍ منه سهمٌ مفوقُ^(٦)
ولو كان كفَّ الدهر تستخشن الردى * لكان بكفِّ الدهر لا يتعلّقُ

وقال أبو بكر الخوارزمي^(٧) يصفه :

ومدجج وسلاحه من نفسه * شاكي الدوائر أعزل الأقبال

(١) هو يحيى بن المبارك بن المغيرة أبو محمد مولى بني عدي بن عبد مناة . قيل له اليزيدي لأنه صحب
يزيد بن منصور خال المهدي مؤدباً لولده فنسب إليه ، ثم اتصل بالرشيد فجعله مؤدباً للآمون . وكان صحيح
الرواية ثقة صدوقاً ، من أكابر القراء وأديبا شاعرا مجيداً . مات بخراسان سنة ٢٠٢ هـ عن أربع وستين سنة .
(راجع ترجمته في معجم الأدباء لياقوت ج ٧ ص ٢٨٩ ، وبغية الوعاة للسيوطي ص ٤١٤ طبع مصر
وتاريخ ابن خلكان ج ٢ ص ٣٤١ طبع بولاق) . (٢) الزيادة عن مباهج الفكر .

(٣) السادر : المتحير . (٤) كذا في مباهج الفكر . وفي الأصلين : « أتى » بالناء .
المنشاة من فوق وهو تصحيف . (٥) الشيم : ذكر القنفذ . (٦) كذا في مباهج
الفكر . والسرد : اسم جامع للدروع . وفي الأصلين : « السود » بالواو ، وهو تحريف .

(٧) هو أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي أحد الشعراء المجيدين . كان يجمع بين الفصاحة العجيبة
والبلاغة المفيدة ، ويحاضر بأخبار العرب وأيامها ودواوينها ، ويدرس كتب اللغة والنحو والشعر ، ويتكلم
بكل نادرة ، ويأتى بكل فقرة ودرة . أقام بالشام مدة ، وسكن بنواحي حلب ، وكان يشار إليه في عصره .
ومن الملاح والنوادر التي تحكى عنه : أنه قصد صاحب بن عباد وهو بأرجان ، فلما وصل إلى بابه قال لأحد =

يُمَسِّي وَيُصْبِحُ لَمْ يُفَارِقْ بَيْتَهُ * وَلَقَدْ سَرَى عِدَدًا مِنْ الْأُمَيَّالِ
 وَتَرَاهُ يَكُنْ بَعْضُهُ فِي بَعْضِهِ * فَتَطِيشُ عَنْهُ أَسْهَمُ الْأَهْوَالِ
 عَيْنَاهُ مِثْلَ النُّقْطَتَيْنِ وَخَطْمُهُ * يَمُكِّي ثِيْدِي رِضَاعَةِ الْأَطْفَالِ
 وَكَأَنَّ أَقْلَامًا غُرِزْنَ بِظَهْرِهِ * مَسَّ الْمِدَادُ رُءُوسَهَا بِبِلَالِ
 تَتَهَارَبُ الْحَيَاتُ حِينَ يَرَيْنَهُ * هَرَبَ اللَّصُوصِ رَأَتْ سَوَادَ الْوَالِي
 وَكَأَنَّهُ الْخَنْزِيرُ إِلَّا جِلْدَهُ * وَصَيَّاحَهُ وَتَقَارَبَ الْأَوْصَالِ



وَأَمَّا الْفِئْرَانُ وَمَا قِيلَ فِيهَا — قَدْ سَمَّاهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 الْفُؤَيْسِقَةَ . وَالْفَأْرُ ضُرُوبٌ تَقَعُ عَلَى جَمِيعِهَا هَذِهِ التَّسْمِيَةُ وَهِيَ ”الْجُرْدُ“
 و ”الْفَأْرُ“ معروفان — وهما كالجواميس والبقر — و ”الزَّبَابُ“ و ”الْخُلْدُ“
 و ”الْبُرْبُوعُ“ و ”فَأْرَةُ الْبَيْشِ“ (١) و ”فَأْرَةُ الْمِسْكِ“ و ”فَأْرَةُ الْإِبِلِ“ .

فَأَمَّا الْجُرْدُ وَالْفَأْرُ — وهما من حيوان البيوت والبر. قال المتكلمون في طبائع
 الحيوان : إِنَّ الْفَأْرَ مِمَّا جُمِعَ لَهُ بَيْنَ حَاسَةِ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ . وَلَيْسَ فِي الْحَيَوَانَ
 أَفْسَدُ مِنْهُ . وَمِنْ فُسَادِهِ أَنَّهُ يَجِدُ قَارُورَةَ الدَّهْنِ وَهِيَ ضَيْقَةُ الْفَمِ فَيُدْخِلُ ذَنْبَهُ فِيهَا

- ١٥ = حجاب: قل للصاحب : على الباب أحد الأدباء وهو يستأذن في الدخول ، فدخل الحاجب وأعلمه ؛ فقال
 الصاحب : قل له : قد ألزمت نفسي ألا يدخل علي من الأدباء إلا من يحفظ عشرين ألف بيت من شعر
 العرب ، فخرج إليه الحاجب وأعلمه بذلك . فقال له أبو بكر : ارجع إليه وقل له : هذا القدر من شعر الرجال أم
 من شعر النساء ؟ فدخل الحاجب فأعاد عليه ما قال ؛ فقال الصاحب : هذا يكون أبا بكر الخوارزمي ، فأذن له
 في الدخول فدخل عليه فعرّفه وانبط له . وأبو بكر هذا له ديوان رسائل وديوان شعر . ولد سنة ٣٢٣ هـ
 وتوفي في شوال سنة ٣٨٣ هـ . (راجع يتيمة الدهر ج ٤ ص ١١٤ — ١٥٤ وتاريخ ابن خلدان ج ١
 ص ٧٤٦) . (١) البيش : نبات سام تأكله هذه الفأرة ولا يضرها .

وَيَمْتَصُّهُ . فَإِنْ قَصُرَ ذَنْبُهُ عَنْ بُلُوغِ الدُّهْنِ عَمَدَ إِلَى النَّوَى وَالْأَحْجَارِ الصَّغَارِ فَيُلْقِيهِمَا فِيهَا ، فَيَطْفُو مَا فِيهَا فَيَمْتَصُّهُ بِذَنْبِهِ ، وَلَا يَزَالُ يَتَعَاهَدُ ذَلِكَ حَتَّى يَنْفَدَ جَمِيعُ مَا فِيهَا . وَهُوَ إِذَا سَرَقَ الْبَيْضَ يَعْجِزُ عَنْ كَسْرِهِ بِسِنِّهِ ، فَيُدْحِرُجُ الْبَيْضَةَ إِلَى أَنْ تَسْقُطَ مِنْ مَكَانٍ مَرْتَفِعٍ إِلَى مُسْتَفِيلٍ فَتَنْكَسِرُ ، فَإِنْ عَجَّزَهُ ذَلِكَ اسْتَعَانَ بِفَأَرٍ آخَرَ فَيَعْتَنِقُهَا أَحَدُهُمَا بِيَدِيهِ وَرِجْلِيهِ وَيَنْقَلِبُ عَلَى قَفَاهُ ، وَيَقْبِضُ الْآخَرَ عَلَى ذَنْبِهِ وَيَتَسَلَّقُ بِهِ فِي حَائِطٍ ، فَإِذَا ارْتَفَعَ بِهِ عَنِ الْأَرْضِ أَلْقَاهَا الْحَامِلُ لَهَا فَتَنْكَسِرُ فَيَأْكُلُهَا جَمِيعًا . أَخْبَرَنِي بِذَلِكَ مَنْ شَاهَدَهُ . وَالْمَثَلُ يُضْرَبُ بِهِ فِي الْفَسَادِ وَالسَّرِقَةِ وَالنَّسْيَانِ وَالْحَذَرِ . وَفِي طَبْعِ الْجُرُذِ الْبَرِّيِّ وَعَادَتِهِ أَنَّهُ لَا يَحْفِرُ بَيْتَهُ عَلَى قَارَعَةِ الطَّرِيقِ خَوْفًا مِنَ الْحَافِرِ (١) [أَنْ يَهْدِمَ عَلَيْهِ بَيْتَهُ] . وَيَقَالُ : إِنَّهُ يُخَلِّقُ مِنَ الطَّيْنِ ، وَإِنَّهُ يَتَوَلَّدُ بِأَرْضِ مِصْرَ إِذَا نَضَبَ مَاءُ النَّيْلِ عَنْهَا . وَقَالَ صَاحِبُ كِتَابِ مَبَاهِجِ الْفِكْرِ : إِنَّهُ رَأَى ذَلِكَ عِيَانًا فِي سَفْطِ مِيدُومٍ مِنْ جِيزَةِ مِصْرَ .

وَقَالَ الْجَاهِظُ : لِعَمْرِي إِنْ جُرْذَانٌ أَنْطَاكِيةٌ لَتُسَاجِلَ السَّنَانِيرَ فِي الْحَرْبِ ، وَلَا تَقُومُ لَهَا وَلَا تَقْوَى عَلَيْهَا إِلَّا الْوَاحِدَ بَعْدَ الْوَاحِدِ . قَالَ : وَهِيَ بَحْرُاسَانٌ قَوِيَّةٌ جَدًّا ، وَرَبَّمَا قَطَعْتَ أُذُنَ النَّائِمِ . قَالَ : وَمَنْ الْفَأَرُ مَا إِذَا عَضَّ قَتَلَ . قَالَ : وَمَنْ الْأَعَاجِيبُ

- (١) الحافر من الفرس والبغل والحمار : كالقادم من الإنسان . (٢) الزيادة عن مباحج الفكر .
(٣) هذه العبارة نقلها المؤلف عن مباحج الفكر ، وهي عبارة الجاهظ في الحيوان ونصها : « وقد أنكرنا أن تكون الفأر تخلق إلا في أرحام إنائها من أصلاب ذكورها ومن أرحام بعض الأرضين كطينة الفاطول فان أهلها يزعمون أنهم رأوا الفأرة لم يتم خلقتها بعد وإن عينها لتبأصان ثم لا يريمون حتى يتم خلقتها وتشتد حركتها » . (٤) يلاحظ أنا لم نجد في مباحج الفكر في كلامه عن الفأر شيئاً من ذلك .
(٥) سفت مِيدُوم : قرية من مديرية بني سويف بقسم الزاوية (وهي الآن إحدى قرى مركز الواسطة) واقعة غربي النيل بالقرب من الجبل الغربي وفي الجنوب الغربي لناحية الرقة بنحو ألفين وستمائة متر . وأكثربانيتها بالآجر وبها جامع ، وهي على تلّ قديمة . وفي غربها على بعد سبعمائة متر بالجبل الغربي هرم عظيم يضاف إلى اسمها . (راجع الخطط التوفيقية ج ١٢ ص ٣٩) .

في قرض الفأر أن قوماً من أهل الفِرَاسة ينظرون إلى قرضه ويتفترسون منه أحوالاً .
 ويزعمون أن أبا جعفر المنصور نزل في بعض القرى فقرض الفأر مسحاً له كان يجلس
 عليه ، فبعث به ليرفأ ، فقال لهم الرِّفاء : إن هاهنا أهل بيت يعرفون بقرض الفأر
 ما ينال صاحب المتاع من خير وشر ، فما عليكم أن تعرضوه عليهم قبل إصلاحه ؟
 فبعث المنصور إلى شيخهم ، فلما نظر إلى موضع القرض وثب قائماً ثم قال : من
 صاحب هذا المسح ؟ فقال المنصور : أنا ، فقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين
 ورحمة الله وبركاته ، والله لتلين الخلافة أو أكون جاهلاً أو كذاباً .

وفي الفأر منافع ذكرها الشيخ الرئيس ابن سينا ، فقال : دمُ الفأر يقطع الثآليل ،
 وزبلُّه نافع على داء الثعلب وخصوصاً لطخاً بالعسل ، وخصوصاً المحرق . قال :
 وإذا شوى الفأر وجفف وأطعم الصبي أنقطع سيلانُ اللعاب من فيه . قال : وآتفق
 الناس أن الفأر إذا شق ووضع على لدغ العقرب نفع . والله أعلم .

وقد وصف الشعراء الفأر وشبهوه في أشعارهم وذكروا سوء فعله . فمن ذلك
 قول أعرابي [وقد دخل البصرة فأشترى خبزا فأكله الفأر^(١)] :

عَجَّلَ رَبُّ النَّاسِ بِالْعِقَابِ * لِعَامِرَاتِ الْبَيْتِ بِالْخِرَابِ
 حَتَّى يُعْجَّزْنَ إِلَى التَّبَابِ * تُكَلِّ الْعَيُونَ وَقُصَّ الرَّقَابِ^(٢)
 مُجَرَّرَاتٍ فَضُلَّ الْأَذْنَابِ * مِثْلَ مَدَارِي الطَّفْلِ الْكَعَابِ^(٣)

(١) الزيادة عن ديوان المعاني لأبي هلال العسكري (ص ١٨٤ من الجزء الثاني المخطوط والم محفوظ
 بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٢٦٤ أدب) .

(٢) وقص : جمع أوقص . والوقص (بالتحريك) : قصر العنق .

(٣) المداري : جمع مدراة ، وهي شئ يعمل من حديد أو خشب على شكل سن من أسنان المشط
 وأطول منه ، يسرح به الشعر المتلبد .

كيف لها بأئمر^(١) وثأب * منهرت الشّدق حديد النَّابِ
كأنما يكشّر عن حراب * يفرسها كالأسد الوثأب

وقال أبو بكر الصنوبري^(٢) :

يا لخدب الظهور^(٣) قعس الرقاب * لدقاق الخُرطوم والأذنان
للطاف آذانها^(٤) والخراطية * هم حداد الأظفار والأنياب
خلقت للفساد مذخلق الخلد * بق وللعيث والأذى والخراب
ناقيات في الأرض والسقف والحا * ئط نقباً أعياء على النقاب
آكلات كل المأكّل لا تسد * أمها شاربات كل الشراب
آلفات قرض الثياب وقد يعد * يدل قرض القلوب قرض الثياب

وقال في فارة بيضاء :

وفارة بيضاء لم تبتذل * يوماً لإطعام السنانير
إذ فارة المسك سمعنا بها * وهذه فارة كافور

(١) في كتاب الحيوان (ج ٥ ص ٨٠) :

* أهوى لمن أمر الإهاب *

وقد فسر الجاحظ «أمر الإهاب» بالسنور .

(٢) هو أحمد بن محمد بن الحسن بن مرار أبو بكر الضبي المعروف بالصنوبري الحلبي ، شاعر محسن أكثر أشعاره في وصف الرياض والأنوار . قدم دمشق وله أشعار في وصفها ووصف متزهاتها . وسئل عن السبب الذي نسب جدّه الى الصنوبر حتى صار معروفاً به فقال : كان جدي صاحب بيت حكمة من بيوت حكم المأمون ؛ فجرت له بين يديه مناظرة فاستحسن كلامه وحده ذكائه وقال له : إنك لصنوبري الشكل ، يريد بذلك الذكاء وحده المزاج . (راجع تاريخ ابن عساكر ج ١ ص ٥٦ طبع الشام) .

(٣) قعس الرقاب : مائلتها نحو الظهر .

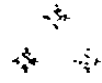
(٤) كذا في مباحج الفكر . وفي الأصلين : « أذنانها » .



وأما الزَّبَابُ — فإنه فأرُّ أصم، يكون في الرمل . والعرب تضرب به المثل في السرقة . يقولون : «أسرق من زبابة» .



- وأما الخُلْدُ — فهو أعمى لا يُدرك شيئاً إلا بالشم^(١)، [إلا أن] عينيه كاملتان،^(٢) لكن الحفن مُتَّحِمٌ على الناظر لا يَنَشَقُّ . وهو تُرابيٌّ مستقرٌّ في باطن الأرض ، وهي له كالماء للسماك . وليس له على ظهر الأرض قوَّةٌ ولا نشاطٌ ، بل يَبْقَى مطروحاً كالميت فتخطئه الجوارح أو يموت . وهو حديدٌ حاسة الشم . ومتى شم رائحة طيبة هرب . وهو يحب رائحة الكراث والبصل ، وربما صيد بهما . ومن دأبه طول الكد ودوام الحفر . وفي تركيبه أنه لا يُفْرِط في الطلب ولا يقصّر عنه . وله وقت يظهر فيه لا يُخطئه ولا يغلط^(٣) في المقدار . ويُضرب به المثل في حدة السمع ، فيقال : «أسمع من خلد» .



- وأما اليربوع — فهو حيوان طويل الرجلين ، قصير اليدين جداً . وله ذنب كذب الجرذ ، يرفعه صُعْدًا ، في طَرَفه شبه الثَّوارة . ولونه لون الغزال . ويقال لولده «دِرْص» ، والجمع أدراص . قال أصحاب الكلام في طبائع الحيوان : كل دابة حشاها الله خُبثًا فهي قصيرة اليدين . وهو يسكن بطن الأرض لتقوم رطوبتها

(١) في ب : « بالسمع » . (٢) التكمة عن مباحج الفكر .

(٣) كذا في مباحج الفكر . وفي الأصلين : « ولا يغلب » بالباء الموحدة . ولعلها « يغلت » بالناء .

المثناة . والغلت كالغلط ، وقيل : الغلت في الحساب والغلط في القول .

له مقام الماء . وهو يُؤثر النسيم ويكره البخار . وهو يتخذ بحجره على نَشْرِ من الأرض ويحفّره ، ويفتح له أبوابا على مَهَبِّ الرياح وتُسمى «النافقاء»^(٢) و «القاصصماء» و «الدّاماء» و «الراهِطاء» . فإذا طُلب من أحد هذه الأبواب خرج من الآخر . وهو يَجْتَرُّ وَيَبْعَرُ . وله كَرِشٌ وأسنان وأضراس . وهو من الحيوان الذي ينقاد إلى رئيس منه . والرئيس منها إذا كان فيها يرتفع عنها فيكون في مكان مُشْرِفٍ أو على صخرة ينظر منه إلى الطريق . فإن رأى ما يخافه عليها صرّ بأسنانه وصوت ، فتسمعه فتصرف إلى حجرتها ، وإن أغفل ذلك ورأت ما تخافه قبل أن يراه قتلته ، لتضييعه الحزم وغفلته ، ونصبت غيره لرياستها . وإذا أرادت اليرابيع الخروج من حجرتها لطلب المعاش خرج الرئيس قبلها وأشرف ، فإذا لم ير ما يخافه عليها صرّ لها وصوت فتخرج . قالوا : ويتولد من اليربوع والفأرة ولدٌ يسمى «القرنب» .



وأما فأرة المسك — فقال الجاحظ : إنها دويبة تكون في بلاد تبت^(٣) تصاد لنوايحها وسررها . فإذا أصطيدت عُصبت سُرَّتْها بعصابٍ وهي مدلاة فيجتمع فيها دمها ، فإذا اجتمع ذُبِحت ، ثم تُقَوَّر السرة المعصوبة وتدفن في الشَّعِير حيناً

١٥ (١) في كتاب حياة الحيوان للدميري (ج ٢ ص ٤٨٠) : « البحار » بالحاء المهملة . وكلتاها غير واضحة .

(٢) ورد في المخصص (ج ٨ ص ٩٢) في الكلام على بحرة اليرابيع : « قال أبو حاتم : هي سبعة : القاصصماء ، والنافقاء ، والداماء ، والراهِطاء ، والعانقاء ، والحاثياء ، واللفز » . ثم جاء فيه بعد ذلك تفسير لها جميعها . فانظره هناك . وانظر لسان العرب أيضا (مادة نفق) .

٢٠ (٣) تبت (كسكر وفيها روايات أخرى) : إقليم ضمن الجمهورية الصينية مناخم للهند يقع منها في شمالها وإلى الجنوب الغربي من الصين الأصلية . وهي حضبة تحترقها الجبال تعتبر أعلى صقع في العالم . ومن أشهر نباتها الكلاء وترعاه الوعول البرية والمعز والأغنام . ومن صادراتها الصوف والمسك .

فِيستَحِيلُ ذلكَ الدَّمُ المَحْتَنِقُ الجَامِدُ مَسْكَاذِيكًا بَعْدَ أَنْ كَانَ مُنْتِنًا . وَيَقَالُ : إِنْ هَذِهِ
 الْفَأْرَةُ تُوجَدُ فِي بِلَادِ الزَّابِجِ^(١) وَتُحْمَلُ إِلَى السَّنَدِ ، وَإِنْ الْمَسْكُ يَخْرُجُ مِنْ خُصْيَتَيْ ذَكَورِهَا
 بِالْعَصْرِ ، وَمِنْ ضُرُوعِ إِنْثَاهَا بِالْحَلَبِ . وَيَقَالُ : إِنْ الْفَأْرُ الْفَارَسِيَّ أَطِيبُ رِيحًا مِنْ
 كُلِّ طِيبٍ ، وَرَبَّمَا ضَاهَى رِيحَ الْمَسْكِ . وَهُوَ أَجْرَدُ أَشْقَرُ ، شَعْرُهُ إِلَى الصُّفْرِ ، شَدِيدُ
 كَمَلِ الْعَيْنَيْنِ ، طَوِيلُ الْأُذْنَيْنِ ، قَصِيرُ الذَّنْبِ .



وَأَمَّا فَأْرَةُ الْإِبِلِ — فَلَيْسَتْ بِحَيَوَانٍ ، وَإِنَّمَا هِيَ رَائِحَةٌ تَسْطَعُ مِنَ الْإِبِلِ
 عِنْدَ صَدُورِهَا مِنَ الْوَرْدِ يُنْتِجُهَا طِيبُ الرَّغْيِ . قَالَ الشَّاعِرُ^(٢) :
 لَهَا فَأْرَةٌ ذَفْرَاءُ كُلِّ عَشِيَّةٍ * كَمَا فَتَقَ الْكَافُورَ بِالْمَسْكِ فَاتِقُهُ^(٣)



وَأَمَّا الْقُرَادُ وَمَا قِيلَ فِيهِ — فَقَدْ قَالُوا : أَوَّلُ مَا يَكُونُ "قَمَقَامَةً"^(٤) وَهُوَ
 الَّذِي لَا يَكَادُ يُرَى مِنْ صِغَرِهِ ، ثُمَّ يَصِيرُ "حَمْنَانَةً" ثُمَّ يَصِيرُ "قُرَادًا" ، ثُمَّ يَصِيرُ "حَلَمًا" .
 وَيُقَالُ لِلْقُرَادِ : "الْعَلُّ" وَ"الطَّلُحُ" وَ"الْقَتَيْنُ" وَ"الْبَرَامُ" وَ"الْقِرْشَامُ" .

- (١) كَذَا فِي مَبَاهِجِ الْفِكْرِ وَيَاقُوتَ . وَالزَّابِجُ : جَزِيرَةٌ فِي أَقْصَى بِلَادِ الْهِنْدِ وَرَاءَ بَحْرِ هَرْكِندَ فِي حُدُودِ
 الصِّينِ ، يَوْجَدُ بِهَا فَأَرُ الْمَسْكِ وَالزَّبَادِ (دَابَّةٌ شَبَّهَ الْهَرَّ) . وَفِي أ «الزَّابِجُ» . وَفِي ب : «الزَّابِجُ» ،
 وَكِلَاهُمَا تَصْخِيفٌ . (٢) هُوَ الرَّاعِي ، كَمَا فِي اللِّسَانِ (مَادَّةُ فَأْرٍ) . وَاسْمُهُ عَبِيدُ بْنُ حَصِينِ بْنِ مَعَاوِيَةَ
 مِنْ بَنِي نَمِيرَ . وَسَبَبُ تَسْمِيَّتِهِ بِالرَّاعِي أَنَّهُ كَانَ يَصِفُ رِعَاةَ الْإِبِلِ فِي شَعْرِهِ وَلَمْ يَكُنْ رَاعِيًا ، بَلْ كَانَ سَيِّدًا مِنْ
 سَادَاتِ الْعَرَبِ وَمِنْ وَجْهِ قَوْمِهِ . (٣) ذَفْرُ الشَّيْءِ (كَفَرَحٍ) : ظَهَرَتْ رَائِحَتُهُ وَاشْتَدَّتْ ،
 طَبِيعَةً كَانَتْ أَوْ خَبِيثَةً ، فَهُوَ ذَفْرٌ وَأَذْفَرُ وَهُوَ ذَفْرَةٌ وَذَفْرَاءُ . (٤) كَذَا فِي اللِّسَانِ (مَادَّةُ قَمِ)
 وَالْمَخْصَصُ (ج ٨ ص ١٢٢) . وَفِي الْأَصْلَيْنِ : «قَمَقَامَةٌ» ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

والقَرَاد يُخَلَقُ مِنْ عَرَقِ الْبَعِيرِ وَمِنْ الْوَسَخِ وَالنَّاطَخِ^(١) بِالنَّطِّ وَالْأَبْوَالِ ؛ كَمَا يُخَلَقُ الْقَمَلُ مِنْ عَرَقِ الْإِنْسَانِ . وَفِي طَبْعِ الْقَرَادِ أَنَّهُ يَسْمَعُ رَغَاءَ الْإِبِلِ مِنْ فَرَاخِ^(٢) فَيَقْصِدُهَا ؛ حَتَّى إِذَا أَصْحَابُ الْإِبِلِ يَبْعَثُونَ إِلَى الْمَاءِ مِنْ يُصْلِحُ لِإِبِلِهِمُ الْأُرْشِيَّةَ^(٣) وَآلَاتِ السَّقْيِ ، فَتَبَيَّتُ الرِّجَالُ عِنْدَ الْبُئْرِ تَنْتَظِرُ مَجِيءَ الْإِبِلِ ، فَيَعْرِفُونَ قَرَبَهَا مِنْ الْقَرَادِ بِأَنْبِعَاثِهِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ وَسُرْعَةِ حَرَكَتِهِ وَمُرُورِهِ ، فَإِذَا رَأَوْا ذَلِكَ مِنْهُ تَهَيَّأُوا لِلْعَمَلِ .

وَيَقُولُ مَنْ أَعْنَى بِالْحَيَوَانِ وَتَكَلَّمَ فِي طِبَائِعِهِ : إِنَّ لِكُلِّ حَيَوَانٍ قُرَادًا يَنْاسِبُ مِنْ أَجْهِهِ .

وَهُمْ يَضْرِبُونَ الْمَثَلَ بِالْقَرَادِ فِي أَشْيَاءَ ، فَيَقُولُونَ : «أَسْمِعْ مِنْ قُرَادٍ» ، وَ«أَلْزِقْ^(٤) مِنْ قُرَادٍ» ، وَمَا هُوَ إِلَّا قُرَادٌ تُفْرِ^(٥) . وَأَنْشُدِ الْجَاهِظُ لِبَعْضِ الشُّعْرَاءِ فِي الْقَرَادِ :

أَلَا يَا عِبَادَ اللَّهِ هَلْ لِقَبِيلَةٍ * إِذَا ظَهَرَتْ فِي الْأَرْضِ شَدَّ مُغِيرُهَا
فَلَا الدِّينُ يَنْهَاهَا وَلَا هِيَ تَنْتَهِي * وَلَا ذُو سِلَاحٍ مِنْ مَعَدٍّ يَضِيرُهَا



وَأَمَّا التَّمَلُّ وَالذَّرُّ وَمَا قِيلَ فِيهِمَا — قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ . حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ . وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَزَلَ مِنْزَلًا

(١) النلط : الرقيق من الرجيع . (٢) الأرشية : (جمع رشاء) ، وهو حبل الدلو .

(٣) الذي في مجمع الأمثال : «ألّزق من عل» و«ألّزق من برام» . وهما من أسماء القراد كما تقدم .

(٤) التفري (بالضم وبالفتح أيضا) لضروب السباع ولكل ذات مخلب : كالحياء للناقة .

فَانْطَلَقَ لِحَاجَةٍ بِخَاءٍ مِنْ حَاجَتِهِ وَقَدْ أَوْقَدَ رَجُلٌ عَلَى قَرْيَةٍ نَمْلٍ إِمَّا فِي شَجَرَةٍ وَإِمَّا فِي الْأَرْضِ ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ” مَنْ فَعَلَ هَذَا أَطْفَأَهَا أَطْفَأَهَا أَطْفَأَهَا “ . وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : ” نَزَلَ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ تَحْتَ شَجَرَةٍ فَعَضَّتْهُ نَمْلَةٌ فَقَامَ إِلَى نَمْلٍ كَثِيرٍ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَقَتَلَهُنَّ فَقِيلَ لَهُ : أَفَلَا نَمْلَةٌ وَاحِدَةً “ . وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : ” نَزَلَ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ تَحْتَ شَجَرَةٍ فَقَرَصَتْهُ نَمْلَةٌ فَأَمَرَ بِجَهَازِهِ فَأُخْرِجَ مِنْ تَحْتِهَا ثُمَّ أَمَرَ بِقَرْيَةِ النَّمْلِ فَأُحْرِقَتْ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ قَرَصَتْكَ نَمْلَةٌ أَهْلَكَتْ أُمَّةً مِنَ الْأُمَمِ يُسَبِّحُنَ اللَّهَ فَهَلَا نَمْلَةٌ وَاحِدَةً “ . وَجَاءَ فِي الْأَثَرِ : أَنَّ سَالِمَانَ بْنَ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ خَرَجَ يَسْتَسْقِي ، فَرَأَى نَمْلَةً مُسْتَلْقِيَةً عَلَى ظَهْرِهَا رَافِعَةً قَوَائِمَهَا إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ تَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنَّا خَلَقْنَا مِنْ خَلْقِكَ ، لَيْسَ لَنَا غِنًى عَنْ سَقْيِكَ ؛ فَإِذَا أَنْ تَسْقِينَا وَتَرْزُقَنَا ، وَإِذَا أَنْ تُمِيتَنَا وَتُهْلِكَنَا . فَقَالَ لِلنَّاسِ : ارْجِعُوا ، فَقَدْ سَقَيْتُمْ بِدُعَاءِ غَيْرِكُمْ .

وَقَالَ الْجَاهِلُ : وَكَانَ ثَمَامَةٌ يُزْعَمُ أَنَّ النَّمْلَ ضَائِنُ الذَّرِّ . قَالَ : وَالَّذِي عِنْدِي أَنَّ النَّمْلَ وَالذَّرَّ مِثْلُ الْفَأْرِ وَالْجُرَذِ ، وَالْبَقْرِ وَالْجَوَامِيسِ . قَالَ : وَالذَّرُّ أَجُودُ فَهُمَا وَأَصْغَرُ جِنَّةً .

وَزَعِمَ ابْنُ أَبِي الْأَشْعَثِ أَنَّ النَّمْلَ لَا يَتَزَاوَجُ وَلَا يَتَوَالَدُ وَلَا يَتَلَاخَقُ ، وَإِنَّمَا يَسْقُطُ مِنْهُ شَيْءٌ حَقِيرٌ فِي الْأَرْضِ فَيَنْمُو حَتَّى يَصِيرَ بَيْضًا^(١) فَيَتَكُونُ مِنْهُ .

وَالنَّمْلُ مِنَ الْحَيَوَانِ الْمُحْتَمَلِ فِي طَلَبِ الْمَعَاشِ يَتَفَرَّقُ لَذَلِكَ ؛ فَإِذَا وَجَدَ شَيْئًا أَنْذَرَ الْبَاقِينَ فَيَأْتِينَ إِلَيْهِ وَيَأْخُذْنَ مِنْهُ . وَكُلُّ وَاحِدٍ مُجْتَهِدٌ فِي إِصْلَاحِ شَأْنِ الْعَامَةِ

(١) كَذَا فِي حَيَاةِ الْحَيَوَانِ لِلدِّمِيرِيِّ . وَفِي الْأَصْلَيْنِ : « بَيْضًا » بِالضَّادِ . وَالْبَيْضُ كُلُّهُ بِالضَّادِ إِلَّا بَيْضُ النَّمْلِ فَإِنَّهُ بِالظَّاءِ لَاغٍ .

غير محتسب لشيء من الرزق دون صحبه . ويقال : إنما يفعل ذلك منها رؤساؤها
ومن تحيله في طلب الرزق أنه ربما وُضع بينه وبين ما يُخاف عليه منه ما يمنعه من
الوصول إليه من ماءٍ أو شعرٍ ، فيتسلق في الحائط ويمشي على جذع من السقف
حتى يُسامِت ما حُفِظ منه ثم يُلقِي نفسه عليه . وفي طبعه وعادته أن يحتكر في زمن
الصيف لزمن الشتاء . وهو إذا خاف على ما يدّخره من الحبوب من العفن والسوس
أو التّندى من مجاورة بطن الأرض ، أخرجها إلى ظاهر الأرض حتى تيبس ثم
يُعيدها . وإن خاف على الحب أن يَنْبَت من نداوة الأرض نقر في موضع القُطْمير
من وسط الحبة (وهو الموضع الذي يبتدئ منه النبات) ، ويفلق جميع الحب أنصافاً ،
فإن كان من حب الكزبرة فلقه أرباعاً ، لأن أنصاف حب الكزبرة تنبت . فالنمل
من هذا الوجه في غاية الحزم . فسبحان الملهم لا إله غيره .

وليس شيء من الحيوان يقوى على حمل ما يكون ضعف وزنه مراراً غير النملة .
والنمل يشم ما ليس له ريحٌ مما لو وضعه الإنسان عند أنفه لما وجد له ريحاً . ومن
أسباب هلاك النملة نبات الأجنحة لها ، فإذا صار النمل كذلك صادته العصافير
وأكلته . وفي ذلك يقول أبو العتاهية :

وإذا آستوت للنمل أجنحة * حتى يطير فقد دنا عطبه

ومن أصناف النمل صنف يسمى « نمل الأسد » ، سمي بذلك لأن مُقدّم النملة
يُشبه وجه الأسد ومؤخرها كالنمل . وزعم بعض من تكلم في طبائع الحيوان أنه
متولد ، وأن أباه أكل لحماً ، وأمه أكلت نباتاً ، فتشج بينهما على هذه الصفة .

(١) وقد وصفه الشعراء ؛ فمن ذلك قول شاعر :

غزاة يولّي الليث عنهن هارباً * وليست لها نبلٌ حداد ولا عمد

(نزل)

(١) هو إبراهيم بن سناء ، كما في مباحج الفكر .

قِصَارُ الْخَطَا حُمَشُ الْقَوَائِمِ ضَمَّرٌ * مُشْمَرَةٌ لَا تَشْتَكِي الْأَيْنَ وَالْحَرْدُ^(١)
وتعدو على الأقران في حومة الوغى * نشاطًا كما يعدو على صيده الأسد
إذا ذكرت طيب الهياج تنفست * تنفس نكلى قد أصيب لها ولد
كأكراد زنجان تريد قضاضة^(٢) * وتلك الصعاليك الغرائب في البلد^(٣)
وفيرت أجناس تشابهن صورة * وبائن في الهيمات واللون والجسد^(٤)
فمنهن كمت كالعناكب أرجلًا * وساع الخطا قد زان أجيادها الغيد
إذا أنشهرت طارت وإن هي خلدت * رأت ورد أحواض المنايا من الرشد
وسود خفاف الجسم لو عصيت الصفا * رأيت الصفا من وقع أسنانها قدد^(٥)
يفدن علينا مفسدات جفانا * وأزوادنا أبغض إلينا بما وفد

وقال أبو هلال العسكري :

وحى أناخوا في المنازل باللوى * فصاروا به بعد القطين قطينا
إذا اختلفوا في الدار ظلت كأنها * تبدد فيها الريح بزرقطونا
إذا طرقوا قدرى مع الليل أصبحت * بواطنها مثل الظواهر جونا
لهم نظرة يسرى ويمنى إذا مشوا^(٦) * كما مر مرعوب يخاف كميناً
ويمشون صفًا في الديار كأنما * يجترون خيطًا في التراب مينا^(٧)

(١) حش القوائم : دفاقها . والحرد : داء يصيب عصب يدي الدابة .

(٢) زنجان : بلد كبير مشهور بنواحي الجبال بين أذربيجان وبينها ، وهي قريبة من أبهر وقزوین

والعجم . (٣) ورد هذا البيت هكذا بالأصلين ، ولم نتيقن المراد منه .

(٤) كذا في مباحج الفكر . وفي الأصلين : « الجلد » ، ودو تحريف .

(٥) القدد : جمع قدة وهي القطعة من الشيء .

(٦) كذا في ديوان المعاني لأبي هلال العسكري . وفي الأصلين : « مشت » .

(٧) المنين : الحبل الضعيف ، وقيل : القوى ، فهو من الأضداد . وفي أ : « مينا » .

وفي ب وديوان المعاني : « مينا » . وأعل الكلمتين مصحفتان عما أثبتناه .

١٠

١٥

٢٠

وفي كل بيت من بيوت قريّة * تضم صنوفاً منهم وفنونا
فيا من رأي بيتا يضيق بخمسة * وفيه قريّات يسعن مئينا



وأما القمل والصُّواب وما قيل فيهما — قال الجاحظ : ذكروا
عن إياس بن معاوية أنه يزعم أن الصّئبان ذكورة القمل ، وأن القمل من الشكل
الذي تكون إنانته أعظم من ذكورته .

قال الجاحظ : والقمل يعتري من العرق والوسخ إذا علاهما ثوب أو ريش
أو شعر ، حتى يكون لذلك المكان عفنٌ وحموم . والقملة يكون لونها بحسب لون
الشعر في السّواد والبياض والشمط وفي لون الحضاب ، وينصل إذا نصل . قال :
والقمل يعرض لثياب كل إنسان إذا عرض لها الوسخ أو العرق أو الخموم ، إلا ثياب
المجذمين فإنهم لا يقمّلون . وإذا قمل إنسان وأفراط عليه القمل زابق رأسه فيتناثر
القمل . قال : وربما كان الإنسان قمل الطباع وإن تنظف وتعطر وبدل أثوابه ،
كما عرض لعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام رضى الله عنهما ، حتى استأذنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم في لباس الحرير ، فأذن لهما فيه لهذه الضرورة ولدفع
هذا الضرر .

وقد وصف الشعراء القمل في أشعارهم ، فمن ذلك قول بعض العقيلين وقد
مرّ بأبي العلاء العقيلي وهو يتفلى ، فقال :

وإذا مررت به مررت بقاذص * متصيّد في شرقية مقرر^(١)
للقمل حول أبي العلاء مصارع * ما بين مقتول وبين عقي^(٢)

(١) الشارقة : الشمس . والمقرر : من أصابه القر ، وهو البرد . (٢) كذا في كتاب
الحيوان للجاحظ (ج ٥ ص ١١٤) . وفي الأصلين : « عفير » بالفاء ، وهو تصحيف .

فَكَأَنَّهُنَّ إِذَا عَلَوْنَ قَمِيصَهُ * فَدُّ وَتَوَّعُمُ سَمْسِمٍ مَقْمُشُورٍ
ضَرَجَ الْأَنَامِلَ مِنْ دَمَاءٍ قَتِيلِيهَا * حَنِقَ عَلَى أُخْرَى بَعْدُو مَغِيرِ^(١)

وقال الحسن بن هانئ في رجل أسمه أيوب :

مَنْ يَنَّا عَنْهُ مَصَادُهُ * فَمَصَادُ أَيُّوبَ ثِيَابُهُ^(٢)
يَكْفِيهِ مِنْهَا نَظْرَةٌ * فَتَعَلَّ^(٣) مِنْ عَلَقٍ حِرَابُهُ
يَا رَبَّ مُحْتَرِزٍ بَجِيٍّ * بَالِرْدَنِ تَكْنُفُهُ صَوَابُهُ^(٤)
فَاشَى النَّكَايَةَ غَيْرَ مَعْدٍ * لَوْمْ إِذَا دَبَّ آنْسَابُهُ^(٥)
أَوْ طَامِرِيٍّ وَائِبٍ * لَمْ يُنْجِجْهُ عَنْهُ وَثَابُهُ^(٦)
أَهْوَى لَهُ بِمَزَلَقٍ أَلٍ * عِرْنِينَ إِصْبَعُهُ نِصَابُهُ^(٧)
لِلَّهِ دَرَكٌ مِنْ أُنْحَى * قَنْصِ أَصَابِعِهِ كَلَابُهُ

(١) كذا في كتاب الحيوان . وفي الأصلين : « لعدو ... » .

(٢) لم نجد هذه الأبيات في ديوانه .

(٣) كذا في كتاب الحيوان . والعلق : الدم . وقد وردت هذه الشطرة في الأصلين محرفة .

(٤) كذا في كتاب الحيوان . وقد ورد هذا البيت في الأصلين محرفاً .

(٥) كذا في الحيوان . وفي أ : « النكايه » . وفي ب : « الحنايه » ، وكلاهما تحريف .

(٦) كذا في الحيوان . وطامر بن طامر : البرغوث ، سمي بذلك لكثرة وثو . في الأصلين :

« أوضامري » بالضاد المعجمة ، وهو تحريف .

(٧) مزلق : محدد . يريد الظفر . والعرنين : الأنف . وعرنين كل شيء : أوله . وهو المراد

هنا ، والنصاب : المقبض .

القسم الخامس من الفن الثالث في أجناس الطير وأنواع السمك

وفيه سبعة أبواب : ستة منها في الطير، وباب في السمك . وذيلت عليه بباب ثامن أوردت فيه ذكر شيء مما قيل في آلات صيد البر والبحر .

قال الجاحظ في كتاب الحيوان : إن الحيوان على أربعة أقسام : شيء يطير، وشيء يعوم، وشيء ينساح، وشيء يمشي ؛ إلا أن كل طائر يمشي ، وليس كل شيء يمشي طائراً . قال : وأسم طائر يقع على ثلاثة أشياء : صورة ، وطبيعة ، وجناح ؛ وليس بالريش والقوادم والأباهر^(١) والخوافي يسمى طائراً ولا بعدمه يسقط ذلك عنه . ألا ترى أن الخفّاش والوطواط من الطير وإن كانا أمرطين ليس لهما ريش ولا زغب ولا شكير . ١٠

قال : والطير كله سبع وبهيمة وهمج . والسباع من الطير على ضربين : فمنها العتاق ، والأحرار ، والجوارح . ومنها البغاث ، وهو كل ما عظم من الطير سباعاً كان أو بهيمة إذا لم يكن من ذوات السلاح والمخالب المعقّفة كالنسور والرخم والغربان وما أشبهها من لئام السباع . ثم الخشاش وهو ما لطّف جرّمه وصغُر شخصه وكان عديم السلاح . ١٥

وقال : إذا باض الطائر بيضاً لم تخرج البيضة من حدّ التحديد والتلطيف بل يكون الجانب الذي يبدأ بالخروج الجانب الأعظم . وما كان من البيض مستطيلاً

(١) الأباهر : ما يلي الكلى من ريش الطائر . وأول الريش : القوادم ، ثم المناكب ، ثم الخوافي ، ثم الأباهر ، ثم الكلى .

محدّد الأطراف فهو للإناث ، وما كان مستديرا عريض الأطراف فهو للذكور .
والبيضة عند خروجها تكون لينة القشر غير جاسئة ولا يابسة ولا جامدة . قال :
والبيض الذي يتولّد من الريح والتراب أصغر وألطف ، وهو في الطيب دون الآخر .
ويكون بيض الريح من الدجاج والقبج^(١) والحمام والطاوس والإوز . قال : وحضن
الطائر وجثوه على البيض يكون صلاحا لبدن الطائر كما يكون صلاحا لبدن البيض .
قال : وزعم ناس أن بيض الريح إنما يكون عن سفاد متقدّم . وذلك خطأ من
وجهين : أمّا أحدهما ، فإن ذلك قد عُرِف من فراريج لم ترديكا قط . والآخر أن
بيض الريح لم يكن منه فروخ قط . وبيض الصييف المحضون أسرع خروجاً منه
في الشتاء .

فهذه جمل من أحوال الطير فترقها الجاحظ في كتابه في عدة مواضع جمعناها
وألفنا بعضها إلى بعض . فلنذكر كلّ جنس من الطير، ونشرح ما يخصّه من الكلام
وما قيل فيه . وغير الجاحظ قسم الطير إلى أقسام ، بفعل منها سبأ ، وكلابا ،
وبهائم ، وبغائا ، وليايا ، وهمجا ، وعلى ذلك بوبنا هذا القسم ، على ما تقف عليه إن
شاء الله تعالى .

(١) ضبط في القاموس واللسان بفتح فسكون . ونقل شارح القاموس عن شيخه إنكار هذا الضبط
وقال : بل هو محرك كاللجل وزنا ومعنى . وهو فارسي معرب ، أصله في الفارسية كنج ، وواحدة قبجة . وفراخ
القبج تخرج كما تخرج الفراريج . وإناثه تبيض خمس عشرة بيضة . ويوصف الذكر بقوته على السفاد ،
وهو لهذا يكسر البيض لئلا تشغل الأنثى بحضنه عنه ، كما أن الأنثى تهرب وتختبئ إذا جاء أوان بيضها .
والقبج يغير أصواته بأنواع شتى ، ويعمر خمس عشرة سنة . (راجع حياة الحيوان للدميري ج ٢ ص ٢٨٢
طبع بولاق) .

الباب الأول من القسم الخامس من الفن الثالث في سباع الطير

ويشتمل هذا الباب على ما قيل في العقاب والبزاة والصقور والشواهين ،
وأصناف ذلك ، وما يتصف به كل طير منها وما فيه من الطبائع والعادة ، وما يصيد ،
وما فيه من الأمارات الدالة على نجابته وفراسته ، وغير ذلك مما تنف عليه إن شاء
الله تعالى .

ذكر ما قيل في العقاب

يقال : إنَّ العقاب جميعه أنثى وليس فيه ذكر . ويُسمى عند أهل اللغة
"العنقاء" . وهي "عقاب" و "زُجج" . فأما العقاب فيقال : إنَّ ذكورها من طير آخر
لطيف الحرم . وهي تبيض في الغالب ثلاث بيضات فيخرج لها فرخان . قال
الجاحظ : ثم آختلوا ، فقال بعضهم : لأنها لا تحضن إلا بيضتين ، وقال آخرون :
قد تحضن ويخرج لها ثلاثة أفراخ ولكنها ترمي بالواحد استئقلاً للتكليف على ثلاثة ،
وقال آخرون : ليس ذلك إلا لما يعتريها من الضعف عند الصيد ، كما يعتري النفساء
من الوهن والضعف . وهي تحضن ثلاثين يوماً . وما عداها من الجوارح تبيض
بيضتين في كل سنة وتحضن عشرين يوماً .

قالوا : وفي طبع الذكر أنه يمتحن أنثاه هل هي محافظة له أو مؤاتية لغيره من
غير جنسه ، بأن يصوب نظر فرخيه إلى شعاع الشمس ، فإن ثبت عليه تحقق أنها
فراخه وأمسكها ، وإن نبا بصره عن شعاع الشمس ضرب الأنثى كما يضرب الرجل
المرأة الزانية وطردها من وكفه ورمى بالفرخين .

- والعقاب خفيفة الجناح ، سريعة الطيران ، فهي إن شاءت آرتفعت على كل شيء وإن شاءت كانت بقربه . يقال : إنها لتغذى بالعراق وتتعشى باليمن . وربما صادت حمر الوحش ، وذلك أنها إذا نظرت الحمار رمت نفسها في الماء حتى يبتل جناحها ، ثم تترغ في التراب وتطير حتى تتمع على هامة الحمار ، ثم تصفق على عينيه بجناحيها فتملؤهما تراباً ، فلا يرى الحمار أين يذهب فيؤخذ . وهي مولة بصيد الحيات . وفي طبعها قبل أن تتدرب أنها لا تراوغ صيداً ولا تعنى في طلبه ، ولا تزال موفية على شرف عالٍ ؛ فإذا رأت سباع الطير قد صادت شيئاً أنقضت عليه ، فتركه لها وتنجو بنفسها . ومتى جاءت لم يمتنع عليها الذئب . وهي شديدة الخوف من الإنسان . ويقال : إنها إذا هيرمت وثقل جناحها وأظلم بصرها التمس غديراً ، فإذا وجدته حلقط طائرة في الهواء ثم تقع من حاليق في ذلك الغدير فتغمس فيه مراراً ، فيصحح جسمها ويقوى بصرها ويعود ريئها ناشئاً إلى حالته الأولى . وهي متى ثقلت عن النهوض أو غميت حملتها الفراخ على ظهورها ونقلتها من مكان إلى آخر لطلب الصيد وتعولها إلى أن تموت . ومن عجيب ما ألهمت أنها إذا أشتكت كبدها رفعت الأرناب^(١) والشعالب في الهواء وأكلت أكبادها فتبرأ . وهي تأكل الحيات إلا رؤوسها ، والطير إلا قلوبها . قال امرؤ القيس :
- كأن قلوب الطير رطباً ويايساً * لدى وكريها العناب والحشف البالي
- ومنسرها الأعلى يعظم ويتعفف حتى يكون ذلك سبب هلاكها ؛ لأنها لا تتال به الطعم إذا كان كذلك . وأقول من صاد بها أهل المغرب . وحكي أن قيصر أهدى إلى كسرى عقاباً ، وكتب إليه : علمها فإنها تعمل عملاً أكثر من الصقور

التي أعجبتك . فأمر بها فأرسلت على ظبي عرس لها فقذته ، فأعجبه ما رأى منها ؛
ثم جوعها ليصيد بها ، فوثبت على صبي من حاشيته فقتلته ؛ فقال كسرى : غزانا
قيصر في بلادنا بغير جيش . ثم أهدى له نمرًا وكتب إليه : قد بعثت إليك بما تقتل
به ^(١)الظباء وما قرب منها من الوحش ؛ وكتب عنه ما صنعت العقاب . فأعجب به
قيصر . فغفل عنه يومًا فأقتبس بعض فتيانته ؛ فقال : صادنا كسرى ؛ فإن كنا
صدناه فلا بأس . فلما اتصل ذلك بكسرى قال : أنا أبو ساسان .

وأجود العقاب ما جاب من سرت ^(٢) وبلاد المغرب .

وقد وصفها الشعراء فمن ذلك ما قاله أبو الفرج البغاء :

ما كل ذات مخالب وناب * من سائر الجارج والكلاب
بمدرك ^(٣) في الحد والطلاب * أيسر ما يدرك بالعقاب
شريفة الصبغة والأنساب * تطير من جناحها في غاب
وتستر الأرض عن السحاب * وتحجب الشمس بلا حجاب
يظل منها الجو في اغتراب * مستوحشا للطير كالمرتاب
ذكية تنظر من شهاب * ذات حران ^(٤) واسع الجلاب
ومنيك ضخيم أثيث رابي ^(٥) * ومنير موق النصاب

(١) كذا في حياة الحيوان للذميري (ج ٢ ص ١٥٣) . وفي الأصلين : « الظبي » .

(٢) سرت : مدينة على ساحل بحر الروم بين برقة وطرابلس الغرب .

(٣) كذا في مباحج الفكر . وفي أ : « في الحدق الطلاب » . وفي ب : « في الحدق الطالب »

وكلاهما تحريف .

(٤) الحران : باطن العنق ، وقيل : مقدم العنق .

(٥) الأثيث : الكثير والعظيم من كل شيء .

وراحتى لَيْثَ شَرَى غَلَابٍ * نِيْطَتْ إِلَى بَرَاثِنِ صِلَابٍ
 | مُرْهَفَةٍ أَمْضَى مِنَ الْحِرَابِ * وَكُلُّ مَا حَلَّقَ فِي الضَّبَابِ^(١)
 * لِمَا يَكْهَى خَاضِعَةُ الرِّقَابِ *

✱
 ✱

- وَأَمَّا الزُّجْجُ — فهو الصَّنْفُ الثَّانِي مِنَ الْعُقَابِ، وَيُعَدُّ مِنْ خِنَافِ الْجَوَارِحِ .
 وهو سريعُ الحركةِ شَدِيدُ الوَثْبَةِ . وَيُوصَفُ بِالْغَدْرِ . وَمِنْ عَادَتِهِ أَنَّهُ يَتَلَقَّفُ الطَّائِرَ
 كما يَتَلَقَّفُهُ الْبَازِيُّ ، وَيَصِيدُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ كما تصيدُ الْعُقَابُ . وَيُجَدُّ مِنْ خَلْقِهِ
 أَنْ يَكُونَ أَحْمَرَ اللَّوْنِ ، وَلَا يُجَدُّ مَا قُرْنَصُ^(٢) مِنْهُ وَحَشِيًّا .

وقد وصفه أَبُو الْفَرَجِ الْبَغَّاءُ فَقَالَ :

- يَارِبِّ سُرْبٍ آمِنٍ لَمْ يُزْعَجْ * غَادِيَّتُهُ قَبْلَ الصَّبَاحِ الْأَبْلَجِ^(٣)
 يُزْجِجُ أَذْلَقَ حَوْشٍ أَهْوَجَ * مُضْبِرِّ الْمَنْكِبِ صُأْبِ الْمَنْسِجِ^(٤)

(١) التَّكْلِمَةُ عَنْ مَبَاهِجِ الْفِكْرِ .

(٢) الْمُقْرَنْصُ : الْمُقْتَنَى لِلْإِصْطِيَادِ .

(٣) كَذَا بِالْأَصْلَيْنِ . وَلَعَلَّهُ يَرِيدُ أَنْ يَصِفَهُ بِالسَّرْعَةِ وَشِدَّةِ الدَّفْعَةِ وَالْمُهْجُومِ ، عَلَى أَنْ يَكُونَ مَا أَخُوذًا

- مِنْ الدَّلَاقِ وَهُوَ خُرُوجُ الشَّيْءِ مِنْ مَخْرَجِهِ سَرِيعًا . يُقَالُ : ائْتَدَقَ السَّيْلُ عَلَى الْقَوْمِ أَيْ هَجَمَ ، وَانْدَلَقَتِ الْخَيْلُ
 فَهِيَ دَلَقَتْ وَمَنْدَلَقَةٌ ، أَيْ شَدِيدَةُ الدَّفْعَةِ سَرِيعَةُ السَّيْرِ . قَالَ طَرْفَةُ :

دَلَقْتُ فِي غَارَةٍ مَسْفُوحَةٍ * كَرَعَالِ الطَّيْرِ أَسْرَابًا تَمَرَّرَ

وَفِي مَبَاهِجِ الْفِكْرِ : « أَوَّلَقَ » مِنْ « الْوَلَقَ » وَهُوَ السَّرْعَةُ أَيْضًا . يُقَالُ : جَاءَتِ الْخَيْلُ تَلَقُّ أَيْ تَسْرَعُ .
 وَيَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ : « أَذْلَقَ » بِالذَّالِ الْمَعْجَمَةِ ، أَيْ حَدِيدِ مَاضٍ .

- (٤) الْحَوْشُ : الْقَوَى .

(٥) كَذَا فِي كَتَبِ اللُّغَةِ . وَالضُّبْرُ وَالضَّبِيرُ : شِدَّةُ تَلْزِيْزِ (تَلَصِيْقِ) الْعِظَامِ وَاسْتِنَازِ الْلَحْمِ . يُقَالُ :

جَمَلٌ مُضْبُورٌ وَمُضْبِرٌ . وَفِي الْأَصْلَيْنِ : « مُضْبِرٌ » بِالنَّصَادِ الْمَهْمَلَةِ ، وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

(٦) مَنْسِجُ الدَّابَّةِ : مَا بَيْنَ الْعُرْفِ وَمَوْضِعِ اللَّبَدِ .

ذِي قَصَبٍ عَبَلٍ أَصَمٍّ مُدَجٍّ * وَجُؤُجُؤٍ كَالْجَوْشَنِ الْمُدَرَّجِ^(٣)
وَعُنُقٍ سَائِمٍ طَوِيلٍ أَعْوَجٍ * وَمَنْسِيرٍ أَقْنَى فَسِيحٍ مُسْرَجٍ^(٢)
مُنْخَرِقٍ الْمَدْخَلِ رَحْبِ الْمَخْرَجِ * وَمَقْلَةٍ تَشِفُّ عَنْ فَيْرُوزِجٍ^(١)
نَاطِرَةٍ مِنْ لَهَبٍ مُؤَجَّجٍ * وَهَامِيَةٍ كَالْحَجَرِ الْمُدْمَلَجِ
وَمُخَلَّبٍ كَالْمَعُولِ الْمَعْوَجِ

(١) كذا في مباحج الفكر . والعبل : الضخم الغليظ . يقال : رجل عبل الذراعين أى ضخمهما ،
وفرس عبل الشوى أى غليظ القوائم . والأصم : القوى الصلب . يريد أن يصف ساقيه بالغلظ والقوة .
وفي الأصلين : « ذى قصب على أصم ... » ، وهو تحريف .

(٢) الجؤجؤ : الصدر .

(٣) الجوشن : الدرع .

ذكر ما قيل في البازي

قالوا : والبازي خمسة أصناف ، وهي البازي ، والزُّرْقُ ، والباشقُ ، والعَفْصِيُّ ،
والبيدقُ .

- فأما البازي — فهو الثاني من الجوارح ، وهو أحر هذه الأصناف الخمسة
مزاجاً ، لأنه قليل الصبر على العطش . ومأواه مساقط الشجر العادية الملتفة والظل
الظليل ومطر الماء . وهو لا يتخذ وكراً إلا في شجرة لها شوك . وإذا أراد أن يفرخ
بني لنفسه بيتاً وسقفه تسقيفاً جيداً يقيه من المطر ويدفع عنه وهج الحر . وسبيله
في البرد أن يدفأ بالنار ويجعل تحت كفيه وبر الثعالب والأبود ، وفي الصيف أن يجعل
في بيت كنين بارد النسيم ويفرش له الرِّيحان والخلاف . وهو خفيف الجناح ، سريع
الطيران ، يلف طيرانه كالتفاف الفواخت^(٤) ، ويسهل عليه أن يزج بنفسه صاعداً
١٠

(١) هذه العبارة منقولة عن مباحج الفكر ، ونصها فيه : « وهو لا يطبق البرد ولا الحر لركة جوانحه .
فسبيله في البرد أن تقرب منه النار ليدفأ ويجعل تحت كفيه في الشتاء وبر الثعالب والأبود ، وسبيله
في الحر ... الخ » .

(٢) كذا في مباحج الفكر . والكنين : المستور . وقد وردت هذه الكلمة في الأصلين محزنة .

(٣) الخلاف : صنف من شجر الصفصاف . ١٥

(٤) الفواخت : جمع فاختة ، وهي من ذوات الأطواق ، ويقال لها الصلصل أيضا (بضم الصادين
المهملتين) . يقال : إن الحيات تهرب من أصواتها . وهي عراقية وليست حجازية ، وهي حسنة
الصوت . وفي طبعها الأنس بالناس ، وتعيش في الدور . والعرب تصفها بالكذب فان صوتها عندهم :
« هذا أوان الرطب » وتقول ذلك والنخل لم يطلع . قال الشاعر :

أكذب من فاختة * تقول وسط الكرب
والطالع لم يبد لها * هذا أوان الرطب

(راجع حياة الحيوان للدميري ج ٢ ص ٢٣٢ طبع بولاق) .

(٥) في الأصلين : « يزج نفسه » . وهذا الفعل لا يتعدى إلا بالباء .

وهابطاً وينقلب على ظهره حتى يلتقف فريسته . والإناث منه أجراً على عظام الطير من الذكور . ويقال : إن الإناث إذا كان وقت سفادها يغشاها جميع أنواع الضواري : الزرق والشاهين والصقور ، وإنها تبيض من كل طائر يغشاها ، ولهذا تجيء مختلفة الأخلاق^(١) . والبازي يصيد ما بين العصفور والكركي^(٢) . ومن عادته أنه إذا أخطأ صيده وفاته وكان في برية لا شجر فيها ولّى مُمِعِنًا حتى يجد كهفًا أو جدارًا يأوى إليه ، ولهذا علّق عليه الجرس ليُدلّ على مكانه إذا خفي .

وصفة الجيد منه المحمود في فعله أن يكون قليل الريش ، أحمر العينين حادّهما ، وأن تكونا مقبلتين على منسره وحجاجاهما^(٣) مطّين عايمهما ، ولا يكون وضعهما في جنبى رأسه كوضع عيني الحمام . والأزرق منه دون الأحمر العين ، والأصفر دونهما . وسعة أشداقه تدلّ على قوة الافتراس . ومن صفاته المحمود أن يكون طويل العنق ، عريض الصدر ، بعيد ما بين المنكبين ، شديد الانحرط إلى ذنبه ، وأن تكون فخذه طويلتين مسرولتين بريش ، وذراعه قصيرتين غليظتين ، وأشاجع^(٤) كفيّه عارية ، وأصابعه متفرقة [ولا تكون مجتمعة ككف الغراب^(٥)] ، ومخلبه أسود ، ويكون طويل المنسر دقيقه . وأنخر ألوانه الأبيض ثم الأشهب ، وهما لونان يدلّان على الفراهة والكرم . وأما الأسود الظهر المنقش الصدر بالبياض والسواد فهو يدلّ على الشدة والصلابة . وإن اتفق أن يكون هذا أحمر العين كان نهاية . وهذا اللون في البزاة

(١) عبارة مباهج الفكر : « ولهذا تجيء مختلفة الأخلاق من الجبن والجرأة والحب والغدر والذكا والقوة والضعف والحسن والقبح والشرارة » .
(٢) الكركي : طائر يقرب من الوز أبر الذنب رمادي اللون في خذه لمعات سود قليلة اللحم صلب العظم يأوى الماء أحياناً .

(٣) الحجاج : العظم المستدير حول العين . وفي الأصلين : « حجاجتهما » . وهو تحريف .
(٤) الأشاجع : روس الأصابع التي تتصل بعصب ظاهر الكف .
(٥) الزيادة عن مباهج الفكر .

كَالْكُمَيْتِ فِي الْخَيْلِ . وَالْأَحْمَرُ فِي الْبُرْزَةِ أَخْبَثُهَا . وَبَعْضُ النَّاسِ يَقُولُ : أَشْرَفُ
الْبُرْزَةِ الطُّغْرُلُ ، ثُمَّ الْبَازِيُّ التَّامُّ وَهُوَ الَّذِي وَصَفْنَاهُ آتِفًا . وَالطُّغْرُلُ : طَائِرٌ عَزِيزٌ نَادِرٌ
الْوُقُوعُ لَا يَعْرِفُهُ غَيْرُ التُّرْكِ ، لِأَنَّهُ يَكُونُ فِي بِلَادِ الْخَزَرِ وَمَا وَالَاهَا وَمَا بَيْنَ خُوارَزْمَ
إِلَى إِرْمِينِيَّةَ ، وَهُوَ يَجْمَعُ صَيْدَ الْبَازِيِّ وَالشَّاهِينَ . وَقِيلَ : إِنَّهُ لَا يَعْقِرُ شَيْئًا مِثْلَهُ
إِلَّا سَمَّهُ .

وَأَقُولُ مِنْ صَادِ الْبَازِيِّ "لَذَرِيقُ" أَحَدُ مَلُوكِ الرُّومِ الْأَوَّلِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ رَأَى
بَازِيًا إِذَا عَلَا كَتَفُ^(١) ، وَإِذَا سَفَلَ خَفَقَ ، وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَسْمُوَ دَرَقَ^(٢) ، فَاتَّبَعَهُ حَتَّى
أَقْتَحَمَ شَجَرَةً مُلْتَفَّةً كَثِيرَةَ الدَّغْلِ ، فَأَعْجَبَتْهُ صَوْرَتُهُ ، فَقَالَ : هَذَا طَائِرُ لِهَ سِلَاحٌ تَتَرَنَّ
بِمِثْلِهِ الْمُلُوكُ ، فَأَمَرَ بِجَمْعِ عِدَّةٍ مِنَ الْبُرْزَةِ فَجُمِعَتْ وَجُعِلَتْ فِي مَجْلِسِهِ . فَعَرَضَ لِبَعْضِهَا
أَيْمُ فَوْثَبَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : مَالِكٌ يَغْضَبُ كَمَا تَغْضَبُ الْمُلُوكُ . ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَنُصِبَ عَلَى
كُنْدَرَةٍ^(٣) بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَكَانَ هُنَاكَ ثَعْلَبٌ فَرَّ بِهِ مَجْتَازًا ، فَوْثَبَ عَلَيْهِ فَمَا أَفَلَتْ مِنْهُ
إِلَّا جَرِيحًا ، فَقَالَ لَذَرِيقُ : هَذَا جَبَّارٌ يَمْنَعُ حِمَاهُ . ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَضَرَّ عَلَى الصَّيْدِ ،
وَأَتَّخَذَتْهُ الْمُلُوكُ بَعْدَهُ .

وَقَدْ وَصَفْتُهُ الشُّعْرَاءُ وَالْأَدَبَاءُ ، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ النَّاشِي :

لَمَّا تَعَرَّى اللَّيْلُ عَنْ أَنْسَاجِهِ * وَأَرْتَاحَ ضَوْءُ الصَّبْحِ لِأَنْبِلَاجِهِ
غَدَوْتُ أَبْنَى الصَّيْدِ مِنْ مِنْهَاجِهِ * بِأَقْمَرِ أَبْدَعِ فِي نِتَاجِهِ
أَلْبَسَهُ الْخَالِقُ مِنْ دِيْبَاجِهِ * ثَوْبًا كَفَى الصَّانِعَ مِنْ نِسَاجِهِ

(٣) الكنف والكتفان : ضرب من الطيران ، كأنه يرد جناحيه ويضمهما إلى ما وراءه .

(٢) درق : أسرع . (٣) الأيم : الحية .

(٤) كندرة البازي : مجثمه الذي يهبط له من خشب أو مدرج وهو دخيل ليس بعربي .

حالٍ من الساق إلى أوداجه ^(١) * وشيا يحار الطرف في أندراجِه
 في نسقٍ منه وفي أنعراجِه * وزانٍ فوديه إلى حجّاجِه ^(٢)
 بزينةٍ كفته عن تاجِه * منسره يثنى على خلاجِه
 وظفّره يُخبر عن علاجِه * لو استضاء المرء في إدلاجِه
 * بعينه كفته عن سراجِه *

٥

وقال ابن المعتز يصف عين البازي :
 ومقلة تصدقه إذا رمق ^(٣) * كأنها نرجسة بلا ورق

وقال أيضا فيه :

وفتيان غدوا والليل داج * وضوء الصبح منهم الطلوع
 كأن بزاتهم أمراء جيش * على أكتافها صدأ الدروع

١٠

وقال أيضا :

ومنسِر عَضِب الشبابة دامي ^(٤) * كعقدك الخمسين بالإبهام
 وخافق للصيّد ذى أصطلام * ينسره للنهض والإقدام
 * كمنشرك البرد على المستام *

(١) كذا في ب ومباهج الفكر . وفي أ : « أدراجِه » ، وهو تحريف .

١٥

(٢) الحجاج : العظم المستدير حول العين .

(٣) كذا في ديوان المعاني لأبي هلال العسكري . وفي أ : « زيق » . وفي ب : « ريق » ،

وكلاهما تحريف .

(٤) كان للعرب حساب غير ما هو معهود اليوم وهو حساب عقود الأصابع وقد وضعوا كلا منها بازا ،

عدد مخصوص ثم رتبوا لأوضاع الأصابع أحادا وعشرات ومئات وألوفاً . وقد ألفت في ذلك عدة رسائل .

٢٠

وقد ذكر بعض الفضلاء في بيان مراتب الأعداد في العقد ما نصه : عند العشرة تجعل السبابة حلقه ،

والعشرين تجعل الإبهام بين السبابة والوسطى ، والثلاثين تجعل رأس السبابة على رأس الإبهام ، والأربعين

تجعل رأس الإبهام خلف السبابة ، والخمسين تجعل الإبهام جالسا ، والستين تجعل ظهر رأس الإبهام =

ووصفه أبو إسحاق إبراهيم بن خفاجة الأندلسي فقال من رسالة :

« طائرٌ يُستدلُّ بظاهر صفاته ، على كرم ذاته ؛ طوراً ينظر نظر الخيلاء في عطفه
 كأنما يزهي جبار ، وتارة يرمي نحو السماء بطرفه كأنما له هناك اعتبار . وأخلق به
 أن ينقض على قنيصه شهاباً ، ويأوى به ذهاباً ، ويحرقه توقداً وألتهاباً . وقد أقيم
 له سابعُ الذنابي والجناح ، كفيلين في مطالبه بالإنجاح . جيد العين والأثر ، حديد
 السمع والبصر . يكاد يحس بما يجري ببال ، ويسرى من خيال . قد جمع بين عزّة
 ملك ، وطاعة مملوك . فهو بما يشتمل عليه من علو الهمة ، ويرجع إليه بمقتضى
 الخدمة ، مؤهل لإحراز ما تقتضيه شئائله ، وإنجاز ما تعدُّ به مخائله . وخالق بمحكم
 تأديبه ، وجودة تركيبه ؛ أن لو مثل له النجم قنصاً ، أو جرى [بذكره] البرق قصصاً ؛
 لأخطفه أسرع من لحظه ، وأطوع من لفظه ؛ وأنتسفه أمضى من سهم ، وأجرى
 من وهم . وقد أقسم بشرف جوهره ، وكريم عنصره ؛ لا يوجه مسفراً ، إلا غادر
 قنيصه معفراً ، وآب إلى يد من أرسله مظفراً ؛ مؤرد الخلب والمنقار ، كأنما اختضب
 بحناء أو كرع في عقار » .

معين التارخ لأهل التارخ

[وله من أبيات يمدح بها] :

طرد القنيص بكل قيد طريدة * زجل الجناح مؤرد الأظفار

= على الفصل الأعلى من باطن السبابة ، والسبعين تجعل رأس الإبهام على الفصل الأسفل من باطن السبابة ،
 والثمانين تجعل رأس السبابة على ظفر الإبهام والتسعين تجعل السبابة حلقة غير مجوفة ، والمائة تجعل
 رأس السبابة اليسرى كما جعلت اليمنى في العشرة . الخ . (انظر بلوغ الأرب في أحوال العرب للألوسي
 ج ٣ ص ٣٩٦ — ٣٩٩ ففيه بيان تام لعلامات الأعداد من الواحد الى الألوف) .

- (١) كذا في مباحج الفكر . وفي الأصلين : « ... نحو السماء وطرفه » ، وهو تحريف .
- (٢) الزيادة عن مباحج الفكر . (٣) انتسف الطائر الشيء عن وجه الأرض : قلعه .
- (٤) كذا في ديوانه (ص ٥٣) ومباحج الفكر . وفي الأصلين : « فكل » — بالفاء .
- (٥) الزجل : رفع الصوت والجلبة .

تَلْتَفُّهُ أَعْطَافُهُ بِحَبِيرَةٍ ^(١) * مَكْحُولَةٌ أَجْفَانُهُ بِنُضَارٍ
يَرْمِي بِهِ الْأَمَدَ الْبَعِيدَ فَيَنْثَنِي * مَخْضُوبَ رَأْيِ الظُّفْرِ وَالْمَنْقَارِ



وأما الزُّرْقُ — وهو الصَّنْفُ الثَّانِي مِنَ الْبَازِي . هو باز لطيفٌ ، إلا أن
مِرَاجَهُ أَحْرَ وَأَيْبَسَ ، وهو لذلك أَشَدُّ جَنَاحًا وَأَسْرَعُ طَيْرَانًا وَأَقْوَى إِقْدَامًا . وفيه
خَتْلٌ وَخَبْتُ ، وذلك أنه إِذَا أُرْسِلَ عَلَى طَائِرٍ طَارَ فِي غَيْرِ مَطَارِهِ ثُمَّ عَطَفَ عَلَيْهِ وَأَظْهَرَ
الشَّدَّةَ بَعْدَ اللَّيْنِ . وَخَيْرُ أَلْوَانِهِ الْأَسْوَدُ الظَّهِيرِ الْأَبْيَضُ الصَّدْرِ الْأَحْمَرُ الْعَيْنِ . وَوَصْفُهُ
الْمَحْمُودُ مِنْهُ أَنْ يَكُونَ أَعْدَلَهَا خَلْقًا ، وَأَقْلَهَا رِيْشًا ، وَأَنْقَلَهَا تَحْمُلًا ، وَأَمْلَأَهَا نَحْذًا ،
وَأَرْحَبَهَا شِدْقًا ، وَأَوْسَعَهَا عَيْنًا ، وَأَصْغَرَهَا رَأْسًا ، وَأَصْفَاهَا حَدَقَةً ، وَأَطْوَلَهَا عُتْقًا ،
وَأَقْصَرَهَا خَافِيَةً ، وَأَشَدَّهَا لَحْمًا ، وَأَنْ يَكُونَ أَخْضَرَ الرَّجْلَيْنِ ، وَسِيحَ الْمَخَالِبِ ، مُتَعَرِّيًا ^(٢)
مِنَ اللَّحْمِ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .



وأما الْبَاشِقُ — وهو الصَّنْفُ الثَّالِثُ مِنَ الْبَازِي . وهو أَحْرَ وَأَيْبَسُ مِنَ الزُّرْقِ ،
وهو هَلِيعٌ قَلِقٌ ذَعِرٌ ، يَأْنَسُ وَقْتًا وَيَسْتَوِحِشُ وَقْتًا . وَنَفْسُهُ قَوِيَّةٌ جَافِيَةٌ ^(٣) . فَإِذَا أَنْسَ
مِنْهُ الصَّغِيرُ بَلَغَ مِنْهُ كُلُّ الْمَرَادِ . وَأَجُودُ الْبَاشِقِ مَا أَخَذَ فَرْخًا لَمْ يُلْقَ مِنْ قَوَادِمِهِ
رِيْشَةً . وَهُوَ مَتَى تَمَّ تَأْنِيْسُهُ وَجِدَ مِنْهُ بَازٍ خَفِيفُ الْحِمْلِ ظَرِيفُ الشَّمَائِلِ .
وَمِنْ صِفَاتِهِ الْمَحْمُودَةِ أَنْ يَكُونَ صَغِيرَ الْمَنْظَرِ ، ثَقِيلَ الْحِمْلِ ، طَوِيلَ السَّاقَيْنِ
وَالْفِيْخِذَيْنِ ، عَظِيمَ السَّلَاحِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى جِسْمِهِ .

(١) : الْحَبِيرُ مِنَ الْبُرُودِ : الْمَوْشَى الْخَطَطُ .

(٢) : فِي الْأَصْلَيْنِ : «مَتَعَرٌّ» ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ . ٢٠

(٣) : فِي ١ وَمَبَاهِجِ الْفِكْرِ : «خَائِفَةٌ» . وَفِي ب : «خَافِيَةٌ» . وَلَعَلَّ كِلَيْهِمَا مُحَرَفٌ عَمَّا أُثْبِتَ .

وقال بعض الشعراء يصفه :

إذا بارك الله في طائر * نخص من الطير إسبهرقي
له هامة كللت بالبحين * فسال البحين على المفريق
يقلب عينين في رأسه * كأنهما نقطتا زئبق
واشرب لونا له مذهباً * كاون الغزالة في المشرق
حمام الحمام وحتف القطا * وصاعقة القبيح والعققي
وأحني عليك إلى أن يعود * إليك من الوالد المشفق
وأكرم به وبكف الأمير * وباللستبان^(٢) إذا يلتقي

وقال أبو الفتح كشافهم :

يسمو فيخفي في الهواء وينكفي * عجلًا فينقض أنقضاض الطارق
وكأن جؤجؤد وريش جناحه * خضبا بنقش يد الفتاة العاتق^(٤)
وكانما سكن الهوى أعضائه * فأعارهن نحول جسم العاشق
ذا مقلة ذهبية في هامة * محفوفة من ريشها بحدائق
ومخالب مثل الأهلة طالما * أدمين كف البازيار الحاذق
وإذا أنبرى نحو الطريدة خلتها * كالريح في الأسماع أو كالبارق

(١) كذا في مباحج الفكر . وفي الأصلين : « الولد » .

(٢) اللستبان : الضارب بالستان ، وهو من اصطلاحات أصحاب الموسيقى ، ومعناها : النغمة بالفارسية . كذا ذكر في كتاب الألفاظ الفارسية (ص ٦٤ طبع بيروت) . وكان من عادتهم إذا أرادوا أن يضطادوا بالجوارح ضربوا لها الطبول وهيجوها بذلك .

(٣) كذا في ديوانه المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٩٧ أدب . وفي أ : ٢٠ « خصا » بالخاء المعجمة والصاد المهملة . وقد سقطت هذه الكلمة من النسخ في ب .

(٤) العاتق : الجارية أول ما أدركت والتي لم تتزوج ، وقيل : التي بين الإدراك والتعيس .

وإذا دعاه البازيأر رأيتَه * أدنى وأطوع من محبٍّ وامق
وإذا القطاة تخلفت من خوفه * لم يعد أن يهوى بها من حالق

ومن رسالة لبعض فضلاء الأندلس، جاء منها :

« كأنما أكتحل بلهب، أو أنتعل بذهب . ملتف في سبره^(١)، وملتحف
بجبره . من سيوفه منقاره، ومن رماحه أظفاره . ومن اللواتى تتنافس الملوك فيها،
تُمسكها عُجبا بها وتيها . فهي على أيديها آيةٌ بادية، ونعمةٌ من الله نامية . تبدل لك
الجهد صراحا، وتغيرك في نيل بُغيتك جناحا . وتتفق معك في طلب الأرزاق،
وتألف بك على اختلاف الخلق والأخلاق . ثم تلوذ بك إذا من يرجوك،
وتفي لك وفاء لا يلتزمه لك أبك ولا أخوك » . ثم ذكر حماسة صادها، فقال :
« اختطفها أسرع من اللّظ، ولا تحيد لها عنه، وأنحدر بها أعجل من اللفظ،
وكانها هي منه، ثم جعل يتناولها بعقد السبعين^(٢)، ويدخلها في أضيق من التسعين .
وكان لها موتاً عاجلاً، وكانت له قوتا حاصلاً » . والله الهادى للصواب .



وأما العفصى — وهو الصنف الرابع من البازي . وهو من الباشق كالزرق
من البازي، إلا أنه أصغر الجوارح نفساً، وأضعفها حيلةً، وأشدّها ذعراً، وأيئسها
مزاجاً . وربما صاد العصفور وتركه لخوفه وحذره . ومن عادته أنه يرصد الطير

(١) كذا في مباحج الفكر . والسبر : حسن الهيئة، ومنه الحديث : "يخرج رجل من النار وقد ذهب

حبره وسبره" . والخبر : البهاء والحسن والوشي . وفي الأصلين : « شرره » .

(٢) راجع الحاشية رقم ٤ ص ١٨٩ من هذا الجزء .

(١) أيام حَضَانِهِ ، فإذا طار عن وَكْرِهِ خَلَفَهُ فِيهِ وَكَسَرَ بَيْضَهُ وَرَمَاهُ وَبَاضَ مَكَانَهُ وَطَارَ عَنْهُ فَيَحْضُنُهُ صَاحِبُ الْوَكْرِ؛ فَهُوَ أَبَدًا لَا يَحْضُنُ وَلَا يُرَبِّي .



وَأَمَّا الْبَيْدَقُ — وَهُوَ الصَّنْفُ الْخَامِسُ مِنَ الْبَازِي ، وَهُوَ لَا يَصِيدُ غَيْرَ

الْعَصَافِيرِ . وَقَدْ وَصَفَهُ كُشَايِمٌ فَقَالَ :

حَسْبِي مِنَ الْبُزَاةِ وَالزَّرَارِقِ * بَيْدَقٍ يَصِيدُ صَيْدَ الْبَاشِقِ (٢)
مُؤَدَّبٍ مُدَرَّبِ الْخَلَائِقِ * أَصِيدَ مِنْ مَعْشُوقَةٍ لِعَاشِقِ
يَسْبِقُ فِي السَّرْعَةِ كُلَّ سَابِقِ * لَيْسَ لَهُ عَنْ صَيْدِهِ مِنْ عَائِقِ (٣)
رَبِيتُهُ وَكُنْتُ عَيْنَ الْوَائِقِ * أَنَّ الْفَرَازِينَ مِنَ الْبَيَادِقِ (٤) (٥)

(١) الحضان (بالكسر) : مصدر من قولك : حضن الطائر بيضه حضنا وحضاناً إذا ضمه تحت جناحيه .

(٢) في حياة الحيوان (ج ١ ص ١٣٧) : « والبيادق » .

(٣) في حياة الحيوان : « في صيده » .

(٤) في ديوانه وحياة الحيوان : « غير وائِق » .

(٥) الفرازين : جمع فرزان ، معرب فرزين بالفارسية وهو الملكة في لعبة الشطرنج . تقول : تفرزن

البيدق ، أي صار فرزاناً .

ذكر ما قيل في الصقر

والصقر ثلاثة أصناف، وهى صقر، وكوبنج، ويؤيؤ .

فأما الصقر—فهو النوع الثالث من الجوارح. والعرب تُسمى كل طائر يصيد صقراً، ما خلا النسر والعقاب، وتسميه "الأكدر" و"الأجل". وهو من الجوارح بمنزلة البغال من الدواب، لأنه أصبر على الشدة وأشد إقداماً على جلة الطير كالكرّاكى^(١) والخبارج . قالوا : ومِزاجه أبرد من سائر ما تقدم ذكره من الجوارح وأرطب . وهو يضري على الغزال والأرنب ولا يضري على الطير لأنها تفوته . وفعله في صيده الأنقباض^(٢) والصدم . وهو غير صاف بجناحه ولا خافق به . ومتى خفق بجناحه كانت حركته بطيئة بخلاف البازي . ويقال : إنه أهدأ نفساً من البازي ، وأسرع أنساً بالناس^(٤) ، وأكثر رضا وقناعة . وهو يغتذى بالحووم ذوات الأربع . وهو يعاف المياه ولا يقربها ، وذلك لبرد مزاجه . وفي طبعه أنه لا يركب الأشجار ولا الشواخ من الجبال ، ولا يأوى إلا المقابر والكهوف وصدوع الجبال . وهو ينق بالتعمك^(٥) في الترمل والتراب .

ومن صفاته المحمودة الدالة على نجابته وفراسته : أن يكون أحمر اللون ، عظيم

الهامة ، واسع العينين ، تام المنسر ، طويل العنق والجناحين ، رخب الصدر ، ممتلئ

(١٠٧)

(١) الخبارج : جمع حبرج (بالضم) ، وهو من طير الماء .

(٢) كذا في مباحج الفكر . وفي الأصلين : «الانقباض» وهو تحريف .

(٣) صف الطائر جناحيه في السماء : بسطهما ولم يحركهما .

(٤) كذا في مباحج الفكر . وفي الأصلين : «أسرع إيناساً من الناس» .

(٥) التمعك : التمرغ . وفي الأصلين : «باليعمل» ، وهو تحريف .

الزُّور، عريض الوسط، جليل الفخذين، قصير الساقين والدَّنب، قريب القفدة^(١) من الفقار، سبط الكف، غليظ الأصابع فيروزيها، أسود اللسان. والله الموفق .
وأول من صاد بالصقر وضَّراه الحارث بن معاوية بن ثور بن كندة . وسبب ذلك أنه وقف في بعض الأيام على صياد قد نصب شبكة للعصافير، فأنقضَّ أكدر على عصفور قد علق في الشبكة فجعل يأكله وقد علق الأكدر وأندق جناحه، والحارث ينظر إليه ويعجب من فعله، فأمر به خُميل فرمى به في كسر بيت ووكل به من يطعمه، وأنس الصقر بالموكل به، حتى صار إذا جاءه باللحم ودعاه أجاب، ثم صار يطعمه على يده وصار يحمله . فبينما هو يوماً حامله إذ رأى حمامة، فطار عن يده إليها فأخذها وأكلها . فأمر الحارث عند ذلك باتخاذها وتدريبها والتصيد بها . فبينما هو يسير يوماً إذ لاحت أرنب فطار الصقر إليها وأخذها، فلما رآه يصيد الطير والأرانب ازداد به إعجاباً وأغبطاً . واتخذته العرب بعده .

ووصفه الشعراء، فمن ذلك ما قاله كشاجم يصفه :

غَدَوْنَا وَطَرَفُ النَجْمِ وَسَنَانُ غَائِرٍ * وَقَدْ نَزَلَ الْإِصْبَاحُ وَاللَّيْلُ سَائِرٌ^(٢)
بَأَجْدَلٍ مِنْ حُمْرِ الصَّقُورِ مُؤَدِّبٍ * وَأَكْرَمُ مَا قَرَّبَتْ مِنْهَا الْأَحَامِرُ^(٣)
جَرَى عَلَى قَتْلِ الظُّبَاءِ وَإِنِّي * لِيُعْجِبُنِي أَنْ يَكْسِرَ الْوَحْشَ طَائِرُ^(٤)
قَصِيرُ الدَّنَابِ وَالْقَدَامَى كَأَنَّهَا * قَوَادِمُ نَسِيرٍ أَوْ سَيُوفٌ بَوَاتِرُ

(١) الذي يستنبط من معاجم اللغة (مادة قفد) أن القفد جزء من جانب الرأس الخلفي . ولم يفسره أحد من الأئمة أو يحدد موضعه . (راجع اللسان مادة قفد) .

(٢) في مباحج الفكر : « والليل سائر » بالناء المثناة من فوق .

(٣) كذا في مباحج الفكر . وفي الأصلين : « منه » .

(٤) جمع أحمر على أحامر لأنه أخرج مخرج الأسماء، كما جمع أجدل، وهو الصقر، على أجادل .

ورُقش منه جُؤجُؤٌ فكأنه * أعارته إجمام الحروف الدفاتر
فما زلت بالإضمار حتى صنعتُه * وليس يحوز السبق إلا الضوامر
وتجلى له منا أكف كريمة * كما زهيت بالخاطبين المنابر^(١)
وعن لنا من جانب السّفح ررب * على سنن تستن منه الجاذر^(٢)
بخلّى وحلت عقدة السير فأنتحي * لأقلا إذ أمكته الأواخر^(٣)
يحت جناحيه على حرّ وجهها * كما فصلت فوق الحدود المعاجر^(٤)
وما تمّ رجع الطرف حتى رأيتها * مصرعة تهوى إليها الخناجر^(٥)

وقال عبد الله بن المعتز :

وأجدل يفهم نطق الناطق * مللم الهامة نخم العاتق^(٦)
أقنى الخاليل طلب مارق * كأنها نونات كفّ ماشق^(٧)
ذى جُؤجُؤٍ لايس وشي رائق * كمبتدا اللامات في المهارق^(٨)
أو كامتداد الكحل في الجماليق * ونجمت باللّظ عين الرامق^(٩)
عشرًا من الإوز في غلافق * فتر كالريح بعزم صادق

(١) في الأصلين : « رهبت » .

(٢) جلى البازى : أبصر الصيد فرفع رأسه وطرفه . وفي الأصلين : « فخلى » بالخاء المهملة ، ودو

تصحيف .

(٣) كذا في مباهج الفكر . وفي الأصلين : « فامحى » بالميم ، وهو تحريف .

(٤) كذا في مباهج الفكر . وفي الأصلين : « وجهه » .

(٥) المعاجر : جمع معجرو وهو ثوب تلفه المرأة على استدارة رأسها ، ثم تجلب فوقه بجلبابها .

(٦) المللم : المجتمع المدور المضموم .

(٧) المهارق : جمع مهرق (بالضم) وهى الصحيفة البيضاء يكتب فيها .

(٨) الغلافق : جمع غلفق وهو الطحلب أو دونهت ينبت فى الماء ورقة عراض .

حتى دنا منهم مثل السارق * ثم علاها بجناح خافق
(١) * فطفقت من هالك أو فائق *

وقال أيضا :

وأجدل لم يحل من تأديب * يرى بعيد الشيء كالقريب
يهوى هوى الدلو في القليب * بناظر مستعجم مقلوب
(٢) (٣) كناظر الأقبل ذي التقطيب * رأى إوزا في ثرى رطيب
فطار كالمستوهل المرعوب * ينفذ في الشمال والجنوب



وأما الكونج — وهو الصنف الثاني من الصقر . ويسمى بمصر والشام
(٤) السقاوية . ونسبته من الصقر كنسبة الزرق من البازي ، إلا أنه أحر منه ؛ ولذلك هو
أخف منه جناحا . وهو يصيد الأرنب ، ويعجز عن الغزال الصغره ؛ ويصيد أشياء
من طير الماء . وشدة نفسه أقل من شدة بدنه ؛ ولأجل ذلك هو أطول في البيوت
لُبثًا ، وأصبر على مقاساة الشقاء من الصقر . وفي وصفه يقول بعض الشعراء :

إن لم يكن صقر فعندي كونج * كأن نقش ريشه المدرج
برد من الموشى أو مدجج * فكم به للطير قلب مزجج
مزعق بدميه مضرج * بمثله عنا الهموم تفرج

(١) يقال : فاق الرجل فواقا إذا كانت نفسه على الخروج .

(٢) الأقبل : الذي أقبلت حدقتاه على أنه . وقال الليث : القبل في العين : إقبال السواد

على المحجر .

(٣) كذا في ديوانه (ص ٩٧ طبع مصر) . وفي الأصلين : « وطيب » وهو تحريف .

(٤) في مباحج الفكر : « السقاوة » .



وأما اليؤيؤ — وهو الصنف الثالث من الصقر . ويسميه أهل مصر والشام "الجلم" لخفة جناحيه وسرعتها . وهو طائر قصير الذنب . ومزاجه بالإضافة إلى الباشق بارد رطب ، لأنه أصبر منه نفساً وأثقل حركة . ويشرب الماء شرباً ضرورياً كما يشربه الباشق . ومزاجه بالنسبة إلى الصقر حار يابس ، ولذلك هو أشجع منه ، لأنه يتعلق بما يفترسه ، ويصيد ما هو أجل منه كالدرّاج . ويقال : إن أول من صاد به وأخذ له للعب بهرام جور^(١) ، وذلك أنه شاهد يؤيؤاً يطارد قبرة ويأوغها ويرتفع معها إلى أن صاهاها ، فأعجبه وأخذ به وصاد به .

وقال عبد الله النّاشي يصفه :

ويؤيؤ مهذب رشيق * كأن عينيه على التحقيق^(٢)

* فصان مخروطان من عقيق *

وقال أبو نؤاس :

قد أغتدى والصبح في دجاء * كطرة البدر^(٣) على مثناه^(٤)
بيؤيؤ يعجب من رآه * ما في الياي^(٥) يؤيؤ شرواه

(١) راجع ترجمته بتفصيل واف في تاريخ الطبري (ص ٨٥٤ — ٨٧١ من القسم الأول) .

(٢) في مباحج الفكر وحياة الحيوان للدميري (ج ٢ ص ٨٠) : « لدى » .

(٣) وردت هذه القصيدة في ديوان أبي نؤاس المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم (٢٥ أدب م ص ٧٨) على غير هذا الترتيب وبزيادة أبيات عليها .

(٤) كذا في الأصلين وديوانه . وفي حياة الحيوان للدميري : « كطرة البدر لدى مثناه » . والطرة : الجهة . وقد تكون هذه الرواية الأخيرة أقرب الروايات إلى الصحة إذا صح أن كلمة « مثناه »

يراد بها ميل القمر وانعطافه إلى مغيبه ، ويكون المراد تشبيهه الصبح في غلسه بصفحة البدر عند مغيبه .

(٥) كذا في ديوانه ومباحج الفكر . وشروى الشيء : نظيره . وفي الأصلين : « يؤيؤسواه » .

أزرقُ لا تكذبه عيناه * فلو يرى القائنُ ما يراه
[* فداء بالآثم وقد فداء ^(١) *]

وقال أبو اسحاق الصّابي يصفه من رسالة :

«وكم من قَبْرٍ ^(٢) أطلقنا عليه يؤيؤاً لنا ^(٣) فعرَج إلى السماء عُرُوجاً ، ولجَّجَ في أثره ^(٤)
تلجيجاً ، فكان ذلك يعتصم منه بالخلّاق ، وهذا يستطعمه من الرّزاق ؛ حتى غابا
عن النّظر ، واحتجبا عن الأبصار ، وصارا كالغيب ^(٥) المرجم ، والظنّ المتوهم ، ثم
خطفه ووقع به وهما كهيئة الطائر الواحد ، فأعجبنا أمرهما ، وأطربنا منظرهما» . ^(٦)

ذكر ما قيل في الشاهين

والشاهين ثلاثة أصناف ، وهى شاهين ، وأنيق ، وقطامي .

- ١٠ فأما الشاهين — وأسمه بالفارسية شوذانه ، فعترته العرب على ألفاظ شتى
منها : شوذانيق وشوذق وشوذنوق ^(٧) وشيدنوق . ويقال : إنه من جنس الصقر إلا أنه
أبرد منه وأيدس ، ولذلك تكون حركته من العلو إلى السفلى شديدة . وليس يخلق

- (١) زيادة عن ديوانه ومباهج الفكر وحياة الحيوان للدميري .
(٢) كذا في يتيمة الدهر (ج ٢ ص ٣٥) . وفي الأصلين : «وطار منه قبرا» .
(٣) في اليتيمة : «بازيا» .
(٤) كذا في اليتيمة . وفي الأصلين : «كان» .
(٥) كذا في اليتيمة . وفي الأصلين : «كالغيث المرجم والظن الموهم» ، وهو تحريف .
(٦) كذا في اليتيمة . وفي الأصلين : «ورفع» وهو تحريف .
(٧) قد وردت هذه المترادفات في إحدى روايات المخصص بالسین المهملة . والسين والشين
كلتاها لغة فيها . راجع القاموس وشرحه واللسان (مادتي سذق وشذق) والمخصص (ج ٨ ص ١٥٠) .

في طلب الصيد على خطٍّ مستقيم إنما يحوم لِثَقَلِ جَنَاحِهِ ، حتى إذا سامت الفريسة
 آنقض عليها هاوياً من علٍّ فضربها وفارقها صاعداً ، فإن سقطت على الأرض أخذها ،
 وإن لم تسقط أعاد ضربها [لتسقط] ^(٢) ، وذلك دليل على جبنه وفتور نفسه وبرد مزاج
 قلبه . ومع ذلك كله فهو أسرع الجوارح وأخفها وأشدّها ضراوةً على الصيد .
 إلا أنهم عابوه بالإباق وبما يعتريه من الحرص ، حتى إنه ربما ضرب بنفسه
 الأرض فمات . ويزعمون أن عظامه أصلب من عظام سائر الجوارح ، ولذلك هو
 يضرب بصدّره ويعلق بكفّه .

وقال بعض من تكلم في هذا النوع : الشاهين كاسمه . يريد [شاهين] الميزان ^(٣) ،
 [لأنه] لا يَحْتَمِلُ أدنى حال من الشَّبَعِ ولا أيسر حال من الجوع ^(٤) .

والمحمود من صفاته : أن يكون عظيم الهامة ، واسع العينين حاذهما ، تامّ
 المنسر ، طويل العنق ، رحب الصدر ، ممتلئ الزور ، عريض الوسط ، جليل الفخذين ^(٥) ،
 قصير الساقين ، قريب القفدة من الظهر ، قليل الريش لينه ، تامّ الخوافي ، دقيق
 الذنب ، إذا صلب عليه جناحيه لم يفضل عنهما شيء منه . فإذا كان كذلك فهو يقتل
 الكركي ^(٦) [ولا يفوته] . وزعم بعضهم ^(٧) أن السود من الشواهين هي المحمودة ، وأن السواد
 أصل لونها ، وإنما أحالته التربة . ويكون في الشواهين الملمّع . والله أعلم .

(١) كذا في مباحج الفكر ، وفي الأصلين : « بنقل » .

(٢) زيادة عن مباحج الفكر .

(٣) هذه التكلة عن كتاب شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل . وشاهين الميزان : لسانه .

(٤) زيادة عن شفاء الغليل وحياة الحيوان للدميري (ج ٢ ص ٥٨) ومباحج الفكر .

(٥) في حياة الحيوان للدميري : « جليد » .

(٦) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٩٦ من هذا الجزء .

(٧) عبارة حياة الحيوان للدميري (ج ٢ ص ٥٨) : « إذا صلب عليه جناحيه لم يفضل عنه منهما شيء » .

(٨) في مباحج الفكر : « وزعم أهل الاسكندرية » .

وأقول من صاد بالشواهين قسطنطين [ملك عمورية ^(١)] . حكي أنه خرج يوماً
يتصيد ، حتى إذا أتى إلى مرج فسبح نظر إلى شاهين ينكفي على طير الماء ؛
فأعجبه ما رأى من سرعته وضرأوته وإلحاحه على صيده ، فأخذه وضرأه ؛ ثم ريمت
له الشواهين بعد ذلك وعلمت أن تحوم على رأسه إذا ركب فتظله من الشمس ؛
فكانت تنحدر مرة وترتفع أخرى ، فإذا نزل وقعت حوله .

وقد وصف الشعراء الشواهين وشبهوها ؛ فمن ذلك قول النأسي :

هل لك يا قنّاص في شاهين * شؤذانيق مؤدّب أمين
جاء به السائس من رزين ^(٢) * ضرأه بالتخشين والتأمين
حتى لأغناه عن التلقين * يكاد للثقيف والتمرين
يعرف معنى الوحي بالهفون * يظل من جناحه المزين
في قرطقي من نخز الثمين ^(٣) * يشبه من طرازه المصون
برد أنوشروان أو شيرين ^(٤) * أحوى مجارى الدمع والشؤون
ذى منسّر مؤلل مسنون * واف كشط الحاجب المقرون
منعطيف مثل أنعطاف النون * يبدى اسمه مناه للعيون
وقال أبو الفتح كشاجم وبدأ بالكركي :

يارب أسراب من الكراكي * مطمعة السكون في الحراك
بعيدة المنال والإدراك * كدر وبيض اللون كالأفناك ^(٥)

(١) زيادة عن مباحج الفكر . وعمورية (بفتح أوله وتشديد ثانيه) : بلد في بلاد الروم غزاه
المعتصم في سنة ٢٢٣ هـ وكانت من أعظم فتوح الإسلام .

(٢) كذا بالأصلين ولم نجد في معاجم البلدان موضعاً بهذا الاسم .

(٣) القرطقي : قباء ذو طاق واحد ، تعريب كرتة بالفارسية .

(٤) شيرين : اسم حظية كسرى أپرويز ؛ وتطلق أيضاً على أسماء فارسية كثيرة .

(٥) الأفناك : جمع فناك ، وهو دويبة يؤخذ منه الفرو ، يجلب من بلاد الصقالبة .

تَقْصُرُ عَنْهَا أَسْهُمُ الْأَتْرَاكِ * ذُعِرْنَ قَبْلَ لَغِطِ الْمَكَاكِ^(٢)
 وَقَبْلَ تَغْرِيدِ الْحَمَامِ الْبَاكِ * بِفَاتِكَ يُرَى عَلَى الْفُتَاكِ
 مُؤَدَّبِ الْإِطْلَاقِ وَالْإِمْسَاكِ * مَلَمَّ الْهَامَةِ كَالْمَدَاكِ^(٣)
 مِثْلَ الْكَيْيِّ فِي السَّلَاحِ الشَّاكِ * ذِي مَنَسِيرٍ ضَخِيمٍ لَهُ شَكَاكِ
 وَمُخْلَبٍ بِحَدِّهِ بَتَّاكِ^(٤) * لِلْحُجْبِ عَنْ قُلُوبِهَا هَتَاكِ
 حَتَّى إِذَا قُلْتُ لَهُ دَرَاكِ * وَحَلَقْتُ تَسْمُو إِلَى الْأَفْلَاكِ
 مُتَمَدَّةَ الْأَعْنَاقِ وَالْأَوْرَاكِ * مُوقِنَةً بِعَاجِلِ الْهَلَاكِ
 غَادِرَهَا تَهْوِي عَلَى الدَّكَاكِ^(٥) * أَسْرَى بِكَفِّهِ بَلَا فَكَاكِ
 يَاجِدُونَ الصَّيْدَ مَا أَحْلَاكِ * وَمُنَّةَ الشَّاهِينَ مَا أَقْوَاكِ
 لَمْ تَكْذِبِي فِرَاسَةَ الْأُمْلَاكِ * إِيَّاكَ أَعْنَى مَا دَحَا إِيَّاكَ

٥

١٠



وَأَمَّا الْأَنْيَقَى — وَهُوَ الصَّنْفُ الثَّانِي مِنَ الشَّاهِينَ . وَتَسْمِيهِ أَهْلُ الْعِرَاقِ
 الْكَتْرَكَ . وَهُوَ دُونَ الشَّاهِينَ فِي الْقُوَّةِ ، إِلَّا أَنَّ فِيهِ سُرْعَةً . وَهُوَ يَصِيدُ الْعَصَافِيرَ .
 وَفِيهِ يَقُولُ الشَّاعِرُ :

غَنِيْتُ عَنْ الْجَوَارِحِ بِالْأَنْيَقَى * بِمِثْلِ الرِّيحِ أَوْلَعَ الْبُرُوقِ
 أَصَبُّ بِهِ عَلَى الْعُصْفُورِ حَتْفًا * فَأَرْمِيهِ بِصَخْرَةٍ مَنَجْنِيْقِ

١٥



(١) كَذَا فِي مَبَاهِجِ الْفِكْرِ . وَفِي الْأَصْلَيْنِ : « دَعَوْتُ » .

(٢) الْمَكَاكِ : جَمْعُ مَكَا . (بِضْمِ الْمِيمِ وَتَشْدِيدِ الْكَافِ) وَهُوَ طَائِرٌ فِي ضَرْبِ الْقُبْرَةِ إِلَّا أَنَّ فِي جَنَاحِيهِ
 بَلَقًا ، وَهُوَ يَأْلِفُ الرِّيفَ ، سَمِيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ يَمْكُو أَيْ يَصْفُرُ .

(٣) الْمَدَاكِ : حَجَرٌ يَسْحَقُ عَلَيْهِ الطَّيْبُ .

(٤) بَتَاكِ : قِطَاعٌ .

(٥) الدَّكَاكِ : جَمْعُ دَكَّةٍ وَهِيَ مَا اسْتَوَى مِنَ الرَّمَالِ وَسَهْلٌ .

٢٠

وَأَمَّا الْقُطَامَى — وهو الصَّنْف الثالث من الشاهين ، وتسميه أهل العراق «الْبَهْرَجَة» . يقال : إنه في طبع الشاهين ، والعرب يُخالف ذلك ، وتسمى بعض الصقور القُطَامَى ، والمُعْتَنُونَ بالجوارج يخالفونهم في ذلك .

فصل

ومما ناسب الجوارح في الاقتراس وأكل اللحم الحَيَّ «الضَرْدُ» ، ويُسمى «الشَّقْرَاقُ»^(١) و«الأَخْطَبُ» و«الأَخِيلُ» . وقيل : إن من أسمائه «الوَاقُ»^(٢) وبعضهم يسميه «بازي العصافير» . [وهو طائر مَوْلَعٌ بِسَوَادٍ وَبَيَاضٍ ، ضَخْمُ الْمِنْقَارِ]^(٣) . وفي طبعه شَرْدٌ وَشِرَاسَةٌ وَسِرْقَةٌ لِفَرَاخٍ غَيْرِهِ وَنَقُورٌ مِنَ النَّاسِ . وهو [يَصِيدُ الْحَيَّاتَ وَ] يَغْتَذِي بِاللَّحْمِ ، وَيَأْوِي الْأَشْجَارَ ذَوَاتِ الشُّوكِ وَفِي رَعُوسِ التَّلَاعِ ، حَذَرًا^(٤) عَلَى نَفْسِهِ [مَنْ يَصِيدُهُ] . وهو يتحيل في صيد ما دونه من الطير كالعصفور .

هذا ما ظفرت به في أثناء المطالعة من سباع الطير مما تكلم عليه أرباب هذا الفن . وقد أهملوا أصنافاً ، منها ما هو أجل من جميع ما ذكرناه ، وهو «السنقر» .

(١) كذا في مباحج الفكر والمخصص (ج ٨ ص ١٥١) . وفي الأصلين «الشقران» بالنون بدل القاف ، وهو تحريف .

(٢) الواق بكسر القاف بلا ياء ، سمي بذلك لحكاية صوته . ويقال فيه أيضاً «الواقى» كالقاضي بإثبات الياء .

(٣) زيادة عن مباحج الفكر .

(٤) وردت هذه العبارة في مباحج الفكر كما يأتي : «وله من التحيل في صيده ما دونه من الطير كالعصفور والصعو وغير ذلك من تغير صوته وحكاية كل صوت لذي جثة صغيرة ، فيدعوها ما تسمع منه إلى التقرب منه ظناً منها أنه من جنسها ، فإذا اجتمعن إليه شدد على بعضهن فأخذه وأكله ، وله نقر شديد وإذا نقر شيئاً منها أكله من ساعته» .

والسنقر — طائر شريف ، حسن الشكل ، أبيض اللون بنقط سود .
 والملوك تتعالى فيه وتشتريه بالثمن الكثير . وكان فيما مضى من السنين القريية يشتري
 من التجار بألف دينار ، ثم تناقص ثمنه حتى استقر الآن بخمسة آلاف درهم . ولهم
 عادة : أن التجار إذا حملوه وأتوا به من بلاد الفرنج فمات منهم في الطريق قبل
 وصولهم أحضروا ريشه إلى أبواب الملوك ، فيعطون نصف ثمنه إذا أتوا به حياً ، كل
 ذلك ترغيباً لهم في حملها ونقلها إلى الديار المصرية . وهذا الطير لا يشتريه غير
 السلطان ولا يلعب به غيره من الأمراء إلا من أنعم السلطان عليه به . والله أعلم .
 ومما أهملوا الكلام فيه « الكوهية » و « الصيفية » و « الزغزغى » ، ودويعد من
 أصناف الصقر . ولم أجد من أثق بنقله وعلمه بهذه الأصناف فأنقل عنه أخلاقها
 وطبائعها وعاداتها .



وقال أبو إسحاق الصابى فى وصف الجوارح من رسالة طردية جاء منها :
 « وعلى أيدينا جوارح مؤللة المخالب والمناسر ، مذبذبة^(١) النصال والخناجر ، طامحة
 الألحاظ والمناظر ، بعيدة المرامي والمطارح ، ذكية القلوب والنفوس ، قليلة القطوب
 والعبوس ، سابعة الأذنان ، كريمة الأنساب ، صلبة^(٢) الأعواد ، قوية الأوصال ،
 تزيد إذا ألحمت^(٣) شرها وقرماً ، وتتضاعف إذا أشبعت كلباً ونهماً . ثم خرج إلى وصف
 الحمام فقال : « فلما أوفينا عليها ، أرسلنا الجوارح إليها ، كأنها رسل المنايا ، أو سهام
 القضايا ، فلم نسمع إلا مسمياً ، ولم نر إلا مذكياً » .

(١) ذرب السيف ونحوه (بالتضعيف) وذربه (بالتخفيف) وأذربه : أحده .

(٢) فى الأصلين : « طيبة الأعواد » .

(٣) ألحمت : أطعمت اللحم .

الباب الثاني من القسم الخامس

من الفن الثالث في كلاب الطير

ويشتمل هذا الباب على ما قيل في النسر، والرخم، والحداة، والغراب .
وإنما سميت هذه الأصناف بالكلاب لأنها تأكل الميتة والجيف وتقصدها
وتقع عليها، فهي في ذلك شبيهة بالكلاب .

ذكر ما قيل في النسر

والنسر ذو منسر وليس بذى مخالب، وإنما له أظفار حداد [كالمخالب . وهو يسفد
كما يسفد الديك^(١)] . وزعم من تكلم في طبائع الحيوان أن الأنثى من هذا النوع تبيض
من نظر الذكر إليها ، وأنها لا تحضن^(٢) [بيضها] وإنما تبيض في الأماكن العالية
التي يقرعها حر الشمس وهجيرها ، فيقوم ذلك للبيض مقام الحضن .

والنسر يوصف بحدة حاسة البصر ، حتى إنه يقال : إنه يرى الحيفة عن
مسافة أربع مائة فرسخ . وكذلك حاسة الشم ، إلا أنه إذا شم الطيب مات . وهو
أشد الطير طيراناً وأقواها جناحاً ، حتى زعموا أنه يطير ما بين المشرق والمغرب
في يوم واحد . وهذا القول أراه من التغالي فيه . وسائر الجوارح تخافه . وهو
[شره^(٣) نهم رغب] ، إذا سقط على الحيفة وأمتلأ منها لم يستطع عند ذلك الطيران .

(١) زيادة عن مباحج الفكر وحياة الحيوان للدميري (ج ٢ ص ٤١٠) .

(٢) النكلمة عن كتاب صبح الأعشى للقلقشندي (ج ٢ ص ٦٥)

(٣) زيادة عن مباحج الفكر .

حتى يثب عِدَّة وثبات يرفع فيها نفسه في الهواء طبقةً بعد طبقة حتى تدخل تحته
الريُّح . ومن أصابه بعد امتلائه وأعجله عن الوثوب أمكنه ضربه إن شاء بعضا^(١)
وإن شاء غيرها . قالوا : والأثني تخاف على بيضها وفراخها من الخفاش فتفرش^(٢)
في وكرها ورق الدلب ليفر منه . والنسر أشد الطير حزناً على [فراق]^(٣) إلفه ؛ يقال :
إن الأثني إذا فقدت الذكر امتنعت عن الطعم أياماً ولزمت الوكر ؛ وربما قتلها
الحزن . وهو طويل العمر ؛ يقال : إنه يُعمر ألف سنة . وفيه ألوان : منها الأسود
البهيم ، والأربد وهو لون الرماد ، والأكدر مثله . وهو يتبع الحيوش طمعاً
في الوقوع على جيف القتلى والدواب .

ذكر ما قيل في الرخم

يقال : إن لثام الطير ثلاثة : الغربان ، والبوم ، والرخم .
والرخم تلتمس لبيضها المواضع البعيدة والأماكن الوحشية والجبال الشامخة
وصدوع الصخر ؛ ولذلك يضرب المثل ببيض الأنوق . قال الشاعر :
طلب الأبلق العقوق فلما * لم ينله أراد ببيض الأنوق^(٤)
والرخم من أحب الحيوان في العذرة ، لا شيء يحبها كحبه إلا الجعل . وقال
المفضل لمحمد بن سهل : إنا لا نعرف طائراً ألام لؤماً ولا أقدر طعمة ولا أظهر

(١) كذا في مباحج الفكر . وفي الأصلين : « أمكنه ضربه بالسلاح العصا وغيرها » .

(٢) الدلب : شجر الصنار وهو عريض الورق واسع شبيه بورق الكرم ، مثل كف الإنسان ،
ولا نوره ولا ثمر .

(٣) زيادة عن مباحج الفكر .

(٤) يضرب هذا المثل المستحيل ، فيقال : « أعز من الأبلق العقوق » ، وذلك أن الأبلق من
صفات الذكور ، والعقوق : الحامل ، والذكر لا يكون حاملاً . وكذلك يضرب المثل ببيض الأنوق لما
لا يظفر به لصعوبة الوصول إليه . والأنوق : الرخم .

مَوْقًا مِنَ الرَّحْمَةِ . فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَهْلٍ : وَمَا حُمُّهَا وَهِيَ تَحْضُرُ بِيَضَها ، وَتَحْمِي
فِرَاحَها ، وَتُحِبُّ وَلَدَها ، وَلَا تَمَكِّنُ إِلَّا زَوْجَها ، وَتَقْطَعُ فِي أَوَّلِ الْقَوَاطِعِ^(١) ، وَتَرْجِعُ
فِي أَوَّلِ الرَّوَاجِعِ^(٢) ، وَلَا تَطِيرُ فِي التَّحْسِيرِ^(٣) ، وَلَا تَغْتَرُّ بِالشَّكْرِ ، وَلَا تُرَبِّ بِالْوُكُورِ ،
وَلَا تَسْقُطُ عَلَى الْجَفِيرِ ! .

- قال الجاحظ : أما قوله : « تقطع في أول القواطع وترجع في أول الرواجع » ،
فإن الرماة وأصحاب الحبال والقناص إنما يطلبون الطير بعد أن يعلموا أن القواطع
قد قطعت ، فببعض الرحمة يستدلون ، فلا بد للرحمة من أن تنجو سالمة إذ كانت أول
طالع عليهم . وأما قوله : « ولا تطير في التحسير ولا تغتر بالشكر » ، فإنها تدع
الطيران أيام التحسير ، فإذا نبت الشكير وهو أول ما ينبت من الريش فإنها لا تنهض
حتى يصير الشكير قصبا . وأما قوله : « ولا ترب بالوكور » ، فإن الوكور لا تكون
إلا في عرض الجبل ، وهي لا ترضى إلا بأعلى الهضاب ثم بموضع الصدوع
وخلال الصخور حيث يمتنع على جميع الخلق المصير إلى أفراخها ، ولذلك قال
الكميت :

وَلَا تَجْعَلُونِي فِي رَجَائِي وَدَّكُمْ * كَرَّاجٍ عَلَى بَيْضِ الْأُنُوقِ أَحْتِبَالُهَا^(٤)

- وأما قوله : « ولا تسقط على الجفير » ، وإنما يعني جعبة السهام . يقول : إذا
رأته علمت أن هناك سهاما فلا تسقط في موضع تخاف فيه وقع السهام .

(١) قطعت الطير تقطع قطوعا : إذا جاءت من بلد إلى بلد في وقت حرا أو برد ، فهي قواطع .

(٢) حسرت الطير : سقط ريشها .

(٣) رب بالمكان وأرب إربابا : لزمه وأقام به .

(٤) احتبل الصيد : أخذه بالحبال .

قال : والرَّخْمُ من الطير التي تتبع الحيوش والحجاج لما يسقط من كسرى^(١) الدواب . وإذا فقدت الميتة عمدت إلى العظم حملتة وارتفعت به في الهواء ثم تلقية فيقع على الصخور فينكسر فتأكل ما فيه . والله أعلم بالصواب .

ذكر ما قيل في الحداة

قالوا : والحداة تبض بيضتين ، وربما باضت ثلاثاً وخرج منها ثلاثة أفرخ . وهي تحضن عشرين يوماً . ومن ألوانها الأسود والأربد . ويقال : إنها لا تصيد وإنما تخطف . وهي تقف في الطيران ، وليس ذلك غيرها من الكواسر . وزعم ابن وحشية : أن العقاب والحداة يتبدلان ، فتصير الحداة عقاباً والعقاب حداة . وهذا أراه من الخرافات . ويقال : إن الحداة من جوارح سليمان عليه السلام وإنها امتنعت من أن تؤلف أو تملك لغيره ، لأنها من الملك الذي لا ينبغي لأحد من بعده . وهي لا تحتطف إلا من يمين من تحتطف منه دون شماله . وليس فيها لحم ، وإنما عظام وعصب وجلد وریش . ولم أقف على شعر فيها فأضعه .

ذكر ما قيل في الغراب

قالوا : والغراب أصناف ، وهي " الغداف " و " الزاغ الأكل " و " الزاغ الأورق " . والغراب يحكى جميع ما يسمعه ، وهو في ذلك أعجب من البغاء . ويقال : إن متولى ثغر الإسكندرية أهدى إلى السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس غراباً أبيض ، وهو غريب نادر الوقوع . ويقال في صوت الغراب : نَغَقَ نَغَقَ نَغَقًا ، ونَعَبَ نَعَبَ نَعَبًا . فإذا مرت عليه السنون الكثيرة وغلظ صوته

(١) كسرى : جمع كسير .

قيل فيه : شَحَجَ يَشْحَجُ شَحِيجًا . وفي طبعه الأستتارُ عند السَّفاد وهو يَسْفِدُ مُوَاجَهَةً^(١) ، ولا يعود إلى الأثني إذا سفدها أبداً ، وذلك لقلة وفائه .

قال الجاحظ : وإذا خرج الفرخُ حضنته الأنثى دون الذكر ، ويأتيها الذكر بالطعم . قال : والغراب من لئام الطير وليس من كرامها ، ومن بغائها وليس من أحرارها ، ومن ذوات المخالب المعقفة والأظفار الجارحة ، ومن ذوات المناكير وليس من ذوات المناسر ، وهو مع ذلك قوى البدن ، لا يتعاطى الصيد ، وربما راوغ العصفور . ولا يصيد الجراد إلا أن يلقاها في سد^(٢) من جراد . وهو إن أصاب جيفة نال منها وإلا مات هزألاً . ويتقمّم كما تتقمّم بهائم الطير وضعافها . وليس بهيمة لمكان أكله الحيف ، وليس بسبع لعجزه عن الصيد .

قال : وهو إما أن يكون حالك السواد شديد الاحتراق ، ويكون مثله من الناس الزنج لأنهم شرار الناس وأردأ الخلق تركيباً ومزاجاً ، فلا تكون له معرفة ولا جمال ، وإما أن يكون أبقع فيكون اختلاف تركيبه وتضاد أعضائه دليلاً على فساد أمره . والبقع الأُم من السود وأضعف .

قال : ومن الغربان غراب الليل ، وهو الذي ترك أخلاق الغربان وتشبهه بأخلاق البوم . وقد رأيتُ أنا ببلنّياس^(٣) — وهى على ساحل البحر الرومى — غرباناً كثيرة جداً ، فإذا كان وقتُ الفجر صاحت كلّها صياحاً عظيماً مزججاً ، فهم يعرفون طلوعَ الفجر بصياحها .

(١) قال الجاحظ : « وناس يزعمون أن تسافدها على غير تسافد الطير وأنها تراق وتلفح من هناك » .
(راجع الحيوان للجاحظ ج ٣ ص ٢١٤ من النسخة المأخوذة بالتصوير الشمسى المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٢٨٥ أدب) .

(٢) السد : القطعة من الجراد ، تسد الأفق . يقال : جاءنا سد من جراد ، وجراد سد .

(٣) بلنّياس : مدينة صغيرة وحصن بسواحل حمص على البحر .

قال : ومنها غراب البين ؛ وهو نوعان : أحدهما غرابان صغار معروفة بالضعف واللؤم . والآخر إنما لزمه هذا الاسم لأن الغراب إذا بان أهل الدار للنجعة وقع في مواضع بيوتهم يتلمس ويتقمم ، فتشاءموا به وتطيروا منه ، إذ كان لا يلزم بمنزلهم إلا إذا بانوا منها ؛ فسموه غراب البين . ثم كرهوا إطلاق ذلك الاسم مخافة الزجر والطيرة ، وعلموا أنه نافذ البصر صافي العين ، فسموه الأعور ؛ من أسماء الأضداد .
قال : والغدبان جنس من الغربان ؛ وهي لثام جدًا . ومن أجل تشاؤمهم بالغراب اشتقوا من اسمه الغربة والأغتراب والغريب . والعرب يتعايرون^(١) بأكل لحوم الغربان . وفي ذلك يقول وعلة الجرمي :

فما بالعار ما عيرتمونا * شواء الناهضات مع الخبيص^(٢)
فما لحم الغراب لنا بزاد * ولا سرطان أنهار البريص^(٣)

والغربان من الأجناس التي تقتل في الحلال والحرم ، وسميت بالفسيق .

قال الجاحظ : وبالبصرة من شأن الغربان ضروب من العجب ، لو كان ذلك بمصر أو ببعض الشامات كان عندهم من أجود الطلسمات ؛ وذلك أن الغربان تقطع إلينا في الحريف قترى النخيل وبعضها مصروم وعلى كل نخلة عدد كثير من الغربان ؛

١٥ (١) هو وعلة بن عبد الله الجرمي الشاعر ، أحد فرسان قضاة . (راجع الكلام عليه وعلى ابنة الحارث بن وعلة في الأغاني ج ١٥ ص ١٣٩ طبع بولاق) .

(٢) الناهضة : أنثى فرخ العقاب . والخبيص : ضرب من الحلواء .

(٣) السرطان : حيوان من خلق الماء ، ذوفكين ومخالب وأظفار حداد ، يمشي على جنب واحد ، ويسمى عقرب الماء .

٢٠ (٤) البريص : نهر دمشق . ذكر ذلك ياقوت ، ثم ساق أبياتا لحسان بن ثابت وذكر الشطر الأخير من قول وعلة هذا ، وقال : « وهذان الشعران يدلان على أن البريص اسم الغوطة بأجمعها ، ألا تراه نسب الأنهار إلى البريص » .

وليس فيها شيء يَمَرُّب نخلةً واحدةً من النخيل التي لم تُصَرِّم ولو لم يبق عليها إلا عِذْق واحد . قال : فلو أن الله تعالى أذن للغراب أن يسقط على النخلة وعليها التمر لذهب جميعه . فإذا صرَموا ما على النخلة تسابق الغرابان إلى ما سقط من التمر في جوف القلب^(١) وأصول الكرب تستخرجه وتأكله .^(٢)

ومما يُتمثل به في الغراب : يقولون : « أحذر من غراب » . و « أصح من غراب » . و « أصفى نظراً من غراب » . و « أسود من غراب » .

ومما وُصِفَتْ به الغرابان — فمن ذلك قولُ عنتره :
حَرِّقَ الجَنَاحَ كَأَن لَحْيَيْ رَأْسِهِ * جَلَمَانِ بِالْأَخْبَارِ هَشٌّ مُوَلَعٌ^(٣)

وقال الطَّيرِمَاحُ بن حَكِيم :

وَجَرَى بَيْنَهُمْ غَدَاةً تَحْمَلُوا * مِنْ ذِي الْأَثَارِبِ شَاحِجٌ يَتَعَبَدُ^(٤)
شَنِجُ النَّسَا أَدْفَى الْجَنَاحِ كَأَنَّهُ * فِي الدَّارِ إِثْرُ الظَّاعِنِ مُقَيَّدُ^(٥)

(١١٣)

(١) قلب النخلة (مثلث القاف) : الخوص الذي يلي أعلاها . وفي كتاب الحيوان للجاحظ (ج ٣ ص ١٤١) : « في جوف الليف » .

(٢) الكرب : أصول السعف الغلاظ العراض التي تقطع معها .

(٣) كذا في ديوان عنتره المخطوط بخط المرحوم الشنقيطي المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٨٣٧ أدب واللسان (مادة حرق) . وحرقت الجناح : انحص ريشه ونسل . وفي الأصلين : « ذرق الجناح » بالخاء المعجمة ، وهو تصحيف .

(٤) الأثارب : قلعة معروفة بين حلب وأنطاكية ، وتحت جبلها قرية تسمى باسمها . ويريد بوصفه بالتعب أن الغراب إذا صاح أخذ يرفع رأسه ويخفضه ، شأن المتعب .

(٥) الشنج : تقبض الجلد والأصابع وغيرهما . والنسا (بالفتح) : عرق من الورك إلى الكعب .

(٦) كذا في اللسان (مادة دفا) . وأدفى الجناح : طويله . وفي الأصلين : « أوفى الجناح » .

وقد روى في اللسان (مادتي حرق وشنج) : « شنج النسا حرق الجناح ... الخ » .

وقال أبو يوسف بن هارون الزيادي الأندلسي :

أبا حاتم ما أنت حاتم طيٍّ * وما أنت إلا حاتم الحداث
خطبت ففرقت الجميع بأكنة * فما الظن لو تُعطى بيان لسان
كأنهم من سرعة البين أودعوا * جناحك وأستحيشت^(١) للطيران

وقال أحمد بن فرج الجبائي :

أما الغراب فمؤذن بتغرب * وشكا^(٢) فصدق بالنوى أو كذب
داجي القناع كأن في إظلامه * إظلام يوم تفرق وتغرب

(١) كذا في مباحج الفكر . وفي الأصلين : « استحييت » ، وهو تصحيف .

(٢) وشك الفراق : سرعته .

الباب الثالث من القسم الخامس

من الفن الثالث في بهائم الطير

ويشتمل هذا الباب على ما قيل في "الدراج" و"الحبارى" و"الطاؤس" و"الديك" و"الدجاج" و"المجمل" و"الكركي" و"الإوز" و"البط" و"النحام"^(١) و"الأنيس" و"القاوند" و"الخطاف" و"القيق" و"الرزور" و"السماني" و"الهدهد" و"العقّاق" و"العصافير".

قال الجاحظ : والبهيمة من الطير ما أكل الحب خالصا .



فأما الدراج وما قيل فيه — قال الجاحظ : إنه يبيض بين العشب ،

ولا سيما فيما طال منه وآلتوى . ١٠

وقال الشيخ الرئيس أبو علي بن سينا : لحم الدراج أفضل من الفواخت وأعدل وألطف وأيسر . قال : وهو يزيد في الدماغ والفهم ، ويزيد في المنى .

وقال أبو طالب المأموني :

قد بعثنا بذات حُسنٍ بديع * كنبات الربيع بل هي أحسن

في رداءٍ من جَلَنارٍ وآس * وقميص من يَسمينٍ وسوسَن ١٥

وقال آخر :

صدور من الدراج مُنمَّق وشيها * وُصِّلنَ بأطراف اللجين السَّواذج

وأحداق تير في خدود شقائق * تَلالًا حُسنًا كاشتعال المسارج

(١) النحام (بالضم) : طائر أحمر على خلفة الإوز، واحدة نحامة .

وأذنان طلع في ظهور ملاعق * مجزعة الأعطاف صهب الدماج
فإن نحر الطاوس يوماً بحسنه * فلا حُسن إلا دون حسن الدراج



وأما الحُبَارَى وما قيل فيه — وتسميه أهل مصر الحُبرج^(١) .

قال الجاحظ: وألُبَارَى أشد الطير طَيْرَانًا وأبعدُها سقطًا وأطولها شوطًا وأقلها عَرَجَةً^(٢) ؛ وذلك أنه يُصاد بالبصرة فيشق عن حوصلته بعد الذبح فتوجد فيها الحبة الخضراء لم تتغير ولم تفسد ؛ والحبة الخضراء من شجر البطم^(٣) ومنابتها جبال الثغور الشامية . والحُبَارَى له خزانة بين دبره وأمعائه ، لا يزال فيها سلح رقيق لزج ؛ فتمتئح^(٤) عليه جارح ذرق^(٥) إليه فتمعط ريشه . ولذلك يقال : الحُبَارَى سلاحه سلاحه . قال الشاعر :

وهم تركوك أسلح من حبارى * رأى صقرا وأشرد من نعام
وهو يغتذى بسلحه إذا جاع . ويقال : الحُبَارَى دجاجة البر تأكل كل ما دب حتى الخنافس ؛ فلذلك يعاف أكله .

ووصف أبو نواس الحُبَارَى فقال :

يخطرن في برانس قشوب * من حبر ظوهرن بالتذهب
* فهن أمثال النصارى الشيب *

(١) في اللسان (مادة حبرج) : « الحبرج والحبارج : ذكر الحبارى » .

(٢) لعلها : « وأنفذها سقطا » . والسقط (بالكسر) : الجناح .

(٣) العرجة : المقام .

(٤) البطم : (بالضم و بضمين) : شجر كالفسق جرمًا سبط الأوراق وله حب مفرطح في عناقيد

كالفلقل . ويسمى الأخضر منه بالحبة الخضراء .

(٥) تمعط : تساقط .



①١٤

وأما الطائوس وما قيل فيه — فهو ألوان منها الأخضر، والأرقط، والأبيض؛ ويوجد في كلها الخيلاء. ولا تُعرف هذه الألوان إلا في بلاد الزابج. وفي طبع الطائوس الخيلاء والإعجاب بريشه. والأنثى تبيض بعد أن يمضي من عمرها ثلاث سنين. ولا يحصل التلون في ريش الذكر إلا بعد مضي هذه المدة. وتبيض الأنثى^(١) مرتين في السنة، في كل مرة اثنتي عشرة بيضة.

وقال الجاحظ: أول ما تبيض ثمانى بيضات، وتبيض أيضا بيض الريج. ويسفد الذكر في أوان الربيع. ويأتي ريشه في فصل الخريف، كما يلقي الشجر ورقه فيه؛ فإذا بدأت الأشجار تكتسي الأوراق بدأ الطائوس فآكتسي ريشا. والذكر كثير العبث بالأنثى. والفرخ يخرج من البيضة [كاسيا]^(٢) كاسبا.

وزعم أرسطو أن الطائوس يُعمر خمسا وعشرين سنة. وقال أبو الصلت [امية بن عبد العزيز الأندلسي]^(٣) يصفه:

أبدى لنا الطائوس عن منظر * لم تر عني مثله منظرا
متوج المفريق إلا يكن * كسرى بن ساسان يكن قيصرا
في كل عضو ذهب مفرغ * في سندس من ريشه أخضرا
نزهة من أبصر، في طيها * عبرة من فكر وأستبصرا
تبارك الخالق في كل ما * أبدعه منه وما صورا

(١) في حياة الحيوان للدميري (ج ٢ ص ١٠٦ طبع بولاق): «وتبيض الأنثى مرة واحدة في السنة

اثنتي عشرة بيضة وأقل وأكثر ولا تبيض متابعا».

(٢) الزيادة عن حياة الحيوان للدميري عند الكلام على الطائوس.

(٣) الزيادة عن مباحج الفكر.

وقال فيه أيضا :

أهلاً به لما بدا في مشيه * يَحْتَالُ في حُلِّي من الحِيَلِ
كالرُوضَةِ الغنَّاءِ أشرف فوقه * ذَنْبٌ لَهُ كالدَّوْحَةِ الغنَّاءِ
ناديته لو كان يفهم منطقي * أَوْ يَسْتَطِيعُ إجابةً لِنِدَائِي
يا رافعاً قوسَ السماءِ ولايساً * للحسن رَوْضَ الحزنِ غِبَّ سماءِ
أيقنتُ أنك في الطيور مملِك * لما رأيْتُكَ منه تحت لَوَاءِ

وقال أبو الفتح كُشَّاجِم من قصيدة ذكر فيها طاوساً :

[وَأَيَّ عُدْرٍ لَمُقَلَّةٍ بَعْدَ الـطَّـاوسِ عَنْهَا إِن لَمْ تَفِضْ بَدَمِ] ^(١)
رُزْنَتُهُ رَوْضَةً تَرُوقُ وَلَمْ * أَسْمَعُ بَرَوْضٍ سَعَى عَلَى قَدَمِ
مَتَوَجَّأً خَلْعَةً حَبَاهُ بِهَا * ذُو الْفِطْرِ الْمَعْجَزَاتِ وَالْحَكَمِ ^(٢)
كَأَنَّهُ يَزْدَجِرُ دُمْتَصِيباً * يَبْنِي فَيُعَلِّي مَأْتَرَ الْعِجَمِ
يُطَبِّقُ أَجْفَانَهُ وَيَحْسِرُ عَنْ * فَصَيْنٍ يُسْتَصْبِحَانِ فِي الظُّلَمِ ^(٣)
أَدَلَّ بِالْحَسَنِ فَاسْتَدَالَ لَهُ * ذِيلاً مِنَ الْكَبْرِ غَيْرِ مُحْتَشِمِ
ثُمَّ مَشَى مِشْيَةَ الْعُرُوسِ فَمِنْ * مُسْتَظْرِفٍ مُعْجَبٍ وَمُبْتَسِمِ



وأما الديك والدجاج وما قيل فيهما — قالوا : والدجاج ثلاثة
أصناف : ” نَبَطِي ” وهو ما يُتَّخَذُ في القرى والبيوت ، ” وَهِنْدِي ” وهو عظم

(١) زيادة عن ديوانه ومباهج الفكر .

(٢) كذا في ديوانه . وفي مباهج الفكر : « خلية » . وفي الأصلين : « خلقة » بالْقَاف وهو تحريف .

(٣) لعله « يستصبحان » أي يستضاء بهما .

الخالق يُتخذ لحسن شكله ، و "حَبَشِي" وهو نوعٌ بديع الحسن أرقط : نقطة سوداء ونقطة بيضاء ، وله قرطان أخضران .

قالوا : والدجاجة تجمع البيض بعد السّفاد في أحدَ عَشَرِ يومًا ، وهي تبيض في السنة كلها ما خلا شهرين شتويين . والذي عرّفناه نحن بديار مصر أنّ البيض لا ينقطع أبدًا في الفصول الأربعة ، فيدلّ على أنها تبيض دائماً . ومن الدجاج ما يبيض في اليوم مرتين . والبيضة تكون عند خروجها لينة القشر جدًّا ، فإذا أصابها الهواء يَبَسَتْ . وربما وُجد في البيضة مُحَنّان . وقال أرسطو : باضت دجاجة فيما مضى ثمانى عشرة بيضةً لكل بيضة مُحَنّان ، ثم حضنت البيضَ فخرج من كل بيضة فرخان ، أحدهما أعظمُ جثّة من الآخر .

والدجاجة تحضن عشرين يوما . وخالق الفروج يتبين إذا مضت عليه ثلاثة أيام . ويُعرف الذكور من الأثني بأن يُعلق الفروجُ برأسه فان تحرك فذكرٌ ، وإن سکن فأنثى .

(١١٥)

قال الجاحظ : والفرخ يُخلق من البياض ويغذى بالصفرة ويتم خلقه لعشرة أيام ، والرأس وحده يكون أكبر من سائر جسده . والدجاجة إذا هيرمت لم يكن لبيضها مُحّ ، وإذا لم يكن له مُحّ لا يُخلق منه فروج .

١٥

والدجاجة تتخشى ابن آوى دون سائر السباع ، وذلك أنه يمر عليها في القرى ما يمر من السباع وغيرها فلا تتحشاها ، فإذا مرّ عليها ابن آوى وهي على سطح نالها

(١) الذى فى حياة الحيوان للدميرى (ج ١ ص ١١٤ طبع بولاق) : « بأن يعلق بمنقاره فان تحرك

فذكر الخ ... » .

من الفزع منه ما تُلقَى [به] نفسها إليه .^(١) وهى إذا قابلت الديك تشهته^(٢) ورامت السِّفَادَ . والدَّجاجةُ تُوصَفُ بقلّةِ النومِ . والفَرُوجُ يخرج من البيضة كاسياً كاسياً، سريعَ الحركةِ ، يُدعى فيجيب ويتبع من يُطعمه ؛ ثم هو كلما كبر ماق وحمق وزال كيُّسه . وهو مشترك الطبيعة : يأكل اللحم ، ويحسو الدَّم ، ويصيد الذُّباب ، وذلك من طباع الجوارح ، ويلقُط الحبوب ، ويأكل البقول ، وذلك من طباع بهائم الطير . والله أعلم بالصواب .

ذكر ما جاء فى الديكة من الأحاديث

وما عُدَّ من فضائلها وعاداتها ومنافعها

- جاء فى الحديث عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة : أنَّ ديكاً صرخ عند النبىِّ صلى الله عليه وسلم ، فسبّه بعض أصحابه ، فقال : " لا تسبّه فإنه يدعو إلى الصلاة " .
 ١٠ وعن زيد بن خالد الجُعْفى : أن النبىِّ صلى الله عليه وسلم نهى عن سبِّ الديك وقال : « إنّه يؤذّن للصلاة » . وعن سالم بن أبى الجعد يرفعه : أنَّ النبىِّ صلى الله عليه وسلم قال : " إنّ ممّا خلق الله لَدَيْكَا عُرْفُهُ تحت العرش وبراثنُهُ فى الأرض السفلى وجناحاه فى الهواء فإذا ذهب ثلثا الليل وبقي ثلثُ ضرب بجناحيه ثم قال سبّحوا الملك القدوس سُبُّوح قُدُّوس لا شريك له فعند ذلك تضرب الطير بأجنحتها
 ١٥ وتصيح الديكة " . وعن كعب : " إنّ لله ديكاً عنقه تحت العرش وبراثنه فى أسفل الأرض فإذا صاح صاحبت الديكة يقول سبحان القدوس الملك الرحمن لا إله غيره " .
 ورؤى عن النبىِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : " إنّ الديك الأبيض صديق

(١) زيادة يقتضها السياق .

(٢) فى الأصلين : « تشهت به » .

وعدو الله يحرس دار صاحبه وسبع دور . وكان النبي صلى الله عليه وسلم بيته معه في البيت . وروى أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يسافرون بالديكة .

قال الجاحظ : وزعم أصحاب التجربة أن كثيرا ما يرون الرجل إذا ذبح الديك الأبيض الأفرق^(١) إنه لا يزال ينكب في أهله وماله .

وقال في كتاب الحيوان في المناظرة بين الديك والكلب : وفي الديك الشجاعة والصبر والجولان والثقافة والتسديد^(٢) ، وذلك أنه يقدر إيقاع صيصيته بعين الديك الآخر أو مذبجه فلا يخطئ . قال : ثم معرفته بالليل وساعاته وأرتفاق بني آدم بمعرفته وصوته ، يتعرف آناء الليل وعدد الساعات ومقادير الأوقات ثم يقسط أصواته على ذلك تقسيطا موزونا لا يغادر منه شيئا . فليعلم الحكماء أنه فوق الإسطرلاب وفوق مقدار الجزر والمد^(٣) على منازل القمر ، حتى كأن طبعه فلك^(٤) [على حدته] .

ومن عجيب أحوال الديكة أنها إذا كانت في مكان ثم دخل عليها ديك غريب سفدته جميعا . والديك يضرب به المثل في السخاء ، وذلك أنه ينقر الحب ويجمله بطرفي منقاره إلى الدجاج ، فإذا ظفر بشيء من الحب والدجاج غيب^(٥) دعاهن إليه وقنع منه بدون حاجته توفيرا^(٥) عليهن . قالوا : والديكة تعظم بدليل^(٦) السند حتى تكون مثل النعام .

(١) الأفرق : ذو العرفين لانفراق ما بينهما ؛ وهو أيضا الأبيض . (٢) الصيصية والصيصية :

شولة الديك . (٣) كذا في الحيوان للجاحظ (ج ٢ ص ٨٨) . وفي أ : « الزجر »

وفي ب : « الرجز » ، وكلاهما تحريف . (٤) الزيادة عن مباحج الفكر والحيوان للجاحظ .

(٥) في الأصلين : « توفرا » . (٦) دبيل : مدينة من مدن السند .

وقال الشيخ الرئيس أبو علي بن سينا : إن مَرَقَةَ الديوك العُتْق لها خاصِّيات ،
سند كرها . قال : والوَجْهُ الذي ذكره جالينوس في طبخها أن تُذَبَّج بعد علفها
وبعد إعدادها إلى أن تَنْبَتَ ^(١) فتسقط فتذبح ، ثم يُخْرَج ما في بطنها ويُمَلَأُ بطنها مِلْحًا
ويُخَاط ويُطَبَخ بعشرين قسطًا ماءً حتى ينتهي إلى الثُلُث ويُشْرَب . قال : ثم يُزَاد
في ذلك ما نذر . قال : وأجودُ الدِّيَكَةِ ما لم يَصْقَع ^(٢) بعد . وأجودُ الدَّجَاج ما لم
يَبْضُ ، والعتيق رديء . قال : ولحمُ الفراريح أحرُّ من لحم الدَّجَاج الكبير . وخَصِيُّ
الديوك محمودٌ سريعُ الهَضْم . ومَرَقَةُ الديوك المذكورة تُوافِقُ الرَّعْشَةَ ووجعَ
المفاصل . ولحمُ الدَّجَاج الفتى يزيد في العقل ، ودماعها يمنع النَّزْفَ الرَّاعِيَّ العارضَ
من حُجْبِ الدِّماغ . ومَرَقَةُ الديوك المذكورة نافعةٌ من الرَّبْو . ولحمُ الدَّجَاج يُصَفِّي
الصوت . ومَرَقَةُ الديك الهَرِمِ المعمولة بالْقَرْطُم والشَّيْبِ تنفع من جميع ذلك .
ومَرَقَةُ الديوك نافعةٌ لوجع المَعِدَةِ من الرِّيح ، وتنفع القَوْلَجَ جدًّا . ولحمُ الدَّجَاج
الفتى يزيد في المَنِيَّةِ ، والمَرَقَةُ المذكورة [مع البسفايح] ^(٣) تُسهِّلُ السَّودَاءَ ، ومع القُرْطُم
تسهِّلُ البَلْغَمَ . وقد تُطَبَخ بالأدوية القابضة للَسَّحِجِ ^(٤) ، وباللبن لقروح المثانة .
والمَرَقَةُ نافعةٌ من الحُمَيَّات المزمنة . قال : والدَّجَاجُ المشقوقُ عن قلبه أو الديك
يوضع على نَهْشِ الهوامِ ويُبدَلُ كُلُّ ساعة فيمنع من فُشْوِ السَّمِّ . وفي السموم المشروبة
يُتَحَسَّى طَبِخُهُ ^(٥) بالشَّيْبِ والملح ويتقيأ .

(١١٦)

(١) تَنْبَت : تنقطع إعياء وتعباً . (٢) صقع الديك : صاح .

(٣) الزيادة عن كتاب القانون . والبسفايح : نبات ينبت بين الصخور التي عليها الخضر وفي سوق
شجر البلوط العتيقة (انظر مفردات ابن البيطار ج ١ ص ٩٢ طبع بولاق) .

(٤) السحج : قشر الجلد من شيء يصيبه .

(٥) كذا في كتاب القانون . وفي الأصلين : « يتحسى طبعه » ، وهو تحريف .

ومن الحكايات التي تَعَدُّ من خرافات العرب ما حكاه بعضهم عن الرِّياشي^(١)
 قال : كُنا عند الأصمعيّ ، فوقف عليه أعرابي فقال : أنت الأصمعيّ؟ قال : نعم ؛
 قال : أنت أعلم أهل الحَضَر بكلام العرب ؟ قال : يزعمون ؛ قال : ما معني قول
 أميّة بن أبي الصلت :

وما ذاك إلّا الديكُ شارب حمرة * نديم غراب لا يَمَلّ الحَوَانِيَا^(٢)
 فلما آسَقل الصبح نادى بصوته * ألا يا غرابُ هل رَدَدْتَ رَدَائِيَا

فقال الأصمعيّ : إنّ العرب كانت تزعم أنّ الديك كان ذا جناح يطير به في الحق
 وأنّ الغراب كان ذا جناح بكناح الديك لا يطير به وأنهما تنادما ليلةً في حانة
 يشربان فنَفِدَ شرابهما ؛ فقال الغراب للديك : لو أَعَرَّتَنِي جناحك لأَتَيْتُكَ بِشَرَابٍ ؛
 فأعاره جناحه ، فطار ولم يرجع إليه ؛ فزعموا أنّ الديك إنما يصبح عند الفجر
 آسَندعاً لجناحه من الغراب ؛ فضحك الأعرابي وقال : ما أنت إلا شيطان .
 وهذه الحكاية ذكرها الجاحظ في كتاب الحيوان بنحو ما حكى عن الأصمعيّ ، وساق
 أبيات أميّة بن أبي الصلت ، وهي :

ولا غَرَوْا إلّا الديكُ مُدْمِنَ حمرة * نديم غراب لا يَمَلّ الحَوَانِيَا^(٣)
 ومرهنه عند الغراب جبينه * فأوفيت مرهوناً وخاف مسابيا^(٤)
 أدلّ على الديكُ أنّي كما ترى * فأقبل على شاني وهالك رَدَائِيَا

(١) كذا في مباحج الفكر . وفي الأصلين : « الناشي » ، وهو تحريف .

(٢) الحواني : الحانات .

(٣) لم يرد هذا البيت في كتاب الحيوان للجاحظ .

(٤) كذا ورد هذا البيت في الأصلين ، وهو غير ظاهر المعنى . ولم نعثر على هذه القصيدة في مصدر

آخر ، غير كتاب الحيوان ، نستأنس به في تصحيحها .

(١) أَمْسَكَ لَا تَلْبَثْ مِنَ الدَّهْرِ سَاعَةً * وَلَا نَصَفْهَا حَتَّى تَتُوبَ مَا بَيَا .
 وَلَا تُدْرِكَكَ الشَّمْسُ عِنْدَ طُلُوعِهَا * فَأَغْلَقُ^(٢) فِيهِمْ أَوْ يَطْوِلُ ثَوَائِيَا .
 فَرَدَّ الْغُرَابُ وَالرَّدَاءُ يَحْزُوه * إِلَى الذِّيكِ وَعَدًّا كَاذِبًا وَأَمَانِيَا
 بَأَيَّةِ ذَنْبٍ أَوْ بَأَيَّةِ حُجَّةٍ * أَدْعُكَ فَلَا تَدْعُو عَلَيَّ وَلَا لِيَا^(٣)
 فَإِنِّي نَذَرْتُ حُجَّةً لَنْ أَعُوقَهَا * فَلَا تَدْعُونَنِي دَعْوَةً مِنْ وَرَائِيَا
 تَطِيرُ مِنْهَا وَالِدَعَاءُ يَعُوقُنِي * وَأَزْمَعْتُ حُجًّا أَنْ أَطِيرَ أَمَامِيَا
 فَلَا تَيَاسَّنْ إِنِّي مَعَ الصَّبْحِ بَاكِرًا * أُوَافِي غَدًا نَحْوَ الْجَمِيجِ الْغَوَادِيَا
 كَحَبِّ أَمْرِي فَكَهْتَهُ قَبْلَ حُجَّتِي * وَآثَرْتُ عَمْدًا شَأْنَهُ قَبْلَ شَانِيَا
 هُنَالِكَ ظَنَّ الذِّيكُ أَنَّ زَالَ زَوْلُهُ * وَطَالَ عَلَيْهِ اللَّيْلُ أَنَّ لَا مُفَادِيَا
 فَلَمَّا أَضَاءَ الصَّبْحُ طَرَبَ صَرْخَةً * أَلَا يَا غُرَابَ هَلْ سَمِعْتَ نَدَائِيَا
 عَلَى وَدَّهِ لَوْ كَانَ ثُمَّ يَحْيِيهِ * وَكَانَ لَهُ نَدْمَانٌ صِدْقٍ مُوَاتِيَا
 وَأَمْسَى الْغُرَابُ يَضْرِبُ الْأَرْضَ كُلَّهَا * عَتِيقًا وَأَضْحَى الذِّيكُ فِي الْقِدِّ عَانِيَا^(٤)
 فَذَلِكَ مِمَّا أَشْهَتِ الْخَمْرُ لُبَّهُ * وَنَادَمَ نَدْمَانًا مِنَ الطَّيْرِ عَادِيَا^(٥)

ومن الحكايات التي لا بأس بإيرادها في هذا الموضع ما حكاه الجاحظ قال :

قال أبو الحسن : حدثني أعرابيُّ كان نزل البصرة قال : قَدِمَ عَلَيَّ أَعْرَابِيٌّ مِنَ الْبَادِيَةِ
 فَأَنْزَلْتُهُ ، وَكَانَ عِنْدِي دَجَاجٌ كَثِيرٌ وَلِي أَمْرَأَةٌ وَأَبْنَانٌ وَأَبْنَتَانِ مِنْهَا ، فَقُلْتُ لِأَمْرَأَتِي : بَادِرِي
 وَأَشْوِي لَنَا دَجَاجَةً وَقَدِّمِيهَا إِلَيْنَا نَتَغَدَّا . فَلَمَّا حَضَرَ الْغَدَاءُ جَلَسْنَا جَمِيعًا أَنَا وَأَمْرَأَتِي

(١) كذا في كتاب الحيوان للجاحظ . وفي الأصلين : « أَمْسِكَ » .

(٢) يقال : غلق الرهن يغلق إذا لم يفك وأستحققه المرتهن .

(٣) كذا ورد هذا البيت في كتاب الحيوان مقدما على الذي يليه .

(٤) كذا في كتاب الحيوان للجاحظ . وفي الأصلين : « عَتِيقًا » وهو محريف .

(٥) كذا في ١ وكتاب الحيوان . وفي ب : « غَاوِيَا » .

وآبنائى وآبنتائى والأعرابى . قال : فدفعنا إليه الدجاجة فقتلنا له : أقسمها بيننا ، نريد بذلك أن نضحك منه ، فقال : لا أحسن القسمة ، فإن رَضِيتُمْ بقسمتى قسمتها بينكم ، قلنا : فإننا نَرْضَى . فأخذ رأس الدجاجة فقطعه وناولنيه وقال : الرأس للرئيس ، وقطع الجناحين وقال : الجناحان للآبَنَيْنِ ، ثم قطع الساقين وقال : الساقان للآبَنَتَيْنِ ، ثم قطع الزمكى ^(١) وقال : العَجُزُ للعجوز ، وقال : الزور ^(٢) للزائر ، قال : فأخذ الدجاجة بأسرها وسخّر بنا . قال : فلما كان من الغد قلت لأمرأتى : أشوى لنا خمس دجاجات ، فلما حضر الغداء قلنا له : أقسم بيننا ، فقال : إني أظن أنكم وجدتم فى أنفسكم ، قلنا : لم نجد فأقسم بيننا ، قل : أقسم شفعاً أو وترّاً ؟ قلنا : أقسم وترّاً ، قال : أنت وأمرأتك ودجاجة ثلاثة ، ثم رمى إلينا بدجاجة ، ثم قال : وآبناك ودجاجة ثلاثة ، ورمى إليهما بدجاجة ، ثم قال : وآبنتاك ودجاجة ثلاثة ، ورمى إليهما بدجاجة ، ثم قال : وأنا ودجاجتان ثلاثة وأخذ دجاجتين وسخّر بنا . فرآنا ننظر إلى دجاجتيه فقال : ما تنظرون ! لعلكم كرهتم قسمتى ! الوتر لا يجىء إلا هكذا ، فهل لكم فى قسمة الشفع ؟ قلنا نعم ، فضمّهنّ إليه ثم قال : أنت وآبناك ودجاجة أربعة ، ورمى إلينا بدجاجة ، ثم قال : والعجوز وآبنتاها ودجاجة أربعة ، ورمى إليهنّ بدجاجة ، ثم قال : وأنا وثلاث دجاجات أربعة وضمّ إليه الثلاث ، ورفع يديه إلى السماء فقال : اللهم لك الحمد ، أنت فهمّتيها . هكذا ساقها أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ . وحكى غيره هذه الحكاية عن الأصمعى وفيها زيادة ، قال : حكى الأصمعى : بينا

(١) الزمكى : أصل ذنب الطائر .

(٢) الزور : وسط الصدر ، وقيل : ما ارتفع منه إلى الكتفين ، أو ملتقى أطراف عظام الصدر حيث

اجتمعت .

(٣) كذا فى تاب الحيوان للجاحظ . وفى الأصلين : « فضمنى إليه » ، وهو تحريف .

أنا في البادية إذا أنا بأعرابي على ناقه وهي ترقص به في الآل ؛ فلمّا دنا مني سلم
عليّ ، فسلمت عليه وقلت : يا أخا العرب

قوم بخفان^(١) عهدها^{هم} * سقاهم الله من النّو

ما النّو ؟ فقال :

نوء السماكين وريأهما * نور^(٢) تلالا بعد إيماضه ضو

فقلت : ما الضو يا أخا العرب ؟ فقال :

ضوء تلالا في دجى ليلة * مقمرة مسفرة لو

فقلت : لو إيش يا أخا العرب ؟ فقال :

لو مرّ فيها سائر ركب * على نجيب الأرض منطو

فقلت : منطو إيش يا أخا العرب ؟ فقال :

منطوى الكشح هضم الحشى * كلباز ينقض من الجؤ

فقلت : ما الجؤ يا أخا العرب ؟ فقال :

جؤ السما والريح تعالوبه * فأشتم ريح الأرض فأعلو

فقلت : فأعلو إيش يا أخا العرب ؟ فقال :

فأعلولما قد فات من صيده * لا بد أن تلقى ويلقوا

فقلت : ماذا يلقوا يا أخا العرب ؟ فقال :

يلقوا بأسياف يمانية * وعن قليل سوف يفنوا

(١) خفان : موضع قرب الكوفة وهو مأسدة .

(٢) كذا في الأصلين ولعله : * نور تلالا إيماضه ضو * .

فقلت : ما يَفْنُوا يا أخا العرب ؟ فقال :

إِنْ كُنْتَ تُتَكَّرُ^(١) مَا قُلْتُهُ * فَأَنْتَ عِنْدِي رَجُلٌ بَوَّ

فقلت : وما البو يا أخا العرب ؟ فقال :

الْبَوُّ مَنْ يُفْقَدُ عَنْ أُمِّهِ * يَا أَحْمَقَ النَّاسِ فَرَحُ أَوْ

قلت : أو إيش ؟ فقال :

تَتَدَفَّعُ الْكَفُّ بِصَفْعِ الْقَفَا * تَسْمَعُ مَا بَيْنَهُمَا قَوُّ

فقلت : يا أخا العرب ، هل لك في الضيافة ؟ فقال : لا يَأْبَى الْكِرَامَةَ إِلَّا لَائِمٌ ،

فَأَتَيْتُ بِهِ مَتْرَى . ثُمَّ سَأَلَ الْحِكَايَةَ بِنَحْوِ مَا تَقَدَّمَ ، إِلَّا أَنَّهُ قَالَ : فَأَتَيْتُهُ فِي الْيَوْمِ

الثَّانِي بِثَلَاثِ دَجَاجَاتٍ ، وَقُلْتُ : نَحْنُ كَمَا عَلِمْتَ ، أَقْسِمُهَا بَيْنَنَا أَزْوَاجًا ، فَقَالَ : أَنْتَ

وَأَبْنَاكَ وَدَجَاجَةٌ زَوْجٌ ، وَأَمْرَأَتُكَ وَابْنَتَاهَا وَدَجَاجَةٌ زَوْجٌ ، وَأَنَا وَدَجَاجَةٌ زَوْجٌ .

وساق خبر الخمسة في اليوم الثالث كما تقدم .



ذَكَرْتُ شَيْءًا مِمَّا وَصَفْتُ بِهِ الشُّعْرَاءُ الْبَيْضَةَ وَالْدَّجَاجَةَ وَالْذِّبْقَ

فَمِنْ ذَلِكَ مَا وَصَفُوا بِهِ الْبَيْضَةَ . قَالَ أَبُو الْفَرَجِ الْأَصْبَهَانِيُّ مِنْ أَبْيَاتٍ :

فِيهَا بَدَائِعُ صَنْعَةٍ وَاطَائِفُ * أَلْفَرِّ بِالْتَّقْدِيرِ وَالتَّلْفِيقِ

خَلْطَانِ مَائِيَّانِ مَا اخْتَلَطَا عَلَى * شَكْلٍ وَمُخْتَلَفِ الْمِزَاجِ رَقِيقِ

فَبَيَاضُهَا وَرَقُّ وَزُبُّقُ مُحْمَا * فِي حَقِّ عَاجٍ بَطْنَتْ بِدَيْبِقِ^(٢)

(١) لعله : « تستنكر » .

(٢) الذبيق : نسبة إلى دبيق وهي بليدة كانت بين الفرما وتيس من أعمال مصر ، وإليها تنسب الثياب

الديبية . (عن معجم البلدان لياقوت) .

١١٨

وقال شاعر :

وصفراء في بيضاء رَقَّتْ غِلَالُهُ * لها وصفًا ما فوقها من ثيابها
 جمادٍ ولكن بعد عشرين ليلة^(١) * ترى نفسها معمورة من خرابها
 وقال كُشَاجِم من أبيات يذكر فيها جُونة^(٢) أُهْدِيَتْ إليه وفيها بيض مسلوق^(٣)
 مصبوغ^(٤) أحمر :

وجاءنا فيها ببيض أحمر * كأنه العقيق مالم يُقْشِرِ
 حتى إذا قدمه مُقَشَّرًا * أبرز من تحت عقيقٍ دُرًّا
 حتى إذا ما قطع البيض فلق * رأيت منه ذهبًا تحت ورق
 يخال أن الشطر منه من لمح * أعاره تلوينه قوس قزح

ومما قيل في الدجاجة والديك

قال الشاعر :

غدوت بشربة من ذات عرق^(٣) * أبا الدهناء من حلب العَصِيرِ
 وأخرى بالعنقل^(٤) ثم رُحنا * نرى العصفور أعظم من بعير
 كأن الديك ديك بني نَمِير * أمير المؤمنين على السرير
 كأن دجاجهم في الدار رُقَطًا * وفود الروم في قُص الحرير

(١) كذا في مباحج الفكر. وفي الأصلين : « حجة » ، وهو تحريف .

(٢) الجونة (بالضم ، وربما همز) : سليفة مغشاة بالأدم تكون عند العطارين .

(٣) ذات عرق : مهل أهل العراق وهو الحد بين نجد وتهامة ، وقيل : هو جبل بطريق مكة .

(٤) العنقل : كتيب بيدر .

فَبِتْ أَرَى الْكُوكَبَ دَانِيَاتٍ * يَنْزِلُ أَنْامِلَ الرَّجُلِ الْقَصِيرِ
أَدَا فَعِهِنَّ بِالْكَفَيْنِ عَنِّي * وَأَمْسَحَ جَانِبَ الْقَمَرِ الْمُنِيرِ

وقال أبو بكر الصنوبري من أبيات يصف ديكا :

مُغَرَّدَ اللَّيْلِ مَا يَأْلُوكُ تَغْرِيدَا * مَلَّ الْكَرَى فَهُوَ يَدْعُو الصَّبْحَ مَجْهُودَا
لَمَّا تَطَرَّبَ هَزَّ الْعِطْفَ مِنْ طَرَبٍ * وَمَدَّ لِلصَّوْتِ لَمَّا مَدَّه الْجِيدَا
كَلَابِيسٍ مُطَرَفًا مَرْخِجَ جَوَانِبِهِ ^(١) * تُضَاحِكُ الْبَيْضُ مِنْ أَطْرَافِهِ السُّودَا
حَالِي الْمُقَلَّدَ لَوْ قِيسَتْ قِلَادَتُهُ * بِالْوَرْدِ قَصْرَ عَنْهَا الْوَرْدُ تَوْرِيدَا
رَأَى بِفَضَى عَقِيقٍ يُدْرِكُ لَهُ ^(٢) * مِنْ حِدَةٍ فِيهِمَا مَا لَيْسَ مَحْدُودَا
تَقُولُ هَذَا عَقِيدُ الْمَلِكِ مُنْتَسِبَا * فِي آلِ كَسْرَى عَلَيْهِ التَّاجُ مَعْقُودَا
أَوْفَارِسُ شَدَّ مَهْمَا زِيَهُ حِينَ رَأَى * لَوَاءَ قَائِدِهِ لِلْحَرْبِ مَعْقُودَا

وقال أبو هلال العسكري :

مَتَوَجَّعٌ بِعَقِيقٍ * مَقَرَّطٌ بِلُجَيْنٍ ^(٣)
عَلَيْهِ قُرْطُقٌ وَشِي * مَشْمَرُ الْكُمَيْنِ
قَدْ زَيْنَ النَّحْرَ مِنْهُ * ثِنْتَانِ كَالْوَرْدَتَيْنِ
حَتَّى إِذَا الصَّبْحُ يَبْدُو * مَطَرَزَ الطَّرَّتَيْنِ
دَعَا فَأَسْمَعَ مَنَّا * مِنْ كَانِ ذَا أُذُنَيْنِ ^(٤)
يَزْهِي بِطَوِيقٍ وَتَاجٍ * كَأَنَّهُ ذُو رَعَيْنِ

(١) في مباحج الفكر : « ذؤابته » .

(٢) العقيد : الخليف .

(٣) كذا في ديوان المعاني ، وفي الأصلين « الكمين » .

(٤) ذورعين : من ألقاب ملوك اليمن .

وقال الأسعد بن بليطة^(١) :

وقام لنا ينعي الدجى ذو شقيقة^(٢) * يُدير لنا من بين أجفانه سقطا^(٣)
إذا صاح أصغى سمعه لندائه * وبادر ضرباً من قواده الإبطا
ومهما أطمأنت نفسه قام صارخاً * على خيزران نيط من ظفـره خرطاً^(٤)
كأن أنوشروان أعلاه تاجه * وناطت عليه كف مارية القرطاً^(٥)
[سبي حلة الطاوس حسن لباسها * ولم يكفه حتى سبي المشية البطا^(٦)]

وقال أبو عبد الله المالكي :

رعى الله ذا صوت أنسنا بصوته * وقد بان في وجه الظلام شحوب
دعا من بعيد صاحباً فأجابه * يُخبرنا أن الصباح قريب

وقال ابن المعتز :

بشر بالصبح هاتِف هتفا * صاح من الليل بعد ما أنتصفَا^(٧)

(١) ضبطه ابن خلكان بالعبارة فقال : بكسر الباء الموحدة واللام المشددة وسكون الياء المثناة وفتح الطاء المهملة (انظر ج ٢ ص ٥٣ في ترجمة المعتصم بن صمادح) .

(٢) كذا في نفح الطيب ، والشقيقة واحدة الشقائق : نبات على نوعين كل واحد منهما أحمر الزهر مبعق بنقط سوداء كثيرة غير أن زهر الواحد منهما أرق من الآخر . ويريد بالشقيقة هنا عرف الديك .

وفي الأصلين : « ... الدجى وشقيقه » ، وهو تحريف . (٣) سقط الزند : ما يقع من النار عند القدح . (٤) كذا في خريدة القصر للعاد الأصفهاني (النسخة الفتوغرافية المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٤٢٥٥ أدب بالمجلد الأخير ص ٢١٦) . وفي الأصلين : « خرزات » ، وهو تحريف .

(٥) مارية : علم امرأة قيل كان في قرطها درتان كبيضتي حمامة لم ير مثلها قط ، فأهدتهما إلى الكعبة .

وقيل كان في قرطها مائتا دينار . وفي المثل : « خذه ولو بقرطى مارية » . يضرب ذلك مثلاً في الشيء الثمين يؤمر بأخذه على كل حال . (٦) زيادة عن الخريدة ونفح الطيب ومطمح الأنفس للفتح

أبن خاقان . (٧) في الأصلين : « ماج » وهو تحريف . ورواية البيت في ديوانه :

بشر بالصبح طائر هتفا * مستوفياً للجدار مشترفاً

مَذَكَّرُ الصَّبُوحِ صَاحٍ لَنَا * كَأَنَّهُ فَوْقَ مِنْبَرٍ وَقَفَا
صَفَقَ إِمَّا ارْتِيَا حَةً لِسَنَانَا * فَجَرٍ وَإِمَّا عَلَى الدُّجَى أَسَفَا

وقال أيضا فيه :

وَقَامَ فَوْقَ الْجِدَارِ مُشْتَرِفٌ * كَمَثَلِ طَرَفٍ عَلاهِ أُسْوَارُ^(١)
رَافِعُ رَأْسٍ طَوْرًا وَخَافِضُهُ * كَأَنَّمَا الْعُرْفُ مِنْهُ مَنَشَارُ

وقال السرى الرِّقَاء :

كَشَفَ الصَّبَاحُ قِنَاعَهُ فَتَأَلَّقَا * وَسَطَا عَلَى اللَّيْلِ الْبَهِيمِ وَأَبْرَقَا^(٢)
وَعَلَا فَلَاحَ عَلَى الْجِدَارِ مُوَشَّحٌ * بِالْوَشْيِ تَوَّجَ بِالْعَقِيقِ وَطُوقَا
مُرْخٍ فَضُولَ التَّاجِ مِنْ لَبَّاتِهِ * وَمُشَمَّرٌ وَشَيْئًا عَلَيْهِ مَنَمَقَا

وقال أبو الفرج على بن الحسين الأصفهاني يرثى ديكا ويصفه :

أَبْنَى مَنَزَلِنَا وَنَشَوَ مَحَلَّنَا * وَغَدَى أَيْدِينَا نِدَاءَ مَشُوقِ
لَهْفِي عَلَيْكَ أبا النَّذِيرِ لَوْ أَنَّهُ * دَفَعَ الْمَنَايَا عَنْكَ لَهْفُ شَفِيقِ
وَعَلَى شِمَائِكَ اللَّوَاتِي مَا نَمَتْ * حَتَّى ذَوَتْ مِنْ بَعْدِ حَسَنِ سُمُوقِ
لَمَّا بَقِعَتْ وَصِرَتْ عِلْقَ مِضْنَةٍ^(٣) * وَلَشَأَتْ نَشَوَ الْمُقْبِلِ الْمُؤْمُوقِ^(٤)
وَتَكَامَلَتْ جُمْلُ الْجَمَالِ بِأَسْرَهَا * لَكَ مِنْ جَلِيلٍ خَالِصٍ وَدَقِيقِ

(١) الأسوار (بالضم وبالكسر) : قائد الفرس ، والثابت على ظهر الفرس ، والرامي بالنبال .

(٢) الذى فى ديوانه المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٦ ٤ أدب : « فأشرقاً » .

(٣) أبو النذير وأبو المنذر : كنية الديك .

(٤) كذا فى الأغاني (فى ترجمة أبى الفرج الأصفهاني التى ذكرت فى مقدمة الجزء الأول طبع

دار الكتب المصرية) . وبقع الطير : اختلف لونه فهو أبقع . وفى الأصلين : « ينعت » . وفى مباحج الفكر :

« يفعت » .

(٥) يقال للشيء النفيس الذى يرضن به ويحرص عليه : علق مضنة (بفتح الضاد وكسرهما) .

وَكَسَيْتَ كَالطَّائِسِ رِيْشًا لَامِعًا * مُتَأَلِّيًا ذَا رَوْنَقٍ وَبَرِيْقٍ
 مِنْ صُفْرِ مَعَ خُضْرَةٍ فِي حُمْرَةٍ * تَخِيلُهَا يَخْفَى عَلَى التَّحْقِيقِ
 عَرَضٌ يَجِلُّ عَنِ الْقِيَاسِ وَجَوْهَرٌ * لَطَفَتْ مَعَانِيهِ عَنِ التَّدْقِيقِ
 وَكَأَنَّ سَالِفَتَيْكَ تَبْرُ سَائِلٌ * وَعَلَى الْمَفَارِقِ مِنْكَ تَاجٌ عَقِيقِ
 وَكَأَنَّ مَجْرَى الصَّوْتِ مِنْكَ، إِذَا نَبَتْ * وَجَفَتْ عَنِ الْأَسْمَاعِ بِحُجٍّ خُلُوقِ،
 نَائٍ رَقِيقٌ نَاعِمٌ قُرِنْتُ بِهِ * نَعَمٌ مُؤَلَّفَةٌ مِنَ الْمَوْسِيقِ
 تَزُقُّو وَتَصْفِقُ بِالْجَنَاحِ كَمُنْتَشٍ * وَصَلَتْ يَدَاهُ الصَّوْتِ بِالتَّصْفِيقِ
 وَخَطَرَتْ مُلْتَحِفًا بِمِرْطٍ حَبْرَتْ * فِيهِ بَدِيعَ الْوَشْيِ كَفُّ أُنِيقِ
 كَالْجَلَنَّارَةِ أَوْ ضِيَاءِ عَقِيقَةٍ * أَوْ لَمْعِ نَارٍ أَوْ وَمِضْ بُرُوقِ
 أَوْ قَهْوَةٍ تَخْتَالُ فِي بَلُورَةٍ * بِتَأَلُّقِ اللَّعَانِ وَالتَّرْوِيقِ
 وَكَأَنَّمَا الْجَادِيُّ جَادَ بِصَبْغِهِ * لَكَ أَوْ غَدَوْتَ مُضْمَخًا بِخُلُوقِ

١٢٠

وقال شاعر أندلسي :

وَكَاثِنُ نَفَى النُّومِ مِنْ عَيْنِ فَاثِنٍ * بَدِيعُ الْمَلَاكِ حُلُومُ الْمَعَانِي
 بِأَجْفَانٍ عَيْنِيهِ يَاقُوْتَانِ * كَأَنَّ وَمِضْمَهُمَا جَمْرَتَانِ

(١) كذا في الأغاني . وفي الأصلين : « ولبست » . (٢) رواية الأغاني :

من حمرة في صفرة في خضرة * تخيلها يعني عن التحقيق

(٣) في الأصلين : « إذا خفت ونبا عن الأسماع فح حلق » وما أثبتناه عن الأغاني . وجم :

جمع أبح من البهة وهي خشونة وغلظ في الصوت . (٤) في الأغاني : « ناي دقيق » .

(٥) في الأصلين : « وخطوت » . والتصويب عن الأغاني .

(٦) في الأغاني : « أو صفاء عقيقة » .

(٧) في الأغاني : « بتألق الترويق والتصفيق » . والترويق : التصفية . والتصفيق : تحويل الشراب

من إناء إلى إناء ليصفو .

١٥

٢٠

على رأسه التاج مُستشرفاً * كتاج ابن هُرْمَزٍ في المهرجَانِ
 وقُرْطَانٍ من جواهر أَحْمَرٍ * يزِينَانِهِ زَيْنَ قُرْطِ الحَصَانِ
 له عُنُقٌ حولها رَوْنَقٌ * كما حوتِ الحمر إحدى القنَانِ
 ودار بُرائِلُهُ^(١) حولها * لها ثوبٌ شعِرٍ من الزعفرانِ
 ودارتُ يُجْوجِيه حُلَّةٌ * تروقُ كما راقك الحُسرَوَانِ
 وقام له ذنبٌ مُعْجَبٌ * بكأفة زهري بدت من بَنَانِ
 وقاس جناحاً على ساقه * كما قيس سترٌ على خَيْرَانِ
 وصفق تصفيق مسْتَهْتِرٍ * بِمُحْمَرَةٍ من بَنَاتِ الدَّانِ
 وغرَّد تغريدَ ذى لَوْعَةٍ * ييوحُ بأشواقه للغَوَانِ

١٠ وقال أبو علي بن رَشِيقٍ حيث مَرَّقَ عنه جِلْبَابَ المَادِحِ ، وتركه من شمل
 الذم في الرأي الفاضح :

قام بلا عقلٍ ولا دينٍ * يَخْلُطُ تصفيقاً بتأذِينِ
 فنبّه الأحيابَ من نومهم * ليخْرُجُوا من غير ما حين^(٢)
 بصرخةٍ تبعثُ موتى الكرى * قد أذْكَرتُ نفخَ سَرافِينِ
 كأنها في حلقه غُصَّةٌ * أغصَّه الله بسكِينِ

١٥

(١) في الأصلين : «دارت» . والبرائل : ما أسندار من ريش الطائر حول عنقه .

(٢) هذه التسمية عبرية الأصل ، وكانوا يقصدون بها عامة الملائكة . مشتقة من (سرف) بمعنى (أحرق)

وهي تسمية مجازية ، لاعتقاد اليهود أن الملائكة مخلوقون من نار . وسرافين : جمع سراف وهو الملك .

وقد جاءت هذه التسمية في سفر يوشع (إشعيا) في الفصل السادس من كتب العهد القديم . والظاهر أن

العرب من المسلمين نقلوا هذه التسمية فقالوا : (إسرافيل) أو (إسرافين) على أنه مفرد وهو الملك الخاص

٢٠

بالنفخ في الصور .



وأما المجلُّ وما قيل فيه — والمجلُّ طائرٌ يسمى: "دجاج البر" وهو صنفان: نجدى، وتهاى. فالنجدى أخضر أحمر الرجلين. والتهاى فيه بياض وخضرة. وتسمى الذكر "يعقوب"، والفرخ الذكر "السلك"، والأنثى "السلكة". وهو من الطير الذى يخرج فرخه كاسياً كاسباً. ويقال: إن المجلة إذا لم تلقح تمرغت فى التراب ورشته على أصول ريشها فتلقح. ويقال: إنها تبيض بسماع صوت الذكر ويرى تهب من ناحيته.

قال أبو عثمان الجاحظ: وإذا باضت المجلة ميزالذكر الذى كور منها فيحضنها، وميزت الأنثى الإناث فتحضنها، وكذلك هما فى التربية. قال: وكل واحد منهما يعيش خمساً وعشرين سنة. ولا تلقح الأنثى بالبيض، ولا يلقح الذكر إلا بعد مضي ثلاث سنين. والذكر شديد الغيرة على الأنثى. فإذا اجتمع ذكران اقتتلا، فأيهما غلب ذل له الآخر، وذهبت الأنثى مع الغالب. والأنثى إذا أصيب بيضها قصدت عش أخرى وغلبتها على بيضها. وقد وصف أبو على بن ريشق القيروانى المجل فقال:

ما أغربت فى زيتها^(١) * إلا يعاقب المجل
جاءتك مثقلة الترا * بب الحلى وبالحلل
صفر الجفون كأنما * باتت ببر تكحل

(١) كذا فى مباحج الفكر. وفى الأصلين: «وصفها».

(٢) ورد بعد هذا البيت فى مباحج الفكر بيتان زيادة عما هنا وهما:

وتخالها قد وكلت * بالقوت والصوت الرجل

صغرى أنا يرب من ال * مرجان مكرمة العمل

مشقوقة شقَّ الزُّجَا * ج لمن تأمل أو عقل
 وصلت مذابحها الرءو * س بجمرة فيها شعل
 لولا اختلاف الجنس والتركيب جاءت في المثل
 كاحي الثمانين التي * خضبت ومنها ما نصل
 أو كاللثام أزاله * فرط التلفت والعجل
 وتخالفت جوارياً * لا يزدري من العطل
 رمت الثياب الى ورا * ع عن المناكب تتجدل
 وبدت سراويلاتها * يسحبن وشياً من قبل
 حر من الرُّبكات في * لون الشقائق أو أجل
 عقدنها فوق الصدو * ر مخالسات للقبيل
 وشددن بالأعضاء من * حذر عليها أن تحل
 وكأنما باتت أصا * بعها بحناء تعل^(١)
 من يستحل لصيدها * فأنا أمرؤ لا أستحل

(١٢١)

وأما الكركى وما قيل فيه — ويقال : إنه "الغرينق"؛ ويقال :
 إن الغرينق صنف منه . وهو طائر أخضر طويل المنقار والرجلين . وسفاده
 في السرعة كالصفور . وله مشات ومصايف . وفي طبعه التناصر؛ ولهذا أنه
 لا يطير متقطعا ولا متباعدة بل صفا واحداً، يقدمها واحد منها كالرئيس لها المقدم

(١) تعل بحناء : تخضب مرة بعد أخرى .

عليها وهي تتبعه ، يكون كذلك حيناً ، ثم يخلفه آخرُ منها . وفي طبع الكركي وعادته أن أبويه إذا كبرا عاهلها .

وقال أرسطو : إن الغرائيق من الطير القواطع وليست من الأوابد ، وإنها إذا أحسَّت بتغير الزمان اعتزمت على الرجوع إلى بلادها . وكلُّ منها ينام على إحدى رجله قائماً . ويقال : إن الكراكي إذا كبرت أسودَّ ريشها وهو في شيبته رمادي . وقد ظهر بالديار المصرية في شهور سنة خمس عشرة وسبعمائة صنفٌ من الكراكي أبيض اللون ناصع البياض حسن الصورة ، وهو أكبرُ جُمَّةً من الكركي المعتاد . وقال الناصي في وصف الكراكي :

ومورِدٌ يُجذِلُ قلبَ الوامقِ * مُنظَّمٌ بالغُرِّ والغرائيقِ
وكلُّ طيرٍ صافِرٍ أو ناعقٍ * مكتملٍ وبالغِ ولاحقِ
موشية الصدورِ والعواتقِ * بكلِّ وشيٍ فاجرٍ وفائقِ
تختالُ في أجنحة خوافقِ * كأنما تختالُ في قرَاطِقِ
يرفُلن في قُمصٍ وفي يلامقِ * كأنهنَّ زهرُ الحـدائقِ
حمرِ الحداقِ كُلِّ الحمايقِ * كأنما يجُلن في مخانقِ



وأما الإوز وما قيل فيه — والإوز ثلاثة أصناف : بطائحي وهو الطويل الأسود [بزرقة] ، وتركي وهو المدور المائل إلى البياض ، وخبي وهو

(١) يلامق : جمع يلق ، وهو القباء المحشوق .

(٢) المخانق : القلائد .

(٣) الزيادة عن مباحج الفكر .

(٤) كذا في الأصلين . ولم نجد في مصدر آخر من المصادر التي بين أيدينا ما نعتمد عليه في بيانه .

الضخم الكبير منها . ويقال : إن الإوز إذا فرغ من السَّفاد وسبَّح في الماء فإنما يفعل ذلك لتَمَامِ اللذة . والأُنثى تحضن بيضها ثلاثين يوما . والذكور تحنُّو على الفراخ . ولكل منها قضيْبٌ يسفدُ به كالبط . والإوز البطائحي ، وهو المعروف بمصر بالعراقي ، يخالف الحبي في الصباح ؛ لأن الحبي تصيح ذكورها ولا تصيح إناثها ، والبطائحي بخلاف ذلك . والحبي من الطير الأوابد التي لا ترح من الأماكن التي تُربى فيها لِثِقَلِ أجسامها ، وإذا نهضت فلا ترتفع من الأرض إلا يسيرا . والعراقيات من الطير القواطع التي تنتقل من مكان إلى آخر ، وتُرى في وقت دون وقت .

وقال ابن رشيق يصف فحل إوز :

نظرتُ إلى فحل الإوز نخلته * من الثقل في وحل وما هو في وحل
ينقلُ رجليه على حين فترة * كمتعلٍ لا يحسن المشي في النعل
له عنق كالصوبلجان ومخطم^(١) * حكى طرف العرجون من يانع النخل
يداخله زهو فياحظ من علي * جوانبه الحاظ منهم العقل
يضم جناحيه إليه كما ارتدى * رداءً جديداً من بني البدو ذو جهل

* *

١٥

وأما البط وما قيل فيه — وهو أصناف : منها الوحشي ، والأهلي . ومن الوحشي "اللقلق"^(٢) ، ومن الأهلي "الصيني" . وفراخه تخرج كاسية كاسبة .

(١) كذا في مباحج الفكر . وفي الأصلين : « من علي * جوانبه ... » .

(٢) اللقلق : طائر أعجمي طويل العنق . وكنيته عند أهل العراق أبو خديج . وهو يأكل الحيات ،

والمجمع اللقاني . وربما قالوا : اللقلق بالعين المعجمة .

٢٠

وقيل : إن الزَّائِجَ بَطًّا بَيْضًا وَحُمْرًا وَرُقْطًا طَوَالَ الْأَعْنَاقِ قِصَارَ الْأَرْجُلِ . وَالْبَطُّ يطير على وجه الماء ، وليس من طير الماء ، لأنه لا يَأْوِيهِ دَائِمًا وَلَا يَغْتَذِي بِالسَّمَكِ . وَهُوَ يَا كُلَّ النَّبَاتِ وَالْبُذُورِ ، وَلَهُ قَضِيبٌ يُخْرِجُ مِنْ دُبُرِهِ كَذَكَرِ الْكَلْبِ عَظِيمٌ جَدًّا بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ ، فِي رَأْسِهِ زُرٌّ كَالْفَلَكَةِ^(١) ، فَإِذَا سَفِدَ لَمْ يُخْرِجْهُ حَتَّى يَنْقَلِبَ لِحْنِيهِ ، وَيَحْصُلَ لَهُ عِنْدَ السَّفَادِ مِنَ الْإِلْتِحَامِ مَا يَحْصُلُ لِلْكَلْبِ .

وقال أبو علي بن سينا : وطبع البط حارًّا أسخن من جميع الطيور الأهلية . قال قال بعضهم : هو يستخن المبرودَ وَيُورِثُ المحرورَ حمى^(٢) . قال : وشحمه عظيم في تسكين الوجع وتسكين اللدغ من عمق البدن ، وهو أفضلُ شحوم الطير . ولحمه يكثر الرياح ، وقانصته كثيرة الغداء ، ولحمه يسمن ، وهو بطيء في المعدة ثقيل ، وإذا أنهضم كان أغذى من جميع لحوم الطير ، وهو يزيد في الباه ويكثر المني .



وَأَمَّا النِّحَامُ^(٣) وَمَا قِيلَ فِيهِ — قَالُوا : وَالنِّحَامُ يَكُونُ أَفْرَادًا وَأَزْوَاجًا . وَإِذَا أَرَادَ الْمَبِيتَ اجْتَمَعَ رُفُوفًا^(٤) فَنَامَ ذُكُورُهُ وَلَا تَنَامُ إِنَاثُهُ . وَتُعِدُّ لَهَا مَبَاتٍ ، إِذَا دُعِرَتْ فِي وَاحِدٍ مِنْهَا طَارَتْ إِلَى آخَرٍ . وَيُقَالُ : إِنَّهُ لَا يَسْفِدُ وَلَا يُخْرِجُ فِرَاحَهُ بِالْحَضْنِ وَإِنَّمَا تَبْيِضُ الْأُنْثَى مِنْ زَقِّ الذَّكَرِ . وَإِذَا بَاضَتْ تَغْرَبَتْ وَبَقِيَ الذَّكَرُ عِنْدَ الْبَيْضِ يَذْرُقُ عَلَيْهِ لَيْسَ إِلَّا ، فَيَقُومُ ذَرْقُهُ مَقَامَ الْحَضْنِ . فَإِذَا تَمَّتْ مَدَّةُ ذَلِكَ خَرَجَتْ

(١) فلكة المغزل : رأسه .

(٢) كذا في كتاب القانون لابن سينا . وفي الأصلين : « المبرود » بالدال المهملة .

(٣) النحام كغراب : طائر أحر كالإوز . قال الجوهري : يقال له بالفارسية « سرخ آوى » وهكذا

ضبطه الأزهرى وابن خالويه وغلط الجوهري في فتحه وشده . (انظر القاموس وشرحه مادة نحم) .

(٤) الرفوف : جمع رف ، وهو القطيع من الطير .

الفراخ لا حراك بها ، فتجىء الأنتى فتنفخ في مناقيرها حتى يجرى ذلك النفخ فيها
روحاً ، ثم يتعاون الذكر والأنثى جميعاً على التربية . وإذا قويت الفراخ على الطعم
وأمكنها التكسب لنفسها طردها الذكر .



وأما الأنيس وما قيل فيه — فقال أرسطو: إنه حاد البصر، وصوته
يشبه صوت الجمل ويحاكيه . ومأواه في قرب الأنهار وفي الأماكن الكثيرة المياه
الملتفة الشجر . وله لون حسن وتدير في معاشه . والناس يتغالون به إذا وقع لهم
ويجعلونه في بيوتهم .



وأما القاوند وما قيل فيه — قال صاحب كتاب مباحج الفكر ومناهج العبر
في كتابه : كنت أسمع بشحم القاوند ولم أدري ما هو : حيوان هوائي أم مائي
أم أرضي ، حتى وقفت على كتاب موضوع في طبائع الحيوان وخواصه ليس عليه
اسم المصنف ، فرأيت قد قال : « القاوند طائر يتخذ وكره على ساحل البحر ويحضن
بيضه سبعة أيام ، وفي اليوم السابع يخرج فراخه ثم يزقها سبعة أيام . والمسافرون
في البحر يتيمنون بهذه الأيام ويوقنون بطيب الرّيح وحلول أيام السفر » .



وأما الخطاف وما قيل فيه — والخطاف يسمى "زوّار الهند" .
وهو من الطيور القواطع التي تقطع البلاد البعيدة إلى الناس رغبة في القرب منهم
والإلف بهم ، وهو مع ذلك لا يبني بيته إلا في أبعد المواضع حيث لا تناله أيديهم .
ومن عجيب حاله أن عينه تطلع فترجع ، وهو لا يرى أبداً يقف على شيء يأكله ،

ولا يرى يسافداً ولا يجتمع بأثناه . والأثني تبيض مرة واحدة في السنة ، وقيل :
مرتين ، وكلاهما قاله الجاحظ . والخفّاش عدو الخطّاف ؛ فهو إذا فرّخ وضع
في أعشاشه قُضبان الكرفس ، فلا يؤذى فراخه إذا شم رائحة الكرفس . وهو لا يفرّخ
في عُشٍّ عتيق حتى يطينه بطين جديد . وهو يبنى عُشه بالطين والتبن . فإذا لم يجد
طيناً مهيئاً ألقى نفسه في الماء ثم تمرغ في التراب حتى يمتلئ جناحاه ثم يجمعه بمنقاره .
وهو يسوى في الطعم بين فراخه . ولا يترك في عُشه زبلاً بل يلقيه خارجاً .
وأصحاب اليرقان يلطّخون فراخ الخطّاف بالزعفران ؛ فإذا رآها صفراً ظن أن اليرقان
أصابها من شدة الحر ، فيذهب ويأتيها بحجر اليرقان فيطرّحه على الفراخ ، وهو حجر
أصفر ، فيأخذه المحتال فيعلقه على نفسه أو يحكّه ويشرب من مائه [يسيراً] ^(١) فيبرأ .
والخطّاف متى سمع صوت الرعد مات .

(١٢٢)

وقال الشيخ الرئيس أبو علي بن سينا : قال ديسقوريدس : إن أول بطن
للخطّاف إذا شق وجد فيه حصّاتان ، إحداهما ذات لون واحد والأخرى ذات
ألوان كثيرة ، إذا جعلتا في جلد عجّل قبل أن يصيبه تراب ورُبط على عضد المصروع
ورقبته انتفع به ، قال : وقد جرّبت ذلك وأبرأ المصروع . قال : وأكل الخطّاف
يحدّ البصر ، وقد يجفّف ويُسقى . والشربة منه مثقال . وقيل : إن دماغه بعسل
نافع من ابتداء الماء ، وكذلك دماغ الخفّاش . قال : وإن ملّح الخطّاف وجفّف
وشرب منه درهمان نفع من الخناق . قال بعض الأطباء : المشهور عند الأطباء أن
عُشّ الخطّاطيف إذا حلّ في ماء وصفّي وشرب سهل الولادة .

(١) الزيادة عن مباحج الفكر .

وقد ألمّ الشعراءُ في أشعارهم بوصف الخُطّاف ؛ فمن ذلك ما قاله أبو إسحاق الصّابي :

وهنديّة الأوطان زنجيّة الخلق * مسودة الأثواب محمّرة الحدق
كان بها حزنًا وقد أيسّت له * حدادًا وأذرت من مدامعها العلق^(١)
إذا صرّصرت صرّت بأخر صوتها * كما صرّملوى العود بالوتر الحزق^(٢)
تصيف لدينا ثم تشتو بأرضها * ففى كلّ عام نلتقى ثم نفترق

وقال السّرى الرّفاء يصفها من أبيات ويذكر غرفة :

وغرفتنا بين السجائب نلتقى * لهنّ عليها كلة ورواق^(٣)
تقسم زوار من الهند سقّفها * خفاف على قلب النديم رشاق
أعاجم تلتد الخصام كأنها * كواعب زنج راعهن طلاق
أنسن بنا أنس الإماء تحببت * وشيمها غدر بنا وإباق
مواصلة والورد في شجراته * منارقة إن حان منه فراق

وقال أيضا :

وغرفتنا الحسناء قد زاد حسنها * بزائرة فى كلّ عام تزورها
مبيضة الأحشاء حمر بطونها * مزرجة الأذنان سود ظهورها
لهنّ لغات معجمات كأنها * صرير نعال السبت عال صريرها^(٤)

(١) العلق : الدم الشديد الحمرة .

(٢) كذا فى آاب حياة الحيوان للدميرى . والحزق (بالتحريك) : اسم من حزق الشئ يحزقه حزقا

إذا شدّه وضغطه . وفى الأصلين : « الخلق » . وهو تحريف .

(٣) كذا فى مباحج الفكر . وفى الأصلين : « علينا » .

(٤) نعال السبت : نعال تتخذ من جلود البقر المدبوعة بالقرظ .

وقال أبو هلال العسكري :

وزائرة في كَلِّ عام تزورنا * فيخبر عن طيب الزمان مزارها
تُخبر أن الجوّ رَق قيصُه * وأن رياضا قد توشى إزارها
وأن وجوه الغدير راق بياضها * وأن متون الأرض راع أخضرارها
تُحَنِّ إلينا وهي من غير شُكنا * فتدنو على بُعد من الشكل دارها
ويعجبنا وسط العراص وقوعها^(١) * ويؤنسنا بين الديار مطارها
أغار على ضوء الصباح قيصها * وفاز بألوان الليالي نحرها
أصبح كما صرت نعال عرائس * تمشت إلينا هندا ونوارها
وقال آخر :

أهلاً بخطاف أتنا زائراً * غير دأ يذكّر بالزمان الباسم
ليست سراييل الصباح بطونه * وظهوره ثوب الظلام العاتم
وقال أبو نواس :

كأن أصواتها في الجوّ طائرة^(٢) * صوت الجلام إذا ما قصت الشعرا

وأما القيق والزُرزور وما قيل فيهما — والقيق : طائر في قدر الحمام^(١٢٤)
اللطيف ، وأهل الشام يسمونه "أبا زريق"^(٣) . وفي طبعه كثرة الإلف بالناس ،
وقبول التعليم ، وسرعة الإدراك لما يلقن من الكلام مبينا حتى لا يشك سامعه

(١) في أ : « وفوقها » .

(٢) الجلام (بالكسر) : جمع جلم ، وهو المقص .

(٣) كذا في حياة الحيوان للدميري . وفي الأصلين : « زريق » .

إذا لم يره أنه إنسانٌ ، وربما زاد على البَغَاء . وله حكايات وأخبارٌ في الذكاء
والفطنة يطول شرحها ، وهو طائر مشهور بذلك .



وأما الزُّرُور — فيقال : إنه ضَرَبٌ من الغراب يسمّى ”الغُدَّاف“ ، ويقال :
إنه ”الزَّاغ“ . وهو يقبل التعليم ، ولا يرى إلّا في أيام الربيع . ولونه أرقط لكن
السواد أغلب . وقد يوجد في لونه الأبيض ، وهو قليل جدا .

وقال بعض شعراء الأندلس :

يَا رَبِّ أَعْجَمَ صَامِتٍ لَقْنَتُهُ * طَرَفَ الْحَدِيثِ فَصَارَ أَفْصَحَ نَاطِقٍ
جَوْنُ الْإِهَابِ أُعِيرَ قُوَّةَ صُفْرَةٍ * كَاللَّيْلِ طَرَزَهُ وَمِیْضُ الْبَارِقِ
حِكْمٌ مِنَ التَّدْبِيرِ أَعْجَزَ الْوَرَى * وَرَأَى بِهَا الْمَخْلُوقُ لُطْفَ الْخَالِقِ

وقال آخر :

أَمِنْ بَرٍّ ذَاكَ أَمْ قَضِيبٌ * يَقْرَعُهُ مِصْقَعٌ خَطِيبٌ
يَخْتَالُ فِي بُرْدَتِي شَبَابٌ * لَمْ يَتَوَضَّعْ بِهَا مَشِيبٌ
أَنْحَرَسُ لِكُنْهَ فَصِيحٌ * أَبْلَهُ لِكُنْهَ لَيْبٌ

وقال الوزير أبو القاسم بن الجُدِّ الأندلسي من رسالة كتبها إلى الوزير أبي الحسن
ابن سراج جواباً عن رُقْعَةٍ وصلت منه إليه ، يشفعُ لرجل يُعرف بالزُّرِّيِّير ، ابتدأها
بأن قال :

(١) في الأصلين : « الحداد » . والتصويب عن الذخيرة لابن بسام .

(٢) في هذه الرسالة تحريف كثير في الأصلين . وقد صححناها عن كتاب الذخيرة لابن بسام (يوجد منها

جزآن الأول والثاني مخطوطان بدار الكتب المصرية برقم ٢٣٤٧ أدب . والرسالة تقع في الجزء الثاني

ص ٢١٨) .

حُسِنَتْ لَكَ أبا الحسن ضرائبُ الأيام ، وتشَوَّفَتْ نَحْوَكَ غرائبُ الكلام ،
 وَاهْتَزَّتْ لِمَكَاتِبِكَ أَعْطَافُ الْأَقْلَامِ ، وَجَادَتْ عَلَى مَحَلِّكَ الْطَافُ الْغَامُ ، وَأَشَادَتْ^(٣)
 بِفَضْلِكَ وَنُبْلِكَ أَصْنَافُ الْأَنَامِ . فَإِنْ كَانَ رَوْضُ الْعَهْدِ أَعَزَّكَ اللَّهُ لَمْ يُصِبْهُ مِنْ^(٤)
 تَعَهُدِنَا طَلٌّ وَلَا وَابِلٌ ، وَلَا سَجَعَتْ^(٥) عَلَى أَيْكِهِ وَرَقٌّ وَلَا بَلَابِلٌ ، فَإِنْ أَزْهَارُهُ عَلَى^(٦)
 شَرَبِ الصَّفَاءِ نَابِتُهُ ، وَأَشْجَارُهُ فِي تَرْبِ الْوَفَاءِ رَاسِخَةٌ ثَابِتُهُ . وَقَدْ آتَى الْآنَ لَعْنَمُ شَجَرِهِ^(٧)
 أَنْ تُطْلِعَ مِنَ الثَّمْرِ أَلْوَانَا ، وَلَعُجْمِ طَيْرِهِ أَنْ تَسْجَعَ مِنَ النَّعْمِ أَلْحَانَا ، بِمَا سَقَطَ لَدَى^(٨)
 وَوَقَعَ عَلَى^(٩) مِنْ طَائِرٍ شَيْءٌ الصِّفِيرِ ، مَبْنَى الْأَسْمِ عَلَى التَّصْغِيرِ ، فَإِنَّهُ رَجَعَ بِأَسْمِكَ
 حِينَا ، وَأَبْتَدَعَ فِي نُوبَةِ شُكْرِكَ تَلْحِينَا ، وَحَرَّكَ مِنْ شَوْقِي إِلَيْكَ سَكُونَا ، وَدَمَثَ^(١٠)
 فِي قَلْبِي لُودُكَ وَكُونَا . ثُمَّ أَسْمَعْنِي أَثْنَاءَ تَرْنَمِهِ كَلَامًا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ ، لَوْ تَغَنَّتْ بِهِ^(١١)
 الْوَرَقَاءُ ، لَأَذِنْتُ لَهُ الْعَنْقَاءُ ، أَوْ نَاحَ بِمِثْلِهِ الْحَمَامُ ، لَبَكِي لِشَجْوِهِ الْغَامُ ، أَوْ سَمِعَهُ قَيْسُ^(١٢)
 ابْنِ عَاصِمٍ فِي نَادِيهِ ، وَبَيْنَ أَعَادِيهِ ، لَحَلَّ الزَّمْعُ حُبَّاهُ ، وَأَسْتَرَدَّ الطَّرَبُ صِبَاهُ :
 كَلَامًا لَوْ أَنَّ الْبَقْلَ يُزْهِى بِمِثْلِهِ * زَهَا الْبَقْلُ وَأَخْضَرَ الْغُضَا بِمَصِيفِ^(١٣)
 فَتَلَقَّيْتُ فَضْلَ صَاحِبِهِ بِالتَّسْلِيمِ ، وَأَعْتَرَفْتُ بِسَبْقِهِ اعْتِرَافَ الْخَبِيرِ الْعَلِيمِ .

- ١٥
- (١) فِي الْأَصْلَيْنِ : « لِمَكَاتِبِكَ » . (٢) فِي الْأَصْلَيْنِ : « نَحْلُكَ » .
 (٣) فِي الْأَصْلَيْنِ : « أَشَارَتْ » . (٤) فِي الْأَصْلَيْنِ : « إِنْ كَانَ » .
 (٥) فِي الْأَصْلَيْنِ : « بَعْدَهَا » . (٦) فِي الْأَصْلَيْنِ : « سَمِعَتْ » .
 (٧) فِي الْأَصْلَيْنِ : « كَانَ » . (٨) فِي الْأَصْلَيْنِ : « لَعْنَمُ » .
 (٩) دَمَثَ : هِيَ وَسَهْلٌ . يُقَالُ : دَمَثَ لِي هَذَا الْحَدِيثُ أَيِ إِذْ كَرَّ لِي أَوَّلُهُ حَتَّى أَعْرِفَ وَجْهَهُ .
 (١٠) فِي الْأَصْلَيْنِ : « رَكُونَا » بِالرَاءِ . (١١) أَذِنْتُ : أَصَغْتُ وَأَسْتَمَعْتُ .
 ٢٠ (١٢) الزَّمْعُ : الْخَفَةُ وَالطَّيْشُ . وَيَعْنِي بِهَذَا أَنَّ قَيْسَ بْنَ عَاصِمٍ ، وَهُوَ أَحَدُ حُلَمَاءِ الْعَرَبِ الْمَشْهُورِينَ ،
 لَوْ سَمِعَ هَذَا الْكَلَامَ لَاسْتَخَفَّهُ وَبَادَرَ إِلَيْهِ .
 (١٣) قَدْ سَقَطَ هَذَا الْبَيْتُ مِنَ الذِّخِيرَةِ .

- وبعد، فإني أعود إلى ذكر [ذلك] ^(١) الحيوان الغريد، والشيطان المرید؛ فأقول:
- لئن سُمي بالزُرَيْر، لقد صَغُرَ للتكبير؛ كما قيل: حَرِيقُصَّ ^(٢) وَسَقَطُهُ ^(٣) يُحْرِقُ الْحَرَجَ، ودَوِيهية ^(٤) وهي تلتهم الأرواح والمهيج. ومعلوم أن هذا الطائر الصافر يفوق جميع الطيور في فهم التلقين، وحسن اليقين. فإذا عُلِّمَ الكلام لهج بالتسبيح، ولم ينطق لسانه بالقبيح، وتراه يقوم كالنصيح، ويدعو للخير بلسان فصيح. فمن أحبّ الاتعاض،
- لقي منه قس إِيَادٍ ^(٥) بعكاز، أو مال إلى سماع البسيط والنشيد، وجدّ عنده نُحْبَ الموصلي للرشيد. فطوراً يُبكيك بأشجى من مراثي أربد ^(٦)، وحيناً يُسليكَ بأحلى من أغاني معبد. فسبحان من جعله هادياً خطيباً، وشادياً مُطرباً مَطيّباً. ولما طار ببلاد
- الغرب ووقع، ورَقِيَ في أكفافها وصقع ^(٧)، وعان ما آتفق فيها في هذا العام من عدم الزيتون، في تلك البطون والمتون؛ أزمع عنها فراراً، ولم يجد بها قراراً؛ لأن هذا الثمر بهذا الأفق هو قوامُ معاشه، وملاكُ انتعاشه؛ إليه يَقْطَعُ، وعليه يَقَعُ؛ كما يقع على العسل الذباب، وتقطع إلى العرَادِ الضباب ^(٨)؛ فاستخفّه هائجُ التذكار، نحو تلك

(١٢٥)

- (١) الزيادة عن الذخيرة. (٢) في الأصلين: «الكبر». (٣) السقط: ماسقط بين الزندين قبل استحكام الوري. والحرَج: جمع حرجة، وهي الغيضة لضيقها أو هي الشجر الملتف.
- (٤) هو قس بن ساعدة الإيادي حكيم العرب وخطيبها، وقد سمعه النبي صلى الله عليه وسلم بعكاز على جبل أحرار يخطب خطبته المعروفة. (٥) هو أربد بن قيس أخو لبيد بن ربيعة لأمه، وفد على النبي صلى الله عليه وسلم وأراد به بشر فأصابته صاعقة فرثاه أخوه لبيد بقصائد عدة. (راجع الأغاني ج ١٥ ص ١٣٦ — ١٤٠ طبع بولاق).
- (٦) هو معبد بن وهب المغني المعروف (راجع ترجمته في الأغاني طبع دار الكتب المصرية ج ١ ص ٣٦ — ٦١). (٧) في الأصلين والذخيرة: «أنفق». (٨) في الأصلين: «الثن». (٩) العرَاد: حشيش طيب الريح. قال أبو الهيثم: تقول العرب: قيل للضب وِرْدًا وِرْدًا؛ فقال:

أصبح قلبي صردا * لا يشتهي أن يردا

إلا عراداً عردا * وصلينا نأبردا

* وعنكنا ملتبدا *

الأوكار؛ حيث يكتسى ريشه حريرا، ويحتشى جوفه بريرا، ويحتسى قرأحا نميرا،^(٢)
ويغتدى على رهطه أميرا.^(٣) نخذه إليك، نازلا لديك، مائلا بين يديك، يترنم بالشاء،
ترنم الذباب في الروضة الغناء، وقد هنّ قوادم الجناح، لعادة الاستمناح، وحبّر
من لمع الأسجاع، ما يصلح للاسجاع، واثقا بأن ذلك القطر الناضر ستنفحه حدائقه،^(٤)
ولا تلتفه ودائقه،^(٥) لا سيما وفضلك دليله إلى ترع رياضه، وفرض حياضه، مع أنه
لا يعدم في جنابك حبا نثيرا، وخصبا كثيرا، وعشا وثيرا.

فإذا ما أراد كُنت رِشَاءً * وإذا ما أراد كُنت قَلِيْبًا

والله تعالى يكفيه فيما ينوبه شرّ الجوارح، ويقيه شؤم السانح والبارح، بمنه وكرمه.



وأما السَّمَانِي وما قيل فيه — يقال : إن السَّمَانِي هو السَّلَوَى . وهو
من الطيور القواطع التي لا يُعْلَم من أين تأتي . ويقال : إنه يخرج من البحر المسالح،
فإنه يرى وهو يطير عليه أوان ظهوره وأحد جناحيه منغمس في الماء والآخر منتشر
كالقُلْع . وأكثر من يعتنى بتربيته أهل مصر ويتغالبون في ثمنه ويحتفلون بأمره،
حتى ينتهي ثمن جيده إلى ألف درهم بعد أن يباع كل عشرة منها بدرهم وأرخص .
وهو صنفان : ربيعى وطرمَاهِيّ ؛ فالربيعى القادم الراحل . والطرمَاهِيّ القاطن
في الأرض والبلاد الخصبية ، ويبيض ويفرّخ فيها كالبحل . وسبب مغالاتهم
في أثمانها لأجل كثرة صيّايحها وعدد أصواتها . وقد وجد فيها ما صباح في الليلة

(١) في أ : « صوفه » . وفي ب : « هونه » والبرير : أول ما يظهر من ثمر الأراك وهو حلو .

(٢) في الأصلين : « فراخه » . (٣) في الأصلين : « رهط » . (٤) في الأصلين :

« تستحقه » . (٥) في الأصلين : « تلحقه » . والوديقة : حرّ نصف النهار، وقيل : شدة

الحرّ ودنوحى الشمس .

- الواحدة إلى الثانية من النهار أربعة آلاف وستمائة صوت . والصوتُ عندهم أن يُفَصَلَ بينه وبين الصوت الثاني بِسَكْتَةٍ . وهم في تربيته يبدءون بإطعامه دُقَاقَ القَمَحِ (وهو القمح الصغير الذي لا يُمَسَكُهُ الغُرْبَالُ لِصِغَرِهِ) مدَّةَ شهرٍ ، وتكون ذلك الوقت مجتمعةً في قَفَصٍ كبيرٍ يسمونه "المرح" ، ثم يُفَرَّدُ بعد ذلك كُلُّ سَمَانِيٍّ بمفرده في قَفَصٍ وَيُطْعَمُ الدُّخْنُ والشَّادَانِقُ ^(١) . ويَصِيحُ في مبتدأ أمره مقدار شهر ثم يسكت مدَّةَ شهرين . وَيُنْقَلُ إلى أَقْفَاصٍ أُخَرٍ يعتنون بِجودتها ويرفعونها على البراري (والبراري عَصِيٌّ تُعَلَّقُ عليها الأقفاص) فيصيح بعد تلك السكته أربعة أشهر . فإذا دخل فصل الحريف وهبَطَ الماءُ سكت مدَّةَ شهرين وتقرَّضَ ، ثم يصيح أحيانا ويسكت أحيانا . وهو لا يطولُ عمره أكثر من سنة ونصف . وأول ما يصيح قبل أن يتفصَّح بالوعُوعَةِ ، وحكاية صوته : "وَعُوعٌ" ، ثم يصيح بعد ذلك : "شَقَشَلَقٌ" .

وقال الشيخ الرئيس أبو عليّ بن سينا في كتاب الأدوية المفردة : إنه يُخَافُ من أكل لحوم السَّمَانِيِّ من التَّمَدُّدِ والتَّشَنُّجِ .



- وَأَمَّا الْهَدَّهْدُ وما قيل فيه — والهدهد طائرٌ معروف . وقال الجاحظ ١٥ فيه : والعرب كانوا يزعمون أن القَنْزَعَةَ التي على رأسه ثوابٌ من الله عزَّ وجلَّ على ما كان من بَرِّه لَأُمِّهِ ، لما ماتت جعل قبرها في رأسه ، فهذه القَنْزَعَةُ عَوْضٌ عن تلك الوَهْدَةِ . وهو طائرٌ مُنْتِنٌ الْبَدَنِ من جوهره وذاته . والأعراب يجعلون ذلك

(١) الشادانق : بزر العنب .

النَّتَنَ شَيْئًا خَامَرَهُ بِسَبَبِ تِلْكَ الْحَيْفَةِ الَّتِي كَانَتْ عَلَى رَأْسِهِ . وَيَسْتَدْلُونَ عَلَى ذَلِكَ
بِقَوْلِ أُمَيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ حَيْثُ يَقُولُ مِنْ أَبْيَاتِ :

غَيْمٌ وَظُلُمَاءٌ وَغَيْثٌ سَحَابَةٌ * أَرْمَانَ كَفَنَ وَأَسْتَرَادَ الْهُدُودُ

يَبْغِي الْفِرَارَ لِأُمِّهِ لِيُجَنِّهَا * فَبَنَى عَلَيْهَا فِي قَفَاهِ يَمْهَدُ

مَهْدًا وَطِيئًا فَاسْتَقَلَّ بِحِمْلِهِ * فِي الطَّيْرِ يَحْمِلُهَا وَلَا يَتَأَوَّدُ

مِنْ أُمِّهِ فَخَزَى بِصَالِحِ حِمْلِهَا * وَلَدًا وَكَأَنَّ ظَهْرَهُ مَا يَعْقِدُ

فَتَرَاهُ يُدْلِجُ مَاشِيًا بِجَنَازَةٍ * بِقَفَاهِ مَا آخَتَلَفَ الْجَدِيدُ الْمُسْنَدُ

(١٢٦)

وَزَعَمَ صَاحِبُ الْفِرَاسَةِ : أَنَّ سَبَبَ نَتْنِهِ أَنَّهُ يَطْلُبُ الزَّبْلَ ، فَإِذَا وَجَدَهُ نَقَلَ
مِنْهُ وَأَبْتَنَى بَيْتًا مِنْهُ ، فَإِذَا طَالَ مُكْمَثُهُ فِي ذَلِكَ الْبَيْتِ ، وَفِي مِثْلِهِ وَلَدٌ ، آخَتَلَطَ رِيشُهُ
وَبَدَنُهُ بِتِلْكَ الرَّائِحَةِ فَوَرِثَ أَبْنَاهُ النَّتَنَ ، كَمَا وَرِثَهُ هُوَ مِنْ أَبِيهِ ، وَكَمَا وَرِثَهُ أَبُوهُ مِنْ
جَدِّهِ . قَالَ شَاعِرٌ :

وَأَتَنَنْ مِنْ هُذْهِدٍ مَيَّتٍ * أُصِيبَ فَكُفِّنَ فِي جَوْرَبٍ

وَيُقَالُ عَنْهُ : إِنَّهُ يَرَى الْمَاءَ فِي بَاطِنِ الْأَرْضِ كَمَا يَرَاهُ الْإِنْسَانُ فِي بَاطِنِ الزُّجَاجِ .
وَزَعَمُوا : أَنَّهُ كَانَ دَلِيلَ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الْمَاءِ وَلِذَلِكَ تَفَقَّدَهُ ، عَلَى أَحَدِ
أَقْوَالِ الْمُفَسِّرِينَ لِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى .

وَقَالَ الْجَاهِظُ فِيهِ : إِنَّهُ وَفِي حَفُوظٍ ، وَذَلِكَ أَنَّ الذِّكْرَ إِذَا غَابَتْ عَنْهُ أَثْنَاهُ
لَمْ يَأْكُلْ وَلَمْ يَشْرَبْ ، وَلَا يَزَالُ يَصْبِيحُ حَتَّى تَعُودَ إِلَيْهِ ، فَإِنْ لَمْ تَعُدْ لَا يَسْفِدْ بَعْدَهَا
أَنْثَى أَبَدًا ، وَلَا يَزَالُ يَصْبِيحُ عَلَيْهَا مَا عَاشَ ، وَلَمْ يَنْلُ بَعْدَهَا مِنْ طُعْمٍ بَلْ يَنَالُ مِنْهُ
مَا يُمْسِكُ رَمَقَهُ .

(١) ووصفه أبو الشَّيْصِ فقال :

لا تَأْمَنَنَّ عَلَى سَرَى وَسِرِّم * غَيْرِي وَغَيْرَكَ أَوْطَى الْقِرَاطِيسِ
أَوْ طَائِرٍ سَأَجَلِيَّهِ وَأَنْعَتُهُ * مَا زَالَ صَاحِبَ تَنْقِيرٍ وَتَدْسِيسِ
سُودٍ بَرَأْتُهُ مِيلَ ذَوَائِبِهِ * صُفْرٍ حَمَلِقُهُ فِي الْحَسَنِ مَغْمُوسِ
قَدْ كَانَ هَمَّ سُلَيْمَانَ لِيَذْبَحَهُ * لَوْلَا سَعَايَتُهُ فِي مُلْكٍ بُلْقِيسِ

وقال آخر من أبيات :

كَأَنَّهُ إِذْ أَتَاهُ مِنْ قُرَى سَبِيلٍ * مُبَشِّرًا قَدْ كَسَاهُ تَاجَ بُلْقِيسِ
يَبْدُو لَهُ فَوْقَ ظَهْرِ الْأَرْضِ بَاطِنُهَا * كَمَا تَبَدَّتْ لَنَا الْأَقْدَاءُ فِي الْكُوسِ^(٢)



- وَأَمَّا الْعَقَّعُ وَمَا قِيلَ فِيهِ — وَيُسَمَّى الْعَقَّعُ أَيْضًا «كُنْدُشًا» . وَهُوَ ١٠
طَائِرٌ لَا يَأْوِي تَحْتَ سَقْفٍ وَلَا يَسْتِظِلُّ بِهِ ، بَلْ يَهْيَى وَكَرِهَ فِي الْمَوَاضِعِ الْمَشْرِفَةِ الْفَسِيحَةِ .
وَفِي طَبْعِهِ الزَّنا وَالْحِيَانَةُ وَالسَّرْقَةُ وَالْحُبُّثُ ، وَالْعَرَبُ تَضْرِبُ بِهِ الْمَثَلَ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ .
وَإِذَا بَاضَتِ الْأُنْثَى أَخْفَتَ بَيْضُهَا بَوْرَقَ الدُّلْبِ خَوْفًا عَلَيْهِ مِنَ الْخُفَّاشِ ، فَإِنَّهُ مَتَى
قَرُبَ مِنْهُ مَذَرٌ^(٣) وَفَسَدٌ وَتَغْيِيرٌ مِنْ سَاعَتِهِ . وَتَقُولُ الْعَرَبُ فِي أَمْثَالِهَا : « أَمْوَقٌ مِنْ
عَقَّعٍ » . وَهُوَ شَدِيدُ الْإِسْتِلَابِ وَالْإِخْتِطَافِ لَمَّا يَرَاهُ مِنَ الْحَلَى الثَّمِينِ . قَالَ ١٥
إِبْرَاهِيمُ الْمَوْصِلِيُّ فِيهِ :

إِذَا بَارَكَ اللَّهُ فِي طَائِرٍ * فَلَا بَارَكَ اللَّهُ فِي الْعَقَّعِ

(١) هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَزِينَ الْخَزَاعِي شَاعِرٌ مَعْرُوفٌ ، كَانَ فِي زَمَنِ الرَّشِيدِ ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّ دَعْبَلِ
ابْنِ عَلِيٍّ الْخَزَاعِي الشَّاعِرِ ، تَوَفَّى سَنَةَ ١٩٦ هـ .

(٢) بِرِيدِ الْكُؤُوسِ جَمْعُ كَأْسٍ .

(٣) مَذَرُ الْبَيْضِ : فَسَدٌ وَتَغْيِيرٌ .

قصيرُ الذَّنَابِ طَوِيلُ الجَنَاحِ * متى ما يَجِدُ غَفْلَةً يَسْرِقُ
يُقَلِّبُ عَيْنَيْنِ فِي رَأْسِهِ * كأنهما قَطَرَتَا زَيْبَقٍ

وكان سببُ قوله لهذا الشعرِ فيه ما حكاه إسحاق بن إبراهيم قال : كان لى عَقَقٌ
وأنا صبيُّ قد ربيتهُ، وكان يتكلم بكلِّ شيءٍ يسمعه ، فسُرِقَ خاتمُ ياقوتٍ كان أبى
قد نزعهُ من إصبعِهِ ودخلَ الخلاءَ ثم خرج فلم يجدهُ ، فضرب الغلام الذى كان واقفاً ،
فلم يَقِفْ له على خبر . فبينما أنا ذات يوم فى دارنا إذ أبصرت العَقَقَ قد نبشُ ثُراباً
وأخرج الخاتمَ منه ، فلعب به طويلاً ثم دفنهُ ، فأخذتهُ وجئتُ به الى أبى ، فسَرَّ به
وقال هذا الشعر .



وأما العَصَافِيرُ وما قيل فيها — والعصافيرُ ضروبٌ كثيرةٌ : منها
«العصفور البيوتى» و«عصفور الشوك» و«عصفور النوفر»^(١) . ومن ضروبها «القبرة»
و«حسون» و«البُلبُل» .

فأما العصفور البيوتى — ففى طباعه اختلافٌ : ففيه من طبائع سباع
الطير أنه يُلقم فراخه ولا يزقها ، ويصيدُ أجناساً من الحيوان كالتمل إذا طار والجراد ،
ويأكل اللحم . والذى فيه من طباع بهائم الطير أنه ليس بذى مخالب ولا منسِرٍ ،
وهو إذا سقط على عودٍ قدم أصابعه الثلاث وأخر الدائرة ، وسباعُ الطير تُقدم
إصبعين وتؤخر إصبعين ، ويأكل الحبَّ والبقول . ويتميز الذكرُ منها من الأنثى
بلحية سوداء . وهو لا يعرف المشى وإنما يرفع رجله ويثب . وهو كثيرُ السَّفاد ،

(١٢٧)

(١) كذا فى الأصلين . وقد أورده المؤلف هنا على لهجة العامة . والفصيح فيه : « نيلوفر »

٢٠ « وينوفر » بابدال اللام نونا . والنيلوفر : ضرب من الرياضين ينبت فى انياها الرائدة ، ويسميه أهل
مصر البشنين . (راجع القاموس وشرحه مادة نيلوفر) .

وربما سَفِدَ في الساعة الواحدة خمسين مرةً ، ولذلك عمره قصيرُ فإنه لا يُعَمَّرُ غالباً
أكثرَ من سنةٍ ؛ وإنَّها تُعَمَّرُ أكثرَ من ذكورها . والمثل يُضرب في التحقير والتصغير
بأحلام العصافير .

قال دُرَيْدُ بن الصَّمَّة :

يا آلَ سَفِيانَ ما بالي وبالكُمُّ * أُنتم كَبِيرٌ وفي الأحلامُ عَصْفُورٌ^(١)

وقال حسان بن ثابت :

لا بأسَ بالقومِ من طولٍ ومن عَظِيمٍ * جِسمُ البغالِ وأحلامُ العَصافيرِ



وأما عصفور الشَّوكِ — فزعم أرسطو أن بينه وبين الحمار عداوةً ،
لأن الحمار إذا كان به دَبْرٌ حَكٌّ بالشَّوكِ الذي يأوى إليه هذا العصفورُ فيقتله ؛
وربما نَهَقَ الحمارُ فتسقط فراخه أو بيضه خوفاً منه ؛ فلذلك هذا العصفور إذا رأى
الحمارَ رَفَرَفَ فوق رأسه وعلى عنقه وأذاه ونقره في عَقَرِه أُنَّى كان .^(٢)



وأما عصفور النَّيْلُوفَرِ — وهو لا يوجد غالباً إلا بَشْغَرِمْيَاطَ ، وشأنه
غريب ؛ وذلك أنه عصفورٌ صغيرٌ جداً ، فإذا كان قبل غروب الشمس جاء إلى
بَرَكِ النَّوْفَرِ فيجد النَّوْفَرَةَ وهي طالحةٌ على وجه الماءِ مفتوحةٌ فيقعد في وسطها ، فإذا^(٣)

(١) كذا ورد هذا الشطر في كتاب الحيوان (ج ٥ ص ٧٣) والأغاني (ج ٩ ص ٧ طبع بولاق) .

وفي الأصلين : * أنتم كثير وفي أحلام عصفور *

(٢) في الحيوان للجاحظ : « ذرق » . وفي مباحج الفكر : « قرب منه فوق رأسه » .

(٣) انظر الحاشية رقم ١ ص ٢٤٩ من هذا الجزء .

حَصَلَ فِيهَا أَنْطَبَقَتْ عَلَيْهِ وَأَنْغَمَسَتْ فِي الْمَاءِ طَوْلَ اللَّيْلِ ، فَإِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ طَفَّتِ النَّوْفَرَةُ عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ وَأَنْفَتَحَتْ ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا وَيَطِيرُ إِلَى غُرُوبِ الشَّمْسِ ، فَيَأْتِي وَيَفْعَلُ كَفَعْلِهِ .



وَأَمَّا الْقُبْرَةُ — فَقَدْ عَدَّوْهَا مِنْ أَنْوَاعِ الْعَصَافِيرِ . وَهِيَ غَبْرَاءُ كَبِيرَةٌ الْمِنْقَارِ عَلَى رَأْسِهَا قُبْرَةٌ . وَهَذَا الضَّرْبُ قَاسَى الْقَلْبِ . وَفِي طَبْعِهِ أَنَّهُ لَا يَهْوِلُهُ صَوْتُ صَاحٍ بِهِ ، وَرُبَّمَا رُمِيَ بِالْحَجَرِ فَاسْتَخَفَّ بِالرَّامِي وَلَطَمَ إِلَى الْأَرْضِ حَتَّى يَتَجَاوَزَهُ الْحَجَرُ . وَهُوَ يَضَعُ وَكْرَهُ عَلَى الْجَادَّةِ رَغْبَةً فِي الْأُنْسِ بِالنَّاسِ .



وَأَمَّا حَسُونٌ — وَتُسَمِّيهِ أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ "أُمُّ الْحَسَنِ" وَالْمَصْرِيُّونَ "السَّقَايَةُ" لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ فِي الْقَفْصِ آسَتْقَى الْمَاءَ مِنْ إِنَاءٍ بَالَةٍ لَطِيفَةٍ يُوضَعُ لَهُ فِيهَا خَيْطٌ ، فَتَرَاهُ يَرْفَعُ الْخَيْطَ بِإِحْدَى رِجْلَيْهِ وَيَضَعُهُ تَحْتَ رِجْلِهِ الْأُخْرَى حَتَّى يَصِلَ إِلَيْهِ ذَلِكَ الْإِنَاءَ اللَّطِيفَ فَيَشْرَبُ مِنْهُ . وَهُوَ ذُو أَلْوَانٍ حَسَنَةٍ التَّرْكِيبِ وَالتَّأْلِيفِ مِنَ الْحُمْرَةِ وَالصَّفْرِ وَالسَّوَادِ وَالْبَيَاضِ وَالْخَضْرَاءِ وَالزَّرْقَةِ . وَلَهُ صَوْتُ حَسَنٌ مُطْرَبٌ . وَوَصَفَهُ أَبُو هَلَالٍ الْعَسْكَرِيُّ فَقَالَ :

وَمُفْتَنَّةُ الْأَلْوَانِ بَيِضُ وَجُوهِهَا * وَنَمْرٌ تَرَاقِيهَا وَصَفَرٌ جُنُوبُهَا
كَأَنَّ دَرَارِيْعًا عَلَيْهَا قَصِيرَةً * مَرْقَعَةً أُعْطِفُهَا وَجُيُوبُهَا

(١) فِي الْأَصْلَيْنِ : «... مِنْ إِنَاءٍ إِلَى إِنَاءٍ بِأَلَةٍ ... الخ» . وَعِبَارَةٌ مَبَاهِجُ الْفِكْرِ : « وَرَبَّمَا عِلْمُ اسْتِقَاءِ الْمَاءِ مِنْ إِنَاءٍ بِأَلَةٍ لَطِيفَةٍ ، يَطْبِقُ حَمْلَهَا دَبَرَتْ لَهُ » .

(٢) كَذَا فِي مَبَاهِجِ الْفِكْرِ . وَفِي الْأَصْلَيْنِ : « مُوَافِيهَا » ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) الدَّرَارِيْعُ : جَمْعُ دِرَاعَةٍ ، وَهِيَ جَبَّةٌ مَشْقُوقَةٌ الْمَقْدَمِ .



وأما البُلبُل — وهو "العندليب"، وتُسميه أهل المدينة "النُّغْر"،
وهو طائرٌ أغبرُ الرأس لطيف القَدِّ، مأواه الشجرُ.

قال الجاحظ : البلبُل موصوفٌ بحسن الصوتِ والحنجرة . ومن شأنه إذا
كان غير حاذقٍ أن يطارحه إنسانٌ بشكلِ صوته ، فيتدرب ويتعلم ويحسن صوته .
وقد وصف أبو هلال العسكري البلبُل فقال :

مررتُ بدُكْنِ القُميصِ سُودِ العمام * تُغْنِي على أطرافِ غِيَدِ نواعِمِ
زُهَيْنٍ بأصداغِ تَرُوقِ كأنَّها * نجومٌ على أعضادِ أسودَ فاحِمِ
تَرى ذهبًا منهمٍ تحتَ مَآخِرٍ * لها ولجَنِينَا نُطْنَه بالقَوَادِمِ

وقال آخر :

كيف أُلْحَى وقد خَلَعْتُ على اللهـ * وعِذارى وقد هَتَكْتُ قِنَاعِي
وتعَشَّقْتُ بلبلاً أنا منه * في آنزاعٍ إلى الصَّبا والتَّيَاعِ
أنا من ريشه المديحِ في زَهـ * يرُومِن شَجْوِ صوته في سماعِ

(١٢٨)

ومن رسالة ذكرها العباد الأصفهاني الكاتب في الخريدة ، وهي لبعض فضلاء
أصبهان ، ذكر فيها وصفَ الرِّياض ومفاخرةَ الرِّياحين ، وفضلَ فيها الورد ، وأنتهى
بعد ذكر الورد إلى وصف البلبُل ، فقال :

(١) كذا في مباحج الفكر . وفي الأصلين : « ومن شأنه أنه إذا ... الخ » بزيادة كلمة « أنه »
ولا يستقيم بها الكلام .

(٢) كذا في مباحج الفكر . وفي الأصلين : « واتباع » .

«فلما أرتفع صدرُ النهار، وأنقطع جدالُ الأزهار، سَمِعَ من خَلالِ الحديقة زُقْزُقَةً^(٢)
عَنْدَلِيبٍ، قد آتخذ وَكْرًا على حاشية قَلِيبٍ^(٣)، كان يستتر به عن الجمع، ويجعله دريئةً
لأستراق السَّمْعِ . وحين أتقن ما وعاه، وأودعه سمعه وأرعاه^(٤)، انتحى غُصْنًا رطيبًا،
فأوفى عليه خطيبًا، ثم قال : يا فتنة الخَلِيقَةِ، لقد جئتِ بالشَّعَاءِ الفَلِيقَةِ^(٥)، وربَّ
بَسْمٍ أَسْتَحَالُ أَحْتَدَامًا، ولن تَعْدَمَ الحُسْنَاءُ ذامًا . إلامَ تَرُفَلُ في دَلَالِ زَهْوِكَ، وتغفل
عن رذائل سهوك ! وحتامَ نَتِيهِ على الأكفاء والأقران، كأنك أنت صاحب القرآن !
ألسْتَ من تُحِبُّكَ بنفسك، وأسترابتك بأبناء جنسك، لا تزال مشتغلًا شَوْك الغصون،
معتصمًا منها بأشباه المعازل والحصون ! . لكك متى آنقضى مَهَبُ الشَّمالِ، وعدل عن
اليمن إلى الشَّمالِ، خيف عليك نَفْحُ الإحراق، وتعرَّيت من حُللِ الأوراق، وأصبحت
للأرض فراشًا، وتلعب بك الهواء فعدت فراشًا . ثم ما قدر جَوْرَتِكَ حتى تجور !
وهل ينتج حضوره إلا الفجور ! . هذا إذا كنتم على الأصل الثابت، وعرفتم في أكرم
المغارس والمنابت، فكيف وأتم بين رَمَلٍ وَجَبَلٍ^(٦)، ونَهْجُورٍ^(٧) أو تيهورى . وهب
أنك ورهطك تفرَّدتم بمأيلة القُدود، وتوحدتم بمشابهة الحدود، وصرتم درر البحور،
وعلَّقتم على الجباه والنحور، وتحولتم جَمَانًا ومَرَجَانًا، وحلَّيتم مناطق وتيجانًا، أقدرتم على

(١) في الأصلين : « حلك الحديقة » ، وهو تحريف .

(٢) الزُقْزُقَةُ : صدح الطائر عند الصبح . وقد وردت هذه الكلمة في أ : « زهرهته » وفي ب :

« زهرهقه » . ولعلها محرفة عما أثبتناه .

(٣) القليب : البئر . والحاشية : الجانب .

(٤) في الأصلين : « وأدعاه » .

(٥) الفليقة : الأمر العجب والداهية . وفي الأصلين : « القليقة » بالقاف ، وهو تصحيف .

(٦) لعلها « حضورك » .

(٧) النهبور : واحد النهابير ، وهي جبال رمال مشرفة . والتهبور من الرمل : ماله جُرف .

(٨) في الأصلين : « واتحدتم » ، وهو لا يستقيم به الكلام .

(١) مباراة الشَّحَارِيرِ، ومجَاراة القَمَارِي النَّحَارِيرِ! أم ملكتم تَهْيِجَ البَلَابِلِ، قبل أصوات
 البَلَابِلِ! أم وجدتم سَبِيلًا إلى ولوج القلوب والأسماع، وَاَتَّخَذَ الطَّرَبَ وَالسَّمَاعَ؟! (٢)
 هِيَهَات هِيَهَات، بَعْدَ عَنْكُمْ مَا فَاتَ! بل نحن ذوات الأَطْوَاقِ، وبنات الغُصُونِ
 والأوراقِ، إِنَّمَا يَكْمُلُ صَيِّتُكُمْ بَنَغَمَاتُ أَصْوَاتِنَا، وَيَزْهَوُ غَنَائُكُمْ بِصَحَّةِ غَنَائِنَا، وَيَحْسُنُ
 تَمَائِلُ دَوْحِكُمْ بِتَرْتَمِنَا وَنَوْحِنَا، وَيُرْوِقُ غَدِيرُكُمْ بِهَدِيرِنَا، وَيَشْشُوقُ تَهْدِيلُكُمْ بِهَدِيلِنَا. (٣)
 لم تَزَالُوا حَمَلَةً أَثْقَالًا، وَمُهِودَ أَطْفَالِنَا، وَجِيَادَ شُجْعَانِنَا، وَمَنَابِرَ خُطْبَائِنَا. فُرُوعُكُمْ
 مَحْطٌ أَرْحَلُنَا، وَرَعْوُكُمْ مَسَاقِطُ أَرْجَلِنَا. إِذَا أَوْفَى مُطَرِّبُنَا عَلَى عُدِّهِ، وَعَبَثَ
 بِمَلَوَى عُدِّهِ، وَشَدَّ الْمَثَالِثَ وَالْمِثَالِي، شَدَّ الثَّقِيلِينَ الْأَوَّلَ وَالثَّانِي، فَقَدْ أَحْيَا بِاللَّحْنِ
 الْأَيَّكِي، وَبَدَّ يَحْيِي الْمَلَكِي، وَأَعَادَ إِبْرَاهِيمَ، كَحَاطِبِ اللَّيْلِ الْبَهِيمِ، وَخَرَقَ لَهُ أَثْوَابَ (٤)
 (٥) (٦) (٧)

- ١٠ (١) الشَّحَارِيرِ : جمع شحرور، وهو طائر أسود فوق العصفور يصوت أصواتا .
 (٢) البَلَابِلِ : الأشجان .
 (٣) لعل الصواب فيها : « وإيجاد الطرب... » فإنها أنسب بالمقام .
 (٤) كذا بالأصلين . ولعلها محرفة عن : « تهويلكم » . والتهويل : ما يعلو الرياض من نورها
 وأزاهيرها من بين أصفر وأحمر وأبيض وأخضر . ويجمع على تهويل . ويحتمل أيضا أن يكون صوابه :
 « ويشوق تهديلكم » . وتهديل الشجر : تدلى أغصانه وثمره .
 ١٥ (٥) دويحي بن مرزوق . ولي بن أمية ، وكان يكتم ذلك لخدمته الخلفاء من بنى العباس خوفا من أن
 يجنبوه ويحتشموه ؛ فاذا سئل عن ولائه انتهى إلى قريش ولم يذكر البطن الذي ولاؤهم واستعفى من سألته
 عن ذلك . ويكنى أبا عثمان ، عمّر مائة وعشرين سنة ، وأصاب بالغناء ما لم يصبه أحد من نظرائه .
 (راجع ترجمته في الأغاني ج ٦ ص ١٦ — ٢٤ طبع بولاق) .
 ٢٠ (٦) هو إبراهيم الموصلي المغني المعروف . (راجع ترجمته في الأغاني ج ٥ ص ١٥٤ — ٢٦٧ طبع
 دار الكتب المصرية) .
 (٧) كذا في الأصلين . ولعل صوابه : « وخرق له الأثواب مخارق... الخ » .

(١) مُخَارِقَ طَرَبًا وحسداً، ولم يَسَلِّمْ منه سُلَيْمٌ غِيظًا وكَمَدًا، وأخذ قلبَ ابنِ جامعٍ بجامعه،
وطوقه من الإقرار غَلًّا بجامعه، حتى كأنه بصحّة ضربه وإتقان أوتاره، يطلب
عندهم قديمَ أحقادِهِ وأوتاره .

(٢) فَهِيَ تُصَيِّ الْأَبْصَارَ لَوْنًا قَرِيبًا * وَتَسِرُّ الْأَسْمَاعَ ضَرْبًا بَعِيدًا
خَضَبَ الْكَفِّ مِنْ دَمِ الْقَلْبِ وَأَبْتَزُّ سُوَيْدَاءَهُ فَطَوَّقَ جِيدًا
أَعْجَمِيَّ اللِّسَانَ مُسْتَعْرِبُ اللَّهِ * نَ يَعِيدُ الْخَلِيَّ صَبًا عَمِيدًا
كُلَّ وَقْتٍ تَرَاهُ مِنْ فَرَطٍ شَجْوٍ * مُظْهِرًا فِي الْغِنَاءِ لَحْنًا جَدِيدًا
تَارَةً يَجْعَلُ النَّشِيدَ بَسِيطًا * وَيُعِيدُ الْبَسِيطَ طَوْرًا نَشِيدًا
مَعْبَدٌ لَوْ رَأَاهُ أَصْبَحَ عَبْدًا * وَلَيْدٌ أَمْسَى لَدَيْهِ بَلِيدًا
ضَلَّ عَنْ إلفِهِ وَأَقْلَقَهُ الْوَجْ * مُدُ فَامْسَى بِكَأُوهِ تَغْرِيدًا

(١) هو مخارق بن يحيى الجزار المغنى المشهور . كان أبوه جزارا مملوكا لعاتكة بنت شهدة ، وهى من
المغنيات المحسنات المتقدمات فى الضرب . وكان مخارق وهو صبي ينادى على ما يبيعه أبوه من اللحم . فلما بان
طيب صوته علمته مولاته طرفا من الغناء ، ثم أرادت بيعه فاشتراه إبراهيم الموصلى منها وأهداه للفضل
ابن يحيى ، فأخذه الرشيد منه ثم أعتقه . وكانت له مكانته العظيمة فى الغناء وعند الرشيد . وكناه الرشيد
أبا المهنأ . (راجع الأغاني ج ٢١ ص ٢٢٠ — ٢٤٩ طبع أوربا) :

(٢) هو سليم بن سلام الكوفى ، ويكنى أبا عبد الله ، وكان حسن الوجه حسن الصوت ، انقطع الى
إبراهيم الموصلى قال اليه وعلمه وناصحته . (راجع ترجمته فى الأغاني ج ٦ ص ١٢ — ١٥ طبع بولاق) .
(٣) هو أبو القاسم إسماعيل بن جامع ، وهو من قریش . وكان أحفظ خلق الله لكتاب الله ، وكان
مغنيا مجيدا . قال : لولا أن القمار وحب الكلاب قد شغلانى لترك المغنين لا يأكلون الخبز . وكان إبراهيم
ابن المهدي يفضلّه فلا يقدم عليه أحدا . (راجع ترجمته فى الأغاني ج ٦ ص ٦٨ — ٩١ طبع بولاق) .
(٤) كذا فى الأصلين . ولعله : « فهو يصي الأبصار لونا قريبا * ويسراخ » وأول الكلام
وآخره مرجح ذلك .

(٥) قد تكون هذه الكلمة محرفة عن « عبيد » . وعبيد اسم ابن سريج المغنى المشهور ؛ فإن المقام
مقام غناء وسجع ، وليد كان شاعرا .

لو عارض الخليل^(١) في عروضه لبكتته ، أو ناظر آبن السكيت^(٢) في إصلاحه لسكتته ،
أو جادل الفارسي^(٣) لفَرسه وجَدَله ، أو نازل الكوفي^(٤) لَأَكْفَاه عن رُتبته وأنزله .

- ٥ (١) هو الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم ، أول من استخرج العروض وحصر أشعار العرب بها ،
وكان آية في الذكاء . وهو أستاذ سيويه والأصمعي والنضربن شبل . توفي سنة ١٧٥ هـ . (راجع
ترجمته في بغية الوعاة للسيوطي ووفيات الأعيان لابن خلكان) .
- (٢) هو يعقوب بن إسحاق المعروف بابن السكيت ، كان عالماً بنحو الكوفيين وعلم القرآن واللغة
والشعر ، وله تصانيف كثيرة ذكرها ابن النديم في الفهرست ، ومنها كتاب « إصلاح المنطق » . توفي
في رجب سنة ٢٤٤ هـ . (راجع ترجمته في بغية الوعاة للسيوطي وفهرست ابن النديم) .
- ١٠ (٣) هو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار أبو علي الفارسي واحد زمانه في علم العربية ، كان أعلم من المبرد
وهو أستاذ ابن جني . توفي ببغداد سنة ٣٧٧ هـ . (راجع ترجمته في بغية الوعاة للسيوطي) .
- (٤) لعله يريد إسحاق بن مرار أبا عمرو الشيباني الكوفي راوية أهل بغداد ، كان واسع العلم باللغة
والشعر . توفي سنة ٢٠٦ هـ . (راجع ترجمته في بغية الوعاة للسيوطي) .

الباب الرابع من القسم الخامس

من الفن الثالث في بُغَاث الطير

ويشتمل هذا الباب على ما قيل في القُمرى، والدُّبِّي، والورشان، والفواخت والشُّفنين، واليعتبط، والنَّواح، والقَطَا، واليَمَام وأصنافه، والبَّغَاء . وهذه الأصناف قد عدّها أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ أو أكثرها في الحمام، فقال : الحمام وَحْشِيٌّ، وأَهْلِيٌّ، وبيوتِي، وطُورَانِي . وكل طائر يُعرف بالنَّواح وحسن الصَّوت والدَّعاء والترجيع فهو حَمَام وإن خالف بعضه بعضًا في الصُّورة واللون وفي بعض النُّوح ولحن الهديل .

قال : وزعم أفليمون صاحبُ الفِرَاسة أن الحمام يُتخذ لضروب، منها ما يُتخذ للأنس والنساء والبيوت، ومنها ما يُتخذ للفراخ، ومنها ما يتخذ للزَّجال والسِّبَاق . والزَّجال : إرسال الحمام الهَوَادِي . ثم ذكر من أوصاف الحمام وما فيه من ضروب المعرفة والمنافع ما نُورده عند ذكرنا للحمام المشتهر بهذه التَّسمية، وهو الذي أشار الجاحظ إليه . فلنذكر تفصيل ما قدّمناه من هذه الأصناف، فنقول وبالله التوفيق :

(١) كان فاضلا كبيرا عالما في فن من فنون الطبيعة وكان معاصرا لبقراط . قال القفطى : وأظنه شامئ الدار . وكان خبيرا بالفِرَاسة عالما بها ، إذا رأى الشخص وتركبه أستدل بتركبه على أخلاقه ؛ وله في ذلك تصنيف مشهور خرج من اليونانية إلى العربية ، وهو كتاب الفِرَاسة . (راجع تاريخ الحكماء للقفطى ص ٦٠ طبع أوربا وفهرست ابن النديم) .

(٢) أورد الجاحظ في باب الحمام في غير هذا الموضع عن أفليمون قال : اجعل حمام النساء المسرولات العظام الحسان ذوات الاختيال والتبختر والهدير . ثم ساق هو بعد ذلك قصة لرجل علق فتاة فتزوجها فامتنعت عليه فشكا ذلك لبعض معارفه فأشار عليه أن يتخذ لها حماما بحيث تراه ، ففعل فإزال الحمام يثيرها بغزله ومطاعته وتشكله حتى أجابت . (انظر ج ٣ ص ٨٣ - ٨٩ من كتاب الحيوان) .



أَمَّا الْقُمْرَى وَمَا قِيلَ فِيهِ — فَقَدْ قَالُوا : إِنَّمَا سُمِّيَ الْقُمْرَى بِهَذِهِ التَّسْمِيَةِ لِبَيَاضِهِ ، وَالْأَقْمَرُ : الْأَبْيَضُ . وَحِكَايَةُ صَوْتِهِ تَشْبَهُ ضَحْكَ الْإِنْسَانِ . وَهُوَ شَدِيدُ الْمَوَدَّةِ وَالرَّحْمَةِ . أَمَّا مَوَدَّتُهُ فَإِنَّهُ يُفَرِّخُ عَلَى فَنٍّ مِنْ أَفْنَانِ شَجَرَةٍ عَلَيْهَا أُعْشَاشُ لِأَبْنَاءِ جَنْسِهِ ، فَيُصَابِحُهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ . وَأَمَّا رَحْمَتُهُ فَإِنَّهُ يَرْبِّي وَلَدَهُ وَيَعْفَى عَنْ أَثْنَاءِ مَا دَامَ وَلَدُهُ صَغِيرًا . وَمِنْ عَادَتِهِ أَنَّهُ يَعْمَلُ عُسَّةً فِي طَرْفِ فَنٍّ دَائِمٍ آلَاهُ تَرَاوُحًا ، احْتِرَازًا عَلَى فَرْخِهِ لئَلَّا يَسْعَى إِلَيْهِ مِنَ الْحَيَوَانِ الْمَاشِي مَا يَقْتُلُهُ .

وَقَالَ أَبُو الْفَتْحِ كُشَايِمٌ ^(١) [يَصِفُهُ مِنْ أَبْيَاتِ رِثَائِهِ بِهَا أَوَّلَهَا] :

وَمَطْوَقٍ مِنْ حَسَنِ صَنْعَةِ رَبِّهِ * طَوْقَيْنِ خِلْتُهُمَا مِنَ النُّوَارِ ^(٢)

[مِنْهَا ^(١) :]

١٠

لَهْفِي عَلَى الْقُمْرَى لَهْفًا دَائِمًا * يَكْوِي الْحَشَا بِجَوَى كُلِّ ذَعِ النَّارِ
لَوْنُ الْغَمَامَةِ لَوْنُهُ وَمُنَاسِبٌ * فِي خَلْقِهِ الْأَقْلَامَ بِالْمُنْقَارِ



وَأَمَّا الدُّبْسَى وَمَا قِيلَ فِيهِ — وَإِنَّمَا سُمِّيَ الدُّبْسَى بِذَلِكَ لِلْوَنَةِ ، لِأَنَّ الدُّبْسَةَ حَمْرَةٌ فِي سَوَادٍ . قَالُوا : وَالْدُّبْسَى أَصْنَافٌ مِنْهَا الْمَصْرَى ، وَالْمُجَازَى ، وَالْعِرَاقَى . وَأَنْفَرُ هَذِهِ الْأَصْنَافِ الْمَصْرَى ^(١) [وَلَوْنُهُ الدَّكْنَةُ] . وَهُوَ لَا يُرَى سَاقِطًا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ ، بَلْ لَهُ فِي الشِّتَاءِ مَشْتَى ، وَفِي الصَّيْفِ مَصِيفٌ ^(٣) . وَلَا يُعْرَفُ لَهُ وَكْرٌ .

(١) زيادة عن مباحج الفكر .

(٢) يحتمل أيضا أنه « صبغة ربه » .

(٣) كذا في مباحج الفكر . وفي الأصلين : « ذكر » ، وهو تحريف .

٢٠



وأما الورشَانُ وما قيل فيه — والورشان أصناف منها النوبيّ وهو
ورشان أسود؛ ومنها الحجازيّ . والنوبيّ أشجأها صوتاً . وهذا الطائر يوصف
بالحنوّ على أولاده، حتى إنه ربما قتل نفسه إذا رآها في يد القانص .^(١)

وقال أبو بكر الصنوبريّ فيه :

أنا في نزهتين من بستانيّ * حين أخلوبه ومن ورشان^(٢)
طائر قلب من يغنيه أولى * منه عند الغناء بالطيران
مسمع يودع المسامع ما شا * عت وما لم تشأ من الألحان^(٣)
في رداء من سوسن وقميص * زرّته عليه تشرينان^(٤)
قد تغشى لون السماء قرأه * وتراءى في جيده الفرقدان^(٥)



وأما الفواخيتُ وما قيل فيها — والفواختُ عراقيةٌ ليست حجازيةً .
وفيهما فصاحةٌ وحسنُ صوت . وفي طبعها أنها تأنس بالناس ، وتعشش في الدور .

(١) في ١ : « في أيدي الناس » .

(٢) كذا في مباحج الفكر . وفي الأصلين : « بستان » بدون ياء .

(٣) كذا في مباحج الفكر . وفي الأصلين : « سمع » ، وهو تحريف .

(٤) كذا في الأصلين . وفي مباحج الفكر : « وزرته عليه بسرمتان » . ولم نوفق مع البحث الى

مانظمين الى أنه الصواب .

(٥) كذا في مباحج الفكر . والقرا : الظهر . وفي الأصلين : « تراه » .

والعرب تضرب بها في الكذب المشل ، فيقولون : « أ كذب من فاختة » ، فإن
حكاية صوتها عندهم : « هذا أوان الرطب » . قال شاعر :

(١٣٠)

أ كذب من فاختة * تقول وسط الكرب
والطلع لم يبد لنا * هذا أوان الرطب

وهو يعمر . وحكى أرسطو أن منه ما عاش أربعين سنة .

٥

وقال أبو هلال العسكري :

مررت بمطراب الغداة كأنها * تعل من الإشراق راحاً مقللاً
منيرة كدراء تحسب أنها * تجلل من جلد السحاب مفصلاً^(١)
بدت تجتلي للعين طوقاً ممسكاً * وطرفاً كما تنو الغزالة أكللاً
لها ذنب وافي الجوانب مثلما * تقشر^(٢) طلعا أو تجرد منصلاً
إذا حلفت في الجوخلت جناحها^(٣) * يرد صفيراً أو يحرك جلجلاً

١٠

* *

وأما الشفنين وما قيل فيه — والشفنين من الطير التي تترنم ؛ وصوته
في ترنمه يشبه صوت الرباب . وفي طبعه أنه إذا فقد أنثاه لم يزل أعزب^(٤) ، يأوى الى
بعض فراخه حتى يموت ؛ وكذلك الأنثى إذا فقدت الذكر . وهو متى سمن سقط
رئيسه وأمتنع من السفاد ؛ فهو لذلك لا يشبع . وهو طائر يؤثر العزلة^(٥) .

١٥

(١) كذا في ديوان المعاني لأبي هلال العسكري في الكلام على الطير . وفي الأصلين : « السحابة » ،

وهو تحريف . (٢) كذا في ديوان المعاني . وقد جاءت في الأصلين محرفة .

(٣) كذا في ديوان المعاني . وفي الأصلين : « صياحها » . (٤) في اللسان (مادة

عزب) : رجل عزب ومعزابة : لا أهل له . ثم قال : « ولا يقال رجل أعزب ، وأجازه بعضهم » .

٢٠

(٥) كذا في مباحج الفكر . وفي أ : « يورث » وهو تحريف . ولم ترد في ب .



وأما اليعتبط وما قيل فيه — وإنما سمي اليعتبط بهذه التسمية لصوته ،
وهو شريف في طيور الحجاز . وحاله حال القمرى ، ولكنه أحر منه مزاجاً وأعلى
صوتاً . قال كشاجم :

وناطق لم يخش في النطق غلط * ما قال شيئاً قط إلا يعتبط

٥



وأما التّواح وما قيل فيه — والنّواح : طائر كالقمرى ، وحاله كحاله ،
إلا أنه أحر منه مزاجاً وأرطب وأدمت^(١) وأشرف . قالوا : يكاد التّواح يكون للأطيار
الدمية ما يكا ، وهو يهيجها إلى التصويت لأنه أشجهاها صوتاً ، وجميعها تهوى استماع
صوته . وهو أيضاً يستره استماع صوت نفسه . والله أعلم بالصواب .

١٠



وأما القطا وما قيل فيه — والقطا نوعان : « كدرى » و « جُونى » .
والكدرية غبر الألوان ، رُقش الظهور والبطون ، صفر الحلق ، قصار الأذنان ؛
وهي ألطف من الجُون . والجونية سود بطون الأجنحة والقواديم بيض اللبان^(٢)
وفيه طوقان أسود وأصفر ، وظهورها غبر رُقش تعلوها صفرة . وتسمى الجونية^(٣)
غتماً ، لأنها لا تفصح بصوتها إذا صوتت إنما تغرغر بصوت في حلقها . والكدرية
فصيحة تنادى بأسمها تقول : قَطَا قَطَا ؛ ولهذا يضرب بها المثل في الصدق .

١٥

(١) كذا في مباحج الفكر . وفي الأصلين : « أترف » .

(٢) في الأصلين : « اللبات » .

(٣) الغتمة (بالضم) : العجمة في المنطق .

٢٠

وتُوصف القطا بحسن المشى لِتَقَارُبِ خُطَاها . والعرب تشبّه مشى النساء الخفّرات
بمشيها إذا أرادوا مدحهن . قال شاعر يصف القطاة — وأختلِف في الشاعر
من هو، فقيل : هو [أوس بن^(١)] غَلَفَاءَ الهُجَيْمِيّ، وقيل : مُزَاحِمَ العُقَيْلِيّ، وقيل :
العباس بن يزيد بن الأسود الكِنْدِيّ، وقيل : العُجَيْرُ السُّلُولِيّ، وقيل : عمرو بن
[عقيل بن الحجاج الهُجَيْمِيّ] ، قال أبو الفرج الأصفهانيّ : وهو أصحّ الأقوال — : ٥

أَمَّا الْقَطَاةُ فَلِأَنِّي سَوْفَ أَنْعَتَهَا * نَعْتًا يُوَافِقُ نَعْتِي بَعْضَ مَا فِيهَا
سَكَاةٌ مَخْطُوبَةٌ فِي رِيشِهَا طَرَقُ^(٢) * سُودٌ قَوَادِمُهَا صُهْبٌ خَوَافِهَا^(٣)
مِنْقَارُهَا كَنَوَاةُ الْقَسْبِ قَلَمُهَا * بِمَرَدٍ حَازِقُ الْكَفِّينَ بَارِيهَا^(٤)
تَمْشِي كَمْشِي فَتَاةٍ الْحَيِّ مُسْرِعَةً * حِذَارُ قَوْمٍ إِلَى سِتْرِ يُوَارِيهَا^(٥)
تَسْقِي الْفِرَاحَ بِأَفْوَاهٍ مَرَقَّةٍ * مِثْلَ الْقَوَارِيرِ سُدَّتْ مِنْ أَعَالِيهَا^(٦)
كَأَنَّ هَيْدَبَةً مِنْ فَوْقِ جُوجُجِهَا * أَوْ جِرْوَ حَنْظَلَةٍ لَمْ يَعُدْ رَامِيهَا^(٧)^(٨)

وقال إبراهيم بن خفاجة الأندلسيّ :

وَلَرُبَّ طَيَّارٍ خَفِيفٍ قَدْ جَرَى * فَشَلَا بِجَارٍ خَلْفَهُ طَيَّارٍ

- (١) التكملة عن الأغاني (ج ٧ ص ١٥٨ طبع بولاق) .
(٢) السكك : صغر الأذن واصوقها بالرأس ، يقال للقطاة : سكاء لأنه لا أذن لها .
(٣) في الأصلين : «مخطومة» بالميم ، ولعله محرف عما أثبتناه . والخطبة : لون يضرب إلى الكدرة
مشرب حمرة في صفرة كلون الحنظلة الخطباء قبل أن تيبس وكلون بعض الجمر الوحشية .
(٤) طرق الريش : أن يغطي الريش الأعلى منه الأسفل .
(٥) القسب : التمر اليابس الصلب النواة .
(٦) الهيدب : نحل الثوب وهديه واحده هيدبة .
(٧) الجرو : الصغير من الحنظل .
(٨) كذا في الأغاني . وفي الأصلين : «واعيها» . قال في الأغاني : «أي لم يعد عليها فيكسرهما» .

من كل قاصرة الخطا مُختالة * مشى الفتاة تجرُّ فضل إزار
مخضوبة المنقار تحسب أنها * كَرَعَتْ على ظمإٍ بكأس عَقَارِ
لا تستقر بها الأيادي خشيةً * من ليل وَيْلٍ أو نهارِ بَوَارِ

وقال المزار أو العكب التغليّ (٢) — وهي أجود قصيدة قِيَلَتْ في القطا — :

بلاد مَرَوْرَاةٍ يَحَارِبُهَا القطا * ترى الفرخ في حافاتها يَتَحَرَّقُ
يَظَلُّ بها فرخ القطاة كأنه * يَتِيمٌ جفا عنه مَوَالِيهِ مُطَرِّقُ
بَدِيمُومَةٍ قد بات فيها وعينه * على مَرِهِ تَغْضِي مَرَاراً وترمُقُ
شبيهةً بلا شيء هنالك شخصه * يُوَارِيهِ قَيْضٌ حَوْلَهُ مُتَفَلِّقُ
له محجر ناب وعين مريضة * وَشِدْقٌ بمثل الزعفران مُحَلَّقُ
تُعَاجِيهِ كَحَلَاءِ المَدَامِجِ حَرَّةً * لها ذَنْبٌ سَاجٍ وَجِيدٌ مُطَوَّقُ

- (١) كذا في ديوانه (ص ٥٣ طبع مصر) . وفي الأصلين : « الأراحي » .
(٢) كذا في الحيوان للجاحظ (ج ٥ ص ٢٠٨ من النسخة الفوتوغرافية) . وفي الأصلين :
« أبو الغلب » . ولم نعر في المراجع التي بين أيدينا على مسمى بهذا الاسم . وقد صححنا هذه القصيدة عن
النسخة الفوتوغرافية والمطبوعة منه .

- (٣) في الأصلين : « ثلاث مرورات تجاذبها القطا » . والمروراة : المفازة التي لا شيء فيها .
(٤) في الأصلين : « تناجيه » بدل « جفا عنه » .
(٥) الديمومة : المفازة الدائمة البعد .
(٦) في الأصلين : « مرة » . ولعله مصحف عما أثبتناه . والمره : مرض في العين ترك الكحل .
(٧) القَيْض : قشرة البيضة العليا اليابسة ، وقيل : هي التي خرج فرخها أو ماؤها كله .
(٨) محجر العين : ما دار بها . وفي الأصلين : « عجز » ، وهو تحريف .
(٩) كذا في الحيوان النسخة الفوتوغرافية . من معاجاة الفصيل وهو أن يرضع بغير لبن أمه إذا
كان لا لبن لها أو ماتت أو إذا علته بشيء أو منعه اللبن وغذيته بالطعام . وفي الأصلين : « نعاجية »
وهو تصحيف . وفي النسخة المطبوعة من الحيوان : « تناجيه » .

(١) سَمَاكِةٌ كُذْرِيَّةٌ عَرْعَرِيَّةٌ * سَكَاكِةٌ عَفْرَاءٌ سَمْرَاءٌ عَسَلَقُ (٤)
 إِذَا غَادَرَتْهُ تَبَتَّغَى مَا يُعِيشُهُ * كَفَاهَا رَذَايَاهَا الرَّقِيعُ (٥) الْهَبْنَقُ
 غَدَتُ تَسْتَقِي مِنْ مَنَهْلٍ لَيْسَ دُونَهُ * مَسِيرَةُ شَهْرٍ لِلْقَطَا مُتَعَلِّقُ (٦)
 لَا زَغَبَ مَطْرُوحٍ بِجَوْزٍ تَنُوفَةٍ * تَلْطَى سُمُومًا قَيْظُهُ فَهُوَ أَوْرَقُ (٦)
 تَرَاهُ إِذَا أَمْسَى وَقَدْ كَادَ جِلْدُهُ * مِنَ الْحَرِّ عَنْ أَوْصَالِهِ يَتَمَزَّقُ (٧)
 غَدَتُ فَاسْتَقَلَّتْ ثُمَّ وَلَّتْ مُغِيرَةً * بِهَا حِينَ يَزْهَاهَا الْجَنَاحَانِ أَوْلَقُ (٧)
 تَيْمَمُ ضَخْضَا حَا مِنْ الْمَاءِ قَدْ بَدَتْ * دَعَا مَيْصُهُ فَا لِمَاءُ أُطْحَلُ (٨) أَطْرَقُ (٩) (١٠)
 فَلَمَّا أَتَتْهُ مُقَدَّرًا تَغَوُّثُ * تَغَوُّثٌ مَخْنُوقٌ فَتَطْفُو وَتَغْرَقُ (١١) (١٢)

(١) سَمَاكِة : نسبة إلى السماك . والسماك : كوكبان نيران يقال لأحدهما : السماك الراح ولا آخر :

السماك الأعزل .

١٠

(٢) عَرْعَرِيَّة : منسوبة إلى العرعر ، وهو شجر السرو ، فارسية .

(٣) السَكَاكِة : منسوبة إلى السكاكة كئامة . والسكاكة : الصغير الأذن ، وهي أيضا الهواء الملاق

عنان السماء . (٤) العسلق : الخفيف أو الطويل العنق .

(٥) كَذَا فِي اللِّسَانِ مَادَّةُ « هَبْنَق » . وَقَدْ نَسَبَ هَذَا الْبَيْتَ لَذِي الرِّمَّةِ ، وَلَكِنَّا لَمْ نَجِدْهُ فِي دِيْوَانِهِ .

١٥ وقال : قِيلَ : أَرَادَ بِالرَّقِيعِ الْهَبْنَقَ الْقَمْرِيَّ ، وَقِيلَ : بَلْ هُوَ الْكَرْوَانُ وَهُوَ يُوصَفُ بِالْحَمَقِ لِتَرْكِهِ بَيْضَهُ

وَاحْتِضَانَهُ بَيْضَ غَيْرِهِ . وَفِي الْأَصْلِينَ وَكُتَابُ الْحَيَوَانَ : « النَّجَاءُ الْهَبْنَقُ » .

(٦) الْوَرَقَةُ : سَوَادٌ فِي غُبْرَةٍ . (٧) الْأَوْلَقُ : الْجَنُونُ .

(٨) الدَّعَامِصُ جَمْعُ دَعْمَوْصٍ ، وَهُوَ دَوِيَّةٌ أَوْ دَوْدَةٌ سَوْدَاءُ تَكُونُ فِي الْغَدْرَانِ إِذَا نَسَّتْ ، وَقِيلَ :

دَوْدَةٌ لَهَا رَأْسَانُ تَرَاهَا فِي الْمَاءِ إِذَا قَلَّ .

٢٠ (٩) الطَّحْلَةُ : لَوْنٌ بَيْنَ الْغُبْرَةِ وَالْبَيَاضِ بِسَوَادٍ قَلِيلٍ كَلَوْنِ الرَّمَادِ .

(١٠) الطَّرَقُ : التَّرَاكِبُ .

(١١) الْمَقْدَحَرُّ فِي أَصْلٍ مَعْنَاهُ : الْمَتَّهِيُّ لِلْسَّبَابِ وَالشَّرِّ تَرَاهُ الدَّهْرُ مُنْتَفِخًا شَبَهَ الْغَضْبَانَ ، وَهُوَ بِالْدَّالِ

وَالذَّالِ جَمِيعًا . وَلَعَلَّهُ وَصَفَ الْمَاءَ بِهَذَا الْوَصْفِ عَلَى ضَرْبٍ مِنَ التَّجَوُّزِ لِثَوْرَانِهِ وَأَضْطْرَابِهِ .

(١٢) كَذَا فِي الْحَيَوَانَ . وَفِي الْأَصْلِينَ : « تَعَوَّبَتْ تَعَوَّبٌ » .

(١) تَجَرُّ وَتُلْقِي فِي سِقَاءٍ كَأَنَّهُ * مِنَ الْحَنْظَلِ الْعَامِي جَرُّو مَعْلَقُ
فَلَمَّا آرَتُوهُ مِنْ مَائِهَا لَمْ يَكُنْ لَهَا * أَنَاةٌ وَقَدْ كَادَتْ مِنَ الرَّيِّ تَبْصُقُ
طَمَتُ طَمُوءَةٌ صُعْدًا وَمَدَّتْ جِرَانَهَا * وَطَارَتْ كَمَا طَارَ الشَّهَابُ الْمُحَلَّقُ (٢)

ذكر شيء من الأوصاف والتشبيهات الشعرية الجامعة
لمجموع هذا النوع الذي ذكرناه

من ذلك قول بعض الشعراء :

وَقَبْلَ أَبْيَكِي كُلِّ مَنْ كَانَ ذَا هَوًى * هَتَفُ الْبَوَاكِى وَالْدِيَارِ الْبَلَاقِعُ
وَهَنْ عَلَى الْأَفْلَاقِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ (٤) * نَوَاحٍ مَا تَخْضَعُ لَهَا الْمَدَامِعُ
مُزَبَّجَةِ الْأَعْنَاقِ نُمُرٌ ظُهُورُهَا * مُخَطَّمَةٌ بِالْدَّرِّ خُضْرُ رَوَائِعِ
تَرَى طُرًّا بَيْنَ الْخَوَافِي كَأَنَّهَا * حَوَاشِي بُرُودِ زَيْتِهَا الْوَشَائِعُ
وَمَنْ قَطَعَ الْيَاقُوتَ صَيَغَتْ عَيُونُهَا * خَوَاضِبُ بِالْحِنَاءِ مِنْهَا الْأَصَابِعُ

وقال أبو الأسود الدؤلي من أبيات :

وَسَاجِعُ فِي فُرُوعِ الْأَيْكِ هَيَّجَنِي * لَمْ أُدْرِ لِمَ نَاحَ مِمَّا بِي وَلَمْ سَجَّعَا
أَبَايَا إِنْفَهَ مِنْ بَعْدِ فُرْقَتِهِ * أَمْ جَازَعًا لِلنَّوَى مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقَعَا
يَدْعُو حَمَامَتَهُ وَالطَّيْرُ هَاجِعَةٌ * فَمَا هَجَعْتُ لَهُ لَيْلًا وَلَا هَجَّعَا

(١) في الحيوان (النسخة الفوتوغرافية) : « تحير » . وليست إحدى الكلمتين بأولى من أختها

في اتساق النسيج .

(٢) طمت : ارتفعت .

(٣) كذا في الحيوان (النسخة الفوتوغرافية) . وفي الأصلين : « السحاب » .

(٤) الأفلاق : جمع فلق ، وهو المطنن من الأرض بين ربوتين .

(١) مَوْشَحٌ سُدُسًا خُضْرٌ مَنَّاكِبُهُ * تَرَى مِنَ الْمَسْكِ فِي أَذْيَالِهِ لُمَعًا
 لَهُ مِنَ الْآسِ طَوَّقٌ فَوْقَ لَبَتِهِ * مِنَ الْبَنَفْسَجِ وَالْخَيْرَى (٢) قَدْ جُمِعَا
 كَأَنَّمَا عَبٌ فِي مُسَوِّدٍ غَالِيَةٍ * وَحَلَّ مِنْ تَحْتِهِ الْكَافُورُ فَأَنْتَقَعَا (٣)
 كَأَنَّ عَيْنِيهِ مِنْ حَسَنِ أَصْفَرَارِهِمَا * فَصَّانٍ مِنْ حَجَرِ الْيَاقُوتِ قَدْ قُطِعَا
 كَأَنَّ رِجْلِيهِ مِنْ حَسَنِ أَحْمَرَارِهِمَا * مَا رَقَّ مِنْ شُعْبِ الْمَرْجَانِ فَأَتَّسَعَا
 شَكَ النَّوَى فَبَكَى خَوْفَ الْأَسَى فَرَمَى * بَيْنَ الْجَوَانِحِ مِنْ أَوْجَاعِهِ وَجَعَا
 وَالرَّيْحُ تَخَفُّضُهُ طَوْرًا وَتَرْفَعُهُ * طَوْرًا فَمِنْخَفُضًا يَدْعُو وَمَرْتَفِعَا
 كَأَنَّهُ رَاهِبٌ فِي رَأْسِ صَوْمَعَةٍ * يَتْلُو الزَّبُورَ وَنَجْمُ الصَّبْحِ قَدْ طَلَعَا
 (٥) وَقَالَ ابْنُ اللَّبَّانَةِ الْأَنْدَلُسِيُّ :

١٠ وَعَلَى فُرُوعِ الْأَيْكِ شَادٍ يَحْتَوِي * طَرَفِي لِأَخَرٍ تَحْتَوِيهِ الْأَضْلَعُ
 يَنْدَى لَهُ رَطْبُ الْهَوَاءِ فَيَغْتَدِي * وَيُظِلُّهُ وَرَقُ الْغُصُونِ فَيَهْجَعُ
 تَخِذَ الْأَرَاكِ أَرِيكَةً لِمَنَامِهِ * فَـلَهُ إِلَى الْأَسْحَارِ فِيهَا مَوْضِعُ
 حَتَّى إِذَا مَا هَزَّهْ نَفْسُ الصَّبَا * وَالصَّبْحُ هَزَّكَ مِنْهُ شَدُو مَبْدَعُ
 فَكَأَنَّمَا تِلْكَ الْأَرَاكَةُ مِنْبَرٌ * وَكَأَنَّهُ فِيهَا خَطِيبٌ مَضْعَعُ

- (١) كَذَا فِي مَبَاهِجِ الْفِكْرِ . وَفِي الْأَصْلَيْنِ : « مَوْشَحًا » .
 (٢) الْخَيْرَى : نَوْرٌ ، مَعْرَبٌ (عَنِ الْجَوْهَرِيِّ) . وَقَدْ شَرَحَ خَوَاصَهُ ابْنُ الْبَيْطَارِ فِي مَفْرَدَاتِهِ ، فَرَاجَعَهُ .
 (٣) فِي الْأَصْلَيْنِ : « غَبٌ » بِالغَيْنِ الْمَعْجَمَةِ . وَفِي مَبَاهِجِ الْفِكْرِ : « غَابٌ » .
 (٤) انْتَقَعَ الرَّجُلُ وَامْتَقَعَ وَابْتَقَعَ (عَلَى صِيغَةِ الْمَبْنِيِّ لِلْجَهُولِ) : تَغَيَّرَ لَوْنُهُ ، وَبِالْمِيمِ أَجُودٌ .
 (٥) هُوَ الْوَزِيرُ الْأَدِيبُ أَبُو بَكْرٍ بْنُ اللَّبَّانَةِ الدَّانِي أَحَدُ شُعْرَاءِ دَوْلَةِ الْمُعْتَمِدِ فِي الْأَنْدَلُسِ ، الْمُرْتَضِعِينَ
 دُرَرَهَا ، وَالْمُنْتَجِعِينَ دُرَرَهَا . وَكَانَ الْمُعْتَمِدُ — رَحِمَهُ اللَّهُ — يُمِيزُهُ بِالشُّفُوفِ وَالْإِحْسَانِ ، وَيَجُوزُهُ فِي فَرَسَانِ
 ٢٠ هَذَا الشَّانِ . (رَاجِعْ نَفْحَ الطَّيِّبِ ص ١٣٤ ، ٥٧٨ مِنْ الْمَجْلَدِ الثَّانِي طَبْعٌ أَوْ رِبَا) .

وقال بعض الأعراب ^(١) [يصف مطوقة] :

دَعَتْ فوق ساقٍ دعوةً لو تناولتُ * بها الصَّخْرَ من أعلى أَبَانٍ ^(٢) تَحَدَّرَا
تُبْكِي بعينٍ ليس تُذْرى دموعها * ولكنها تُذْرى الدموعَ تَذْكُرَا
مَحَلَّة طَوْقٍ ليس تَخْشى أَنْفصامه * إذا هم أن يَبْلَى يُجَدِّدَ آخَرَا
لَهَا ^(٣) وَشَحَّ دُونَ التَّرَاقِي وفوقها * وَصَدْرُ كَمَقُطُوفِ الْبَنْفَسَجِ أَخْضَرَا
تَنَازَعُهَا الْأَلْوَانُ ^(٤) شَتَّى صِقَالُهَا * بدا لَتَلَالِي الشمس فيه تحيرا ^(٥)

وقال شاعر أندلسي :

وما شاقني إلا أَبْنُ وَرَقَاءِ هَاتِفٍ * على فَنِّ بَيْنِ الجزيرة والجسير
مُفَتَّق طَوْقٍ لَا زوردي كُلِّكِلِي * مَوْشَى الطَّلَى أَحْوَى القوادِمِ والظهير
أدار على الياقوت أجفانَ لؤلؤٍ * وصاغ على الأجفان طوقاً من التبر
حديدُ شَبَابٍ المنقارِ دَاجٍ كأنه * شَبَابٌ قَلَمٍ من فِضَّةٍ مَدٍّ من حَبْرٍ
توسَّد من فرع الأراك أريكةً * ومال على طيِّ الجناح مع النحر
ولمَّا رأى دمي مُرَاقًا أرابه * بكائي فاستولى على الغصن النَّضِير
وَحَثَّ جناحيه وصفَّق طائرًا * فطار بقلبي حيث طار وما يَدْرِي

وقال آخر :

كَأَنَّ بَنَحْرَهَا والجيد منها * إذا ما أُمَكِنْتُ لِلنَّاطِرِينَ
مَخَطًّا كَانَ من قَلَمٍ لطيفٍ * نَخَطٌ بجيدها والنحرِ نُونَا

(١) زيادة عن مباحج الفكر .

(٢) أبان : جبل .

(٣) كذا في مباحج الفكر . وفي الأصلين : « له » .

(٤) في الأصلين ومباحج الفكر : « ألوان » .

(٥) كذا في الأصلين ومباحج الفكر ، ولعله محرف عن « محبرا » أي مزينا .

وقال آبن الرومي :

مُطَوَّقَةٌ تَبْكِي ولم أرَ بأكثَرًا * بدا ما بدا من شجوها لم يُسَلِّبْ^(١)

وقد أوردنا في باب الغزل والنسيب من هذا المعنى فيما قيل على لسان الورقاء ما يُستغنى عن تكراره .



وأما الحمامُ وأصنافُه وما وُصف به وما قيل فيه — فالعربُ تقول : إن هذه التسمية واقعة على النوع الذي تسميه عامة الناس الحمام، وهو أصنافٌ مختلفة الأشكال والألوان والأفعال، منها ”الرواعب“ و ”المراعيش“ و ”العداد“ و ”الميساق“ و ”الشَّداد“ و ”القلاب“ و ”الشَّقاق“ و ”المنسوب“ .



فأما الرواعبُ — وهو ألوان كثيرة . وزعم الجاحظ أنه تولد بين ورشانٍ ذكرٍ وحمامٍ أنثى، فأخذ من الأب الجثة ومن الأم الصوت، وفاته سرعة الطيران فلم يشبههما فيه، وله من عظم البدن وكثرة الفراخ والهديل والقرقرة ما ليس لأبويه، حتى صار ذلك سبباً للزيادة في ثمنه والحرص على اتخاذه .



وأما المراعيشُ — وهي تطير مرتفعة حتى تغيب عن النظر فترى في الحق كالنجم .

(١) سلَّبت المرأة : إذا لبست ثياب الحداد .



وأما العَدَاد — فهو طير ضخم ، قليل الطيران [كثير الفِراخ]^(١) .



وأما الميساق — وهو أضخم من العَدَاد وأنبـل ، ثـقيل الجسم لا يستطيع الطيران إلا قليلا .



وأما الشَّدَاد — فهو لا يلزم الطيران في الجو ، وله قوّة في جناحه [حتى يقال إنه ربما يكسر الجوّز به ، ولا يأتي من الغاية لبّله فيه]^(١) . وأصحاب الرّغبات في تربية هذا الصّنف يُلقونه على البصريّات فيخرج من بينهما حمام يُسمّى " المضرب " . يجتمع فيه هداية البصرى وشدة الشَّدَاد . والشَّدَاد يطير صُعْدًا حتى يرى كالنجم . وفي ذنبه إحدى وثلاثون ريشة .



وأما القَلَاب — فتسميه العراقيون " المَلّاح " ، وسمّى بذلك لتقلبه في طيرانه . والشَّقَاق^(٢) — وطيرانه تحويم^(٣) .



وأما المنسوب^(٣) — ويسميه العراقيون " الهوآدى " ، والمصريون يسمونه " البصاري " [يعنون البصرية]^(١) ، وهو بالنسبة إلى ما تقدّم ذكره كالعتاق من

(١) زيادة عن مباحج الفكر . (٢) تدل عبارة مباحج الفكر على أن العراقيين يسمون « القلاب »

« الملاح » و « الشقاق » وأن الشقاق ليس بضرب آخر . (٣) زاد في مباحج الفكر عند الكلام

على هذا الصنف من الحمام زيادات كثيرة عما هنا ، فراجعها . (٤) في مباحج الفكر : « والبصريون » .

الخيل ، وما عداه فيها كالبراذين . وفيها " العلوي " وهو الطُفُ جُرمًا وأسرعُ طيرانًا ، وهو يطلب وكره ولو أرسل من مسافة ألف فرسخ ، ويحملُ البطائق ويأتي بها من المسافة البعيدة في المدة القريبة . قالوا : وفيه ما يقطعُ ثلاثة آلاف فرسخ في يوم واحد . وسباعُ الطير تطلبه أشدُّ طلبٍ . وخوفه من الشاهين أشد من خوفه من غيره . وهو أطير منه ومن سباع الطير كلها ، لكنه يُدْعَر فيجهل بابَ المختص .
والمحمودُ منه ما وصفه الجاحظ عن أفليمون صاحبِ الفِراسة أنه قال :
جميعُ الفِراسة لا تخرجُ عن أربعة أوجه : أولها التقطيع ، والثاني المجسة ،
والثالث الشائل ، والرابع الحركة .

فأما التقطيع — فانتصابُ العُنُق والحَلْقَةِ ، وأستدارةُ الرأس من غير عَظْمٍ ولا صِغَرٍ ، وعِظْمُ القِرْطَمَتَيْنِ ونَقَاؤُهُمَا ، وَاَتْسَاعُ المَنْخَرَيْنِ ، وَأَنْهَرَاتُ الشَّدَقَيْنِ ،
وسَعَةُ الجوف ، ثم حسنُ خِلْقَةِ العينين مع توقدهما ، وقِصْرُ المِنْقَارِ في غير دِقَّةٍ ،
ثم اتساعُ الصدر ، وَاَمْتِلَاءُ الجُؤْجُؤِ ، وطولُ العُنُقِ ، وإشرافُ المَنْكَبَيْنِ ،
وَأَنْكماشُ الجناحين ، وطولُ القوادِمِ في غير إفراطٍ ، ولُحُوقُ بعض الخوافي ببعض ،
وصَلَابَةُ القَصَبِ في غير انتفاخ ولا يُبْسٍ ، وَاَجْتِمَاعُ الخَلْقِ في غير الجُعُودَةِ
والكَزَاةِ ، وعِظْمُ الفَخِذَيْنِ ، وقِصْرُ السَّاقَيْنِ والوِظِيفَيْنِ ، وَاَقْتِرَاقُ الأصابع ، وقِصْرُ
الذَّنْبِ وخَفَّتُهُ من غير تَفْنِينٍ وتَفْرِيقٍ ، ثم تَوَقُّدُ الحَدَقَتَيْنِ وَصَفَاءُ اللون . فهذه
علامة الفِراسة في التقطيع .

- (١) في الأصلين : « من » . (٢) القرطمتان : نقطتان على أصل منقار الحمام .
(٣) كز الشئ : يبس وأنقبض . (٤) في المخصص ومباهج الفكر : « وعظم الفخذين والساقين » .
(٥) من غير تفنين : من غير اختلاط . يقال : فتن الشئ إذا خلطه . وعبرة المخصص : « وقصر الذنب وخفته في غير تفريق من الريش ولا تفنين » . وقد أورد المخصص هذا الموضوع مع اختلاف يسير في بعض الكلمات فراجع (ج ٨ ص ١٧٠) طبع بولاق .

وأما علامة المحسنة — فوثاقة الخلق، وشدة اللحم، ومتانة العصب، وصلابة القصب، ولين الريش في غير رقة، وصلابة المنقار في غير دقة .

وأما علامة الشئال — فقلة الاختيال، وصفاء البصر، وثبات النظر، وشدة الحذر، وحسن التلفت، وقلة الرعدة عند الفرع، وخفة النهوض إذا طار، وترك المبادرة إذا لقط .

وأما علامة الحركة — فالطيران في علو، ومد العنق في سمو، وقلة الاضطراب في جو السماء، وضم الجناحين في الهواء، وتتابع الركض في غير اختلاط، وحسن القصد في غير دوران، وشدة المد في الطيران . فإذا أصبته جامعاً لهذه الصفات فهو الطائر الكامل .

(١٣٤)

وقد وصف الجاحظ الحمام في كتاب الحيوان وبسط فيه القول ووسع المجال . ونحن الآن نورد ملخص ما قاله فيه ، قال :

ومن مناقب الحمام حبه للناس وأنس الناس به ، وهو من الطير الميامين . وهو إذا علم الذكر منه أنه قد أودع رجم الأنثى ما يكون منه الولد ، تقدماً في إعداد العش ، ونقل القصب وشقق الخوص^(١) ، وأشباه ذلك من العידان الخوارة الدقاق ، حتى يعملوا أفخوصة وينسجوها نسجاً متداخلاً في الموضع الذي آتخذاه وأصطنعاه عشاً . يقدر جثمان الحمامة ، ثم أشخصاً لتلك الأفخوصة حروفاً غير مرتفعة لتحفظ البيض وتمنعه من التدحرج ، ولتلتزم كتفي الجوجو ، وتكون رفداً لصاحب الحزن ، وسنداً للبيض ، ثم يتعاونان ذلك المكان ويتعاقبان تلك الأفخوصة يسخنانها

(١) كذا في كتاب الحيوان (النسخة الفوتوغرافية) . وشقق : جمع شقة . وفي الأصلين وكتاب

الحيوان المطبوع : « وتشقق » .

(٢) الخوارة : الضعيفة الرخوة .

- (١) وَيُدْفِنَانِهَا وَيُطَيِّبَانِهَا وَيَنْفِيَانِ عَنْهَا طِبَاعَهَا الْأَوَّلَ وَيُجِدُّنِ لَهَا طَبِيعَةً أُخْرَى مُشْتَقَّةً مِنْ طِبَائِعِهِمَا وَمُسْتَخْرَجَةً مِنْ رَائِحَةِ أَبْدَانِهِمَا وَقَوَاهُمَا ، لَكِي تَقَعَ الْبَيْضَةُ إِذَا وَقَعَتْ فِي مَوْضِعٍ يَكُونُ أَشْبَهَ الْمَوَاضِعِ طِبَاعًا بِأَرْحَامِ الْحَمَامِ مَعَ الْحَضَانَةِ [وَالْوَثَارَةِ] (٢) ، كِي لَا تَنْكَسِرَ الْبَيْضَةُ بِيُسِّ الْمَوْضِعِ ، وَلَوْلَا تَنْكِرُ طِبَاعِهَا طِبَاعَ الْمَكَانِ ، وَلِيَكُونَ عَلَى مَقْدَارٍ مِنَ الْبَرْدِ وَالسَّخُونَةِ وَالرَّخَاوَةِ وَالصَّلَابَةِ . ثُمَّ إِنَّ ضَرْبَهَا الْمَخَاضُ وَطَرَقَتْ بِيَضُهَا ، بَدَرَتْ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي قَدْ أَعَدَّتْهُ وَتَحَامَلَتْ إِلَيْهِ ، إِلَّا أَنْ يَقْرَعَها رَعْدٌ قَاصِفٌ أَوْ رِيحٌ عَاصِفٌ فَإِنَّهَا رُبَّمَا رَمَتْ بِهَا دُونَ الْأُخُوصَةِ . وَالرَّعْدُ رُبَّمَا أَفْسَدَ الْبَيْضَ . فَإِذَا وَضَعَتِ الْبَيْضَ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ الَّذِي أَعَدَّاهُ لَا يَزَالَانِ يَتَعَاقَبَانِ الْحَضْنَ وَيَتَعَاوَرَانِهِ حَتَّى تَنْتَهِيَ أَيَّامُهُ وَيَتِمَّ مِيقَاتُهُ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَنْصَدِعُ الْبَيْضُ عَنِ الْفَرْخِ ، فَيُخْرِجُ عَارِيَّ الْجِلْدِ صَغِيرَ الْجَنَاحِ مُسْتَدَّ الْحُلُقُومِ ، فَيَعْلَمَانِ أَنَّهُ لَا يَتَّسِعُ حَلْقُهُ وَحَوْصَلَتُهُ لِلْغِذَاءِ ، فَلَا يَكُونُ لَهَا هَمٌّ إِلَّا أَنْ يَنْفُخَا فِي حَلْقِ الْفَرْخِ الرَّيْحَ لَتَتَّسِعَ الْحَوْصَلَةُ بَعْدَ اتِّحَامِهَا . ثُمَّ يَعْلَمَانِ أَنَّهُ وَإِنْ اتَّسَعَتِ الْحَوْصَلَةُ لَا يَحْمِلُ فِي أَوَّلِ آغْتِزَانِهِ أَنْ يُزَقَّ بِالطَّعْمِ ، فَيُزَقُّ بِاللَّعَابِ الْمُخْتَلِطِ بِقَوَاهُمَا وَقُوَى الطَّعْمِ . ثُمَّ يَعْلَمَانِ أَنَّ الْحَوْصَلَةَ تَضْعُفُ عَنْ آسْتِمَاءِ الْغِذَاءِ وَهَضْمِ الطَّعْمِ فَيَأْكُلَانِ مِنْ شُرُوجِ (٣) أَصُولِ الْحَيْطَانِ - وَهُوَ شَيْءٌ مِنَ الْمِلْحِ الْمَحْضِ وَالتَّرَابِ الْخَالِصِ ، وَهَذَا هُوَ السَّبْخُ - فَيُزَقَّانِهِ بِهِ . حَتَّى إِذَا عَلِمَا أَنَّهُ قَدْ آنَدَبُغَ وَأَشْتَدَّ زَقَاؤُهُ بِالْحَبِّ الَّذِي قَدْ غَبَّ فِي حَوَاصِلِهِمَا ، ثُمَّ يُزَقَّانِهِ بَعْدَ ذَلِكَ بِالْحَبِّ وَالْمَاءِ . حَتَّى إِذَا عَلِمَا أَنَّهُ قَدْ أَطَاقَ

(١) كَذَا فِي الْحَيَوَانَ لِلْجَاهِظِ . وَفِي الْأَصْلَيْنِ : « وَيُطَيِّنَانِهَا » بِالنُّونِ بَدَلِ الْبَاءِ الْمَوْحَدَةِ .

(٢) زِيَادَةٌ عَنْ كِتَابِ الْحَيَوَانَ .

(٣) الشُّرُوجُ : الشَّقُوقُ وَالصَّدُوعُ .

(٤) كَذَا فِي كِتَابِ الْحَيَوَانَ لِلْجَاهِظِ (ج ٣ ص ٤٧) طَبْعُ مِصْرَ . وَفِي الْأَصْلَيْنِ : « ائْدَفَعُ » .

اللَّقْطَ منعاه بعضَ المنع لِيَحْتَاجَ إِلَى اللَّقْطِ فَيَتَعَوَّدَهُ . فإذا علمنا أن إرادته قد تمت وأنه قد قَوِيَ عَلَى اللَّقْطِ وَبَلَغَ بِنَفْسِهِ مُنْتَهَى حَاجَتِهِ ، ضَرَبَاهُ إِذَا سَأَلَهَا الْكَفَايَةَ ، وَنَفْيَاهُ مَتَى رَجَعَ إِلَيْهِمَا ، وَتَنَتَرَعُ تِلْكَ الرَّحْمَةُ الْعَجِيبَةُ مِنْهُمَا وَيَنْسِيَانِ ذَلِكَ التَّعَطُّفَ . ثم يبتدئان العمل ثانياً على ذلك النظام وتلك المُقَدِّمَات . فسبحان الهادي الملهم .

قال : ثم يَبْتَدِئُ الذَّكَرُ بِالْإِدْعَاءِ وَالطَّرَادِ ، وَيُبْتَدِئُ الْأُنْثَى بِالتَّائِي وَالْإِسْتِدْعَاءِ ، ثُمَّ تَزَيُّفٌ وَتَشْكَلٌ ^(١) ، وَتُمْكِّنٌ ^(٢) وَتَمْنَعٌ ، وَتُجِيبُ وَتَصْدِفُ بِوَجْهِهَا ، ثُمَّ يَتَعَاشِقَانِ وَيَتَطَاوَعَانِ وَيَكُونُ بَيْنَهُمَا قُبَلٌ وَأَرْتِشَافٌ وَإِدْخَالٌ قِيَمًا فِي فَمِهِ ، وَذَلِكَ هُوَ التَّطَاعُمُ وَالْمُطَاعَمَةُ . قال الشاعر :

لَمْ أُعْطِهَا بِيَدِي إِذْ بَتَّ أَرْشُفُهَا * إِلَّا تَطَاوَلَ غُصْنِي الْجِيدِ بِالْجِيدِ
كَمَا تَطَاعَمَ فِي خَضْرَاءِ نَاعِمَةٍ * مُطَوَّقَانِ أَصَاخًا بَعْدَ تَغْرِيدِ

قال أبو عثمان : ومما أشبه فيه الحمامُ النَّاسَ أَنْ سَاعَاتِ الْحَضْنِ عَلَى الْبَيْضِ أَكْثَرُهَا عَلَى الْأُنْثَى ، وَإِنَّمَا يَحْضُنُ الذَّكَرُ حَضْنًا يَسِيرًا . وَالْأُنْثَى كَالْمَرْأَةِ فِي كِفَالَةِ الصَّبِيِّ ، حَتَّى إِذَا ذَهَبَ الْحَضْنُ وَصَارَ الْبَيْضُ رَاخًا كَالْأَطْفَالِ فِي الْبَيْتِ يَحْتَاجُونَ إِلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ صَارَ أَكْثَرُ سَاعَاتِ الزَّقِّ عَلَى الذَّكَرِ .

وقال : قال مُثَنَّى بْنُ زُهَيْرٍ — وَهُوَ إِمَامُ النَّاسِ فِي الْبَصَرَةِ بِالْحَمَامِ — : لَمْ أَرِ شَيْئًا قَطُّ فِي رَجُلٍ وَلَا أَمْرَأَةٍ إِلَّا وَقَدْ رَأَيْتُ مِثْلَهُ فِي الذَّكَرِ وَالْأُنْثَى مِنَ الْحَمَامِ . رَأَيْتُ حَمَامَةً لَا تُرِيدُ إِلَّا ذَكَرَهَا ، كَالْمَرْأَةِ لَا تُرِيدُ إِلَّا زَوْجَهَا أَوْ سَيِّدَهَا . وَرَأَيْتُ حَمَامَةً لَا تَمْنَعُ شَيْئًا مِنَ الذَّكُورَةِ ، وَرَأَيْتُ أَمْرَأَةً لَا تَمْنَعُ يَدَ لَامِسٍ . وَرَأَيْتُ

(١) يقال : زافت الحمامة تزيف إذا مشت مدلة متبخرة بين يدي الحمام الذكر .

(٢) شكلت المرأة : كانت ذات شكل أى غنج ودلال وغزل .

(٣) عطا فلان الشيء يعطوه : أخذه وتناوله .

(١٣٥)

- حمامة لا تَزِيْفُ إِلَّا بعد طَرَادٍ شديدٍ وشدةٍ طلبٍ ، ورأيتها تَزِيْفُ لأول ذكر يريدُها ، ورأيت من النساء كذلك . ورأيت حمامة لها زوج وهي تُمكن ذكراً آخر لا تعدُّوه ، ورأيت مثل ذلك في النساء . ورأيتها تَزِيْفُ لغير ذكراها وذكراها يراها ، ورأيتها لا تفعل ذلك إِلَّا وذكراها يطيرُ أو يحضن . ورأيت الحمامة تَقْمِطُ الحمامة ، ورأيت الحمام الذكور يَقْمِطُ الذكر . ورأيت أنثى كانت لا تَقْمِطُ إِلَّا الإناث ، ورأيت أخرى تَقْمِطُ الإناث فقط ولا تدعُ أنثى تَقْمِطُها ، ورأيت ذكراً يَقْمِطُها ويدعُها حتى تَقْمِطُها . ورأيت ذكراً يَقْمِطُ الذكور وتَقْمِطُها ، ورأيت ذكراً يَقْمِطُ الذكور ولا يدعُها تَقْمِطُها ، ورأيت أنثى تَزِيْفُ للذكور ولا تدعُ شيئاً منها يَقْمِطُها ، ورأيت هذه الأصناف كلها في السحاقات واللاطة . قال : وأمتنعت على خصلة فوالله لقد رأيتها ، لأنى رأيت من النساء من تزني أبداً وتساحق أبداً ولا تتزوج ، ومن الرجال من يلوط أبداً ويزني أبداً ولا يتزوج ، ورأيت حماماً ذكراً يَقْمِطُ ما لقي ولا يُزوج ، ورأيت حمامة تُمكن كل حمام أرادها من ذكر أو أنثى وتَقْمِطُ الذكور والإناث ولا تُزوج ، ورأيتها تُزوج ولا تبيض ، وتبيض فيفسد بيضها ، كالمراة . قال : ورأيت ذكراً له أنثيان وقد باضتا منه ، وهو يحضن مع هذه ومع تلك ويزق مع هذه ومع تلك ، ورأيت أنثى تبيض بيضة ، ورأيت أنثى تبيض في أكثر حالاتها ثلاث بيضات . قال : ورأيت حمامة تُزوج هذا الحمام ثم تتحول منه إلى آخر ، ورأيت ذكراً فعل مثل ذلك في الإناث ، ورأيت الذكر كثير النسل قوياً على القمط .

قال الجاحظ : والحمام يبيض عشرة أشهر من السنة ، فإذا صانوه وحفظوه وأقاموا له الكفاية وأحسنوا تعهده باض في جميع السنة . والفواخت والأطرغلات^(١)

(١) قال في اللسان نقلا عن التهذيب : « ... في كتاب شمر : الأطرغلات هي الدباسي والقماري والصلاصل ذات الأطواق ، قال : ولا أدري أمعرب هو أم عربي » .

والحمام البرّي تَبْيَضُ مرّتين في السنة . قال : ويَتَمَّ خُلُقُ الحمام في أقلّ من عشرة أيام .
والحمامة في أكثر أمرها يكون^(١) أحد فرخيها ذكراً والآخر أنثى ؛ وهي تَبْيَضُ أولاً
البيضة التي فيها الذكر ثم تُقيم يوماً وليلاً وتبيض الأخرى . وتحضن ما بين السبعة
عشر يوماً إلى العشرين . والأنثى أبرّ بالبيض ، والذكر أبرّ بالفراخ . ولقد أطنب
أبو عثمان الجاحظ وأوغل وبسط القول في ذكر الحمام وأوصافه ومناقبه والمغالة
في ثمنه والحرص على آقتنائه ، حتى إنه قال : وللحمام من الفضيلة والفخر أن الحمام
الواحد يباع بخمسة دینار ، ولم يبلغ ذلك باز ولا شاهين ولا عُقَابٌ . قال : وأنت
إذا أردت أن تتعرف مبلغ ثمن الحمام الذي جاء من الغاية ثم دخلت بغداد والبصرة ،
وجدت ذلك بلا معاناة . وهذا يدلّ على أن قوله فيه كان مشهوراً عندهم في وقته .
ثم قال : والحمام إذا جاء من الغاية يبيع^(٢) الذكر من فراخه بعشرين ديناراً وأكثر ،
ويبيع الأنثى بعشرة دنانير وأكثر [ويبيع البيضة بخمسة دنانير] ؛ فيقوم الزوج^(٣) منها
من الغلة مقام ضيعة ، حتى ينهض بمؤونة العيال وبقضاء الدين ، وتبني من غلاته^(٤)
وأثمان رقباه الدور والحنان وتبتاع الحوانيت . ثم وصف حُجَرَ الحمام ومقاصيرها
المبنية في ذلك الزمان وما يُعانيه أهلها من حديثها والاحتفال بها في المسابقة وغيرها .
وأطال في ذلك . وقال : وللحمام من حُسن الأهتمام ، وجودة الاستدلال ، وثبات
الحفظ والذكور ، وقوة النزاع إلى أربابه ، والإلف لوطنه ، أن يكون طائراً من بهائم
الطير يحمي من مسافة كذا إلى مسافة كذا . قال : ولن ترى جماعة طير أكثر طيراناً

(١) في الأصلين : « والحمامة في أكثر أمرها إما أن يكون ... الخ » . ولا يستقيم الكلام
بهذه الزيادة .

(٢) زيادة عن كتاب الحيوان .

(٣) كذا في كتاب الحيوان للجاحظ . وفي الأصلين : « من غلات رقباه ... الخ » .

(٤) لعله محرف عن « خدمتها » .

إذا كثُر من الحمام؛ فإنهن كلما آلتفن وضاق موضعهن كان أشد لطيرانهن .
قال النابغة :

وأحكمكم كحكم فتاة الحى^(٢) إذ نظرت * إلى حمام^(٣) شراع^(٤) وارد التمد^(٥)
يحفه جانباً نيق^(٥) وتتبعه * مثل الزجاجة لم تكحل من الرمد
قالت ألا ليتما هذا الحمام لنا * إلى حمامتنا ونصفه فققد
فحسبوه فالقوه كما حسبت * تسعاً وتسعين لم تنقص ولم تزد
فأكملت مائة فيها حمامتها * وأسرعت حسبة في ذلك العدد

قال الأصمعي : لما أراد أن يمدح الحاسب وسرعة إصابته شدد الأمر وضيقه
عليه ليكون أحمد له إذا أصاب؛ فجعله حرراً طيراً والطير أخف من غيره؛ ثم جعله

(١٣٦)

- ١٠ (١) كذا في كتاب الحيوان للجاحظ . وفي الأصلين : « التفتن » .
(٢) فتاة الحى هي بنت الحس ، عن الأصمعي . وعن أبي عبيدة : هي « زرقاء اليمامة » . ولقبت الزرقاء لزرقه في عينيها . قالوا : إنه كان لها قطاة ومرو بها سرب من القطابين جبليين فقالت :
ليت الحمام لي * إلى حمامتيه
ونصفه قديده * تم الحمام ميه
١٥ وهي التي يضرب بحدّة بصرها المثل ، وكانت تبصر الشيء من مسيرة ثلاثة أيام ، وقد أذرت قومها بمجيء العدو فلم يصدقوها ولم يستعدوا لملاقاته حتى صبحهم وأعمل فيهم حتى هلكوا وأخذ كبيرهم الزرقاء فشق عينيها فاذا فيهما عروق سود من الإثمد ، وكانت أول من اكتحل به من العرب .
(٣) شراع (بالشين المعجمة) : مجموعة . ويروى «سراع» بالسين المهملة . والتمد : الماء القليل الذي يكون في الشتاء ويحف في الصيف .
(٤) يحفه : يحيط به .
٢٠ (٥) النيق : الجبل . قال الأصمعي : إذا كان الحمام بين جانبي نيق ضاق عليه فركب بعضه بعضاً فكان أشد لعدّه وحزره ، وإذا كان في موضع واسع كان أسهل لعدّه فكان أحكم لها ، إذا أصابته في هذه الحال . ويريد بقوله : « مثل الزجاجة » عينا صافية لم يصبها رمد قط فتحتاج إلى كحل (عن شرح ديوان النابغة للوزير أبي بكر عاصم بن أيوب البطلوسي ضمن مجموعة طبع مصر رقم ١٧٨٥ أدب) .

حماما والحمامُ أسرعُ الطير وأكثرَ آجتهدا في السرعة إذا كثرَ عددُه، وذلك أنه يشتدُّ طيرانه عند المسابقة والمنافسة . وقال : « يحفه جانباً نيقٍ وتُبعه » ، فأراد أن الحمام إذا كان في مضيق من الهواء كان أسرع من أن يتسع عليه الفضاء . والله أعلم بالصواب .

ذكر ما قيل في طوق الحمامة

يقال : إن نوحاً صلى الله عليه وسلم لما كان في السفينة بعث الغراب ليكشف له هل ظهر من الأرض موضعٌ، فوقع على جيفة فلم يرجع إليه ، فبعث بالحمامة ، فأستجعت على نوح الطوق الذي في عنقها فجعل لها ذلك جعلاً . وفي ذلك يقول أمية بن أبي الصلت :

وأرسلت الحمامة بعد سبع * تدلُّ على المهالك لا تهاب^(١)
تلمس هل ترى في الأرض عيناً * وعينه من الماء العباب^(٢)
بجاءت بعد ما ركضت بقطف * عليه الثأط والطين الكباب^(٣)
فلما فرسوا الآيات صاغوا * لها طوقاً كما عقد السخاب^(٤)
إذا ماتت تورثه بنيتها * وإن تقتل فليس لها استلاب^(٥)

(١) كذا في الأصلين . على أنه ورد في كل الشعر الذي أورده المؤلف لأمية بن أبي الصلت بعض كلمات غير واضحة المعنى ؛ وقد ورد أكثر هذا الشعر في الحيوان للجاحظ (ج ٢ ص ١١٧ — ١٢٠) وآثرنا أن نثبتها كما وردت في الأصلين لأنها غير واضحة كذلك في الحيوان .

(٢) كذا في اللسان . وفي الأصلين : « عليها » .

(٣) كذا في لسان العرب (مادة ناط) . والناط : الحماة . وفي الأصلين : « الناط » بالنون ،

وهو تصحيف . (٤) الكباب : الثرى والتراب والطين اللازب .

(٥) السخاب : قلادة تتخذ من قرنفل وسكّ ومحلب ليس فيها من اللؤلؤ والجوهر شيء .

(٦) لعله : « فليس له » اذ الظاهر أن مرجع الضمير الطوق .

وقال أيضا فيها :

سَمِعَ اللهُ لَأَبْنِ آدَمَ نَوْحَ * رَبُّنَا ذُو الْجَلَالِ وَالْإِفْضَالِ
حِينَ أَوْفَى بِذِي الْحَمَامَةِ وَالنَّاسِ * سُبْحَانَ جَمِيعَا فِي فُلْكِهِ كَالْعِيَالِ
حَاسِبًا خَوْفَهُ عَلَيْهِ رَسُولًا * مِنْ خِيفَةِ الْحَمَامِ كَالْتَّمَنَالِ
فَرَشَاهَا عَلَى الرِّسَالَةِ طَوْقًا * وَخِضَابًا عَلامَةً غَيْرَ بَالِ
فَأَنَّتَهُ بِالصَّدَقِ لَمَّا رَشَاهَا * وَبِقِطْفٍ لَمَّا بَدَأَ عِشْكَالَ^(١)

قوله : ”فرشاهها“ أى جعل لها جُعلا .

وقال فيها :

وَمَا كَانَ أَصْحَابُ الْحَمَامَةِ خِيفَةً * غَدَاةَ غَدَتٍ مِنْهُمْ تَضُمُّ الْخَوَافِيَا
رَسُولًا لَهُمُ وَاللَّهُ يُحْكِمُ أَمْرَهُ * يُبَيِّنُ لَهُمْ هَلْ بَرَسَ التُّرْبُ بَادِيَا
بِخَفَاتِ بَقِطْفٍ آيَةً مُسْتَبِينَةً * فَأَصْبَحَ مِنْهَا مَوْضِعُ الطَّيْنِ جَادِيَا^(٢)
عَلَى خَطْمِهَا وَأَسْتَوْهَبَتْ ثُمَّ طَوْقَهَا * وَقَالَتْ أَلَا لَا تَجْعَلِ الطُّوقُ حَالِيَا
وَلَا ذَهَبًا إِنِّي أَخَافُ نَبَاهُ * يَخَالُونَهُ مَالِي وَلَيْسَ بِمَالِيَا
وَزِدْنِي عَلَى طَوْقِي مِنَ الْحَلَى زِينَةً * تُصِيبُ إِذَا أَتَبَعْتُ طَوْقِي خِضَابِيَا
وَزِدْنِي إِطْرَفِ الطَّيْنِ مِنْكَ بِنِعْمَةٍ * وَوَرَّثَ إِذَا مَا مِثُّ طَوْقِي حَمَامِيَا
يَكُونُ لِأَوْلَادِي جَمَالًا وَزِينَةً * وَعَنْوَانُ زَيْنِي زِينَةً مِنْ تُرَابِيَا

(١) العنكال : العنق ، وقيل : هو الشمراخ وهو ما عليه البسر من عيدان الكباسة ، وهو فى النخل

نَدِيمُ بَمَنْزِلَةِ الْعَنْقُودِ فِي الْكَرَمِ .

(٢) الجادى : الزعفران .

ذكر شيء مما وصف به هذا النوع نظماً ونثراً

قال عبد الواحد بن فتوح الأندلسي يصف حماماً بسرعة الطيران والسبق :

يحتاب أودية السحاب بخافق * كالبرق أومض في السحاب فأبرقا
لو سابق الريح الجنوب لغاية * يوماً لجاءك مثلها أو أسبقا
يستقرب الأرض البسيطة مذهبا * والأفق ذا السقف الرفيعة مرتقى
ويظل يسترق السماء بخافق * في الجو تحسبه الشهاب المحرقا
يبدو فيعجب من رآه لحسنه * وتكاد آية عنقه أن تنطقا
مترقفا من حيث درت كأنما * لبس الزجاجة أو تجلبب زنبقا

(١٢٧)

وقال أبو هلال العسكري في حمام أبلق :

ومتفقات الشكل مختلفاته * لبس ظلاماً بالصباح مرقعا
أخذن من الكافور أنفاً ومنسراً * وخضبن بالحناء كفاً وإصبعا
وترنو بأبصار إذا ما أدرنهما * جلون عقيقاً للعيون مرصعا
تطير بأمثال الحلام كأنها * جنادل تدحوها ثلاثاً وأربعاً
تبوع^(٢) بها في الجو من غير فترة * كأن مجاديفاً تبوع بها معاً
إذا هي عبت في الغدير حسبتها * تزق فراخا في المغاور جوعاً

وقال القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني من رسالة يصف طائراً جاء من غاية :

”وكان هذا الطائر أحد الرسل المسيرة بل المبشرة، والجنود المجردة بل المسخرة،
فإنها لا تزال أجنحتها تحمل من البطائق أجنحه، وتجهز من جيوش المقاصد والاقلام

(١) المنسر : منقار الطائر .

(٢) تبوع بها ، أى تبسطها في الجو ، يقال : باع يبيع إذا بسط باعه .

أسلحه ؛ وتحمل من الأخبار ما تحمل الضمائر، وتطوى الأرض إذا نشرت الجناح الطائر؛ وتزوى لها حتى ترى ما سيبلغه ملك هذه الأمة، وتقرب بها السماء حتى ترى ما لا يبلغه وهم ولا همه ؛ وتكون مراكب للأغراض لما كانت الأجنحة قلوعا ، وتركب الحقو بحرا يصفق فيه هبوب الرياح موجا مرفوعا ؛ وتعلق الحاجات على أعجازها ، فلا تعرف الإرادات غير إنجازها . ومن بلاغات البطائق استعارت ماهى به مشهورة من السجع ، ومن رياض كتبها ألقت الرياض فهى إليها دائمة الرجوع . وقد سكنت البروج فهى أنجم ، وأعدت فى كوائنها فهى للحاجات أسهم . وقد كادت تكون ملائكة فإذا نيطت بالرقاع ، صارت أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع . وقد باعد الله بين أسفارها وقربها ، وجعلها طيف اليقظة الذى صدق العين وما كذبها . وقد أخذت عهد الأمانة فهى فى أعناقها أطواقا ، فأدتها من أذنانها أوراقا ؛ فصارت خوافى وراء الخوافى ، وغطت سرها المودع بكتان سجت عليه ذيول ريشها الضوافى ؛ ^(١) تُرغم النوى بتقريب العهود ، وتكاد العيون تلاحظها تلاحظ أنجم السعود ؛ فهى أنبياء الطير لكثرة ما تأتى به من الأنباء ، وخطبائها لأنها تقوم على منابر الأغصان مقام الخطباء . والله أعلم بالصواب .

١٥



وأما البيغاء وما قيل فيها — والبيغاء طائر هندى ، وحبشى . حسن الخلق ، دمث الخلق ، ثاقب الفهم ، له قوة على حكاية الأصوات بالتلقين والتعليم ؛ تتخذ الملوك وأكابر الناس فى منازلهم . وفى لونه الأخضر والأغبر والأسود والأحمر

(١) الضوافى : السابغة الكثيرة .

(٢) فى الأصلين : « أثناء » وهو تحريف .

٢٠

والأصفر والأبيض . وهذه الألوان كلها قليلة نادرة الوجود إلا الأخضر والأغبر .
وقد شاهدتُ أنا بالقاهرة المعزية دُرَّة بيضاء ^(١) . وحكى أنه أُهْدِيَ إلى معز الدولة ^(٢)
ابن بويه ببغداد هدية من اليمن كان فيها ببغاء بيضاء ، سوداء المنقار والرجلين ، وعلى
رأسها ذؤابة فستقية . وهذا الطائر يتناول الطعم برجله . وله منقار معقف قصير
يكسره ما صلب وينقب به ما تعسر نقبه . وهو في مأكله ومشربه كالإنسان
الترّيف الظريف . والناس يحتالون على تلقينه بأن ينصبوا تجاهه مرآة يرى خياله
فيها ويتكلم الإنسان من ورائها ، فيتوهم الطائر أن خياله في المرأة هو المتكلم فيأخذ
نفسه بحكاية ما يسمعه من ذلك الصوت .

وقال المولى تاج الدين عبد الباقي اليماني رحمه الله فيها مُلغزًا :

ياسيدًا أبدع في المقال * ويارئيسًا فاق في المعالي
ما حيوان مشبه الإنسان * مرّتل الآيات في القرآن
ذو مبسم صيغ من النضار * ومقلّة قد ركبّت من قار
ومخلّب يكسر الصايبا * ومنطيق يفخر الخطيبا
ذو حلة بنديّة البرود * منسوجة من أخضر البنود
كروضة قد أينعت أزهارها * وأدهشتنا بالغنا أطيّارها

(١) الدرة : البغاء .

(٢) هو معز الدولة أحمد بن أبي شجاع بويه أحد ملوك الديلم ، ملك العراق والأهواز . وكانت مدّة
ملكه إحدى وعشرين سنة وأحد عشر شهرًا . وكان في أول أمره يحمل الخطب على رأسه ، ثم ملك هو
وأخوه : عماد الدولة علي بن بويه وركن الدولة الحسن بن بويه البلاد وآل أمرهم إلى ما آل . وكان
معز الدولة أصغر الإخوة الثلاثة . ولد سنة ثلاث وثلثمائة وتوفي سنة ست وخمسين وثلثمائة ودفن في داره ثم
نقل إلى مشهد بني له في مقابر قریش .

قد جُمعت في ذاته ألوان * كأنه في خلقه بستان
 فذاته من ناصع الزبرجد * ونوره مرَّكب من عسجد
 وتارة يبصر من أقاحي * خلقت^(١)ه في سائر النواحي
 وعرفه من خالص المداد * ونطقه مستحكم الإيراد
 يأكل بالكف خلاف الطير * ويغتندي وهو قدير السير
 إن لقط الحب لدى تفريقه * رأيت درًّا جال في عقيقه
 يحفظ بيت المرء في المغيب * ويغتندي كالحارس المرهوب
 سميّه في أسفل البحار * مستودع في آخر التيار
 إليه يعزى الشاعر المجيد * والكاتب النحرير والمجيد
 فكشف معمي ما لغزت يا إمام * وآسلم على مرّ الدهور في الدوام

(١) في أ : « حلقه » . وفي ب : « حله » وكلاهما تحريف .

الباب الخامس من القسم الخامس

من الفن الثالث في الطير الليلي

ويشتمل هذا الباب على ذكر ما قيل في الخُفَّاش ، والكروان ، والبوم ،
والصَّدى .



فأما الخُفَّاش وما قيل فيه — فالخُفَّاش ليس من الطير في شيء؛
فإنه ذو أذنين ظاهرتين وأسنان وخَطْمٌ وخصيتين بارزتين ، ويبول كما تبول ذواتُ
الأربع ، ويحيض ، ويلد ، ويرضع ، ولا ريش له . قال بعض المفسرين لكتاب الله
عز وجل : إن الخُفَّاش هو الطائر الذي خلقه عيسى بن مريم عليه السلام بإذن الله
تعالى ؛ ولذلك هو مبين لصنعة الخالق ؛ ولهذا سائر الطير تقهره وتُبغضه ؛ فما كان
منها يأكل اللحم أكله ، ومالا يأكل اللحم قتله ؛ فذلك لا يطير إلا ليلاً . وطعامه
البعوض والفراش يصيدهما وقت طيرانه ، ولا يبلغ ذلك إلا بما فيه من سرعة
الاختطاف وشدة الطيران ولين الأعطاف . وهو مع ذلك ليس بذي ريش وإنما هو
لحم مُغشَّى بجِلْدٍ صُلْبٍ كأنه جِلْدٌ ضَفْدَعٌ ، وهو يطير بغير ريش ؛ وهذا من العجَب .
وهو لا يطير في ضوء ولا ظلمة . وسبب ذلك أنه ضعيف حاسة البصر ، قليل
شُعاع العين ؛ فالشمس تُضعِفُ بصره عن التحديق في شعاعها ، والظلمة تغمُرُ ضياءَ
بصره ؛ فهو يجعل طيرانه لطلب قوته وقت غروب الشمس وظهور الشفق . [وذلك
وقت هيَجِ البعوض وانتشاره^(١) . ومنازله تكون في الجبال وصُدوع الصخور وبسيط

(١) زيادة عن مباحج الفكر .

القيافي وجزائر البحر والأماكن الخربة المهجورة . وهو يطلب قرب الناس ، فإذا كان في بيوتهم قصده أرفع مكان وأحصنه فيكون فيه . ويذكر بطول العمر ، ويكبر حتى يكون في قدر الحداة وأكبر . وهو يلد ما بين الثلاثة إلى التسعة . ويسفد غالباً وهو طائر في الهواء . وهو يحمل ولده تحت جناحه ، وربما قبض عليه بفيه لإشفاقه عليه . وربما أرضعت الأثني ولدها وهي طائفة . أخبرني من شاهد ذلك ممن يعتمد على نقله . وهو متى أصابه شجر الدلب خدر .

قال الجاحظ : والخفّاش يأتي الرمانة وهي على شجرتها فينقب عنها ويأكل جميع ما فيها حتى لا يدع إلا القشر وحده . قال : ولحوم الخفافيش موافقة للشواهين والصقور والبوازي ولكثير من جوارح الطير ، وهي تسمن عنها وتصح أبدانها عليها ، ولها في ذلك عمل محمود ناجع عظيم النفع بين الأثر .

وقال بعض الشعراء في الخفّاش ملغزاً :

وطائر جناحه في رجليه * أبعد شيء فصه من وصله^(١)
لم يوصف الله بخلق مثله * وهو على تآلف في شكله^(٢)
لو بيع في سوق له لم أغله

وقال آخر :

أبى علماء الناس أن يخبروني * وقد ذهبوا في العلم في كل مذهب
بجملة إنسان وصورة طائر * وأظفار يربوع وأنياب ثعلب

(١) الوصل (بالكسر والضم) : كل عظم على حدة لا يكسر ولا يوصل به غيره ، جمعه أوصال .
وقال الجوهري : الأوصال المفاصل . وقال غيره : مجتمع العظام .

(٢) كذا في مباحج الفكر . وفي الأصلين : « لو يوصف » وهو تحريف .



وأما الكروان وما قيل فيه — والكروان طائرٌ من طبعه وعادته
الطيرانُ في الليل، والإدلاجُ والصَّيَّاحُ بالأشجار، والإشرافُ على مواضع العساكر .
ويوصف بالحمق؛ ومن حمقه أنه يقال له : أَطْرُق كَرَاً، فَيَلْصَقُ بالأرض حتى يَرْمَى .
وتقول العرب : « أَطْرُق كَرَاً أَطْرُق كَرَاً إِنَّ النَّعَامَةَ فِي الْقَرْيِ ^(١) » .



وأما البوم وما قيل فيه — ويقال : إنه الصَّدى، ويقال : بل الصَّدى
ذكرُ البوم، وللبوم ذكر له منه . ويقال : إنه خمسة أصناف : منه ما يصيد
الأرنب . ومنه صنف له لوانان يأوى الاكام والبرية . ومنه المدجج بالصفرة ، وله
حواجب وقرون من ريش ، ويسكن الجدران . ومنه الهام ويسمى « الغبشية » ^(٢) .
ومنه « القن » وهو يصيح كالهام لكن صوته أدق . وكل هذه الأصناف تحب
الخلوة بنفسها . وهي تُبْغِضُ الغربان ، وسائرُ أصناف الطير تُبْغِضُهَا ؛ فَإِنَّ الطيور
إِذَا رَأَتْهَا يَطْرُنَ حَوْلَهَا وَيَنْتَفِنَ رِيشَهَا ؛ فَلِذَلِكَ صَيَّادُ الطيور يجعلونها في مصايدهم ؛
لَأَنَّ الطيور إِذَا رَأَوْهَا أَجْتَمَعُوا عَلَيْهَا ، فَتُصَادُ عِنْدَ ذَلِكَ .

(١) يضرب مثلا للرجل يخدع بكلام يلفظ له ويراد به الغائلة . وقيل : يضرب مثلا للرجل يتكلم
عنده فيظن أنه هو المراد بالكلام ، أى اسكت فانى أريد من هو أنبل منك وأرفع منزلة . وقال أحمد بن
عبيد : يضرب للرجل الحقير إذا تكلم في الموضع الذي لا يشبهه وأمثاله الكلام فيه ؛ فيقال : اسكت يا حقير
فان الأجلاء أولى بهذا الكلام منك . والمراد بقولهم : « إن النعام في القرى » تخويفه بأن النعام حاضرة
فتدوسه بأخفافها . (راجع اللسان مادة كرا ومجمع الأمثال) .

(٢) كذا في مباحج الفكر . ولعل الغبشية : نسبة الى الغبشة (بالضم) أى الظلام ، على أن يكون قد
نسب هذا الضرب من البوم الى ظلام الليل . وفى أ : « العفشنة » . وفى ب : « العفشنة » .



وأما الصَّدى وما قيل فيه - فالعرب تزعم أن الإنسان إذا مات
أو قُتِل لتُصوِّر نفسه في صورة طائرٍ تصرُخ على قبره مستوحشةً لجسدها . وفي ذلك
يقول توبة :

٥ واوأن ليلى الأخيلىة سَلَمَتْ * على ودُوني جندلٌ وصفائحُ
لَسَلَمْتُ تسليمَ البَشاشةِ أوزقا * إليها صدى من جانب القبر صائحُ

ويحكون على ذلك حكاية^(١) . وتقول العرب : إن هذا الطائر يكون صغيراً
ثم يكبر حتى يصير في قدر البوم ، ويسمونه الهام ، واحده هامة . وهو يتوحش
ويصيح ويوجد في الديار المعطلة والنواويس^(٢) وحيث مصارع القتلى وأجدات
الأموات . ويقولون : إنه لا يزال عند ولد الميت ومُخلفيه ليعلم ما يكون بعده
فيخبره . وهذا كله أراه من خرافات العرب وأكاذيبها . وما زالوا على ذلك حتى جاء
الإسلام فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه فقال : " لا عدوى ولا طيرة
ولا هامة " الحديث . والله أعلم .

(١) جاء في الأغاني أن هذا الشعر كان سبباً في مقتل ليلى هذه ، وذلك أنها مرت على قبر توبة بن
الحير وذكرت هذا الشعر وقالت : والله ما عرفت له كذبة قبل هذه فما باله لم يسلم على ! ؛ وكانت بومة
١٥ الى جانب القبر كامنة ، فلما رأت هودجها فزعت وطارت في وجه الجمل فرمى بها على رأسها فماتت . (انظر
الأغاني ج ١٠ ص ٨٢ طبع بولاق) .

(٢) النواويس : مقابر النصارى ، مفردة ناووس .

الباب السادس من القسم الخامس

من الفن الثالث في الهمج

وقد قال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ فيه : إنه ليس من الطير، ولكنه
 مما يطير كالحشرات مما يمشى . والذي أطلق عليه اسم الهمج هو مما يشتمل عليه
 هذا الباب، وهو النحل، والزنبور، والعنكبوت، والجراد، ودود القز، والذباب،
 والبعوض، والبراغيث، والحرقوص .

فأما النحل وما قيل فيه — قال الله عز وجل : ﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى
 النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ . ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ
 الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلًّا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ
 لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ . وعن أبي سعيد الخدري رضي الله
 عنه : أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إن أخي يشتكى بطنه يا رسول الله ؛
 فقال النبي صلى الله عليه وسلم : " اسقيه عسلاً " . ثم أتاه فقال : قد فعلت ؛ فقال :
 " اسقيه عسلاً " . ثم أتاه فقال : قد فعلت ؛ فقال : " اسقيه عسلاً " . ثم أتاه
 في الرابعة ؛ فقال : " صدق الله وكذب بطن أخيك اسقيه عسلاً " ؛ فسقاه
 فبرئ الرجل .

وقال أرسطو : النحل تسعة أصناف : ستة منها يأوي بعضها إلى بعض ،
 وذكر أسماءها باليونانية . وغذاء النحل من الفضول الحلو والرطوبات . والنحل

(١) كذا في حياة الحيوان للدميري ومباحج الفكر . وفي الأصلين : « وعد » وهو تحريف .

(٢) في مباحج الفكر : « من الطل الحلو والرطوبات » .

لا تقعد على أزهارٍ مختلفةٍ بل على زهرٍ واحدٍ ؛ وإن قعدت على زهرٍ آخر فإنما
تقعد عليه بعد أن تنصرف إلى الخلية . وبيوتها من أعجب المباني ؛ لأنها مبنية على
الشكل الذي لا يُنتهك ولا يُنخرق ، كأنه حرٌّ بآلةٍ وقياسٍ هندسيٍّ . وإذا هلك شيء
من النحل في باطن الخلايا أخرجته الأحياء إلى خارجها . وهو يعمل في فصل
الربيع والخريف . والرَّبيع أجود من الخريف . والصغير منه أعمل من الكبير .
وهو يشرب من الماء النقي العذب الصافي ، ويطلبه حيث كان . وهو يسأل جلدَه
كالحيات . وتوافقه الأصوات المطربة . ويجمع للتصفيق بالأيدي والرقص .
والسوس يضره . ودواؤه أن يطرح في كل خلية كُف من الملح ، وأن تفتح في كل
شهر مرةً وتدخن بأخشاء البقر .

- ١٠ وقد وصف الشعراء الشهد والعسل في أشعارها ؛ فمن ذلك قول إبراهيم بن
خفاجة الأندلسي يصف شهدةً بعث بها إليه بعض أصدقائه :
- لله ريقَةٌ نحلي * رعى الربى والشعاباً
وجاب أرضاً فأرضاً * يغشى مصاباً مصاباً^(١)
حتى آرتوى من شفاءٍ * يمج منه رُضاباً
١٥ إن شئتَ كان طعاماً * أو شئتَ كان شراباً

وكتب مع هذه الأبيات رسالة ، جاء منها : ” وكفى النحلة فضيلة ذات ،
وجلالة صفات ؛ أنها أوحى إليها ، وأُثني في الكتاب عليها ؛ تعلم مساقط الأنداء ،
وراء البيداء ؛ فتقع هناك على نؤارة عبقه ، وبهارة أنقه ؛ ثم تصدر عنها [بما تطبعه

(١) المصاب : موقع الغيث .

(٢) البهار : نبت طيب الريح جعد له فقاحة صفراء ينبت وقت الربيع .

شمعه، وتُبدعه صنعه، وترتشف منها^(١) ما تحفظه رُضابا، وتلفظه شرابا، وتجتافى بعدُ منه عن أكرم مُجتنى، وأحكم مُبتنى .

معين التارح لأهل التارح

وأما الزنبور وما قيل فيه — والزنبور يُسمى «الدَّبر» . وهو جبليّ وسُهليّ . فالجبليّ يأوي الجبال والأماكن الحشنة، وقد يُعشش على الشجر، ولونه إلى السواد . والسُهليّ أحمر اللون ويتخذ عُشه تحت الأرض ويُخرج التراب منه كما يفعل النمل، وهو يختفي في الشتاء فلا يظهر، وأكثره يهلك . ومن السُهليّ صنف مختلف الألوان مستطيل، وفي طبعه الشره يطلب المطابخ ويأكل اللحم، ويطير مفردا ويسكن بطن الأرض .

وصنف الزنبور جميعه مقسوم في وسطه، وهو لذلك لا يتنفس من جوفه ألبته . ومتى غُمس في الدهن سكنت حركاته وذلك لضيق منافذه . وقد وصفه الشعراء . فمن ذلك قول السلامي :

ولايس لون واحد وهو طائر * ملونة أبراده وهو واقِع
أغر تردى طيلسانا مدبجا * وسود المنايا في حشاه ودائع^(٣)
إذا حك أعلى رأسه فكأنما * بسالفيه من يديه جوامع^(٢)
يُخاف إذا ولي ويؤمن مُقبلا * ويُخفي عن الأقران ماهو صانع^(٤)
بدا فارسيّ الزيّ يعقد خصره * عليه قباء زينته الوشائع

(١) زيادة عن مباحج الفكر .

(٢) كذا في مباحج الفكر . وفي الأصلين : «حل» باللام وهو تحريف .

(٣) الجامعة : الغل لأنها تجمع اليدين الى العنق .

(٤) الوشائع : جمع وشيعة وهي الطريقة في البرد .

(١) فَمِعْجَرُهُ الْوَرْدِيُّ أَحْمَرٌ نَاصِعٌ * وَمِثْرُهُ التَّبْرِيُّ أَصْفَرٌ فَاقِعٌ
يَرْجِعُ الْحَنَانُ الْغَرِيضَ وَمَعْبَدٌ * وَيَسْقِي كُؤُوسًا مِلْؤُهَا السَّمُّ نَاقِعٌ

وقال السري الرفاء يصفه :

(٢) وَمُخْطَفُ الْخَصْرِ بُرْدُهُ حَبِيرٌ (٣) * نَحْذَرُهُ وَهُوَ خَائِفٌ حَذِرٌ
مُجَنِّحٌ طَارَ فِي مُجَنِّحَةٍ * تَصْعَدُ طَوْرًا بِهِ وَتَنْحَدِرُ
كَأَنَّهَا وَالرِّيحَ تَنْثُرُهَا * غَرَائِبُ الزَّهْرِ حِينَ تَنْثُرُ (٤)
لَهَا حُمَاتٌ كَأَنَّهَا شَعْرٌ * تَظْهَرُ مَسْوَدَةً وَتَسْتَرِ
قَدْ أَذْهَبَتْ فِي الْجَبِينِ غُرَّتُهُ (٥) * إِذْ فُضِّضَتْ فِي جِيَادِنَا الْغَرَبِ
سِلَاحُهُ الدَّهْرَ فِي مَوْخَرِهِ * يَطْعَنُ طَوْرًا بِهِ وَيَنْتَصِرُ
كَأَنَّ شَطْرَ الَّذِي يُجْرَدُهُ * مِنْ بَيْنِ فِكْكَيْهِ حَيَّةٌ ذَكَرُ



وأما العنكبوت وما قيل فيه — قد ضرب الله عز وجل المثل في الوهن

(١٤)

بالعنكبوت ، فقال تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ
اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ . والعنكبوت
أصناف : منها صنف يُسَمَّى «الرَّتِيلَا» (٦) من ذوات السموم القوا تل ، وهو عنكبوت

(١) المعجر : ثوب تلفه المرأة على استدارة رأسها .

(٢) مخطف الخصر : لاحقه وضامره .

(٣) الحبر (ككتف) : الناعم الجديد .

(٤) كذا في ديوانه . وفي الأصلين : «... تنشرها * ... تنشر» بالشين المعجمة في الكلمتين .

(٥) كذا في ديوانه . وفي أ : «اللجين» . وفي ب : «الحين» وكلاهما تحريف .

(٦) كذا في الأصلين والمخصص واللسان وشرح القاموس مادة «رتل» . وقد ضبطها الدميري

بالعبرة في كتابه حياة الحيوان (بضم الراء المهملة وفتح التاء المثناة . وهو يمد ويقصر) .

صغير. ومنه صنف طويل الأرجل. ومنه صنف يُسمى "الليث" يصيد الذباب، وله ست عيون وثمانى أرجل. وقال الجاحظ: ولد العنكبوت يقوى على النسج ساعة يولد، وذلك من غير تلقين ولا تعليم. وأول ما يولد دوداً صغيراً، ثم يتغير ويصير عنكبوتاً. وهو يطاول في السفاد^(١). ومنه ما هو كبير ونسجه ردىء، ومنه ما هو دقيق. وهو في نسجه يمد السدى ثم يعمل اللحمية، ويتدى من الوسط، ويهيئ موضعاً لما يصيده يكون له كالحزانة. والأنثى منه هي التي تنسج، والذكر يحل وينقض. والتي تنسجه لا تخرجه من جوفها بل من خارج جسدها. وفم العنكبوت مشقوق بالطول. وهو إذا صاد الذباب يثب عليه وثوب الفهد.

وقال الشيخ الرئيس أبو علي بن سينا: إن نسج العنكبوت يقطع نزع الدم إذا جعل على الجراحة، وإذا وضع نسجه على القروح منعها أن ترم وعلى الجراحات. وإذا طبخ العنكبوت الذى هو غليظ النسج أبيضه بدهن الورد وقطر في الأذن سکن وجعها. قال: وقال بعضهم: إن نسج العنكبوت إذا خلط ببعض المراهم ووضع على الجبهة والصدغين أبرأ حمى الغب. قال: وزعم بعضهم أن نسج الصنف الذى يكون نسجه كثيفاً أبيض إذا شد في خيط وعلق على العنق والعصد أبرأ حمى الغب. ١٥

وقال ابن الرومي يصف فهد العنكبوت:

أعجب مستفاد * أفادنى زمانى
من الفهود فهد * فى آلاسم والعيان

(١) إذا أراد العنكبوت السفاد جذب الذكر بعض خيوط نسج الأنثى من الوسط، فاذا فعل ذلك فعلت الأنثى مثله فلا يزالان يتدانيان حتى يتشابكا فيصير بطن الذكر قبالة بطن الأنثى. ٢٠
(٢) كلمة «وعلى الجراحات» ليست فى القانون. وهى نافية فى السياق، فلعلها من زيادات النساخ.

تلك ذواتٌ أربعٌ * وذاتٌ ذو ثمان
 كأنما أرجله * مخالبُ النُّغْرَانِ^(١)
 سيفاه سيفاً بطلٍ * والدرعُ درعُ جانٍ
 مستأنسٌ ما إن بنى * والإِنْسَ في مكانٍ^(٢)
 وصائدٌ وهو من الـ * مصيدٌ في أمان
 ذبابُهُ في كَفِّهِ الـ * طائرٌ مثل العان
 وليس ينبغي بدلاً * بطائر الخوان
 إذا دنا فلم يكن * بينهما عقدان
 عانقه أسرع من * تعانقِ الأجفان
 بخفة الوثوب بل * بجُرْأَةِ الحَنَانِ
 فهو عزيزٌ عزّةً * في غاية الهوان

وقال خلف الأحمر في الرّثيلاء :

ابعث له ياربّ ذاتَ أرجلٍ * في فَمِها أجنٌ مثلُ المنجَلِ^(٣)
 دَهْمَاءَ مثلِ العنكبوتِ المَحْوِلِ * تأخذه من تحته ومن عل



وأما الجراد وما قيل فيه — فالجراد أحدُ جُنْدِ الله الذي عَذَّبَ اللهُ به
 قومَ فرعون ؛ قال الله تعالى : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ

(١) النُّغْرَان : جمع نغرة، وهي فراخ العصافير، وقيل : البلب أيضا .

(٢) في مباحج الفكر : « من الصائد » .

(٣) الأجن : المعوج ويعني به السِّن .

وَالضَّفَادِعُ . والعرب تقول : سَرَّاءُ الجُرَادَةِ إذا باضت . فإذا خرج من بيضه فهو "دَبِّي" ، ويخرج دوداً أصهب إلى البياض . فإذا تلونت فيه خطوطٌ صفراءٌ وسودٌ وبيضٌ فهو "المُسِيحُ" . فإذا ضمَّ جناحيه فذاك "الْكُتْفَانُ" ، لأنه حينئذٍ يَكْتِفُ [في] المشى . فإذا ظهرت أجنحته وصار أحمر إلى الغبرة فهو "الغَوَّاءُ" ، والواحدة غَوَّاءة ؛ وذلك حين يستقل فيموج بعضه في بعض و [لا] يتوجه إلى جهة . فإذا بدت في لونه الحمرة والصفرة واختلف في ألوانه فهو "الخَيْفَانُ" . فإذا أصفرت الذكور وآسودت الإناث سُمِّي حينئذٍ "جَرَاداً" .

[وهو إذا أراد أن يبيض التمس لبيضه المواضع الصَّلْدَةُ والصخور الصَّلْبَةُ التي لا تعمل فيها المعاول فيضربها بذنبه فتتفرج له ، ثم يلقي بيضه في ذلك الصَّدع فيكون له كالأفخوص ويكون حاضناً له ومربياً] .

والجرادة لها ست أرجل : يَدَانِ في صدرها ، وقائمتان في وسطها ، ورجلان في مؤخر جسدها . وطرفا رجليها منشاران . والجرادُ من الحيوان الذي ينقاد إلى رئيس [يجتمع إليه كالعسكر ، إن طعن أوله تتابع كله طاعناً ، وإذا نزل أوله نزل جميعه] . ولُعَابُهُ سَمٌّ على الأشجار ، لا يقع على شيء منها إلا أَهْلَكَه . والجرادة فيها شبه من عشرة من جبابرة الحيوان ، وهي : وجهُ فرس ، وعينا فيل ، وعنق ثور ، وقرنا إيل ، وصدر أسد ، وبطن عقرب ، وجناحا نسر ، ونَحْذاً جمل ورجلاً نعام ، وذنب حية . قال شاعر :
(٣)

لَهَا نَحْذَا بَكْرٍ وَسَاقَا نَعَامَةٍ * وَقَادِمَتَا نَسْرٍ وَجُؤُجُؤُ ضَيْغَمٍ
حَبَّتْهَا أَفَاعِي الرَّمْلِ بَطْنًا وَأَنْعَمَتْ * عَلَيْهَا جِيَادُ الْخَيْلِ بِالرَّأْسِ وَالْفَمِ

١٤٢

٢٠ (١) زيادة يقتضيا السياق . (٢) زيادة عن مباحج الفكر . (٣) هو القاضي محي الدين الشهرزوري المتوفى سنة ست وثمانين وخمسة مائة . (انظر حياة الحيوان للدميري في الكلام على الجراد) .

وقال أبو علي بن سينا : أجودُ الجراد السمينُ الذي لا جناح له ، وأرجلُ الجراد تقلعُ التَّالِيلَ فيما يقال . قال : يؤخذ من مُسْتَدِيرَاتِهَا اثنتا عشرة وتُنَزَعُ رُءُوسُهَا وَأَطْرَافُهَا ويُجْعَلُ معها قَلِيلُ آسٍ يَابِسٍ وتُشْرَبُ لِلْإِسْتِسْقَاءِ كما هي . قال : والجراد نافع لتقطير البول ، وإذا تُنَجَّرَ به نفع عسرُه وخصوصا في النساء . ويُتَجَرَّبُ به من البواسير . والذي لا أجنحة له يُشَوَى وَيُؤْكَلُ لِلَّسَعِ العقرب .

وقال بعضُ الأعراب وذَكَرَ فسادَه : « بَاكَرْنَا وَسَمِيَّ^(١) ، ثُمَّ خَلَفَهُ وَلِيٌّ ، حَتَّى كَانَتْ الْأَرْضُ وَشَىْ مَذْشُورًا ، عَلَيْهِ لَوْلُؤُ مَذْشُورٌ ، ثُمَّ أَتَيْنَا غَيُومَ جَرَادٍ ، بِمَنَاجِلَ حَدَادٍ ، فَأَخْرَبَتِ الْبِلَادَ ، وَأَهْلَكَتِ الْعِبَادَ . فَسَبَّحَانَ مِنْ يُهْلِكُ الْقَوِيَّ الْأَكُولَ ، بِالضَّعِيفِ الْمَأْكُولِ » .

وقال العسكري يصف جرادة :

أَجْنَحَةٌ كَأَنَّهَا * أَرْدِيَّةٌ مِنْ قَصَبٍ
لَكِنَّهَا مَنْقُوطَةٌ * مِثْلَ صَدُورِ الْكُتُبِ
بِأَرْجَلٍ كَأَنَّهَا * مَنَاشِرٌ مِنْ ذَهَبٍ

وقال أيضا :

وَأَعْرَابِيَّةٌ تَرْتَادُ^(٢) زَادًا * فَتَمْرُقُ مِنْ بِلَادٍ فِي بِلَادٍ
غَدَّتْ تَمْشِي بِمَنْشَارٍ كَلِيلٍ * تَبُوعُ^(٣) بِهِ قَرَارَةٌ كُلِّ وَادٍ
وَتَنْشُرُ^(٤) فِي الْهَوَاءِ رِدَاءَ شَرِيٍّ * عَلَى أَطْرَافِهِ نُقْطُ الْمِدَادِ

(١) الوسمى : أول المطر . والولى : المطر بعده .

(٢) كذا في ديوان المعاني لأبي هلال العسكري . وفي الأصلين : « تزداد دارا » .

(٣) باع الشيء يبيعه : أدرك غايته .

(٤) كذا في ديوان المعاني . والشرى : الحنظل . وفي الأصلين : « وتنشر في الهواء عذبات شرب » .

وقال يعلى بن إبراهيم الأندلسي :

وخيفانة صفراء مسودة القرا^(١) * أنتك بلون أسود فوق أصفر
وأجنحة قد ألحقتها لرؤية^(٢) * تقاصر عن أشاء برد محبر

وقال آخر :

جرادة حنت القلوب لها^(٣) * حين أشارت بناظري ررب
صفراء جسم يشوبها رقط^(٤) * في نقط من عيرها الأشهب
كأنها والجناح حلتها * راقصة في ممسك مذهب^(٥)

ووقفت على حكاية عجيبة في أمر الجراد، نقلها ابن حلب راغب في تاريخه
في حوادث سنة اثنتين وتسعين وخمسة ، قال : قال القاضي الفاضل عبد الرحيم
البيساني : حدثنا القاضي بهاء الدين بن شداد قاضي حلب في يوم الثلاثاء من عشر
[شهر] ربيع الأول سنة اثنتين وتسعين وخمسة ، وقدم علينا في صفر منها ، قال : كان
الجراد بالشام قد زاد أمره وعظم خطبه وأحلت السنة بعد السنة ولم يسلم من الزرع
إلا أقله ، فأعلم الملك الظاهر غازي صاحب حلب عن طائريسمى "السمندل" ،

(١) القرا : الظهر . (٢) كذا في الأصلين . وفي مباهج الفكر : « كردية » .
والردية : أسم من الارتداء . ولعله « ألحقتها كردية » من ألحفه الخاف : ألبسه إياه .

(٣) كذا في مباهج الفكر ، وقد وردت هذه الكلمة محرفة في الأصلين .

(٤) لم نجد في كشف الظنون فيمن ألفوا في التاريخ هذا الاسم .

(٥) هو أبو الفتح غازي الملقب بالملك الظاهر ابن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب . كان
ملكا مهيبا حازما متيقظا ، كثير الاطلاع على أحوال رعيته وأخبار الملوك ، على الهمة ، حسن التدبير
والسياسة ، باسط العدل ، محبا للعلماء ، مجيزا للشعراء ، أعطاه والده مملكة حلب في سنة ٥٨٢ هـ بعد أن
كانت لعمه الملك العادل فنزل عنها وتغوص غيرها . ولد بالقاهرة في منتصف رمضان سنة ٥٦٨ هـ وهي
السنة الثانية من استقلال أبيه بمملكة الديار المصرية ، وتوفي بقلعة حلب في جمادى الآخرة سنة ٦١٣ هـ
(راجع تاريخ ابن خلكان ج ١ ص ٥٧٢ طبع بولاق) .

إذا ظهر الجرادُ ببلادٍ أحضر إليها ماءٌ من مكانٍ مخصوصٍ فتبعه ذلك الطائرُ ووقع على الجرادِ فأتلفه وأستخرج بيضه من التراب ونظف البلادَ منه . قال : فندب ثلاثة نفرٍ من العجم ذوى قوةٍ فى أبدانهم وصبرٍ على مشقةِ المشى فى أسفارهم ، وأزاح عِلَّتْهم بنفقةٍ وسَّعَها عليهم ، وساروا على خُوزِستانَ ، واستدلُّوا على الضَّيعة التى هى من عملها وفيها هذا الماءُ ، فوصلوا إليها وحملوا من الماءِ ، ووجدوا هذه العين على وجه الأرض لا تبلغ إلى أن تفيض فتسبح ولا إلى أن تفيض فتُسْتَقَى . ومن تدبير هذا الماءِ إلى أن يتمَّ به المرادُ أن يحمله المشى ولا يركب ، وإذا نزل بمنزلة علقه ولا يضعه على الأرض ؛ وكان الملك الظاهر قد سیر معهم دوابَّ يركبها من لم يحمل الماء بالنوبة ويمشى من يحمله ؛ ومن عادة من يحمله ألا ينفرد بنفسه وألا يسير إلا فى قافلةٍ وأن يُعلم أهلها بما معه ويُشهِدَهم أنه ما ركب ظهر دابةٍ فى حال حملهِ ، وأنه مشى والماءُ فى إنائه فى يده ؛ وكلَّمَا وصلت قافلةٌ إلى بلد أذى شهودُ القافلة ما شَهِدوا به عند الحاكم ؛ ويتنَجَّزُ حاملُ الماءِ كتباً حكيمةً من قضاة البلاد فى أمر الماء بصحة نسبه وكيفية حملهِ . قال : ولم يزالوا على ذلك إلى أن وصلوا إلى حلب ، فعُلِّقَ ذلك الماءُ ووصل ذلك الطائرُ فى جمعٍ بجمع الجرادِ وأكثَرُ ، وهو يشبه السَّمَانَى فى قَدْرِهِ ولونه ، ووقع على الجرادِ فأتلفه وأستأصله . قيل : إنه كان يأكل الجرادَ والثنتين والثلاث والأربع فى دَفْعَةٍ ويرميها فى الحال من بطنه ، وإنه يتتبع مكانَ بيضه فى الأرض فيبحث عنه بمناقيره وأخرجه ، حتى صارت الأرض كالغُرْبَالِ من أثر نقره ، وإنَّ الجرادَ ارتفع من الشَّامِ وكُشِفَتْ به البلوى . قال : وأمرُ هذا الماءِ مشهورٌ معلومٌ مستفيضٌ .



وأما دود القز وما قيل فيه — ودود القز وإن لم يكن من الهمج الذى له جناح ، فالأمر أن يصير له جناح ، ولذلك أوردناه فى هذا الباب وألحقناه بهذا النوع .

ودود القز أول ما يكون بزراً فى قدر حب التين ، وهو البيض الذى يتكون فيه الدود . ويكون خروجه منه فى أول فصل الربيع . ويخرج أصغر من الذر ، وفى لونه . وإذا تأخر خروجه وضعه النساء تحت ثديين فى صرر . فإذا خرج غذى بورق التوت . ويأخذ فى النمو إلى أن تصير الدودة منه فى قدر الإصبع^(١) وينتقل من السواد إلى البياض [أولاً فأولاً] ، وذلك فى مدة ستين يوماً فما دونها . وله فى غضون هذه المدة نومات لا يأكل فيها شيئاً آلبتة ، كل نومة يومان ، فإذا استيقظ أكل أضعاف ما كان يأكل قبل النوم . فإذا أكل المدة امتلأ حريراً فلا يبقى فيه مَسَاغٌ لما كل ، فيقطع الأكل عند ذلك ويهيج للنسج ، فأى شئ تعلق به نسج عليه . وهو ينسج على نفسه بما يخرج من فيه إلى أن يخرج^(٢) ما فى جوفه ، وهو أرق من العنكبوت ، ويكمل عليه ما يبيده ، فيكون كهيئة اللوزة^(٣) . ويبقى محبوساً فى غزله قريباً من عشرين يوماً ، ثم ينقب عن نفسه ويخرج فراشاً أبيض ذا جناحين لا يسكنان عن الاضطراب وقرنين وعينين . وهو إذا نقب عن نفسه وخرج لا ينتفع من نسجه بحريراً لأنه يقطع طاقاته . وعند خروجه

(١) زيادة عن مباحج الفكر وحياة الحيوان للذميرى .

(٢) كذا بالأصلين . ولعله يريد : « من نسج العنكبوت » .

(٣) فى مباحج الفكر وحياة الحيوان : « الجوزة » .

يهيج للسفاد فيلصق الذكْر ذنبه بذنب الأُنثى ويلتجان ساعة زمانية ثم يفترقان ،
وتنثر الأُنثى البُزْر على الصفة التي ذكرناها على خرقٍ بيض تكون قد فُرشت له .
فإذا نفد ما فيهما من السفاد والبُزْر ماتا . هذا إذا أريد من الدود البُزْر . وإذا
أريد منه الحرير تُترك ذلك النسيج في الشمس بعض يوم فيموت .

وقد جعله بعض الشعراء مثلاً للحريص على جمع المال ، فقال :

يُفْنِي الحَريصُ لجمع المال مُدَّتَهُ * وللحوادث والأوراث ما يدعُ
كدودة القز ما تبنيه يهاكها * وغيرها بالذي تبنيه ينتفع

وهو كثير العوارض . وأكثر ما يعرض له الفساد إذا اطعم ورق التوت
الحامض . ويهلك من صوت الرعد وضرب الطست والهاون ، ومن رائحة الخلل
والدخان . وكثرة الحزْتهلكه وتذيبه ، وكذلك البرد الشديد فإنه يبطئ به . ويؤذيه
مَسُّ الجُنُب والحائض ، ويُخشى عليه من الفأر والعصفور والنمل والوزغ .



وأما الذباب وما قيل فيه — فقد ضرب الله عز وجل به المثل فقال
تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ
يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ
الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ . فهذا مثل ضرب به الله تعالى لضعف الناس وعجزهم عن الإتيان
بمخلوق . وجاء في الحديث : ”إذا سقط الذباب في طعام أحدكم أو شربه فليغمسه
فإن في أحد جناحيه داء وفي الآخر شفاء“ . ويقال : إنه يغمس جناح الداء ويرفع
جناح الشفاء ، فلهذا ندب إلى غمسه . والعرب تجعل النحل والفراش والدبر من
الذباب .

قال الجاحظ : ^(١) « والذبابُ ضروبٌ سوى ما ذكرُوا من الفراش والنحل والزناير » ، فمنها الشعراء ^(٢) . قال الراجز ^(٣) :

* ذبابُ شعراء ونبتٌ مائلٌ ^(٤) *

وللكلاب ذبابٌ على حدة يتخلق منها فلا يريد سواها . ومنها ذباب الكلاء والرياض ؛ وكلُّ نوع منها يألف ما خلق منه .

ومنها الذباب الذى يقتل الإبل وهو أزرق . والذباب الذى يسقط على الدواب وهو أصفر . ويقال : إن الذباب يكثر إذا هاجت ريح الجنوب وإنه يُخلق فى تلك الساعة ؛ وإذا هبت ريح الشمال خف وتلاشى . وهو من ذوات الحراطم ، وكذلك البعوض . ويقال : إن الذباب لا يُعمر أكثر من أربعين يوما .

قال الجاحظ : ^(٥) « وليس بعد أرض الهند أكثرُ ذباباً من واسط ^(٦) ، وربما رأيت الحائط وكأت عليه مسحاً شديد السواد من كثرة [ما عليه من] » الذباب .

ويقال : إن اللبن إذا ضرب بالكندس ^(٧) ونضح به بيتٌ لم يدخله ذبابٌ . ومن عجيب أمر الذباب أنه يلتقي رجليه على الشيء الأبيض أسود وعلى الأسود

(١) كذا فى الحيوان للجاحظ (ج ٣ ص ٩٧ طبع مصر ، لوحة ١٤٣ من النسخة الفوتوغرافية) .

١٥ وفى الأصلين : « سوى ذلك » .

(٢) كذا فى الحيوان للجاحظ . وفى الأصلين : « ذباب الشعراء » .

(٣) كذا فى الحيوان للجاحظ . وفى الأصلين : « قال الشاعر » .

(٤) كذا فى النسخة الفوتوغرافية من الحيوان للجاحظ . وفى النسخة المطبوعة : « وبيت ما ذل » .

وفى الأصلين : « ونبت ما دل » بالبدال المهملة .

(٥) واسط : بلد متوسط بين البصرة والكوفة بناها الحجاج بن يوسف الثقفى .

(٦) زيادة عن الحيوان للجاحظ .

(٧) الكندس : الخرشف البستاني ، وهو عروق نبات داخله أصفر وخارجه أسود .

أبيض . ويقال : إنه لا يظهر إلّا في مواضع العفونات والقاذورات ، ومبتدأ خلقه منها ، ثم يكون من السّفاد .

قال الجاحظ : ويقال : إنّ الذّباب لا يقرب قدراً فيه كمأة .

والذّباب بطيء في سفاده ، وربما بقي الذّكر على ظهر الأنثى عامّة النهار ، فهو يتجاوز في ذلك البعير والخنزير . وهو من الحيوان الشمسيّ لأنه يخفى في الشتاء ويظهر في الصيف . وللذّباب يدان زائدتان في مقدّم يديه يتقي بهما الأذى عن عينيه فإنهما بغير أجفان .

والعرب تضرب به المثل في الزهو فتقول : « أزهى من ذباب » . قالوا : لأنّه يسقط على أنف الملك الجبار وعلى موق عينيه ويطرده فلا ينطرد . ويضرب به المثل في القدر واستطابة النتن . فإذا عجز الذّباب عن شمّ شيء فلا شيء أنتن منه .

وقال ابن عبدل في محمد بن حسان بن سعد ورماه بالبخر :

وما يدنو إلى فيه ذباب * ولو طليت مشافره بقنيد^(٢)
يرين حلاوة ويخفن موتاً * ذعافاً إن هممن له بورد

ويقال لكل أبحر : أبو ذبّان ، وكانت من كنى عبد الملك بن مروان .

وقد وصف الشعراء الذّباب ، فمن ذلك قول عنترة :

جادت عليها كل عين ثرة * فتركن كل حديقة كالدرهم^(٣)
فترى الذّباب بها يغنى وحده * هنزجاً كفعل الشارب المترنم
غرداً يحك ذراعه بذراعه * فعل المكب على الزناد الأجذم

(١) كذا في مباحج الفكر . وفي الأصلين « من » .

(٢) القند (بالفتح) : عسل قصب السكر .

(٣) ويروى « كل قرارة » (انظر اللسان مادتي « ثروحدق » .

وقال العسكري وجمع بين البراغيث والبعوض والذبّاب :
وبدا فغنّاني البعوض تطرباً * ففهرقت كأس النوم إذ غنّاني
ثم أنبرى البرغوث ينقط أضلعي * نقط المعلم مُشكّل القرآن
حتى إذا كشف الصباح قناعه * قرأت لي الذبّان بالألحان



وأما البعوض وما قيل فيه — والبعوض صنفان : صنف يُشبه القراد،
لكن أرجله خفيفة ورطوبته ظاهرة ، يُسمّى بالعراق والشّام ”الحرجس“
و”الفسّافس“، وبمصر ”البق“ . ويَشُمُّ رائحة الإنسان ويتعلّق به . وله لسع شديد .
ولديه إذا قُتل رائحة كريهة . ويقال : إنّه يتولّد من النفس الحارّة [ولشدة رغبته
في الإنسان لا يتمالك إذا شَمَّ رائحته ، فإذا كان في السقف رمى بنفسه عليه فلا يخطئه] .
وهذا الصنف ليس من الطير . والصنف الثاني طائر ويُسمّيه أهل العراق ”البق“
و”البعوض“ . ويسمّيه أهل مصر ”الناموس“ . وهو يتولّد من الماء الراكد ،
فإذا صار الماء رِقْراً استحال دَعَامِيصٌ^(٢) ، ثم تستحيل الدعاميصُ فَرَأْشاً . والبعوض
في خَلْقَةِ الفيل إلّا أنّه أكثر منه أعضاءً ، فإنّ للفيل أربع أرجلٍ وخرطوماً وذنباً ،
وله مع هذه الأعضاء يَدَانِ زائدتان وأربعة أجنحة . وخرطومُ البعوض [أجوف]^(١)
نافذٌ الحرق ، فإذا طعن به جلد الإنسان استقى به الدّم وقذف به إلى جوفه . وفيه
من الشرّ أن يمتصّ من دم الإنسان إلى أن ينشق ويموت ، أو يمتصّ إلى أن يعجز
عن الطيران . ومن عجيب أمره أنّه ربّما قتل البعير وغيره من ذوات الأربع ، فيبقى

(١) زيادة عن مباحج الفكر .

(٢) الدعاميص : جمع واحد دعووس ، وهو دويبة أو دودة سوداء تكون في الغدران إذا نشأت .

(يس ماؤها) .

طريحا في الصحراء فيجتمع حوله السباع والطير التي تأكل الحيف ، فمن أكل منها منه مات لوقته في موضعه . ويقال : إن بعض جبابرة الولاة بالعراق كان يقتلُ بالبعوض ، فيأمر بمن يريد قتله أن يجرد من ثيابه ويربط ويخرج إلى بعض الآجام التي بالبطائح فيوجد في أسرع وقت عارية من جلد ولحم .

وقال الجاحظ : بعوض البطائح كجرات الأهواز وعقارب شهرزور . وربما ظفر بالسكران النائم فلا يبقى فيه إلا العظام العارية .

وقد أكثر الشعراء في وصف البعوض ، فمن ذلك قول فرج بن خلف الأندلسي :

بعوض جعلن دمي قهوة * وغنيني بصنوف الأغاني^(٢)
كأن عروقي أوتارهن * وجسمي الرباب وهن القيان^(٣)

(١٤٥)

١٠

وقال آخر :

إذا البعوض زجلت أصواتها * وأخذ الحسن مغنياها
لم تطرب السامع خافضاتها * وأرق العينين رافعاتها
صغيرة كبيرة أذاتها * تنفض عن بنيتها بغاتها
ولا يصيب أبدا رماها * راحمة خرطومها قناتها

١٥

وقال أبو هلال العسكري :

غناء يسخن العين * وينفي فرح القلب
ولا يأتي على الزمير * ولا يجري مع الضرب
غناء البق بالليل * ينافي طرب الشرب

(١) الجرات ، جمع جرارة : عقيرب صفراء على شكل النينة تجر ذنبها .

(٢) في الأصلين : « الأغاني » بالياء .

(٣) في مباحج الفكر : « البنان » .

٢٠

إذا ما طَرَقَ المَرءُ * جرى في طَلَقِ الكَرِبِ
إذا ما نَقَبَ الجِلْدَ * ة أَخْفَى أَثَرَ النَّقَبِ
سوى حُمَيْرِ خَفِيَّاتٍ * تُحَاكِي نُقَطَ الكُتُبِ



٥ وأما البراغيث وما قيل فيها — والبرغوث أسودٌ أهدبٌ . وهو من
الحيوان الذي لا يمشى ؛ وإنما أوردناه مع ذى الجناح لأنه ذو وثبٍ لا يَقْصُرُ عن
الطيران ؛ ومنه أيضا ما يمشى ولا يثبُ . وقالوا : إنه يطيل السَّفَادَ ، ويبيض
وَيَفْرِخُ . وأصله متولد من التراب في المواضع المظلمة . وهو يكثر ويستطيل
ويؤذي في أواخر الشتاء وفصل الربيع . وإذا اشتد عليه الحرُّ هلك .

١٠ ومن جناس الكلام فيه قولهم : أذى البراغيث إذا ألبرى غيث . يعنون بالبرى
التراب إذا نزل عليه المطر .

والبرغوث يَكُنُّ بالنهار ويظهر بالليل . ويشتدُّ أذاه للإنسان إذا أخذ مضجعه .
وهو يطول لبثه بمصر ؛ ولا يوجد في البلاد الحارة مثل صعيد مصر ولا في البلاد
الشديدة البرد .

١٥ وقد أكثر الشعراء في وصف البراغيث وأفعالها ؛ فمن ذلك قول أبي الرماح
الأسديّ وكان قد سكن مصر :

تَطَاوَلَ بالفُسْطَاطِ لَيْلِي وَلَمْ أَكُنْ * بِمَحْنِ الْغَضَى لَيْلِي عَلَى يَطْوُلُ
يُورِقُنِي حُدْبٌ صَغَارٌ أَذِلَّةٌ * وَإِنَّ الذِي يُوقِظُنِي لَذَائِلُ
إِذَا مَا قَتَلْنَاهُنَّ أَضْعَفْنَ كَثَرَةً * عَلَيْنَا وَلَا يُنْعَى لَهُنَّ قَتِيلُ
أَلَا لَيْتَ شَعْرِي هَلْ أَبَيْتَنَ لَيْلَةً * وَلَيْسَ لِبَرْغُوثٍ إِلَى سَبِيلُ

وقال العسكري من أبيات :

ومن براغيث تنفى النوم عن بصرى * كأن جفنى عن عيني قصيران
يطلبن منى ثارا لست أعرفه * إلا عداوة سودان ليضيان

(١) وقال أبو [الحسن أحمد بن] أيوب البصرى المعروف بالناهى :

٥ لا أعدل الليل في تطاوله * لو كان يدرى ما نحن فيه نقص
لى في البراغيث والبعوض إذا * يلحفنا حنيس الظلام قصص
إذا تغنى بعوضه طرباً * ساعد برغوته الغنا فرقص

وقال عبد المؤمن بن هبة الله الأصبهاني :

١٠ بات البراغيث في الفراش معى * تقسمني قسمة المواريث
أكلني بعد ما شربن دمي * فمن مغيثي من البراغيث

وقال أيضا فيها :

(١٤٦)

إن البراغيث إذا ساورت * من كنها ترقص أو تقرص
وكلمها غنت بعوض لها * فهي على شرب دمي أحرص
تقفز من ثم إلى هاهنا * كأنها زنجية ترقص

١٥ وقال عبد الله بن عبد الرحمن الدينوري :

وحش القوائم حذب الظهور * طرقت فراشي على غرة
وينقطنني بخراطيمهن كنقط المصاحف بالخمرة

وقال ابن المعتز :

وبراغيث إن ظفرن يجسمى * خلت في كل موضع منه خلا

(١) في الأصلين : « أبو أيوب النصرى » . والتصحيح والزيادة عن يتيمة الدهر .



وأما الحُرْقُوصُ وما قيل فيه — فقد ذكره الجاحظ في كتاب الحيوان فقال : وزعموا أنه دُويَّةٌ أكبر من البرغوث ؛ وأكثر ما يَنبُت لها جَنَاحانِ بعد حين . وعَضَّةُ الحُرْقُوصِ أشدُّ من عَضَّةِ البرغوث . قالوا : والحرقوصُ يُسمَّى النُّهَيْكَ . وأكثر ما يَعَضُّ أحرَّاحَ النساءِ وخُصَى الرجال . قال أعرابي وقد عَضَّ الحرقوصُ خُصيتيه :

لقد منعَ الحَرَّاقِيصُ القَرَّارَا * فلا لِيَلًا تَقَرَّ ولا نَهَارَا
يُغَالِبُنَ الرِّجَالَ على خُصَاهُم * وفي الأَحْرَاحِ دَسًا وَأَنْجِحَارَا

وقالت امرأةٌ تشير إلى زوجها :

يَغَارُ مِنَ الحُرْقُوصِ إنْ عَضَّ عَضَّةً * بَفَخَذَيَّ مِنْهَا مَا يَجِدُ غِيُورٌ^(١)
لقد وَقَعَ الحرقوصُ مِنِّي مَوْقِعًا * أرى لَذَّةَ الدُّنْيَا إِلَيْهِ تَصِيرُ

(١) كذا ورد هذا الشطر في الأصلين .

الباب السابع من القسم الخامس

من الفن الثالث في أنواع الأسماك

قال ابن أبي الأشعث : السمكُ يَسْتَنَشِقُ الماءَ بأصداغه فيقوم له مقامُ الهواء للإنسان . والسمكُ كُلُّ شَيْءٍ كَثِيرُ الأَكْلِ ، وحاسَّةُ السمعِ والشمِّ فيه أقوى منها في الإنسان . وأستدلُّ على ذلك بأدلة يطول شرحها . وحاسَّةُ البصرِ فيه ليست كالسمع والشمِّ وإنما أضعف . ولسانه غليظ قصير شبيه باللسان وليس لسانا . وله أضرار ليست للضغ عليها وإنما لقتل ما يفترسه من حيوان الماء ، ويُفْرِغ فيه سُماً يكون سببا لقتله . وصغار السمك تحترز من كباره بأن تطلب الماء القليل الذي لا يحمل الكبار .

وآختلف الناس في سِفاد السمك ، فالأكثرُ على أنه يسفد مثل الحية . وقال الجاحظ : وفي السمك القواطع والأوابد كالطير . ومن أصناف السمك ما هو في شكل الحيات . قال : وهي إما أن تكون كانت برية أو جبلية فأكتسحتها السيول وألقتها في الماء الدائم فتوالدت فيه ، وإما أن تكون أمهاتها وآبؤها من دواب الماء .

وقال الشيخ الرئيس أبو علي بن سينا في الأدوية المفردة : أفضلُ السمك في جثته ما كان ليس بكبير جدا ولا صلب اللحم ولا يابس ، لا دُسومة فيه كأنه يتفتت ، والذي لا مُحَاطِيَّة ولا سُهوكة فيه وطعمه لذيذ ، فإن اللذيذ مناسب ، وما هو دَسِيمٌ دُسومة غير مُفرطة ولا غليظة ولا شحمية ولا حريفة ، والذي لا يُسرِع إليه النَّتْن إذا فُصل عن الماء . ويُختار من السمك الصُّلب اللحم ما هو أصغر ، ومن الرِّخِص

اللحم ما هو أكبر إلى حدٍّ ما . وصُلِبَ اللحم مملوحًا خير منه طريًّا . وأما في الأجناس
فالشبَّايط أفضلها ، ثم البني ، والبياح البحريُّ لا بأس به . وأما في مأواه فالذى^(٢)
يأوى الأماكن الصخرية ثم الرملية والمياه العذبة الجارية التي لا قَدَر فيها ولا حَمأة
وليست بطيحية ولا نزيَّة ولا من البحيرات الصغار التي لا تسقيها الأنهار ولا فيها^(٣)
عيون . قال : والسماك البحريُّ محمودٌ لطيف ، وأفضلُ أصنافه الذي لا يكون
إلا في البحر والثلجة . والذي يأوى ماءً مكشوفًا ترفرف الرياح عليه أجود من الذي
بخلافه . والذي يأوى ماءً كثير الاضطراب والتموج أجود من الذي يأوى الماء
الراكد . والسماك البحريُّ لطيف اللحم لا سيما إذا كان مأواه في الشطوط صخرًا
أو رملاً ، والذي يصير من البحر إلى أنهارٍ عذبةٍ يعارض جرية الماء بالطبع لطيفٌ
كثير الرياضة . ١٠

وأما غذائه ، فالذى يغتذى بالحشيش وأصول النبات خير من الذي يغتذى
الأقذار التي تطرح من البلاد إلى المستنقعات . وأفضلُ ما يؤكل السمك اسفيدباجا^(٤)
ثم المشوى على الطابق . وأما المقلّي فيصالح لأصحاب المَعِدِ القويّة ومعه الأباير .^(٥)
والمشوى أغذى وأبطأ نزولًا ، والمطبوخ بالصد . وأفضلُ طيخه أن يُطبخ الماء
حتى يغلي ثم يُلقي فيه . ١٥

(١) ضبطه في القاموس كتاب وكان .

(٢) كذا في قانون ابن سينا . وفي الأصلين : « مياهه » .

(٣) البطيحية : نسبة إلى البطيحة وهي الماء المستنقع .

(٤) الاسفيدباج : نوع من طعام السمك . (راجع طريقة صنعه في كتاب الأطعمة النسخة

الفوتوغرافية المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٢ علوم معاشية) . ٢٠

(٥) الأباير : التوابل التي منها الكسبرة والمصطكا والفلفل والدارصيني والكراويا والزنجبيل

وزر الورد .

وأما المالح، فخير ما كان طرياً قريب العهد بالتمليح . وأحمد الممقور بالحلل^(١)
والتوابل .

وأما طبعه ، فجميع السمك بارد رطب ، لكن بعضه أسخن بالقياس إلى
مزاج السمك مثل الكوسج^(٢) والمارماهي^(٣)ج .

وأما أفعاله وخواصه ، فالطري منه يولد البلغم المائي مريض للأعصاب ، غير
موافق إلا للعدة الحارة جداً . قال : وجلد السمك المعروف "بسيفيانوس"^(٤) في ناحية
بيت المقدس إن ذر رماد جلده في عيون المواشي أذهب بياضها . والمالح من^(٥)
أصناف السمك يخرج السلاء^(٦) من المناشب^(٧) . قال : ورأس "سماريس"^(٨) محرقاً يقلع اللحم

(١) الممقور : المنقوع .

(٢) الكوسج : نوع من السمك له خرطوم كالمنشار يفترس ، وهو في الماء شر من الأسد في البر .
والحيوانات البحرية تنفر منه .

(٣) المارماهي : هو السليناج المعروف بالنون ، وهو حوت طويل .

(٤) كذا في القانون طبع بولاق . وفي الأصلين : « بسفياس » .

(٥) كذا في القانون . وفي الأصلين : « عنق » ، وهو تحريف .

(٦) السلاء : شوك النخل ، الواحدة سلاءة . وذلك أنه إذا تضمد بلحم السمك المالح وخصوصاً
« الجري » منه أخرج السلاء من عمق البدن . ويقال : إن لحم « الجري » قوته قوة جاذبة ، فإذا قدد
ودق ووضع من خارج أخرج السلاء كما أنه يخرج النصول والزجاج . (راجع مفردات ابن البيطار في اسم
« جري ») . وفي الأصلين : « السل » وهي لغة عامة مصر في السلاء .

(٧) المناشب : جمع منشب ، وهو اسم مكان من النشوب .

(٨) وردت هذه الكلمة في الأصلين هنا : « سمارس » ، وفيا يأتي : « سماريوس » . وقد أثبتناها
كما وردت في مفردات ابن البيطار (طبع مصر سنة ١٢٩١ هـ) . ووردت في آاب القانون لابن سينا :
« سماريس » و « سماروس » في أكثر من موضع .

الزائد في القروح ويمنع سعتها ويقلع الثآليل^(١) وآليوث^(٢) . وماء السمك المالح ينفع من القروح العفنة ويغسلها . قال : وإذا آحتقن^(٣) بسلاقة المالح مراراً نفع من وجع الورك . والسمك الصغار الذي تسميه أهل الشام ومصر "الصير" إذا تضمض صاحب القلاع^(٤) الخبيث بالمترى^(٥) الذي يتخذ منه نفعه . و"الرّعاد" الحى إذا قرب من رأس المصدوع أخدعه [عن الحس بالصداع]^(٦) . قال : وجلد "سيفيانوس" تحك به الأجفان الجربة فينفع ، وجلده المحرق أيضا يدخل في أدوية العين ، ويذهب^(٧) الأكتحال به مع الملح الظفرة^(٨) ، وأكله مقلّياً يورث غشاوة العين بل جميع السمك ، ورءوس

- (١) الثآليل : جمع ثلول . قال العلامة السمرقندى : هى بثور صغيرة شديدة الصلابة مستديرة ، وهى على ضروب شتى فمنها منكوسة ، ومنها متشققة ذات شظايا ، ومنها مسمارية وهى غليظة الرؤوس مستديرة الأصول تأخذ الى داخل العضو وكأنها مسمار (عن قاموس الأطباء للقيصونى المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٣٣٢ طب) . (٢) وردت هذه الكلمة فى الأصلين غير واضحة الإعجام . وقد أعجمناها كما وردت فى مفردات ابن البيطار . ونص عبارته : « ... سمريس وهو صنف من السمك رأس المملوح منه اذا أحرق قلع اللحم الزائد فى القروح ومنع القروح الخبيثة من أن تسعى فى البدن ، ويقلع الثآليل التى يقال لها أبلو واللحم الزائد فى الأبدان الذى يقال له باليونانية بومو وتسميه الأطباء بالعربية اليوث ... » .
- (٣) كذا فى القانون . وفى ١ : « أهل مصر الخ » . وفى ب : « أهل الشام الخ » .
- (٤) القلاع (كغراب) : قرحة تكون فى جلدة الفم واللسان مع انتشار واتساع ، وتعرض للصبيان كثيرا الرداءة اللبن أو لسوء انهضامه فى المعدة . (عن قاموس الأطباء للقيصونى) .
- (٥) فى مفردات ابن البيطار : « المرى المعمول من السمك المالح واللحوم الجافة اذا صب على القروح الخبيثة منعها أن تسعى فى البدن ويرى عضة الكلب الكلب ويحققن به لقرحة الأمعاء لتكويها » .
- (٦) زيادة عن القانون . (٧) فى القانون : « ويذيب » .
- (٨) الظفرة (بالتحريك) : جلدة تنبت عند المآقى وقد تمتد الى السواد فتغشيه ، كذا فى كتب اللغة . وفى كتب الأطباء : الظفرة زيادة من المتحمة أو من الحجاب المحيط بالعين بتندى فى الأكثر من المآق الإنسى ، وهى ثلاثة أنواع : نوع منها غشائى رقيق يتندى من جوانب المتحمة . والثانى يتندى من لحم المآق وينبسط الى أن يلحق حدة السواد فيقف هناك ويغلظ . والثالث يغشى فيضر بالبصر بل يبطله البتة (عن قاموس الأطباء للقيصونى) .
- (٩) كذا فى القانون . وفى الأصلين هكذا : « وأكل طريغلا » ، وهو تحريف .

- السَّمَكَاتِ الْمَمْلُوحَةِ الْمُجَفَّفَةِ تَنْفَعُ اللَّهَاءُ الْوَارِمَةُ، وَعِلَاجٌ جَيِّدٌ مِنْ شُقَاقِ الْمَقْعَدَةِ ^(٢) .
 وَغِرَاءُ السَّمَكِ يُلْقَى فِي الْأَحْسَاءِ فَيَنْفَعُ نَفَثَ الدِّمِ . قَالَ : وَحَوْصَلَةُ سَيْفِيَانُوسَ تُلْدِيَنَّ
 الْبَطْنَ مَعَ صَعُوبَةِ انْهَضَامِهَا . قَالَ : وَرَأْسُ الْمَالِحِ ^(٣) [مِنْ] سَمَارِيسَ مُحَرَّقًا يُجْعَلُ
 عَلَى عِضَةِ الْكَلْبِ الْكَلْبِ وَلَسَعَةِ الْعَقْرَبِ فَيَنْفَعُ ذَلِكَ ، وَكَذَلِكَ كُلُّ سَمَكَةٍ . وَمَرْقَةُ
 كُلِّ سَمَكٍ تَنْفَعُ مِنَ السَّمُومِ الْمَشْرُوبَةِ وَالنُّهُوشِ . قَالَ : [وَالسَّمَكُ يَنْفَعُ مِنْ عُسْرِ ^(٤)
 النَّفْسِ وَالرَّبْوِ وَالْيَرَقَانِ وَيَسْهَلُ الْبَلْغَمَ وَيَنْفَعُ مِنْ خُنَاقِ الرَّحِمِ] .

وقد وصف الشعراء السمك في أشعارها ، فمن ذلك قول ابن الرومي يخاطب
 رئيساً ويستدعي منه سمكاً : ^(٥)

- عُسْرَتْ عَلَيْنَا دَعْوَةُ السَّمَكِ * أَنَّى وَجُودُكَ ضَامِنِ الدَّرَكِ ^(٦)
 إِعْلَمْ وَقِيَّتَ الْجَهْلَ أَنْكَ فِي * قَصِيرَتَلْتَهُ مَطَارِحُ الشَّبَكِ
 وَبَنَاتُ دِجْلَةٍ فِي فِنَائِكُمْ * مَأْسُورَةٌ فِي كُلِّ مُعْتَرَكِ ^(٧)

(١) اللهاء : اللحمية المشرفة على الحلق . وقيل : هي لحمية حمراء في الحنك معلقة على عكدة اللسان ،
 ومنفعتها تدريج الهواء لئلا يقرع ببرده الرئة بفاة وتمنع الدخان والغبار وتكون مقرعة للصوت يقوى بها
 ويعظم كأنها باب موصل .

(٢) كذا في القانون . وفي الأصلين : « المعدة » ، وهو تحريف .

(٣) التكملة عن القانون .

(٤) هذه العبارة المحصورة بين مربعين ذكرها المؤلف ضمن منافع السمك ونسبها لابن سينا . وقد راجعنا
 ما قاله ابن سينا عن السمك فلم نجدها فيه بل ذكرها أثناء كلامه على « سفيدوليون » أو « سفندوليون »
 كما قال ابن البيطار في مفرداته وهو اسم نبات .

(٥) هو ابن أبي بشر المرثدي ، كما في ديوانه المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٣٩ أدب .

(٦) كذا في ديوانه ومباحج الفكر . وفي الأصلين : « عودة » وهو تحريف .

(٧) قال الثعالبي في ثمار القلوب (ص ٢٢٠ طبع مصر) : وجعل ابن الرومي السمك بنات دجلة

واستشهد بهذا البيت .

(١)
بِيضٌ كَأَمْثَالِ السِّبَائِكِ بَلْ * مَشْحُونَةٌ بِالشَّحْمِ كَالْعُكَّكِ
حَسَنَتْ مَنَازِلُهَا وَسَاعَدَهَا * طَعْمٌ كَلَّ مَعَاقِدَ التَّكَاكِ
فَلْيَصْطِدِ الصَّيَّادُ حَاجَتَنَا * يَصْطَدُّ مَوَدَّتَنَا بِلَا شَرِكِ

وقال أبو الفتح كشاجم :

ومحجوبة بالماء عن كل ناظرٍ * ولكنها في حجبها تُتَخَطَّفُ
أخذنا عليهم السبيل بأعينٍ * رَوَّاحِدٌ إِلَّا أَنَّهَا لَيْسَ تَطْرِفُ
بِحُثْنِهَا بِيضُ الْمَتُونِ كَأَنَّهَا * خَنَاجِرٌ فِي أَيْمَانِنَا نَتَعَطَّفُ (٢)

وقال أبو عبادة البُحْتَرِيُّ وذكر بركة :

لَا يَبْلُغُ السَّمَكُ الْمَقْصُورُ غَايَتَهَا * لُبْعِدٌ مَا بَيْنَ قَاصِيهَا وَدَانِيهَا (٣)
يَعْمُرُ فِيهَا بِأَوْسَاطٍ مَجْنَحَةٍ * كَالطَّيْرِ تَنْفُضُ فِي جَوْ خَوَافِيهَا

وقال أبو طالب المأموني في المَقْلِي منه :

مَآوِيَةٌ فِضْيَةٌ لِحُجَّتِهَا * أَلَذُّ مَا يَأْكُلُهُ إِلَّا كِلُ
يَضُمُّهَا مِنْ جِلْدِهَا جَوْشَنٌ * مُذِيلٌ (٤) فَهُوَ لَهَا شَامِلٌ (٥)
لَوْنَتْ مِنْ فِضَّتِهَا عَسْجَدًا * بِالْقَلِي لِمَا ضَافَنِي نَازِلٌ

(١) العكك : جمع عكة ، وهي وعاء للسمن من الجلد .

(٢) في الأصلين : « بجاء بها » وهو لا يلتئم مع بقية الشعر . وقد بحثنا عن هذا الشعر في عدة نسخ خطية ومطبوعة من ديوان كشاجم فلم نجده .

(٣) كذا في الأصلين ومباهج الفكر . وفي ديوانه : « المحصور » بالحاء المهملة .

(٤) الجوشن : الدرع .

(٥) كذا في يتيمة الدهر للثعالبي . وفي الأصلين : « مدبل » بالبدال المهملة والباء الموحدة ،

وقال أيضا :

مائيّة في النار مَضَلِيَّةٌ ^(١) * يُصْبَغُ من فِضَّتِها عَسَجِدُ
كأَنَّمَا جلدُها جَوْشَنُ ^(٢) * مَزْرَفُنُ الصَّنْعَةِ أو مِبْرَدُ

- وقال عطاء بن يعقوب يصف سمكةً من رسالة يَستدعى بها صديقا ، جاء منها : ” قد أهدى لنا صديق سمكة ، قد ليست من جلدِها شبكه ، تُشبه حملا شَكْلًا وَقَدًا ، أوجِرابًا قد أَمْتَلَأَ زُبْدًا ، كأنها أرادت أن تحاربَ نِجْمَ السَّمَاءِ ، أَوْحُوتَ الْأَفْلاكِ ، فليست من جلدِها جَوْشَنًا مَزْرَدًا ^(٣) . وسَلَّتْ من ذَنبِها سيفًا مجرّدا “ .

- وقال خالد بن صفوان ليزيد بن المهلب يصف سمكا : ” أتيتُ بِنَاتٍ بِيضَ البطون ، زُرْقِ العيون ، سُودِ المتون ، حُذِبِ الظهور ، مَعَقَّاتِ الْأَذْنَابِ ، صِغَارِ الرءوس ، غِلَاطِ الْقَصْرِ ^(٤) ، عِرَاضِ السَّرَرِ “ .
- هذا ما آتفق إِيْرَادُهُ في السَمَكِ الْمُطْلَقِ . فلنذكر أصنافا من أنواع الأسماك .

ذكر شيء من أنواع الأسماك

- وأنواعُ الأسماكِ كثيرةٌ جدًا ، منها ما يعرفه الناس ، ومنها ما لم يعرفوه ، ومنها ما يكون في أماكن من البحار دون غيرها . وقد ذهب بعضهم أن كل حيوانٍ

(١) كذا في يتيمة الدهر . وفي الأصلين : « مصلوبة » .

(٢) الزرفين (بالكسر والضم) : حلقة الباب أو هو عام ، والجمع : زرافين . ومنه الحديث : كانت درع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات زرافين إذا علق بزرافينها سترت وإذا أرسلت مست الأرض ، وهو معرب كما في الصحاح .

(٣) في الأصلين : « موردا » .

(٤) القصر : جمع قصرة وهي أصل العنق .

في البر يكون مثله في البحر . فلنورد في هذا الفصل ما أمكن إيرادُه ، وهو الدُّفِين ،
والرَّعَاد ، والتمساح ، والسَّقَنْقُور ، والسَّلْحَفَة ، والجلَّة ، والفرس النهري ، والخنديدستر
والقُنْدُس^(١) ، والقاقم ، والضَّفَادِع ، والسَّرَطَان ، وشيء من عجائب الحيوان المائي ،
على حكم الاختصار حيث تعذر الاستيعاب .

٥ . فَأَمَّا الدُّفِين — وهو كالزَّق المنفوخ ، وله رأس صغير جدًا . وهو يوجد
في بحر النيل يقذفه البحر الملح إليه . ويقال : ليس في دواب البحر ماله رئة^(٢) غيره ؛
فلذلك يُسمع له التنفُّس والنَّفْخ ، وهو إذا ظفر بالغريق كان أقوى الأسباب
في نجاته ؛ فإنه لا يزال يدفعه الى البر [حتى ينجيه]^(٣) . وهو من أقوى الدواب المائية .
ولا يؤذى ولا يأكل غير السمك . وربما ظهر على وجه الماء وهو نائم كالميت .
١٠ . وهو يلد ويرضع . وأولاده تتبعه حيث ذهب ؛ ولا يلد إلا في الصيف . وفي طبعه
الأنس بالناس وخصوصا الصبيان . وإذا صيد جاءت الدلافين لقتال صائده ، فإذا
أطلقه لها أنصرفت . وأهل المراكب في البحر الفارسي إذا رأوه استبشروا به وأيقنوا
ببلوغ الأرب سمي الغزاة .



١٥ . وَأَمَّا الرَّعَاد — ويكون في نيل مصر ، ولم أسمع به في غيره . وفيه من
الخاصية أنه لا يستطيع أحد من الناس أن يمسسه . ومتى وضع الإنسان يده عليه

(١) في الأصلين : « القندر » بالراء بدل السين ، وهو تحريف ؛ إذ القندر من أسماء الخنديدستر ،
فلا معنى إذا تكراره . والتصويب عن مباحج الفكر وحياة الحيوان في كلامهما على « القندس » .
(٢) كذا في مباحج الفكر . وفي الأصلين : « ألية » وهو تحريف .
(٣) زيادة عن مباحج الفكر .

نزعها بحركته وصاح صيحةً منكراً ربما دهش الإنسان لها، ويجد الرجل في فؤاده خفقاناً من ذلك . وهو متى وقع في شبكة الصياد ارتعدت يداه عند إخراج الشبكة من الماء أو جذب الحبل ، فيعلم أنه قد وقع له السمك الرعاد .



- وأما التماسح — وهو أيضاً لا يكون إلا في نيل مصر، وزعم قوم أنه يوجد في مهران السند^(١)، لزعمهم أنه من النيل . وهو شديد البطش في الماء . وهو يعظم إلى أن ينتهي في الطول إلى عشرين ذراعاً في عرض ذراعين . ويفترس الفرس والإنسان . ولا يقوى على قتاله من الحيوان إلا الجاموس . وله يدان ورجلان وذنب طويل يضرب به ويلف . وهو لا يصاد إلا أن يضرب في إبطيه، ومنهما مقتله . ويقال : إنه إذا أراد السفاد خرج هو والأنثى إلى البر فيقلبها على ظهرها ويستبطنها ، فإذا فرغ قلبها لأنها لا تتمكن من الانقلاب ليصير يديها ورجليها ويؤس ظهرها . وهي تبيض في البر ، فما وقع في الماء صار تماسحاً وما بقي في البر صار سقنقوراً . والتماسح يحرك فكّه الأعلى دون الأسفل ، ولسانه معلق به . ويقال : إنه ليس له مخرج ، وإن جوفه إذا امتلأ خرج إلى البر وفتح فمه فيجىء طائر صغير أرقط فينقر بمنقاره ما في جوفه ويخرجه ، وذلك غذاء الطائر وراحة للتماسح . وفي رأس هذا الطائر شوكة^(٢) فإذا غلق التماسح فمه عليه نحسه بها فيفتحه . ويقال : إن للتماسح ستين سنّاً وستين عرقاً ، ويسفد ستين مرة ، ويبيض ستين بيضة .

(١٤٩)

(١) مهران السند : نهر عظيم بالسند بقدر دجلة تجري فيه السفن ويسقى بلاداً كثيرة ويصب في البحر عند الديبل (مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند) . وماؤه عذب جداً . وهو مثل النيل في الكبر وجريه مثل جريه ، ويرتفع على وجه الأرض ثم ينصب فيزرع عليه مثل ما يزرع بأرض مصر .

(٢) غلق (بالتضعيف) كأغلق ، وغلق (بالتخفيف) لغة نادرة أو رديئة متروكة .

وَيُوجَدُ فِي جُلْدِهِ مِمَّا يَلِي بَطْنَهُ سِلْعَةٌ كَالْبَيْضَةِ فِيهَا رَطوبَةٌ لَهَا رَائِحَةٌ كَالْمَسْكِ ، وَتَقْطَعُ رَائِحَتُهَا بَعْدَ أَشْهُرٍ .

ووصفه شاعرٌ فقال :

وَذِي هَامِيَةٍ كَالْتُرْسِ يَفْغَرُ عَنْ فَمٍ * يُضَمُّ عَلَى مِثْلِ الْحَسَامِ الْمَثَلَمِ
وَيَفْتَرُّ عَنْ مِثْلِ الْمَنَاشِيرِ رُكْبَتٌ * عَلَى مِثْفَرٍ مِثْلِ الْقَلْبِ الْمُهْدَمِ
مَشَى فِي شَوَاةٍ مِنْ فَقَارَةٍ غَيْلِمٍ * وَسَقَفَ لَحْيًا عَنْ مَنَاصِبِ شَيْهَمِ^(٢)



وَأَمَّا السَّقَنْقُورُ — وَيُسَمَّى الْحِرْدَوْنَ الْبَحْرِيَّ . وَيَقَالُ : إِنَّهُ وَرْلٌ مَائِيٌّ .
وَمِنْهُ مَا هُوَ مِصْرِيٌّ ، وَمَا هُوَ هِنْدِيٌّ ، وَمَا يَتَوَلَّدُ فِي بَحْرِ الْقُلْزُمِ وَبِبِلَادِ الْحَبَشَةِ . وَهُوَ
يَغْتَذِي فِي الْمَاءِ بِالسَّمَكِ وَفِي الْبَرِّ بِالْقَطَا . وَأُنْثَاهُ تَبْيِضُ عَشْرِينَ بَيْضَةً وَتَدْفِنُهَا
فِي الرَّمْلِ ، فَيَكُونُ ذَلِكَ حَضَنَهَا . وَجِلْدُهُ خَشِنٌ مُدَبَّجٌ بِالسَّوَادِ وَالصَّفَرِ . وَهُوَ إِذَا
عَضَّ إِنْسَانًا وَسَبَقَهُ الْإِنْسَانُ إِلَى الْمَاءِ فَاغْتَسَلَ مِنْهُ مَاتَ السَّقَنْقُورُ ؛ وَإِنْ سَبَقَ
السَّقَنْقُورُ الْإِنْسَانَ إِلَى الْمَاءِ مَاتَ الْإِنْسَانُ . وَبَيْنَ السَّقَنْقُورِ وَبَيْنَ الْحَيَّةِ عَدَاوَةٌ
عَظِيمَةٌ ، مَتَى ظَفَرَ أَحَدُهُمَا بِصَاحِبِهِ قَتَلَهُ .

وَقَالَ الشَّيْخُ الرَّئِيسُ : أَجُودُ السَّقَنْقُورِ مَا صِيدَ فِي الرَّبِيعِ وَقْتَ هَيْجَانِهِ .
وَأَجُودُ أَعْضَائِهِ السُّرَّةُ . وَهُوَ يَنْفَعُ مِنَ الْعِلَلِ الْبَارِدَةِ فِي الْعَصَبِ . وَمِلْحُهُ يَهَيِّجُ الْبَاهَ
فَكَيْفَ لَحْمُهُ ، وَخُصُوصًا لَحْمُ سُرَّتِهِ وَمَا يَلِي كُلِّيَّتَيْهِ وَخُصُوصًا شَحْمَهَا .

(١) السلعة : زيادة تحدث في الجسد مثل الغدة .

(٢) كذا في ب . وورد في أ مهمل الإجمام . ولعله يريد به أنه طَوَّلَ لَحْيًا مِنْ قَوْلِهِمْ :

لَحَى سَقْفَ أَى طَوِيلَ مَسْتَرَخٍ وَالْمَسَقْفُ كَعِظَمٍ : الطَوِيلُ . وَالْغَيْلِمُ : السِّلْحَفَةُ الذَّكَرُ . وَالشَّيْهَمُ : ذَكَرُ
الْقَنَافِذِ أَوْ مَا عَظُمَ شَوْكُهُ مِنْ ذَكَورِهَا .



- وأما السُّلْحَفَةُ وَاللَّجَأَةُ - يقال : إنَّ اللَّجَأَةَ تَبْيِضُ فِي الْبَرِّ ، فَمَا أَقَامَ بِهِ
سُمِّيَ سُلْحَفَةً ، وما وقع في البحر سُمِّيَ لَجَأَةً . فأما ما يبقى في البر فإنه يعظم حتى
لا يكاد الرجل الشديد يحمله . وقد رأيتُ في سنة سبع وسبعمئة بالقاهرة المعزَّية
سُلْحَفَةً تَحْمِلُ الرجلَ وتمشي به وهو قائم على ظهرها . وما ينزل البحر يعظم حتى
لا يكاد الحمار يحمله ، وربما وُجد منها ما زنته أربعمائة رطل . وتبيض أنثاه
أربعمائة بيضة . وهي تحضن بيضها بالنظر إليه والرَّصْدِ له لا غير . وللدَّكر نِزْكَانٍ
ولأنثى فِرْجَانٍ . والدَّكر يُطِيلُ الْمُكْتَثَ فِي السَّفَادِ . والعرب تَكْنِيهَا « أُمَّ طَبَقٍ » .
ويزعمون أنها تبيض تسعاً وتسعين بيضةً ، وتبيضُ تمامَ المائةِ بيضةً يخرج منها
أسود (أى ثعبان) . وهو مولعٌ بِأكل الحياتِ ، وإذا أكل الأفعى أكل صَعْتراً
جَبَلِيًّا ، فإذا أكل من أكل الحيات والصَّعْتَرِ هَلَكَ . وله تحيُّلٌ فيما يصيده من
الطَّائِرِ ، وهو أنه يصعد من الماء ويتمرغ في التراب ويأتي موضعاً قد سقط
الطيرُ عليه ليشرب ، فيخفي على الطير بكُدْرَةِ لَوْنِهِ التي آكْتَسَبَهَا من الماء والتراب ،
فيصيد منها ما يكون له قوتاً ويدخل به الماء فيموت الطائرُ فياً كله .

١٥

ووصفها شاعر فقال :

وَسُلْحَفَةٌ سَمِجٌ * سَكُونُهَا وَالْحَرَكَه
شَبَّهْتُهَا بِدَيْلَمِيٍّ سَاقِطٍ فِي مَعْرَكِهِ
مُسْتَتِرٍ بِتَرْسِهِ ^(١) * عَمَّنْ عَسَى أَنْ يَهْلِكَهُ

(١) في الأصلين : « بتر به » . والتصويب عن مباحج الفكر .

وقال أبو بكر الخوارزمي يصف لحاة :

بُنْتُ ماءً بَدَتْ لَنَا مِنْ بَعِيدٍ * مِثْلَ مَا قَدْ طَوَى الْحَارَى سَفَرُهُ^(١)
رَأْسُهَا رَأْسُ حَيَّةٍ وَقَرَاهَا^(٢) * ظَهَرُ تَرْسٍ وَجِلْدُهَا جِلْدُ صَخْرَةٍ
مِثْلُ فَهْرِ الْعَطَارِ دُقَّ بِهِ الْعِطْ * رُفِلَتْ طَرَائِقُ الطَّيْبِ ظَهْرَهُ^(٣)
يَقْطَعُ الْحَرْفَ رَأْسُهَا إِذَا مَا * أَمْتَهُ فَرَأْسُهَا مَسْتَقَرَّهُ^(٤)

وقال آخر :

لَحَى اللَّهُ ذَاتَ فَيْمٍ أَحْرَسِ * تُطِيلُ مِنَ الْعِيِّ وَسَوَاسِهَا
تَكُوبُ عَلَى ظَهْرِهَا تُرْسُهَا * وَتُظْهِرُ مِنْ جُلِّهَا فَاسَهَا^(٥)
إِذَا الْحِدْرُ أَقْلَقَ أَحْشَاءَهَا * وَضَيَّقَ بِالْخَوْفِ أَنْفَاسَهَا
تَضُمُّ إِلَى نَحْرِهَا كَفَّهَا * وَتُدْخِلُ فِي جَوْفِهَا رَأْسَهَا

* * *

وأما الفرس النهرى — وهو عظيم الجثة، وخلقته خلق الفرس، إلا أن وجهه أوسع، وله أظلاف كالبقرة، وذنبه مثل ذنب الخنزير، وصوته يشبه صوت الفرس. وهو لا يوجد إلا في نيل مصر. وهو يخرج من الماء إلى البر، ويرعى

(١) كذا في أ وفي ب هكذا « الجادى » ولم نتبين المراد منها .

(٢) كذا في مباحج الفكر . وفي الأصلين : « وقفها » .

(٣) الفهر : الحجر الرقيق الذى تسحق به الأدوية على الصلاة .

(٤) كذا في مباحج الفكر . وفي الأصلين : « بخلت » بالجيم .

(٥) كذا في كتاب الألفاظ الفارسية (ص ٩٢ طبع بيروت) . وفي الأصلين ومباحج الفكر وحياة

الحيوان : « وتظهر من جلدها رأسها » . وقد آثرنا رواية الألفاظ الفارسية لتعاشي الإيطاء الظاهر بين

البيت الثانى والرابع . والفأس : طرف مؤخر الرأس المشرف على القفا .

الزَّرْع . وإذا قصد الزرع لا يتدئ من أقوله ، ولكنه يجوز منه قطعة بقدر ما يأكل ويتدئ منها بحيث يكون وجهه إلى البحر . وهو يقتل التمساح ويقهره . وأهل الديار المصرية إذا رأوا أثر حافره في البر تباشروا بزيادة النيل وكثرة الخصب . وفي سنة اثنتين وسبعمئة طلع الفرس النهرى إلى البر بالحيزة وأبعد عن البحر ، فتحيل عليه وقتل . وأهل النوبة يصيدونه كثيرا ، ويتخذون من جلده سياطا يسوقون بها الإبل .



وأما الجندبيدستر — وهو السمور ، ويسمى " كلب الماء " .
 ولا يوجد إلا ببلاد القفجاق وما يليها . وهو على هيئة الثعلب ، أحمر اللون ، لا يدان له ، وله رجلان وذنب طويل ، ورأسه كراس الإنسان ، ووجهه مستدير . وهو يمشى متكئا على صدره كأنه يمشى على أربع ، وله أربع خصى : ثنتان ظاهرتان وثنيتان باطنتان . وهو إذا رأى الصيادين يجتدون في طلبه لأجل الجندبيدستر ، وهو خصيتاه الظاهرتان ، قطعهما بفيه ورمى بهما إليهم ؛ إذ لا حاجة لهم إلا بهما . فإن لم يرهما الصيادون وداموا في الجدد في طلبه استلقى على ظهره ليريهم الدم ، فيعلمون أنه قطعهما فيصرفون عنه . وهو إذا قطع الظاهرتين ظهر الباطنتان وعوض عنهما غيرهما . وفي داخل الخصى شبه الدم أو العسل زهم الراحة سريع التفرك إذا جف . ويقال : إنه يوكر^(٢) على الأرض ويولد عليها ويرعى فيها ، ويهرب إلى الماء ويعتصم به ، ويمكنه أن يلبث في قعره حابساً لنفسه زمناً ثم يخرج [إلى الهواء] .

(١) القفجاق : قوم كانوا يعرفون بالخفشاخ غربوا إلى بلاد القسطنطينية وكان لهم ملوك كثيرة في بلاد

المغرب ففرق التتر شملهم (عن تقويم البلدان ص ٢٠٦ طبع أوروبا) . (٢) وكر : اتخذ وكرا .

(٣) يقال : أولدت الشاة إذا وضعت . (٤) زيادة عن مباحج الفكر .



وأما حيوان القُنْدُس والقَاقِمُ ^(١) — فالقُنْدُس يَغْتَذِي بالسَّمَكِ وَالنَّبَاتِ .
ويقال : إن فيه سادةً وعبيداً ، وإنه يَتَّخِذُ مَسَاكِنَ مَرْتَبَةً عَلَى تَرْتِيبِ مَسَاكِنِ النَّاسِ .
والسَّادَةُ يَتَّخِذُونَ فِي بَيْوتِهِمْ صُفُفًا ^(٢) مُرْتَفَعَةً يَكُونُونَ عَلَيْهَا ، وَفِي أَسْفَلِهَا مَوَاضِعَ لِلْعَبِيدِ ،
وَلِبَيْوتِهِمْ أَنْفَاقًا إِلَى الْبَرِّ وَأَبْوَابًا إِلَى النَّهْرِ . وَبَعْضُ هَذَا الْحَيْوَانِ يُغَيِّرُ عَلَى بَعْضٍ ،
وَالسَّادَةُ لَا تُتَكَسَّبُ ، وَإِنَّمَا يَتَكَسَّبُ لَهَا الْعَبِيدُ . وَيُعْرِفُ جِلْدُ السَّيِّدِ مِنْ جِلْدِ الْعَبْدِ
بِحَسَنِ لَوْنِهِ وَبِصَيِّصِهِ ^(٣) . وَأَهْلُ تِلْكَ الْبِلَادِ يَسْلُخُونَ خِرَاطِيمَ الْقُنْدُسِ وَالسَّمُورِ وَيَتَعَامَلُونَ
بِهَا كَمَا يَتَعَامَلُ بِالذَّنَانِيرِ وَالْدَرَاهِمِ بِحَيْثُ يَكُونُ عَلَيْهَا خَتَمُ الْمَلِكِ . وَجِلْدُ هَذَا الْحَيْوَانِ
هُوَ الَّذِي يُعْمَلُ شَرَابِيشُ ^(٤) الْأَمْرَاءِ وَأَطْوَاقُ التَّشَارِيفِ وَدَوَائِرُهَا .

وَالْقَاقِمُ : حَيْوَانٌ يُشَبِّهُ السَّنَجَابَ إِلَّا أَنَّهُ أَبْرَدُ مِنْهُ وَأَرْطَبُ ، وَلِهَذَا هُوَ أَبْيَضُ
يَقْقُ . وَهُوَ يُجَلَّبُ مِنْ بَحْرِ الْخَزَرِ . وَجِلْدُهُ يُشَبِّهُ جِلْدَ الْفَنَكِ ^(٥) .



وأما الضفادع — وهى أصناف كثيرة ، تكون من سفادٍ وغيرِ سفادٍ . وهى
تبيضُ فِي الْبَرِّ وَتَعِيشُ فِي الْمَاءِ . وَالَّذِي مِنْ غَيْرِ سِفَادٍ يَتَوَلَّدُ مِنَ الْمِيَاهِ الضَّعِيفَةِ ،
وَمِنَ الْعُقُونَاتِ ، وَغِبَّ الْأَمْطَارِ الْغَزِيرَةِ ، حَتَّى يَتَوَهَّمُ الْمَتَوَهَّمُ أَنَّهُ يَسْقُطُ مِنَ السَّحَابِ
لِكَثْرَةِ مَا يُرَى مِنْهُ عَلَى الْأَسْطِاحَةِ عَقِيبَ الْمَطَرِ . وَيُقَالُ : إِنَّهُ يُخْلَقُ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ .

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣١٣ من هذا الجزء .

(٢) الصفة من البنيان : شبه البهو الواسع الطويل السمك .

(٣) البصيص : البريق واللعان .

(٤) الشرايش : جمع شربش (بكعفر) وهو هذب الثوب .

(٥) الفنك : دابة يؤخذ منها الفرو .

والضفدع من الحيوان الذى لا عظم له . وفيه ما ينق وماليس ينق . وليس صوت ما ينق من فيه ولكنه من جلود رقائق تكون إلى جانب أذنيه ، فإذا أراد النقيق أنفتحت فيخرج الصوت منها . وهى تطبق فى زمن الشتاء فلا تفتح حتى يعتدل الجو .

- قال الجاحظ : والضفدع لا يصيح ولا يمكنه الصياح حتى يدخل حنكه .
 الأسفل الماء ، فإذا صار فى فيه بعض الماء صاح ، ولذلك لا تسمع للضفادع نقيقاً إذا كن خارجات من الماء . قال : والضفادع تنق ، فإذا أبصرت النار أمسكت . وتوصف بحدة السمع إذا كانت خارج الماء . ويضرب بها المثل فى السمع والحذر ، فيقال : « أحذر من ضفدع » و « أسمع من ضفدع » . وقال شاعر يصف الضفادع :

ومقعّدات زانهن أرجل * كقعدة الناكح حين ينزل
 * يكسين وشياً وعيون تكحل *

وقال آخر :

- دعتك فى فاضة مدرة^(١) * ليس لها طرة ولا هدب
 قد نسجت من زبرجد بحرى * بين تضاعيف نسجها الذهب
 يظل صمتاً نهاره فإذا * أدركه الليل بات يضطخب
 وهو وإن لم يغط مقلته * جفن ولا امتد خلفه ذنب
 يعجبني ما أراه منه ففى * خلقتة واختلافها عجب

(١٥١)

(١) الفاضة : القميص الواسع البراق . ومدرة : يشبه وشيا الدنانير .



وأما السَّرَطَانُ وما قيل فيه — وهو ذوفَكَيْنٌ ومَخَالِبٌ وأظفارِ حَدَادٍ،
كثيرُ الأسنانِ، صُلْبُ الظهرِ، سريعُ العدو، وعينه على كَتِفِيهِ، وقَمُهُ في صدره،
وفكاه مشقوقان من جانبيه . وله ثَمَانِي أَرْجُلٍ . وهو يمشي على جانبٍ واحدٍ،
ويستنشق الماءَ والهواءَ معاً . وهو يسلخ جلدَه في السنة ستَّ مراتٍ . ويتخذ
يُجَحِّره بايين، أحدهما إلى الماء والثاني إلى البرِّ . فإذا سلخ جلدَه سدَّ عليه ما يلي
الماء خوفاً من السمك وترك ما يلي البرِّ مفتوحاً، فإذا جفَّت رطوبته واشتدَّ، فتح
ما يلي الماء وطلب معاشه .

قال شاعر يصفه :

١٠ في سَرَطَانِ الماءِ أُعْجِبُهُ * ظَاهِرَةٌ لِلخَلْقِ لَا تُخْفِي
مُسْتَضْعَفُ الْمُنَّةِ لَكِنَّهُ * أَبْطَشُ مِنْ حَارِبَتِهِ كَفًّا
يُسْفِرُ لِلنَّازِرِ عَنْ جَمَلَةٍ * مَتَى مَشَى قَدَرَهَا نَصَفَا

وقال أبو عبيد البكري^(١) في كتابه المترجم بالمسالك والممالك : إنَّ بحر الصين
سَرَطَانَاتٍ تخرج كالذراع والشبر، فإذا صارت إلى البرِّ عادت حجارةً وأُنْقِلَت عن
الحيوانية، والأطباء يتخذون منها كحلاً يجلو البياض .

(١) هو أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي المتوفى سنة ٥٨٧ هـ، وكان مولده سنة ٥٣٢ هـ
(١٠٤٠ م) . وقد طبع جزء من كتابه المسالك والممالك هذا في الجزائر سنة ١٨٥٧ م بعنوان "كتاب
المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب" . وقد نقل إلى الفرنسية وطبع تباعاً في المجلة الآسيوية الباريزية
في سنتيها ١٨٥٨ م و ١٨٥٩ م . وله مؤلفات كثيرة : منها "كتاب معجم ما استعجم" و "أعيان النبات
والشجيرات الاندلسية" وغيرهما . (راجع ترجمته بتفصيل في كتابه "التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه"
طبع دار الكتب المصرية) .

ذكر شيء من عجائب الحيوان المائي

- وعجائب البحر كثيرة جدًا لا يُستغرب ما نذكر منها؛ ولذلك قيل : «حدث عن البحر ولا حرج» . وقد حكى صاحب كتاب مباحج الفكر ومناهج العبر في كتابه ، قال : رأيت في بعض المجاميع المجهولة أن في بعض البحار شاة شعراء تكون في البر مع البهائم حين الرعى ؛ فإذا فرغت من رعيها عادت إلى الماء ، وتأكل السمك .
- قال : وذكر لها خواص . قال : وذكر بعضهم دابة سماها «نخ الماء» ولم يُسم المكان الذي تكون فيه ، وقال : إنها مثال ابن عرس أو أكبر قليلًا ، سباحتها في الماء بجريها في البر ، لها وبر ناعم تعمل منه ثياب الخرز ، وهذا البر موجود تأتي به التجار من البحر الرومي يباع بالقاهرة ، ويُسمونه صوف السمك ؛ وهو أخضر اللون ؛ ويقال : إنه إذا طلع من البحر يكون أبيض يققًا ، فإذا صار إلى البر وأصابه النسيم أنقلب إلى الخضرة . وهم يغزلونه ويلحمون به الثياب المسداة بالحرير ، وقيمتُه لا تقصر عن قيمة الحرير وربما يزيد عليه . وأرخص ما آتته أنا حسابًا عن وزن كل مائة درهم أربعين درهمًا . وبه تُخنق الأفاعي بمصر ، تُقتل منه خيوط تُسمى إذا خنق بها الأفاعي حبال الخناق ، لها نفع في تحليل مرض الخناق .

ويقال : إن بحر الروم — وربما غيره أيضًا — حيوانًا يُسمونه «بنات الماء» يُسمهن النساء ، لهن شعور سباط^(٢) ، ألوانهن إلى السُمرة ، ذوات فروج عظام وثدي ، ولهن قهقهة وضحك وكلام لا يفهم ؛ وربما يقعن لأصحاب المراكب وغيرهم

(١) في الاصلين ومباحج الفكر : « يشبهون » . وفي حياة الحيوان للدميري (ج ١ ص ١٩٦ طبع

بولاقي) : « شبيهة بالنساء » .

(٢) في الاصلين : « سبط » .

فِينَكِحُونَهُنَّ فَيَجِدُونَ لِنِكَاحِهِنَّ لَذَّةً عَظِيمَةً ثُمَّ يَعِيدُونَهُنَّ إِلَى الْبَحْرِ . وَفِي الْبَحْرِ
 أَيْضًا أَمْثَالُ الرِّجَالِ ، يُقَالُ : إِنَّهُمْ يَظْهَرُونَ ^(١) [بِالْإِسْكَندَرِيَّةِ وَ] بِالْبُرْئِيسِ وَرَشِيدِ
 فِي صُورَةِ الْإِنْسَانِ بِمَجْلُودٍ لَزَجَةٍ ، لَهُمْ بَكَاءٌ وَعَوِيلٌ إِذَا وَقَعُوا فِي أَيْدِي النَّاسِ ، [وَذَلِكَ
 أَنَّهُمْ رُبَّمَا بَرَزُوا عَنِ الْبَحْرِ إِلَى الْبَرِّ يَتَشَمَّسُونَ فَيَقَعُ بِهِمُ الصَّيَّادُونَ] ^(١) ، فَإِذَا سَمِعَ النَّاسُ
 بَكَاءَهُمْ أَطْلَقُوهُمْ رَحْمَةً لَهُمْ .

(١) زِيَادَةٌ عَنْ مَبَاهِجِ الْفِكْرِ .

الباب الثامن وهو الذيل على القسم الخامس

من الفن الثالث

(١) [ويشتمل هذا الباب] على ذكر شيء مما وُصفت به آلات الصيد في البر والبحر
ووصف رُماة البندق، وما يجري هذا المجرى .

- ذكر شيء مما قيل في رُماة البندق — وما وُصفت به الجُلاهق^(٢) .
وهو قيسى البندق . من ذلك ما كتب به أبو إسحاق الصابى من رسالة إلى
[أبى الفرج] محمد بن العباس [بن فُسابجش]^(٣)، جاء منها : ”أقبلت رُفقة الرُماة^(٤)
قد برزت قبل الذُرور والشروق، وشتمت عن الأذرع والسوق، مقلدين خرائط^(٥)
شاكلت السيوف بجماثلها ونياطاتها^(٦)، وناسبتها في آثارها ونكاياتها، تحيل من البندق
الملموم، ما هو في الصحة والاستدارة كاللؤلؤ المنظوم، كأنما نُحِط بالجهر^(٧)، بجاء^(٨) .

(١٥٢)

- (١) زيادة يقتضيها السياق .
(٢) الجلاهق : قوس تتخذ من القنا ويلف عليها الحرير وتغزى . وفي وسط وترها قطعة دائرة
تسمى الجوزة توضع فيها البندقة عند الرمي .
(٣) زيادة عن رسائل الصابى المخطوطة والمحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٥٢٧ أدب .
(٤) زيادة عن رسائل الصابى ومباهج الفكر .
(٥) كذا في مباهج الفكر . وذرت الشمس تذر ذرورا (من باب نصر) : طلعت وظهرت . وفي الأصلين :
«الدود» ، وهو تحريف .
(٦) الذى فى كتب اللغة أن النياط الذى هو معلق القوس يجمع على أنوطه ونوط .
(٧) كذا فى الأصلين . ولعله يريد بالجهر الراية الغليظة ، وبينات الفهر الحجارة الصغيرة ؛
إذ الفهر : الحجر قدر ما يدق به الجوز ونحوه ، وقيل : هو الحجر ملء الكف .

كبنات الفهر، قد آختر طينته، ومُلك عجينه، فهو كالكافور المصاعد في اللس^(١) والمنظر، وكالعنبر الأذفر في الشم والمخبر، مأخوذ من خير موطنه، مجلوب من أطيب معادنه، كافل بمطاعم حامليه، محقق لآمال آمليه، ضامن لحمام الحمام، متناول لها من أبعد مرام، يعرج إليها وهو سم نافع، ويهبط بها وهي رزق نافع.

ومنها في وصف القيسى: "و بأيديهم قيسى مكسوة بأغشية السندس، مشتملة^(٢) منها بأحسن ملابس، مثل الحكمة في جواشنها ودروعها، والجياذ في جلالها وقطوعها^(٣)، حتى إذا جردت من تلك المطارف، وانتضيت^(٤) من تلك الملاحف، رأيت منها قدوداً^(٥) مخطفة رشيقه، وألواناً معجبة أنيقه، صلبة المكاسر والمعاجم، نجية المنابت والمناجم^(٦)، خطية الأسماء والمناسب، سمرية الأعراق والمناصب^(٧)، ركبت من شظايا الرياح الداعسه، وقرون الأوعال الناخسه، فحازت الشرف من طرفيها، وأستولت عليه

(١) ملك العجين: عجنه فأنعم عجنه وأجاده.

(٢) الكافور: هو صمغ شجر ولونه أحمر ملهع أو أسمر، وخشبه أبيض رخو يضرب إلى السواد. وهو يوجد في أجواف تلب الخشب في خروق فيها ممتدة مع طولها، وهو أنواع، ويكون على قدر الدرهم أو اللوز أو الحص أو الفول أو العدس. وهو مختلط فيه شظايا من خشب الكافور. وتصفى هذه الكوافير كلها بالتصعيد فيخرج منها كافور أبيض صفائح يشبه في شكله صفائح الزجاج التي يصعد فيها.

(٣) كذا في مباحج الفكر. وفي الأصلين: «فيها».

(٤) الجلال: جمع جل (بالضم) وهو للدابة كالثوب للانسان تصان به. والقطوع: جمع قطع (بالكسر) وهو ضرب من الثياب الموشاة.

(٥) في الأصلين: «انبضت»، وهو تحريف.

(٦) قدود مخطفة: ضامرة قليلة اللحم الجنب.

(٧) يقال: فلان صلب المكسر والمعجم إذا كان قويا شديدا عند المختبر.

(٨) الوعل الناخس: هو الذي نخس قرنائه من طولها. وفي الأصلين: «الباخسة» (بالباء

الموحدة)، وهو تصحيف.

بِكَلْتَا يَدَيْهَا ، قَدْ آنَحْنِي أَنْحَاءَ الْمَشِيخَةِ النَّسَاكِ ، وَصَالَتْ صِيَالِ الْفِتْيَةِ الْفُتَّاكِ ،
 وَأَسْتَبَدَلَتْ مِنْ قَدِيمِهَا فِي عِزِّ الْفَوَارِسِ ، بِجَدِيثِهَا مِنْ نَفِيسِ الْمَلَابِسِ ، وَأَنْتَقَلَتْ مِنْ
 جَدِّهَا فِي طِرَادِ الْمَغَارَاتِ ، إِلَى هَزْلِهَا فِي طَرْدِ الْمُسْهَرَاتِ ، ظَوَاهِرُهَا صَفَرٌ وَارِسُهُ ،
 وَدَوَاخِلُهَا سُودٌ دَامِسُهُ ، كَأَنَّ شَمْسَ أَصْبَلٍ طَلَعَتْ عَلَى مُتُونِهَا ، أَوْ جَنَحَ لَيْلٍ آعَتَكَرَ
 فِي بَطُونِهَا ، أَوْ زَعْفَرَانًا جَرَى فَوْقَ مَنَاكِبِهَا ، أَوْ غَالِيَةً جَمَدَتْ عَلَى تَرَائِبِهَا ، أَوْ قَضْبَانًا
 فَضِيَّةً أَذْهَبَ شَطْرُهَا وَأَحْرَقَ شَطْرُهَا ، أَوْ حَبَاتٍ رَمَلٌ آعَتَقَ السُّودَ مِنْهَا صَفَرٌ .

وجاء منها في وصف الوتر :

”فَلَمَّا تَوَسَّطُوا تِلْكَ الرُّوضَةَ ، وَأَنْدَشَرُوا فِي أَكْثَافِ تِلْكَ الْغَيْضَةِ ، وَثَبَّتَ لِلرَّمْيِ
 أَقْدَامُهُمْ ، وَشَخَّصَتْ لِلطَّيْرِ أَبْصَارُهُمْ ، وَتَرَوْهَا بِكُلِّ وَتَرٍ فَوْقَ سَهْمِهِ مِنْهُ ، وَهُوَ مُفَارِقٌ
 لِّلْسَهْمِ وَخَارِجٌ عَنْهُ ، مُضَاعَفٌ عَلَيْهَا مِنْ وَتَرَيْنِ ، كَأَنَّهُ شَخْصٌ ذُو جَسَدَيْنِ ، أَوْ عِنَاقٌ ضَمٌّ
 ١٠

(١) في مباحج الفكر : « هز الفوارس » بالهاء .

(٢) المغارات : جمع مغارة (بفتح الميم وضمها) : مصدر بمعنى الغارة . والطراد : أن يحمل الأقران بعضهم على بعض ، ويقال : هم فرسان الطراد .

(٣) كذا في مباحج الفكر . والطراد : الصيد . والمسهرات : طيور يلتذ بها كل من يسمعها ويسهر

عليها ولا يشتهي النوم من لذة سماعها . وفي الأصلين : « طرد المستنزهات » .

(٤) أورس الشيء : اصفر فهو وارس ، وهو من النوادر ، ويقال : مورس .

(٥) كذا في مباحج الفكر . وفي الأصلين : « تراميا » .

(٦) كذا في مباحج الفكر . وفي الأصلين : « أعتق السود منها صفرا » .

(٧) كذا في مباحج الفكر . وفي الأصلين : « أب » ، وهو تحريف .

(٨) وترد : أدركه بمكرود وأصابه .

(٩) كذا في الأصلين . ولعله يريد « أوفق سهمه منه » أو « فيق سهمه منه » . فانه يقال : فقت

السهم وأوفقته إذا وضعته في الوتر لترمي به .

(١٠) كذا في مباحج الفكر . وفي الأصلين : « عنانا » ، وهو تحريف .

ضجيعين ؛ في وسطه عينٌ كَشْرَجَةٍ كَيْسٍ مَخْتُومٍ ، أو سُرَّةٍ بَطْنٍ نَحِيصٍ مَهْضُومٍ ؛ تَرُوعُ
قَلَبَ الطَّيْرِ بِالْإِنْبَاضِ ، وَتُصِيبُ مِنْهَا مَوَاقِعَ الْأَغْرَاضِ .

وقال ضياءُ الدين بن الأثير الجَزَرِيُّ من رسالة في وصف القسي . وذكر
الرَّمَّةَ ، جاء منها :

« وَإِذَا تَنَاوَلُوهَا بِأَيْدِيهِمْ قُلْتَ : أَهْلَةٌ طَالَعَةٌ فِي أَكُفِّ أَقْمَارٍ ، وَإِذَا مُثِّلَ غَنَائُهَا ٥
وَعَنَائُهَا قُلْتَ : مَنَايَا مَسُوقَةٌ فِي أَيْدِي أَقْدَارٍ ؛ وَتِلْكَ قِيسِي وَضَعْتُ لِلْعَبِّ لَا لِلنِّضَالِ ،
وَلَرَدَى الطَّيْرِ لَا لَرَدَى الرِّجَالِ . فَإِذَا نَعَمْتُ نَاعَتْ قَالَ : إِنَّهَا جَمَعَتْ بَيْنَ وَصْفِي اللَّيْنِ
وَالصَّلَابَةِ ، وَصِيغَتْ مِنْ نَوْعَيْنِ غَرِيبَيْنِ فَخَازَتْ مَعْنَى الْغَرَابَةِ ؛ فَهِيَ مَرْكَبَةٌ مِنْ حَيَوَانَ
وَنَبَاتٍ ، مُؤَلَّفَةٌ مِنْهُمَا [عَلَى] بُعْدِ الشَّتَاتِ ؛ هَذَا مِنْ سَكَّانِ الْبَحْرِ وَسَوَاحِلِهِ ، وَهَذَا مِنْ
سَكَّانِ الْبَرِّ وَمَجَاهِلِهِ . وَمِنْ صِفَاتِهَا أَنَّهَا لَا تَمْتَكِنُ مِنَ الْبَطْشِ إِلَّا حِينَ تُشَدُّ ، وَلَا تَتَطَلَّقُ ١٠
فِي شَأْنِهَا إِلَّا حِينَ تُعْطَفُ وَتَرْدُ . وَلَهَا بَنَاتٌ أَحْكَمُ تَصْوِيرُهَا ، وَصَحَّحَ تَدْوِيرُهَا ؛
فَهِيَ فِي لَوْنِهَا صَنْدَلِيَّةُ الْإِهَابِ ، وَكَأَنَّهَا صِيغَتْ لِقَوَّتِهَا مِنْ حَجَرٍ لَا مِنْ تَرَابٍ ؛ فَإِذَا حَذَفَهَا
نَحْوُ الْأَطْيَارِ [أَحَدٌ] ، قِيلَ : وَتَصْعَدُ مِنَ الْأَرْضِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرْدٍ ، فَلَا تَرَى حِينَئِذٍ
إِلَّا قَتِيلًا بِالْمَقْتَلِ الَّذِي لَا يَجِبُ فِي مِثْلِهِ مِنْ قَوْدٍ ؛ فَهِيَ كَافِلَةٌ مِنْ تِلْكَ الْأَطْيَارِ بِقَبْضِ
نَفُوسِهَا ، وَمُنْزِلَةٌ لَهَا مِنَ السَّمَاءِ عَلَى أُمِّ رءُوسِهَا . » ١٥

- (١) كَذَا فِي مَبَاهِجِ الْفِكْرِ . وَفِي الْأَصْلَيْنِ : « مَسْبُوقَةٌ » .
(٢) كَذَا فِي مَبَاهِجِ الْفِكْرِ . وَفِي الْأَصْلَيْنِ : « وَصِيغَتْ لَوْنَيْنِ غَرِيبَيْنِ » .
(٣) زِيَادَةٌ عَنْ مَبَاهِجِ الْفِكْرِ .
(٤) كَذَا فِي مَبَاهِجِ الْفِكْرِ . وَفِي الْأَصْلَيْنِ : « فَأَوْجَدَ مِنْهَا نَحْوَ الْأَطْيَارِ فَنَدَّ وَتَصْعَدُ... الخ » ، وَالتَّحْرِيفُ
ظَاهِرٌ فِي الْعِبَارَةِ . ٢٠
(٥) لَعَلَّ هَذِهِ الْكَلِمَةَ أَوْ مَا فِي مَعْنَاهَا سَاقِطَةٌ مِنَ الْعِبَارَةِ .

ومن إنشاء المولى الفاضل شهاب الدين محمود بن سليمان الحلبي الكاتب —
أمتع الله ببقائه، وزاد في علوه وأرتقائه — رسالة^(١) في رمي البندق، وصف فيها الرماة،
ومواضع الرمي ووقته، والقسي^(٢)، وأفعال الرماة، وجميع طير الواجب^(٣)، لم أقف فيما
طالعته لمتقدم ولا متأخر^(٢) [على] أجمع لهذا الفن منها، وهي مما يستعين بها الكاتب^(٣)
على إنشاء ما يقصده من قدم البندق في أي نوع أراد من طير الواجب. وقد أوردتها
بجملتها، لحسن التثامها، وآتساق نظامها، وجودة ترتيبها، وبديع تهذيبها. وهي :

(١٥٣)

”الرياضة — أطل الله بقاء الجناب الفلاني، وجعل حبه كقلب عدوه واجبا،
وسعده كوصف عبده للساير جالبا وللضار حاجبا — تبعث النفس على مجانية الدعة
والسكون، وتصونها عن مشابهة الحمائم في الركون إلى الوجود^(٤)، وتحضها على أخذ
حظها من كل فن حسن، وتحثها على إضافة الأدوات الكاملة إلى فصاحة اللسان،
وتأخذ بها طوراً في الجلد وطوراً في اللعب، وتصرّفها في ملاذ السموّ في المشاق التي
يستروح إليها التعب، فتارة تحمل الأكلاب والعظماء في طلب الصيد على مواصلة^(٥)
السرى، ومقاطعة الكرى، ومهاجرة الأوطار، ومهاجمة الأخطار، ومكابدة الهواجر،

- (١) طيور الواجب أربعة عشر طائراً وهي على ضربين : الضرب الأول طيور الشتاء وهي التي يكثر
وجدانها فيه وهي عشرة طيور : الكركي، والإوز، واللغز، والحبرج، والتم، والعناز، والعقاب،
والنسر، والأنيسة. والضرب الثاني طيور الصيف وهي التي يكثر وجودها فيه، وهي أربعة أطياف : الكي،
والغرنوق، والمرزم، والشيطر. (راجع صبح الأعشى ج ٢ ص ٦٢) . (٢) زيادة يقتضيها السياق.
(٣) قدم : جمع قدمة (بكسر القاف وسكون الپ الدال المهملة) وهي رسائل تشتمل على حال الرمي
بالبندق وأحوال الرماة وأسماء طير الواجب واصطلاح الرماة وشروطهم. (راجع صبح الأعشى ج ١٤
ص ٢٨٢) . (٤) الوجود : جمع وكن، وهو عش الطائر في جبل أو جدار.
(٥) الهواجر : جمع هاجرة، وهي نصف النهار في القيظ خاصة عند زوال الشمس مع الظهر أو من زوالها
إلى العصر، لأن الناس يستكنون في بيوتهم كأنهم قد تهاجروا .

ومبادرة الأوابد التي لا تُدرك حتى تبلغ القلوب الحناجر؛ وذلك من محاسن أوصافهم التي يُدّمّ المعرض عنها، وإذا كان المقصود من مثلهم جدّ الحرب فهذه صورة لعب يُخرج إليها منها؛ وتارة تدعوهم إلى البروز إلى الملق^(١)، وتحذوهم في سلوك طريقها مع من هو دونهم على ملازمة الصديق ومجانبة الملق؛ فيعتسفون إليها الدجى، إذا سبجى؛ ويقتحمون في بلوغها حرق^(٢) النهار، إذا آنهار؛ ويتنعمون بوعشاء السفر، في بلوغ الظفر؛ ويستصغرون ركوب الخطر، في إدراك الوطر؛ ويؤثرون السهر على النوم، والليلة على اليوم؛ والبندق على السهام، والوحدة على الألتام.

ولما عدنا من الصيد الذي اتصل بعلمه حديثه، وشرح له قديم أمره وحديثه؛ تقنا إلى أن تشفع صيد السوانح برقى الصوادح، وأن نفعل في الطير الجوانح بأهله القسي ما تفعل الجوارح؛ تفضيلاً لملازمة الارتحال، على الإقامة في الرحال؛ وأخذاً بقولهم:

لا يُصلحُ النفس إذ كانت مُدبرة * إلا التَّنْقُلُ من حالٍ إلى حالٍ
فبرزنا وشمس الأصيل تجود بنفسها، وتسير من الأفق الغربى إلى جانب رَمِسها؛ وتغازل عيون النّوار بمقلة أرمَد، وتنظر إلى صفحات الوردِ نظرَ المريض إلى وجوه العود؛ فكأنها كئيبٌ أضخى من الفراق على فرق، أو عليلٌ يقضى بين صحبه بقايا مدة الرّمق؛ وقد آخضلت عيون النّور لوداعها، وهم الروض بنخل حلتها الموهة بذهب شعاعها.

(١) الملق: الصفوح اللينة الملتزمة من الجبل، واحداً ملقة، وقيل: هي الآكام المفترشة.

(٢) كذا في صبح الأعشى. وفي الأصلين وحسن التوسل إلى صناعة الترسل: «جرف».

(٣) كذا في حسن التوسل وصبح الأعشى. والرحال: جمع رحل وهو المنزل والمأوى.

وفي الأصلين: «الارتحال»، وهو تحريف.

(٤) كذا في صبح الأعشى وحسن التوسل. وفي الأصلين: «وهم الروضة فخلع...».

والطلُّ في أعين النُّوار تحسَّبه * دمعا تحيِّر لم يرقاً ولم يكف
 كلُّواؤِ ظلِّ عطف الغصن مُتَشجَّعا * بعقده وتبدي منه في شنف^(١)
 يضمُّ من سندس الأوراق في صرر * خضير ويحبُّ من الأزهار في صدف
 والشمس في طفل الإمساء تنظر من * طرف غدا وهو من خوف الفراق خفي
 كعاشقٍ سار عن أحبابه وهفاً * به الهوى قترأء أهم على شرف
 إلى أن نضا المغرب عن الأفق ذهب قلائدها ، وعوضه عنها من النجوم بخدمها^(٢)
 وولائدها ، فلبثنا بعد أداء الفرض لبث الأهله ، ومنعنا جفوننا أن ترد النوم
 إلّا تحله ، ونهضنا وبرد الليل موشع^(٣) ، وعقده مرصع ، وإكليله مجوهر ، وأديمه^(٤)
 معنبر ، وبدره في خدر سراره مستكن ، وبخره في حشى مطالعه مستجن ، كأن
 أمتاج لونه بشفق الكواكب خليطاً مسك وصندل ، وكأن ثرياه لامتداده معلقة^(٥)
 بأمراس كنان إلى صم جندل .

ولاحت نجوم الليل زهراً كأنها * عقود على خود من الزنج تنظم^(٥)
 محاقمة في الجوق تحسب أنها * طيور على نهر المجرة حوم^(٦)
 إذا لاح بازي الصبح ولت يؤمها * إلى الغرب خوفاً منه نسر ومرزم

- ١٥ (١) الشنف (بالفتح ، وامله حرك هنا لضرورة الشعر) : الذي يلبس في أعلى الأذن ، والذي في أسفلها يقال له قرط ورعته ، وقيل : القرط والشف سواء .
- (٢) الولائد : جمع وليدة وهي الصبية والأمة .
- (٣) وشع الثوب : أعله .
- (٤) كذا في حسن التوسل . وفي الأصلين : « مغفر » .
- ٢٠ (٥) الخود : الفتاة الحسنة الخلق الشابة ما لم تصر نصفاً .
- (٦) كذا في صبح الأعشى . وفي أ : « توفها » . وفي ب : « نومها » بالنون ، وكلاهما تحريف . والنسر : كوكب وهما اثنان يقال لأحدهما : النسر الواقع ، وللآخر : النسر الطائر . والمرزمان : نجمان مع الشعرين .

إلى حدائق ملتقى، وجداول محتفاه، إذا جش النسيم غصونها أعتنقت اعتناق
الأحباب، وإذا فرك من المياه متونها أنسابت في الجداول أنسياب^(١) الحباب،
ورقصت في المناهل رقص الحباب^(٢)، وإن لثم تغور نورها حيته بأنفاس المعشوق،
وإن أيقظ نوايس ورقها غنته بألحان المشوق، فنسيمها وان، وشميمها لعرف الجنان
عنوان، ووردها من سهر نرجسها غيران، وطلتها في خدود الورد منبت^(٣) وفي طرر
الريحان حيران، وطائرها غيرد، وماؤها مطرد، وغصنها تارة يعطفه النسيم اليه
فينعطف، وتارة يعتدل تحت ورقائه فتحسب أنها همزة على ألف، مع ما في تلك
الرياض من توافق المحاسن وتباين الترتيب، إذ كلما أعتل النسيم صح الأرج وكلما خر
الماء شمشخ القضيب.

١٥٤

فكأنما تلك الغصون إذا ثنت * أعطافها رسل الصبا أحباب^(٤)
فلها إذا افترت من استعطافها * صلح ومن سجع الحمام عتاب
وكأنها حول العيون موائس * شرب وهاتيك المياه شراب
فغديرها كأس وعذب نطافها^(٥) * راح وأضواء النجوم حباب

تُحيط بملق نطافها صاف، وظلال دوحها ضاف، وحصاها لصفاء مائها في نفس
الأمر راكد وفي رأى العين طاف، إذا دغدغها النسيم حسبت ماءها بتمائل الظلال^(٦)
فيه يتبرج ويميل، وإذا أطردت عليه أنفاس الصبا ظننت أفياء تلك الغصون

(١) الحباب (بالضم) : الحبة .

(٢) الحباب (بالكسر) : القرط من حبة واحدة .

(٣) كذا في حسن التوسل . وفي الأصلين : « منبت » .

(٤) في صبح الأعشى : « ربح الصبا » .

(٥) النطاف : جمع نطفة ، وهى القليل من الماء ، وقيل : هى الماء الصافي قل أو كثر .

(٦) دغدغها : جمشها وزغزغها .

٥

١٠

١٥

٢٠

فيه تارة تتموج وتارة تسيل ، فكأنه محب هام بالغصون هوى فمثّلها في قلبه ، وكأنّ
النسيم كلف بها غار من دُنوّها إليه فيملّها عن قربه .

والسُّرو مثل عرائس * لُفّت عليهنّ الملاء
شمرنَ فضل الأزر عن * سُوِّقٍ خلاخلهنّ ماء
والنهر كالمرآة تَبُّ * يصر وجهها فيه السماء

وكان صَوَافٍ الطير المبيضة بتلك الملقّ خيام ، أو ظباءً بأعلى الرِّفْمَتَيْنِ قيام ،
أو أباريقُ فضة رءوسها لها فِدَامٌ ^(٢) ، ومناقيرها المحمّرة أوائل ما آنسكب من المدام ،
وكان رقابها رماح أسنتها من ذهب ، أو شموع أسود رءوسها ما أنطفأ وأحمره
ما آلهب . وكما كالطير الجليل عدّه ، وكطراز العمر الأول جدّه .

من كلّ أبْلَج كالنسيم لطافة * عفّ الضمير مُهذَّبِ الأخلاق
مثل البدور ملاحه وكُمُرِها * عدداً ومثل الشمس في الإشراق

ومعهم قِسيّ كالغصون في لطافتها ولينها ، والأهْلَة في نحافتها وتكوينها ،
والأزاهر في ترافتها وتأوينها ، بطونها مدبّجه ، ومتونها مدرّجه ، كأنّها الشُّوْلَة ^(٤)
في أنعطافها ، أو أرواقُ الظِّباء في اتِّفافها ، لأوتارها عند القوادم أوتار ، ولبنادقها ^(٦)

١٥ (١) الصواف من الطير : هي التي تصفّ أجنحتها فلا تحركها .

(٢) الفدام (بالفتح وبالكسر) : المصفاة تجعل على فم الإبريق ليصفى به ما فيه .

(٣) كذا في صبح الأعشى . وقد وردت في الأصلين محرّفة .

(٤) كذا في مسالك الأبصار ج ٨ قسم أول ص ١١٨ من النسخة الفتوغرافية المحفوظة بدار الكتب المصرية

تحت رقم ٥٥٩ معارف عامة . وفي الأصل وصبح الأعشى : « كأنها كواكب الشولة الخ » . والشولة :

٢٠ إحدى منازل القمر في برج العقرب ، وهي كوكبان نيران متقابلان ينزلها القمر ، يقال لهما : حمة العقرب .

(٥) كذا في صبح الأعشى وحسن التوسل . وفي الأصلين : « الظبي » .

(٦) أوتار : جمع وتر (بالكسر ويفتح) وهو الذحل أو الظلم فيه . وأكثر ما يستعمل في العداوة بسبب القتل .

في الحواصل أوكار؛ إذا أنتصبت لطير ذهب من الحياة نصيبه^(١)، وإن أنبضت لرمى^(٢)
بدا لها أنها أحق به ممن يصيبه . ولعل ذلك الصوت زجر لئبندقها أن يبطل^(٣)
في سيره ، أو يتخطى الغرض إلى غيره ، أو وحشة لمفارقة أفلاذ كبدها ، أو أسف^(٤)
على خروج بنينا عن يدها ، على أنها طالما نبذت بنينا بالعرءاء ، وشفعت لخصمها
التحذير بالإغراء .

مثل العقارب أذنا بمُعقدة * لمن تأملها أو حقق النظر^(٥)
إن مدها قمر منهم وعائنه * مسافر الطير فيها أو نوى سفرا^(٦)
فهو المسمى اختيارا إذ نوى سفرا * وقد رأى طالعا في العقرب القمر

ومن البنادق كرات متفقة السرد ، متحدة العكس والطرد ؛ كأننا خرطت من
المندل الرطب أو عجنت من العنبر الورد ؛ تسرى كالشهب في الظلام ، وتسبق
إلى مقاتل الطير مسددات السهام .

مثل النجوم إذا ما سرن في أفق * عن الأهلة لكن نونها راء^(٧)
مافاتا من نجوم الليل إن ريمت * إلا ثبات يرى فيها وأضواء

(١) أنبض الراعى القوس وعن القوس : جذب وترها لنصوت . وأنبض بالوتر : جذبه ثم أرسله
ليرن وأنبض الوتر : جذبه بغير سهم ثم أرسله .

(٢) كذا في صبح الأعشى . وفي الأصلين وحسن التوسل : « بدت لها أنها أحق بها من نصيبه » .
(٣) كذا في صبح الأعشى وحسن التوسل . وفي الأصلين : « أولاد كبدها » وهو تحريف .
(٤) كذا في صبح الأعشى . وفي الأصلين وحسن التوسل : « وأنبرى » .
(٥) المنديل : العود ، وقيل : أجوده .

(٦) يريد أن « النجوم » إذا أبدلت بنونها راء صارت « رجوما » .
(٧) في الأصلين : « سوى ثبات » . ويرتب عليه أن يكون في الشعر اقواء . والتصويب عن
صبح الأعشى وحسن التوسل .

تَسِرَى وَلَا يَشْعُرُ اللَّيْلُ الْبَهِيمَ بِهَا * كَأَنَّهَا فِي جَفَوْنَ اللَّيْلِ إِغْفَاءَ
 وَتَسْمَعُ الطَّيْرَ إِذْ تَهْفُو قَوَادِمُهُ * خَوَافَتًا فِي الدِّيَاجِي وَهِيَ صَمَاءُ
 تَصُونُهَا جِرَاوَةٌ كَأَنَّهَا جُرْجُ دُرَرٍ ، أَوْ دُرْجُ غُرَرٍ ، أَوْ كِمَامَةٌ ثَمَرٌ ، أَوْ كِنَانَةٌ نَبَلٌ ،
 أَوْ غَمَامَةٌ وَبَلٌ ، حَالِكَةُ الْأَدِيمِ ، كَأَنَّهَا رُقِيتٌ بِالشَّفَقِ حُلَّةٌ لَيْلَهَا الْبَهِيمُ .
 كَأَنَّهَا فِي وَصْفِهَا مَشْرِقٌ * تَبَثُّ مِنْهُ فِي الدَّجَى الْأَنْجَمُ^(٣)
 أَوْ دِيمَةٌ قَدْ أَطْلَعَتْ قَوْسَهَا * مُلَوَّنًا وَأَنْبَثَتْ تَسْجُمُ
 فَاتَّخَذَ كُلُّ لَهٍ مَرْكَزًا ، وَتَقَاضَى مِنْ الْإِصَابَةِ وَعَدًّا مُنَجَّزًا ، وَضَمِنَ لَهُ السَّعْدُ
 أَنْ يُصْبِحَ لِمُرَادِهِ مُحْرَزًا .

(١٥٥)

كَأَنَّهُمْ فِي يُمْنٍ أَفْعَالُهُمْ * فِي نَظَرِ الْمُنْصِيفِ وَالْجَاهِدِ
 قَدْ وَلِدُوا فِي طَالِعٍ وَاحِدٍ * وَأَشْرَقُوا فِي مَطْلَعٍ وَاحِدٍ
 فَسَرَتْ عَلَيْنَا مِنْ الطَّيْرِ عَصَابُهُ ، أَظَلَّتْنَا مِنْ أَجْنَحَتِهَا سَحَابُهُ ، مِنْ كُلِّ طَائِرٍ أَقْلَعُ
 يَرْتَادُ مَرْتَعًا ، فَوْجِدُ وَلَكِنْ مَضْرَعًا ، وَأَسْفَ يَبْغِي مَاءً جَمَامًا فُورِدَ وَلَكِنْ السَّمُّ مُنْقَعًا ،
 وَحَلَّقَ فِي الْفَضَاءِ يَبْتَغِي مَلْعَبًا فَبَاتَ هُوَ وَأَشْيَاءُهُ سُجَّدًا لِلْقِسِيِّ وَرُكْعًا ، فَتَبَرَّكْنَا بِذَلِكَ
 الْوَجْهِ الْجَمِيلِ ، وَتَدَارَكْنَا أَوَائِلَ ذَلِكَ الْقَبِيلِ .

- ١٥ (١) الجراوة : آلة من جلد يجعل فيها البندق الطين الذي يرمى به عن الجلاهدق (انظر ما كتب عن
 الجلاهدق في الحاشية رقم ٢ ص ٣٢٤ من هذا الجزء) .
 (٢) كذا في حسن التوسل (ص ١٠٥) . والجرج : وعاء من أوعية النساء . وفي الأصلين :
 « درج » .
 (٣) كذا في صبح الأعشى . وفي أ : « فيها » . وفي ب : « منها » .
 ٢٠ (٤) سف الطائر وأسف : دنا من الأرض في طيرانه حتى كادت رجلاه تصيبانها .

(١) فَاسْتَقْبِلْ أَوْلَنَا «وَتَمَّ» تَمَّ بَذْرُهُ، وَعَظُمَ فِي نَوْعِهِ قَدْرُهُ، كَأَنَّهُ بَرَقَ كَرَعٌ فِي غَسَقٍ؛
 أَوْ صَبَحَ عُطِفَ عَلَى بَقِيَّةِ الدُّجَى عَطَفَ النَّسَقِ؛ تَحَسَّبَهُ فِي أَصْدَافِ الْمُنَى غُرَّةً
 نُجُجٌ، وَتَحَالَهُ تَحْتَ أَذْيَالِ الدُّجَى طُرَّةً صُبْحٌ؛ عَلَيْهِ مِنَ الْبَيَاضِ حَالَةٌ وَقَارٌ، وَلَهُ كُرَّةٌ
 مِنْ عَنَبٍ فَوْقَ مَنَقَارٍ مِنْ قَارٍ. لَهُ عُنُقٌ ظَلِيمٌ، وَآلِفَاتُهُ رِيمٌ، وَسُرَى غَيْمٍ يُصَرِّفُهُ
 نَسِيمٌ.

كَلَوْنِ الْمَشِيبِ وَعَصْرِ الشَّبَابِ * وَوَقْتِ الْوِصَالِ وَيَوْمِ الظَّفَرِ
 كَأَنَّ الدُّجَى غَارَ مِنْ لَوْنِهِ * فَأَمْسَكَ مَنَقَارَهُ ثُمَّ فَزَرَ
 فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ عَنِ الْهَلَالِ نَجْمًا، فَسَقَطَ مِنْهُ مَا كَبُرَ بِمَا صَغُرَ حُجْمًا؛ فَاسْتَبَشَرَ
 بِنَجَاحِهِ، وَكَبُرَ عِنْدَ صِيَاغِهِ، وَحَصَّلَهُ مِنْ وَسَطِ الْمَاءِ بِجَنَاحِهِ.

وَتَلَاهُ «كُي» نَقِيَّ اللَّبَاسِ، مُشْتَعِلُ شَيْبِ الرَّاسِ، كَأَنَّهُ فِي عَرَانِينَ شَيْبِهِ
 لَا وَبْلَهُ كَبِيرُ أَنْاسٍ؛ إِنْ أَسْفَ فِي طَيْرَانِهِ فَعَمَامٌ، وَإِنْ خَفَقَ بِجَنَاحِهِ فَقَلْعٌ لَهُ بِيَدِ النَّسِيمِ
 زِمَامٌ؛ ذُو غَيْبَةٍ كَالْحَرَابِ وَمِنَقَارٍ كَالْحَرَابِ، وَلَوْ يَغُرُّ فِي الدُّجَى كَالنَّجْمِ وَيَخْدَعُ
 فِي الضُّحَى كَالسَّرَابِ؛ ظَاهِرُ الْهَرَمِ، كَأَنَّمَا يُخْبِرُ عَنْ عَادٍ وَيُحَدِّثُ عَنْ إِرَمٍ.

إِنْ عَامَ فِي زَرْقِ الْغَدِيرِ حَسِبَتَهُ * مُبْيَضُّ غَيْمٍ فِي أَدِيمِ سَمَاءِ

١٥ (١) التَّمُّ (بِفَتْحِ التَّاءِ وَتَشْدِيدِ الْمِيمِ) : طَائِرٌ فِي قَدْرِ الْإِوزِ أَبْيَضُ اللَّوْنِ طَوِيلُ الْعُنُقِ أَحْمَرُ الْمَنْقَارِ
 وَهُوَ أَكْثَرُ طُيُورِ الْوَاجِبِ وَأَرْفَعُهَا قَدْرًا. (عَنْ صَبْحِ الْأَعَشَى ج ٢ ص ٦٤).

(٢) كَذَا فِي صَبْحِ الْأَعَشَى وَحَسَنَ التَّوَسُّلِ. وَفِي الْأَصْلَيْنِ : «الرَّجَا» بِالرَّاءِ وَهُوَ تَحْرِيفٌ.

(٣) الْكُيُّ (بِضَمِّ الْكَافِ) : أَحَدُ طُيُورِ الْوَاجِبِ، وَهُوَ مِنْ طُيُورِ الصَّيْفِ الَّتِي يَكْثُرُ وَجُودُهَا فِيهِ.

وَهُوَ طَيْرٌ أَغْبَرُ اللَّوْنِ إِلَى الْبَيَاضِ أَحْمَرُ الْمَنْقَارِ وَالْحَوْصَلَةُ رَجُلَاهُ تَضْرِبَانِ إِلَى السَّوَادِ. (عَنْ صَبْحِ الْأَعَشَى

(٤) يُشِيرُ إِلَى قَوْلِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ :

كَأَنَّ ثَبِيرًا فِي عَرَانِينَ وَبْلَهُ * كَبِيرُ أَنْاسٍ فِي بَجَادِ مَزْمَلِ

(٥) الْغَيْبَةُ : اللَّحْمُ الْمَتَدَلَّى تَحْتَ الْحَنَكِ مِنَ الدِّيكِ وَالْبَقَرِ.

(١) فوثب الخامس منها إلى الغنيمه، ونظم في سلك رمية تلك الدرة اليتيمه (٢) ؛ وحصل بتحصيلها بين الرماة على الرتبة الحسيمه .

وأتى على صوتها "حبرج" تسبق همته جناحه ، ويغلب خفق قوادمه صياحه ؛ مدبج المطا، كأنما خلع حلة منكبيه على القطا ؛ ينظر من هب ، ويخطو على رجلين من ذهب .

يزور الرياض ويحفو الحياض * ويشبه في اللون كدر القطا
ويهوى الزروع ويلهو بها * ولا يرد الماء إلا خطا

فبدره السادس قبل ارتفاعه ، وأعان قوسه بامتداد باعه ؛ نفخ على الألاء (٣) كبسطام بن قيس (٤) ، وأنقض عليه راميّه نخصله (٥) بحديق وحمله بكيس .

وتعذر على السابع مرأته ، ونبا به عن بلوغ الأرب مقامه ؛ فصعد هو وترب له إلى جبل ، وثبت في موقفه من لم يكن له بمرافقتها قبل . فعن له "نسر" ذو قوادم شداد ، ومناسر حداد ، كأنه من نسور لقمان بن عاد ؛ تحسبه في السماء ثالث أخويه ، وتخاله في الفضاء قبته المنسوبة إليه ؛ قد حلق كالفقراء رأسه ، وجعل مما قصر من الدلوق الدكن لباسه ؛ وأشتمل من الرياش العسلي إزارا ، وأختار

- ١٥ (١) كذا في صبح الأعشى وحسن التوسل . وفي الأصلين : « فيها » .
(٢) في الأصلين وحسن التوسل : « الثمينه » . وما أثبتناه عن صبح الأعشى .
(٣) الألاء (بوزن العلاء) : شجر ورقه وحمله دباغ ؛ يمد ويقصر . وهو حسن المنظر مرّ الطعم . ولا يزال أخضر شتاء وصيفا . واحدة ألاء بوزن ألاءة . وقال أبو زيد : هي شجرة تشبه الآس لا تتغير في القيظ ولها ثمرة تشبه سنبل الذرة ومنبتها الرمل والأودية .
٢٠ (٤) يشير بذلك الى قول عبد الله بن غنمة الضبي يرفى بسطام بن قيس وقد قتله بنو ضبة :
نفخ على الألاء لم يوسد * كأن جبينه سيف صقيل
(٥) نخصله : أصابه .

العزلة فلا يجد له إلّا في قُننِ الجبال الشواهِقِ مزاراً؛ قد شابت نواصى الليالى وهو لم يَشِبْ، ومضت الدهورُ وهو من الحوادث في مَعْقِلِ أَشِبْ .

مَلِكُ طَيُورِ الْأَرْضِ شَرْقاً وَمَغْرِباً * وَفِي الْأُفُقِ الْأَعْلَى لَهُ أَخَوَانِ
لَهُ حَالُ فَتَاكِ وَحِلْيَةُ نَاسِكٍ * وَإِسْرَاعُ مِقْدَامٍ وَقَفَرَةٌ وَأَنْ

فدنا من مطاره، وتوَحَّى بُنْدُقَهُ عَنْقَهُ فَوْقَ فِي مَنَقَارِهِ؛ فَكَأَنَّمَا هَدَّ مِنْهُ صَخْرًا، أَوْ هَدَمَ بِنَاءً مَشْمُخَرًا؛ وَنَظَرَ إِلَى رَفِيقِهِ، مَبْشُرًا لَهُ بِمَا آمَنَّا بِهِ عَنْ فَرِيقِهِ .

وَإِذَا بِهِ قَدْ أَظْلَتَهُ "عُقَابٌ" كَاسِرٌ، كَأَنَّمَا أَضَلَّتْ صَيْدًا أَفْلَتَ مِنَ الْمَنَاسِرِ؛
إِنْ حَطَّتْ فَسَحَابٌ أَنْكَشَفَ ، وَإِنْ قَامَتْ فَكَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابَسًا لَدَى
وَكُرِّهَا الْعُنَابُ وَالْحَشَفُ؛ بَعِيدَةٌ مَا بَيْنَ الْمَنَاقِبِ ، إِذَا أَقْلَعَتْ بَلَحَتْ فِي عُلوِّ كَأَنَّمَا
تَحَاوِلُ ثَارًا عِنْدَ بَعْضِ الْكَوَاكِبِ .

تَرَى الطَّيْرَ وَالْوَحْشَ فِي كَفِّهَا * وَمِنْقَارِهَا ذَا عِظَامٍ مُزَالَةٍ
فَلَوْ أَمَكْنَ الشَّمْسَ مِنْ خَوْفِهَا * إِذَا طَلَعَتْ مَا تَسَمَّتْ غَزَالَةٍ

فَوَثَبَ إِلَيْهَا الثَّامِنُ وَثْبَةً لَيْثٍ قَدْ وَثِقَ مِنْ حَرَكَاتِهِ بِنَجَاحِهَا، وَرَمَاهَا بِأَوَّلِ بُنْدُقَةٍ
فَمَا أَخْطَأَ قَادِمَةَ جَنَاحِهَا؛ فَأَهْوَتْ كَعُودٍ صُرْعَ ، أَوْ طَوْدَ صُدْعَ؛ قَدْ ذَهَبَ بِأُسْهَا،
وَتَذَهَّبَ بِدُمَاهَا لِبَاسُهَا؛ وَكَذَلِكَ الْقَدَرُ يُخَادِعُ الْجَوَّ عَنْ عُقَابِهِ، وَيَسْتَنْزِلُ الْأَعْصَمَ (٢)
عِقَابِهِ؛ فَحَمَلَهَا بِجَنَاحِهَا الْمَهِيضِ (٣)، وَرَفَعَهَا بَعْدَ التَّرْفَعِ فِي أَوْجِ جَوَّهَا مِنَ الْحَضِيضِ؛
وَنَزَلَا إِلَى الرُّفْقَةِ، جَذَلَيْنِ بَرَجِ الصَّفْقَةِ .

(١) فِي حَسَنِ التَّوَسُّلِ : « وَإِنْ طَارَتْ » .

(٢) كَذَا فِي حَسَنِ التَّوَسُّلِ وَصَبَحَ الْأَعْشَى . وَفِي الْأَصْلَيْنِ : « الْعَصَم » .

(٣) الْمَهِيضُ : الْمَكْسُورُ .

فوجدنا التاسع قد مرتبه "كركي" طويل السَّفار، سريع النَّفار، شهيّ الفراق،^(١)
 كثيرُ الاغتراب يشتو بمصر ويصيف بالعراق، لقوادمه في الجوّ هفيف، ولأديمه^(٢)
 لونُ سماءٍ طراً عليها غيمٌ خفيف، تَحَنُّ إلى صوته الجوارح، وتعجب من قوته الرياح
 البوارح، له أثر حمرة في رأسه كوميض جمر تحت رماد، أو بقية جرح تحت
 ضماد، أو فص عقيق شفت عنه بقايا ثمد، ذو منقار كيسان، وعنق كنان،^(٣)
 كأنما ينوس، على عودين من أنوس.

إذا بدا في أفقٍ مقلعاً * والجو كالماء تفاويفه

حسبته في لجةٍ مربكاً * رجلاه في الأفق مجاديفه

فصبر له حتى جازه مجلياً، وعطف عليه مصلياً، نخر مضرّجاً بدمه، وسقط^(٥)
 مشرفاً على عذمه. وطالما أفلت لدى الكواسر من أظفار المنون، وأصابه القدر
 بحبة من حمأ مسنون، فكثرت التكبير من أجله، وحمله راميه من على وجه الأرض
 برجله.

وحاذاه "غرنوق" حكاه في زيه وقدره، وأمتاز عنه بسواد رأسه وصدره،
 له ريشتان ممدودتان من رأسه إلى خلفه، معقودتان من أذنيه مكان شنفه.

له من الكركي أوصافه * سوى سواد الصدر والرأس
 إن شال رجلاً وأنبرى قائماً * ألفيته هيئة رجاس

(١) في حسن التوسل : « شديد العراق » .

(٢) الهفيف : صوت هبوب الريح .

(٣) في الأصلين : « كقبان » . وما أثبتناه عن حسن التوسل وصبح الأعشى .

(٤) راجع الحاشية رقم ٧ ص ٣٣٧ من هذا الجزء .

(٥) في حسن التوسل : « حتى حاذاه » .

(٦) في الأصلين : « فكبر الكبير من أجله » . والتصويب عن حسن التوسل وصبح الأعشى .

(١) فأصغى العاشر له مُنصِتًا ، ورماه ملتفتًا ، نخر كأنه صريرُ الألحان ، أو تزييفُ
بنتِ الحان ، فأهوى إلى رجله بيده وأيده^(٢) ، وأنقض عليه أنقضاض الكاسر على
صيده .

(٣) وتبعه في المطار "صوغ" ، كأنه من النضار مصوغ ، تحسبه عاشقًا قد مدَّ
صفحته ، أو بارقًا قد بثَّ لفحته .

طويلةٌ رجلاه مسودةٌ * كأنما منقاره خنجِرُ
مثلُ عجوزٍ رأسها أشمطٌ * جاءت وفي قمتها^(٤) معجِرُ^(٥)

فاستقبله الحادى عشر ووثب ، ورماه حين حاذاه من كَثب ، فسقط كفارسٍ
تقطر عن جواده ، أو وامقٍ أصيبت حبةُ فؤاده ، فحمله بساقه ، وعدل به إلى رفاقه .
وأقترن به "مرزم" له في السماء سمي معروف ، ذو منقارٍ كصدغٍ معطوف^(٦) ،
كأن ريشه فلق آتصل به شفق ، أو ماء صافٍ علق بأطرافه علق .

له جسمٌ من الثلج * على رجلين من نارٍ
إذا أقلع إيلاً قد * تَبرق في الدجى سارى

(١) التزييف : السكران الذى ذهب عقله .

(٢) الأيد : القوة .

(٣) ذكره صاحب كتاب صبح الأعشى (ج ٢ ص ٦٤) فقال : « الصوغ — بضم الصاد المهملة
وغين معجمة فى الآخر — هو طائر مختلط اللون من السواد والبياض أحمر الصدر ، وأكثر ميله الى
الخضرة والأشجار » .

(٤) كذا فى حسن التوسل ، وهو أصح وزنا وأنسب معنى . وفى الأصلين : « وفى رقبها » .

(٥) المعجر (بالكسر) : ثوب تعجربه المرأة أى تشده على رأسها .

(٦) الصدغ : الشعر المتدلى على ما بين العين والأذن .

(٧) الفلق (محرّكة) : الصبح ، وقيل : الفجر .

فانتحاه الثاني عشر ميمًا ، ورماه مصممًا ، فأصابه في زوره ، وحصله من فوره ،
وحصل له من السرور ما خرج به عن طوره .

والتحق به "شبيط" ^(١) كأنه مديّة مبيطر ^(٢) ، ينحط كالسيل ويكرّ على الكواسر
كالخيل ، ويجمع من لونه بين ضدين يقبل منهما بالنهار ويدبر بالليل ، يتلوى ^(٣)
في منقاره الأيم ، تلوى التنين في الغيم .

٥ تراه في الجوّ ممتدًا وفي فمه * من الأفاعى شجاع أرقم ذكر
كأنه قوس رام عنقه يدها * ورأسه رأسها والحية الوتر
فصوب الثالث عشر إليه بندقه ، فقطع حية ^(٤) وعنقه ، فوق كالصرح المرد ،
أو الطراف الممدد ^(٥) .

١٠ وآتبعه "عناز" ^(٦) أصبح في اللون ضده ، وفي الشكل نده ، كأنه ليل ضمّ الصبح
إلى صدره ، أو أنطوى على هالة بدره .

تراه في الجوّ عند الصبح حين بدا * مسودّ أجنحة مبيض حيزوم
كأسود حبشيّ عام في نهر * وضمّ في صدره طفلًا من الروم

١٥ (١) الشبيط (بضم الشين المعجمة وفتح الموحدة وكسر الطاء المهملة . ويسمى القلق . وكنيته عند
أهل العراق أبو خديج) : هو طائر أبيض أسود طرفي الجناحين ورجلاه ومنقاره حمر . وهو يأكل
الحيات ويوصف بالفطنة والذكاء . (راجع صبح الأعشى ج ٢ ص ٦٧) .

(٢) المبيطر : معالج الدواب .

(٣) الأيم : الحية .

(٤) في الأصلين : « فقطع الحية ... » والتصويب عن حسن التوسل وصبح الأعشى .

٢٠ (٥) الطراف : بيت من آدم .

(٦) العناز (بضم العين المهملة وتشديد النون وزاى معجمة في الآخر) : طائر أسود اللون أبيض
الصدر أحمر الرجلين والمنقار . (راجع صبح الأعشى ج ٢ ص ٦٤) .

فنهض تمام القوم إلى التَّيمَّة ، وأسفرت عن نُجْح الجماعة تلك الليلة المُدْهَمَّة ،
وغدا ذلك الطير الواجبُ واجباً^(١) ، وكلُّ العددُ به قبل أن تَطْلِعَ الشمسُ عينا
أو تُبرِّزَ حاجباً ، فيالها ليلة حَصَرْنَا بها الصَّوَادِحَ في الفضاء المتَّسِع ، ولقيت فيها الطير
ما طارت به من قبل على كلِّ شَمْلٍ مجتمِع ، وأصْحَتْ أَشْلاؤُها على وجه الأرض
كفرائدَ خانها النَّظام ، أو شَرِبَ كَأَن رَقَابَهُم من اللَّين لم يُخْلَقْ لَهَنِّ عِظام ، وأصبحنا
مُثْنِينَ على مَقَامِنَا ، مُثْنِينَ بِالظَّفَرِ إلى مستقرِّنا ومَقَامِنَا ، داعِينَ للمولى جَهْدَنَا ، مُدْعِينَ
له قَبْلَنَا أو رَدَّنَا ، حامِلِينَ ما صرَعْنَا إلى يَمِين يَدَيْهِ ، عَامِلِينَ على التَّشْرِفِ بِخِدْمَتِهِ
والآتِمَاءِ إِلَيْهِ .

فأنت الذي لم يُلَفَّ من لا يودُّه * ويدعو له في السرِّ أو يدَّعي له
فإن كان رمى أنت تُوضِحَ طُرْقَهُ * وإن كان جيشُ أنت تَحْمِي رَعِيلَهُ^(٢)

١٠

١٥٨

والله تعالى يجعل الآمالَ مَنُوطَةً به وقد فعل ، ويجعله كَهْفًا للأولياء وقد جعل .

* *

ومن إنشاء المولى علاء الدين علي بن عبد الظاهر [في] قَدَمَةِ بندق .
ابتدأها بأن قال : « الحمد لله مَهَيَّ أسباب الأرتياح ، ومُهَيَّ أوقاتِ
الأنشراح ، ومُطَلِّق الأيدي في الاقتناص فليس عليها في صيد ذوات الجناح جناح ،

١٥

(١) واجبا : ميتا . يقال : ضربه فوجب ، اذا خرميتا .

(٢) الرعيل : مقدمة الجيش والخيول .

(٣) هو علاء الدين علي بن فتح الدين محمد بن محيي الدين عبد الله بن عبد الظاهر رئيس الكتاب وسيد
الرؤساء وجايس الملوك . أورد له المؤلف فيما تقدّم من الرسائل البليغة والتقاليد البديعة والعهود الوثيقة
ما جعله يعتذر من التقصير في الانتهاء إلى وصف محاسنه ويعترف بالعجز عن إدراك كنه مناقبه وميامنه .

٢٠

(راجع الجزء الثامن من هذا الكتاب ص ١٢٦ — ١٤٩) .

ومزِينِ السماء بِمَصَابِيحِ أَنْوَارِهَا ، وَمَوْشَى الْأَرْضَ بَرُوضِهَا وَنُورِهَا ، وَمَنُورِ الْأَيَّامِ
بَشَمُوسِهَا وَاللَّيَالِي بِأَقْمَارِهَا ، وَمَطَرُزِ مَطَارِفِ الْآفَاقِ بِمَطَارِ أَطْيَارِهَا . وَالصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ أَنْجَدَهُمُ اللَّهُ مِنْ مَلَائِكَتِهِ بِأُولَى أَجْنَحِهِ ،
وَأَشْوَى بَصَرَانِهِمْ وَأَوْهَى قُوَى مُمَانِعِهِمْ بَعَزَائِهِمْ الْمُنْجِحِهِ .

- وبعد ، فَإِنَّ الْقَنْصَ شُغِفْتُ بِهِ قُلُوبُ ذَوِي الْعِزَائِمِ ، وَصَيَّرْتُهُ عُتُونًا لِلْحَرْبِ إِذْ
حَمَامِ الْحِمَامِ فِيهِ عَلَى الْفَرَائِرِ حَوَائِمُ ، تَلْتَدُ نَفُوسُهُمْ بِالْمَطَارِدَةِ فِيهِ وَتَرْتَاخُ ، وَتَهْوَاهُ فُلُوقُ
تَمَكَّنْتَ لِرَكِبَتِ إِلَيْهِ أَعْنَاقُ الرِّيحِ ، تَرِدُ مِنْهُ مَوْرِدَ الظَّفَرِ ، وَتُتَمَتِّعُ فِيهِ بِئَرِهِ تَقْسِمُ الْحَسَنُ
فِيهِ بَيْنَ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ ، وَتُتَمَلَّى عِنْدَ السَّرُورِ إِلَيْهِ بَرِيَاضُ دَجَّهَا صَوْبُ مِنَ الْمَطَرِ
لَا صَوْبَ مِنَ الْفِكْرِ ، وَيَطْوِي مِنَ الْأَرْضِ مَا نَشَرْتَ أَيْدِي السَّمَاءِ بِهِ بِرُودًا أَبْهَى مِنْ
الْحَبْرِ ، فَتَارَةٌ تَسْتَنْزِلُ مِنَ الْعَوَاصِمِ الظُّبَاءِ الْعَوَاصِي ، وَأَوْنَةٌ تَقْتَنِصُ الطَّيْرَ وَقَدْ تَحَصَّنَتْ
مِنْ بَرُوجِ السُّحُبِ فِي الصَّيَاصِي بِبُعُوثِهَا الدَّانِيَةِ مِنْ كُلِّ قَاصِي . وَأَحْسَنُ أَنْوَاعِهِ
الَّذِي جَمَعَ لِمُعَايِنِهِ بَيْنَ رَوْضَةٍ وَرِيَاضَةٍ ، وَغُدْرٍ مُفَاضَةٍ ، وَمَغَازِلَةِ عَيُونِ النُّورِ وَهِيَ
تَدْمَعُ حِينَ طَرَفَهَا بِذِيْلِهِ نَسِيمُ الصَّبَاحِ ، وَمِبَاكِرَةُ اللَّذَاتِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَرُشِفَ شَمْسُ
الضُّحَى رَيْقَ الْغَوَادِي مِنْ ثَغُورِ الْأَقَاحِ ، رَمَى الْبَنْدُقِ الَّذِي هُوَ عُقْلَةُ الْمُسْتَوْفِزِ ،
وَأَنْتَهَازُ غَفْلَةِ الطَّائِرِ الْمُتَحَرِّزِ ، وَنَزْهَةُ الْقُلُوبِ الَّتِي إِنْ طَالَتْ لَا تُثْمَلُ ، وَإِنْ أَجْتَازَ
الْمُنْتَزِعُ بِمَوْطِنِهَا لَمْ يُؤْجَرْ . أَحْلَى مِنْ صَيْدِ الظُّبَاءِ ، وَأَشْهَى مِنْ لَمَحٍ مُلَحٍ الْحُسْنَاءِ ،

(١) فِي الْأَصْلِينَ : « بِمَصْبَاحِ » .

(٢) لَعَلَّهُ يَرِيدُ « صَرَاعِمَ » جَمْعُ صَرِيْعٍ .

(٣) الْحَبْرُ : جَمْعُ حَبْرَةٍ : ضَرْبٌ مِنْ بَرُودِ الْيَمَنِ مَخْطُطٌ .

(٤) الصَّيَاصِي : الْحَصُونُ وَكُلُّ شَيْءٍ أَمْتَنَ وَتَحَصَّنَ بِهِ .

(٥) الْمُسْتَوْفِزُ : الْمَتَّهِى لِلْوُثُوبِ .

(٦) كَذَا بِالْأَصْلِينَ . وَلَعَلَّهَا : « لَمْ يَوْجَدْ » .

لا يحتاج إلى ركض جواد، ولا يحتاج فيه خفض العيش جواد^(١)، ولا يهاجر متعاطيه
إلى الهواجر، ولا يحجر على نفسه في الإفضاء إلى المحاجر^(٢)، أربابه يرتاضون في الروضة
الغناء، ويسمعون من نغمات الأوتار وشذو الأطياف مختلف الألحان والغناء، ويمتطون
الليل طرفا، ويستنيرون من النجوم شموعا لا تقط ولا تطفأ، قد آتخذ كل منهم
مقاما أكرم به من مقام، وهام باللذة فترك كرائم كراه وكذا عادة المستهام، وسبح
في لجج الليل وكرع في نهر النهار، وتجل في حلل الصدق وتخلي عن خلل العار.
يهوون لذة القنص في الليل إذا عسعس، والصبح إذا تنفس، ويرسلون رسل المنايا
إلى صرائعهم فما تنفس. إذا برزوا عند الغروب توارت شمس الأصيل حياء،
وزهبت في حلتها الذهبية حين بهروها سنا وسناء، تراهم كالزهر أو الأزهار، أو عقيد
نظم بالبحرين والزمرد والنضار، أوجههم في أفلاك قسيهم أقمار، كولدان جنان،
وأعطاف أغصان، قد طاف بهم سياج المسرة وأحرق، وحلوا بتياب سندس خضر
واستبرق، كأن الأرض ضاهت بهم السماء، فصيرت قسيهم أفلاكها، وغمرهم نجومها،
وعزائمهم صواعقها وبنادقهم رجومها، يخفق منهم قلب كل خافقه، وتقدم بعوئهم
على ذوات القوادم فبينما هي مترافقة إذا بها متفارقة، وكأن صواف الطير لديهم
في جوف السماء، سطور في صفيحة زرقاء، أو كأنها في ألثامها، عقود در في نظامها،
يفرطون سلكها، ويقربون هلكها، ويغديرون بها في الغدر، ويحسرون عليها
في الجسور، وتقايض بنادقهم صرائعهم فيصير وكر الطير الجراوة وجراوة البنادق
حواصل الطيور. وإذا أسفروا وجه صباح، سمعت للطير صياحا والطرب كله
في ذلك الصياح، وإن عشوا مقاماتهم وجه عشاء رأيت الطير وهي لدى محارب

(١) الجواد (بالضم) : جهد العطش ، يريد أنه عيش ناعم لا يشوبه كدر .

(٢) المحاجر : جمع محجر وهو الحديقة ، أو الموضع فيه رعى كثير و ماء .

- قسيمهم وهي سُجُود ورُكْع ، طرائح من بِيض وسُود كَأَنَّ أديمَ الأرض منهم أبقع .
 وإن تعلقوا بأذيال الليل وسَجَّفه ، وباتوا في عِطْفه ، احتمى منهم بِشْهيه ، وتسَّتر
 في حُجَّبه ، وتوارى عنهم البدرُ بذيل الغمام ، وهال هالته أن تبدو لقسيمهم الموترة بالحمام .
 إلى غير ذلك مما ألترموه من محاسن أوصاف وأوصاف محاسن ، ووردوه من مناهل
 مصافاة ماؤها غير آسن ، ووجدوه من طيب عيش ما لانوا معه ولا أستكانوا .
 إلى المساكن ، وحفظوه من صناعتهم من شروط وأوضاع ، ووقفوا في مقاماتهم
 من مُطيع ومُطاع ، يرعون قدر كبيرهم ، ولا يُراع بينهم قلب صغيرهم ، ويتناصفون
 في أحكامهم ، فالحكم واحد على أمرهم ومأمورهم . إن تفرقوا فهم على قلب رجل
 واحد ، وإن اختلفت منهم المقاعد فقد آتفت منهم المقاصد . ما خلا جوهم
 من واجب الطاعة ، ولا علا بينهم كبير إلا بذلوا في خدمته جهد الاستطاعة ، وأضحوا
 وأمرهم عليهم محتوم ، وأمسوا وما فيهم إلا من له مقام معلوم ، بأيديهم قسي قاسيه ،
 قُضبانها قاضيه ، منعطفة جافيه ، بعوثها في الخواف خافيه ، تمثلها الأفكار في ساحة
 الفضاء ، كزوارق مبثوثة في لجة الماء . وكيف لا ! وهي تحمل المنايا إلى الطير ،
 وإن لم تكن سائرة فلها بعوث سريعة السير ، كأن صانعها قصد وضعها كالأهلة
 واقترح ، أو حكى بمدح أثوابها قوس قزح ، وكأن ظهرها وقد تنوعت به من الغروز
 مدارجها ، مدر سحيق ورِس دب عليه من النمل دارجها ، إذا حطت عنها أوتارها
 كانت عصا لربها فيها مارب ومغانم ، يوجس الطير في نفسه منها خيفة وكيف لا !
 وهي في شكل الأراقيم ، متضادة تجفو وتلين ، موتورة وغيرها حزين ، تضمها أنامل

(١) في الأصلين : « ظهورها » .

من يُسْراهم هي أَيْمَنُ من يَمِينِ عَرَابَةِ بن أَوْس ، وَيَطْلُعُ كُلُّ مِنْهُمْ في فَلَكِهَا وَالطَّالِعُ
 الْقَمَرُ في الْقَوْسِ ؛ لَا تَعْتَصِمُ مِنْهَا الطَّرَائِدُ بِالْحَبَاءِ في وَكْرِ الدَّجَنَةِ ، وَلَا يُخْفِيهَا اتِّخَاذُهَا
 الظُّلُمَاءَ جُنَّةً ؛ وَلَا يُوقِيهَا تَرْقُهَا ^(٢) ، وَلَا يَنْقِيهَا مَلَقُهَا وَلَا تَنْجَحُ بِخَفَقِ الْجَنَاحِ ،
 وَلَا تَسْتَرْوِحُ بِمُسَاعَدَةِ الرِّيحِ ؛ لَهَا بِنَادِقُ كَأَنَّهَا حَبَاتُ الْقُلُوبِ لَوْنًا ، وَأَشْكَالُ الْعُقُودِ
 كَوْنًا ؛ كَأَنَّمَا صُبِغَتْ مِنْ لَيْلٍ وَصِغَتْ مِنْ شُهْبٍ ، أَوْ صُنِعَتْ مِنْ أَدِيمٍ لِلشُّحْبِ ؛
 تُفْرِدُ مِنَ الطَّيْرِ التَّوَّامَ ، وَتَجْمَعُ بَيْنَ رُوحِهَا وَالْحِمَامِ ؛ قَدْ تَحَامَاها النَّسْرَانِ فَاتَّخَذَا السَّمَاءَ
 وَكُرًا ، وَاتَّفَقَا أَنْ يَصْبِحَا شَفْعًا وَيُمْسِيَا وَتَرًا ؛ تَقْبِضُ مِنْهَا الْأَيْدِي عِنْدَ إِطْلَاقِهَا رَائِحَةً
 رَاجِحَةً ، جَارِحَةً مِنَ الطَّيْرِ كُلِّ جَارِحَةٍ ، لَا تَرَى صَادِحَةً إِلَّا صَيَّرَتْهَا صَائِحَةً . قَلْبُ
 كُلِّ طَيْرٍ مِنْهَا طَائِرٌ ، وَكَيْفَ لَا وَهِيَ لِلسَّهَامِ ضَرَائِرٌ ؛ تُضْرَمُ النَّارُ لِإِشْوَاءِ الطَّرِيدَةِ
 قَبْلَ مَفَارِقَتِهَا لِلْأُوتَارِ ، وَتَقْتَنِصُ مِنَ الْجَوَارِحِ كُلِّ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارٍ بِالنَّهَارِ ؛
 تَهْبِجُ كَأَنَّ الْغَنِيمَةَ وَتَسْتَثِيرُ ، وَتَبْدُو كَأَنَّمَا تُجْنِتُ مِنْ صَنْدَلٍ وَعَبِيرٍ .

وَمَا كَانَ مَنْ هُوَ وَاسِطَةٌ عَقْدٍ هَذِهِ الْأَوْصَافِ ، وَالرَّافِلُ فِي بُرُودِهَا الْمَوْشِيَّةِ
 لِلْأَطْرَافِ ؛ وَالْمُبْدِعُ فِي فَنِّهِ ، وَالْجَامِعُ بَيْنَ فَضِيلَةِ الرَّمْيِ وَحُسْنِهِ ؛ وَالْمُسْتَنْطِقُ لِسَانَ
 قَوْمِهِ بِالْإِحْسَانِ ، وَالْحَافِظُ شَرْوَطَهُ فِي طَهَارَةِ الْعَرُضِ وَصِدْقِ اللِّسَانِ ؛ وَالرَّامِي الَّذِي

- ١٥ (١) هُوَ عَرَابَةُ بن أَوْس بن قَيْظَى الْأَنْصَارِي . وَيُشِيرُ بِهَذَا إِلَى مَدْحِ الشَّمَاخِ بنِ ضَرَّارِ الْمُرِّي لِعَرَابَةِ .
 وَسَبَبُهُ أَنْ عَرَابَةَ قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ بِجَمْعِهِ الطَّرِيقَ وَالشَّمَاخَ فَقَالَ لَهُ عَرَابَةُ : مَا الَّذِي أَقْدَمَكَ الْمَدِينَةَ ؟ قَالَ :
 قَدِمْتُ لِأَمْتَارِ مِنْهَا ، فَلَا لَهُ عَرَابَةُ رَوَّاحِلُهُ بَرًا وَتَمَرًا وَأَتَحَفَّهُ بِغَيْرِ ذَلِكَ فَقَالَ الشَّمَاخُ :
 رَأَيْتُ عَرَابَةَ الْأَوْسِيِّ يَسْمُو * إِلَى الْخَيْرَاتِ مُنْقَطِعَ الْقَرِينِ
 إِذَا مَا رَايَةَ رَفَعْتَ لِحْجَدَ * تَلَقَّاهَا عَرَابَةُ بِالْيَمِينِ
 إِذَا بَلَقْتَنِي وَحَمَلْتَ رَحْلِي * عَرَابَةُ فَاشْرُقِ بَدَمُ الْوَتِينِ
 وَمِثْلُ سَرَاةِ قَوْمِكَ لَمْ يَجَارُوا * إِلَى رِبْعِ الرِّهَانِ وَلَا الثَّمِينِ
 ٢٠ (٢) كَذَا فِي ١ ، وَفِي ب : « وَلَا يَنْقِيهَا » . وَلَعَلَّ كِلَيْهِمَا مَحَرَفَةٌ عَنْ : « وَلَا يَنْفَعُهَا » .

بلغ بهمة غاية المرام ، وضاهى ببندقه السهام ، وكان يوم كذا وكذا خرج إلى برزته
المباركة وصرع طيرين في وجه واحد ، وأبان عن حسن الرمي وسداد الساعد ، وأضحى
بينهما كثيراً بين قومه ، وجعلهما لهم وليمة في يومه ، وهما "تم" كأنما صيغ من فضه ،
أو تدرع من النهار حلة مبيضة ، أو غاير بياضه الليل فلطم وجهه بيد ظلماته ، فاقتص
منه وخاض في أحشائه ، بلحاحه هفيف في المطار ، تسمع منه نغمة الأوتار . و"لغلة"
كأنها كؤنت من شقيق وغمام ، أو مزج لونها بماء ومدام ، لها غرة لو بدت في الليل
خلتها بدرا ، وإن أسفرت عند الصباح حسبتها جحرا ، وحملها فلان وفلان ، وقطع
شبهه فلان وأدعى لفلان ، وعاد الرامي قري العين ، مملوء اليدين ، إذا نخر غيره بواحدة
نخر باثنتين ، معظما بين أترابه ، مكرما لدى أحبابه ، ألبسه الله من السرور أزهى
أثوابه . بمنه وكرمه .

١٠

ومما ورد في وصف الجُلاهِقِ نظماً — قال أبو الفرج البَغَاءُ يصفها :

ومِرْنَانٍ ^(٣) مُعْبَسَةٍ ضُحُوك * مُهْدَبَةِ الطَّبَائِعِ وَالْكِيَانِ
مُغَالِبَةٍ وَلَيْسَ بِهَا حَرَاكُ * وَبَاطِشَةٍ وَلَيْسَ لَهَا يَدَانِ
لَهَا فِي الْجَارِحِ النَّسَبُ الْمَعْلَى * وَإِنْ هِيَ خَالَفَتْهُ فِي الْمَعَانِي
تَطِيرُ مَعَ الْبُرَاةِ بِلَا جَنَاح * قَتَسِبُهَا إِلَى قَصَبِ الرَّهَانِ
وَتُدْرِكُ مَا تَشَاءُ بِغَيْرِ رِجْلٍ * وَلَا بَاعٍ يَطُولُ وَلَا بَنَانِ
وَتَلَحُظُ مَا يَكِلُّ الطَّرْفُ عَنْهُ * بِلَا نَظَرٍ يَصْحَ وَلَا عِيَانِ
لَهَا عُضْوَانٌ مِنْ عَصَبٍ وَلَحْمٍ ^(٤) * وَسَائِرُ جَسْمِهَا مِنْ خَيْرَانِ

١٥

١٦٠

(١) في الأصلين : « صيغ » بالباء الموحدة ، ولعلها مضحفة عما أثبتناه .

(٢) في ب : « سبقه » . (٣) المرنان : القوس وصف من رن إذا صوت .

٢٠

(٤) كذا في مباحج الفكر . وفي الأصلين : « وعظم » .

يُخَاطَبُ فِي الْهَوَاءِ الطَّيْرُ مِنْهَا * بَلْفِظُ لَيْسَ يَصْدُرُ عَنْ لِسَانٍ
فَإِنْ لَمْ تُصْغِ أَرْدَتَهَا بَطْعِينَ * يَنْوِبُ الطَّيْنُ فِيهِ عَنِ السِّنَانِ
مَقْرَظَةً مَمْنُوقَةً خَلُوبَ * مُهْفَهْفَةً مَخْفَفَةً الْجِرَارِ
مَذْكُورَةٌ مُؤَنَّثَةٌ تَهَادَى * مِنْ الْأَصْبَاغِ فِي حُلِّ الْقِيَانِ
مُعَمَّرَةٌ تَزَايِدُ كُلَّ يَوْمٍ * شَيْبَتُهَا عَلَى مَرَّةِ الزَّمَانِ
كَأَنَّ اللَّهَ ضَمَّنَهَا فَبَانَتْ * لَنَا فِي الرِّزْقِ عَنْ أَوْفَى ضَمَانِ
أَعَزَّ عَلَى الْعَيُونِ مِنَ الْمَآقِي * وَأَحْلَى فِي النَفُوسِ مِنَ الْأُمَانِ
إِذَا مَا أَسْتَوْطَنْتُ يَوْمًا مَكَانًا * تَوَلَّى الْجَدْبُ عَنْ ذَاكَ الْمَكَانِ

وقال أبو الفتح كُشَاجِمُ :

وَثِيقَةٌ مُدْمَجَةٌ الْأَوْصَالِ * مَحْنِيَّةٌ عَوَجَاءُ كَالْهِلَالِ
تَعُودُ إِنْ شِئْتَ إِلَى أَعْتَدَالِ * بَاطِنُهَا لِعَاقِلِ الْأَوْعَالِ
وَالظَّهَرُ مِنْهَا لَقْنَا الْأَبْطَالَ * يَجْمَعُهَا أَشْمَرُ ذُو أَنْفَتَالِ
فِي وَسْطِهِ مِنْ صُنْعَةِ الْمُحْتَالِ * مِثَالُ عَيْنٍ غَيْرِ ذِي أَحْوَالِ
تَقْذِي بِصَدَفَاتٍ مِنَ الصَّلْصَالِ * أَمْضَى مِنَ السَّهَامِ وَالنَّبَالِ
قَدْ دَى يُقَرَّرُ أَعْيُنَ الْأَمَالِ * فَاقْعَةُ الصُّفْرَةِ كَالْجُرْيَالِ
رَخِيصَةٌ تَغْنَمُ كُلَّ غَالٍ * تُؤَمِّنُ مِنْهَا وَنِيَّةُ الْكَلَالِ
تَعُولُ فِي الْجَدْبِ وَفِي الْإِمْحَالِ * وَقَدْ يَكُونُ الصَّقْرُ كَالْعِيَالِ

(١) يريد أن وترها منسوب لعاقِلِ الأَوْعَالِ كما أن ظهرها منسوب لقنا الأبطال . ويؤيد هذا المعنى

بيته الثاني من القصيدة التالية . ويقال : وعِل عَاقِلٌ إِذَا تَحَصَّنَ بِوَزْرِهِ عَنِ الصِّيَادِ فِي الْجَبَلِ الْعَالِي .

(٢) يقال : قَذَتِ الْعَيْنُ قَذًى إِذَا قَذَفَتْ مَا فِيهَا مِنْ قَذًى . وقد شبه الجوزة التي في وسط الوتر بالعَيْنِ ،

فصح له لذلك أن يستعمل القَذَى فِي قَذْفِ الْجُوزَةِ لِمَا فِيهَا مِنْ بِنْدَقٍ . وفي الأصلين : « تعدى »

وهو تحريف . (٣) الجريال : الخمر أولونها .

(١) مَطِيَّهَا عَوَاتِقُ الرِّجَالِ * فِي غُلْفٍ مَمْدُودَةٍ طَوَالَ
كَمْ أَفْضَلْتُ عَلَى ذَوِي إِفْضَالِ * وَكَمْ أَنَا لْتُ مِنْ أَخِي نَوَالِ
* وَقَرَّبْتُ لِلطَّيْرِ مِنْ أَجَالِ *

وقال أيضا فيها من أبيات :

٥ وَفِي يَسَارِي مِنَ الْخَطَى مُحْكَمَةٌ * مَتَى طَلَبْتُ بِهَا أُدْرِكْتُ مَطْلُوبِي
لِلوَعْلِ بَاطِنُ شَطَرِهَا وَمُعْظَمُهَا * مِنْ عُودِ شَجَرَاءَ ظُمِيَاءِ الْأَنَابِيِ
تَأْتِقُ الْقَيْنِ فِي تَزْيِينِهَا فَعَدَّتْ * تُوْمِي بِأَحْسَنِ تَفْضِيضٍ وَتَذْهِيْبِ
فِي وَسْطِهَا مُقْلَةً مِنْهَا تُبَيِّنُ مَا * يُرْمَى فَمَا مَقْتُلٌ عَنْهَا بِمُحْجُوبِ
فَقَمْتُ وَالطَّيْرُ قَدْ حُمَّ الْجِمَامُ لَهَا * عَلَى سَبِيلِي فِي عَادِي وَتَجْوِيِيِ
١٠ حَتَّى إِذَا أَكْتَحَلْتُ بِالطِّينِ مُقْلَتُهَا * صَبَّتْ عَلَيْهِنَّ حَتْفًا جَدًّا مَضْبُوبِ
فَرُحْتُ جَذْلَانِ لَمْ تَكْدِرْ مَشَارِبُ لَذَاتِي وَلَمْ تُلْقَ آمَالِي بِتَخْيِيْبِ

ذَكَرَ شَيْءٌ مِمَّا قِيلَ فِي سَبْطَانَةٍ (٥)

قال أبو الفرج البَغَاء :

١٥ وَجَوْفَاءَ حَامِلَةٍ تَهْتَدِي * إِلَى كُلِّ قَلْبٍ بِمَقْرُوحِهِ
مُقَوْمَةٍ الْقَدِّ مَمْشُوقَةٍ * مُهْفَهَفَةِ الْجَسِمِ مَمْسُوحِهِ

(١) كذا في مباحج الفكر . وفي الأصلين : « عرائق » ولا معنى لها . (٢) القين :

الحداد ويطلق على كل صانع . (٣) في الأصلين : « مقبل » ولا يستقيم بها المعنى .

(٤) كذا بالأصلين . ولعلها محرفة عن : « في عدوى وتجوويي » .

(٥) السبطانة (وتسمى أيضا : الزبطانة بالزاي بدل السين) : آلة من آلات الصيد تتخذ من خشب ،

مستطيلة كالرُحْ مجوفة الداخل يجعل الصائد بندقه من طين صغيرة فيه ، وينفخ بها فيها فتخرج منها بحدة

فتصيب الطير فترميه ، وهي كثيرة الإصابة (عن صبح الأعشى ج ٢ ص ١٣٨) .

١٦١

مُثَقَّفَةٌ فُهِمَ عَيْنُهَا * تُبَشِّرُ قَلْبِي بِتَصْحِيحِهِ
فَإِنْ هِيَ وَالْجَارِحُ اسْتَنْهَضَا * إِلَى الصَّيْدِ عَاقَتَهُ عَنْ رِيحِهِ
إِذَا الْمَرْءُ أَوْدَعَهَا سِرَّهُ * لَتُخْفِيهِ بِأَحْتٍ بِتَصْرِيحِهِ
مَوَاتٌ تَعِيشُ إِذَا مَا أَعَادَ * لَهَا النَّائِخُ الرُّوحُ مِنْ رَوْحِهِ
هِيَ السَّبْطَانَةُ فِي شَكْلِهَا * فِي الْقَلْبِ جِدُّ تَبَارِيحِهِ
تُحِطُّ أَبَا الْفَرْخِ عَنْ وَكْرِهِ * وَتَسْتَنْزِلُ الطَّيْرَ مِنْ لَوْحِهِ^(١)

وقال أبو طالب المأموني :

مُثَقَّفَةٌ جَوْفَاءُ تُحْسَبُ زَانَةً^(٢) * وَلَكِنَّا لَا زُجَّ فِيهَا وَلَا نَضْلُ
تُسَدِّدُ نَحْوَ الطَّيْرِ وَهُوَ مُحَلَّقٌ * فَيَنْفِذُ عَنْهَا لِلرَّدَى نَحْوَهُ الرُّسْلُ
يَطِيرُ إِلَى الطَّيْرِ الرَّدَى فِي ضَمِيرِهَا * فَيَجْرِي كَمَا يَجْرِي وَيَعْلُو كَمَا يَعْلُو
فَيَعْقِلُ مَا تَنْجُو بِهِ فَكَأَنَّمَا * يُمَدُّ إِلَيْهِ مِنْ بِنَادِقِهَا حَبْلُ^(٣)

ذكر شيء مما قيل في عيدان الدبق^(٤)

قال عبد الله بن المعتز فيها مُلَغَزًا :

وَمَا رِمَاحٌ غَيْرُ جَارِحَاتٍ * وَلَسَنٌ فِي الدِّمَاءِ وَالْغَاتِ^(٥)
وَلَسَنٌ لِلطَّرَادِ وَالْغَارَاتِ * يُخْضِبُنَّ لَا مَنْ عَلَقَ الْكُمَاةَ^(٥)

(١) اللوح : الفضاء بين السماء والأرض ، يضم ويفتح والضم أعلى .

(٢) كذا في اليتيمة . وفي الأصلين « راية » .

(٣) كذا في اليتيمة . وفي الأصلين : « إليها » .

(٤) الدبق : شيء يلتزق كالغراء يصاد به الطير .

(٥) في الأصلين وديوانه : « وليس » .

بريق حنف منجز العِدادات * مَكْتَمَن^(١) ليس بذى إفلات^(٢)
 يَنْشَبُ في الصدور واللَّبَاتِ * فَعَلَ إِسَارَ^(٢) فُلُقِ السِّيَاتِ
 على عَوَالِيهَا مُرَكَّبَاتِ * أَسِنَّةُ^(٣) لَسَنٍ مَوْقَعَاتِ
 من قَصَبِ الرِّيشِ مَجْرَدَاتِ * يُحْسَبُنَ في الهَوَاءِ شَائِلَاتِ
 * أَذْنَابَ جِرْدَانٍ مُنْكَسَاتِ *

وقال أبو الفتح كُشَايَ: .

وَأَسْرَاتٍ مِثْلَ مَأْسُورَاتِ * مُمَكَّنَاتٍ غَيْرِ مُمَكَّنَاتِ
 مَؤَمَّلَاتٍ غَيْرِ مُكْذَبَاتِ * صَوَادِقِ التَّعْجِيلِ لِلْعِدَاتِ
 نَوَاطِرِ الْأَشْكَالِ ذَاهِبَاتِ * كَوَاسِرِ وَلَسَنَ ضَارِيَاتِ
 وَلَا بِمَا يَصِدُنَ عَالِمَاتِ * بِمِثْلِ رِيْقِ النِّحْلِ مَطْلِيَّاتِ
 أَقْلُ مِنْ سَمَائِمِ الْحَيَاتِ * لَوْ صِلَحَتْ شَيْئًا مِنَ الْآلَاتِ
 وَوُصِلَتْ بِالزُّجِّ وَالشَّبَابَةِ * كَانَتْ مَكَانَ النَّبْلِ لِلرُّمَاتِ
 حَوَامِلٍ لِلطَّيْرِ مُمَسِكَاتِ * تَعَلَّقَ الْأَحْبَابُ بِالْحَبَّاتِ
 كَأَنَّهَا فِي النِّعَتِ وَالصِّفَاتِ * أَذْنَابُ مَا دَقَّ مِنَ الْحَيَّاتِ
 أَغْدَرُ بِالْوُرْقِ الْمَغْرَدَاتِ * فِيهَا مِنَ الْفَتَيَانِ بِالْقَيْنَاتِ
 فَهِنَّ مَنْ قَتَلَى وَمِنْ عُنَاةٍ * بَلَا فَكَاكِ وَبَلَا دِيَاتِ

(١) كذا في ديوانه . وفي الأصلين :

تذيق حنف منجز العداة * متمكن ليس بذى إفلات

(٢) الإِسَارُ : ما شُدَّ به وهو الرِّباط . وسية القوس : ما عطف من طرفها .

(٣) مَوْقَعَاتِ : محددات . ورواية الديوان : « أسنة غير منكسات » .

١٦٢

ذكر شئ مما قيل في الشباك

قال السري الرفاء يصف شبكة :

وجداول بين حديقتين * مطرد مثل حسام القين
 كسوته واسعة القطرين * تنظر في الماء بألف عين
 راصدة كل قريب الحين * تبرزه مجنح الجنين
 كمذبة مصقولة المتنين * كأنما صيغ من اللجين

وقال أبو الفرج البغاء يصف شبكة العصافير :

رقراقة في السراب تحسبها * على الثرى حلة من الزرد
 كالدرع لكنها معوضة * عن المسامير كثرة العقيد
 سائرها أعين مفتحة * لا ترتضى نسبة إلى جسد

ذكر ما قيل في الشص ، وهو الصنابير — قال كاتب أندلسي

يصفه من رسالة : « صنابير ، كأظفار السنابير ، قد عطفها القين كالراء ، وصيرها
 الصقل كالماء ، بجاءت أحد من الإبر ، وأرق من الشعر ، كأنها مخالب صرد^(١) ،
 أو نصف حلقة من زرد » .

وقال أبو الفتح كشاجم :

من كان يحوى صيده الفضاء * وللبراة عنده ثواء
 وطال بالكلب له العناء * فإن صيدى ماحواه الماء
 يخلب ساعده رشاء * يظل والماء له غطاء

(١) الصرد : طائر أبقع أبيض البطن أخضر الظهر ضخم الرأس والمنقار .

كما طوت هلالها السماء * كأنه من الحروف راء
 فهو ونصف خاتم سواء * يحمل سماً اسمه غذاء
 وعطبا فيه لنا إحياء * تدعى به القلوب والأحشاء
 عاد إذا ساعده القضاء * أمتعنا القريس^(١) والشواء



وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

كل الجزء التاسع من كتاب "نهاية الأرب في فنون الأدب" للشيخ العلامة
 شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الوهاب البكري التيمي
 القرشي نسباً المعروف بالنويري رحمه الله . ويليه الجزء العاشر المتعلق بالنباتات،
 على يد كاتبه، فقير رحمة ربه المعين، الفقير نور الدين بن شرف الدين بن أحمد العاملي
 بلداً، الشافعي مذهباً، وذلك في مستهل شهر رمضان المعظم قدره سنة ٩٦٦ هـ .

(١) القريس : سمك يطبخ ويتخذ له صباغ ويترك فيه حتى يجمد .

(٢) يلاحظ أن الأجزاء المطبوعة من هذا الكتاب اختلفت عن الأجزاء الفتوغرافية المحفوظة
 بدار الكتب المصرية ابتداء من الجزء السابع فليعلم .

جزوب
 معين التارح
 لأهل التارح

استدراكات

صفحة	سطر	خطاً	صواب
١١	١٤	قال الشيخ رحمه الله	قال الشيخ رحمه الله ^(٤)
١٤	٧	فصل بعد قوله : « إذا كان أبيض العجز » بثلاث نجوم ويستحسن اتصاله بالذي بعده بدون فصل .	
١٥	٩	فصل بعد قوله : « وقد تقدّم ذكره » بثلاث نجوم ويستحسن اتصاله بالذي بعده بدون فصل .	
١٥٢	٢	دوابّ	ذوات

(مطبعة الدار ١٠٢٠/١٩٣١/٢٥٠٠)
